المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة الدراسات العليا
شعبة التفسير وعلوم القرآن الكريم

موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات

في ضوء تفسيره

إعداد الطالب
محمد ابراهيم تراوري

رسالة مقدمة لنيل الشهادة العالمية
"الماجستير"

إشراف
فضيلة الدكتور عبد العزيز الدريرسوسي
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا

العام الجامعي ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر "٩"

بسم الله الرحمن الرحيم

" شكر وتقدير "

أحمد الله العلي العظيم :هو أهل التقوى :وأهل المغفرة٠٠٠ ،وصلاة وسلاما على امام المرسلين وخاتم النبيين ،وسيد ولد آدم أجمعين ،وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام الصادقين ٠

أما بعد :

فيقول الله تعالى : " ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم " (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : " لايشكر الله من لايشكر الناس" (٢)

فبناء على هذين النصين الكريمين ، ثم اعترافا بالفضل والجميل لأهله ،يطيب لي أن أتقدم بشكري الى كل من وقف بجانبي ،وساعدني لاتمام بحثي هـــذا وأخص منهم بالذكر أستاذي الجليل فضيلة الدكتور عبد العزيز الدردير موسى ، الذي تولى الاشراف على هذه الرسالة ، وكان لي نعم المعين في انجاز هذا البحث ، وكان يشاركني مشاركة فعالة فيه ،فجزاه الله خيرا ،وبارك فيه وفي جهوده ، ،وزاده علما واخلاصا وتوفيقا ٠

كما لايفوتني أن أشكر القائمين على أمر الجامعة الاسلامية عامة ،وقسم الدراسات العليا خاصة ،لما يسروه لنا من الدراسة في هذا الصرح العلمي الشامخ ٠

سائلا المولى أن يوفقهم الى مافيه الخير والصلاح ٠

والله أسال أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم ،ونافعا للاسلام والمسلمين ٠

" وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب" (٣)

وصلى الله تعالى وسلم على أشرف رسله وأكرم خلقه وأحب العالمين اليه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين ،ومن تبعهم باحسان وسار على نهجهم واقتفى أثرهم الى يوم الدين ٠

---

(١) سورة النمل أية "٤٠"

(٢) اخرجه ابو داود في سننه كتاب الادب باب في شكر المعروف ٥/١٥٧ ومابعدها وبنحوه في سنن الترمذي ،أبواب البر والصلة ،وماجاء في الشكر لمن أحسن اليك ،مطبعة الفجالة الجديدة ،ومسند احمد ٥/٢١٢ ط المكتب الاسلامي ٠

(٣) سورة هود "٨٨" ٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيـــــم

* المقدمـــــــة *

انّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فـــلا هادى لـــــه ، وأشهد أن لا اله الاّ الله وحده لا شريك له ،وأشهـــد أنّ محمدا عبده ورسوله .

" يأيّها الذين ءامنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ،ولا تموتنّ الاّ وأنتـــــم مسلمـــــون" (1) " يأيّها النّاس اتّقوا ربّكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام انّ الله كان عليكـــم رقيبـــا ." (2)

يأيّها الذين ءامنوا اتّقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكـم ويغفر لكم ذنوبكم ،ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيمـــا" . (3)

أمّـــا بعـــــــد :

فانّ أصدق الحديث كتاب الله ،وخير الهدى هدى محمد بن عبـد الله صلى الله عليه وسلم ،وشرّ الأمور محدثاتها ،وكلّ محدثة بدعة ،وكـلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة فى النّـــــار .

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٠٢ .

(2) سورة النّساء ، آية ١

(3) سورة الأحزاب ،الآيتين ٧٠ - ٧١ .

وبعـــــــد :

فانّ القرآن الكريم هو كتـــاب الهداية الالٰهيّة الأخير ، الـــذى حدّد للناس معالم الحقّ ورسم لهم طريق الخير ، وبيّن لهم المثل الأعلى فى كلّ شىء ، فى عقائدهم وعباداتهم ، وفى أخلاقهم ، ومعاملاتهم " يهدى به اللّٰه من اتبع رضوانه سبل السلٰم ويخرجهم من الظلمٰت الى النّور بإذنـــه ، ويهديهم إلى صراط مستقيـــــم " . (١)

وهو الآية الباقية والحجّة القاطعة والمعجزة الخالدة لرسول اللـــه صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " إنّا نحن نزلنـا الذكر وانّا له لحٰفظـــون " . (٢)

وهو الدستور العظيم الذى فصل الحقوق والواجبات ، ونظم العلاقات والمعاملات وشرع الحدود والأحكام فى آياته البينات " إنّ الذيـــــن كفروا بالذكر لما جاءهم وإنّه لكتٰب عزيز لا يأتيه البٰطل من بين يديـــــه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميـــــد " (٣)

ولقد فهم المسلمون الأوّلون - منذ أن نزل القرآن اليهم - هـــذه الحقائق كلّها عن القرآن الكريم ، وأدركوها غاية الإدراك وآمنوا بهـــا ايمانا كاملا ، وذلك لأنّ رسالة الاسلام تهدف الى سعادة النّـــاس

---

(١) سورة المائدة ، آية : ١٦ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٩

(٣) سورة فصلت ، الآيتين ٤١ - ٤٢ .

فى دنياهم وأخراهـــم ، وقد بيّن لهم القرآن سبيل الوصول إليهـــا ووضحها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعـــــلا .

وكان علم التفسير وسيلة من الوسائل فى هذا السبيل مارســـــه الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الاسلامى الأوّل على خير وجه ، فلما شاء الله تبارك وتعالى - أن يتم الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربّـه ، وانتقل الى الرفيق الأعلى ، نهض من بعده أصحابه رضى الله عنهـــم ينشرون رسالته ويذيعون تعاليمه السامية ، بعد أن ربطوا بين تلاوتـــه وفهمه ، وبعد أن عاشوا فى النّص القرآنى بكلّ وجدانهم ، ووعوه بكـــلّ عقولهم وترجموا تعاليمه سلوكا عمليّا فى حياتهـــم ، وسار المسلمون على هذا المنوال فى عصر صدر الاسلام ، ولما ظهرت حركة التدوين للعلـــوم وأخذت تنشط وتشق طريقهـــا فى حياة المسلمين ، كان من الطبعـــى أن يهتمّ علماء الاسلام أعظم اهتمام بالقرآن المجيد فى هذا العصـــر وما تلاه من العصور ، فكانت الدراسات القرآنيّة [1] المختلفة من أهـــمّ

---

(١) يختلف مفهوم الدراسات القرآنيّة عند الدارسين باختلاف نظرتهـــم إلى ماينبغى أن يعد ضمن تلك الدراسة ، والمدى الذى يذهبـــون اليه فى تضييق ميادينها أو توسيعهـــا .
ولعلّ النظرة الخاصة إلى تلك الدراسة هى أنّها تنطوى على مجموعة من الأبحاث تمهد لدراسة القرآن الكريم ، وهناك من ذهب إلـــى أنّ هذه الدراسة ينبغى أن تنطوى على مجموعة من الدراسات اللغويّة والبلاغيّة والأدبيّة ، تتناول القرآن لغة وبلاغة وفن أداء .
ولقد ظهر اتجاه آخر يحاول أن يستخلص من القرآن الكريم شتـــى العلوم الكونيّة التى ازدهرت فى عصرنا ، ويجعل هذا اللون مـــن =

الأعمال العمليّة التى فكر العلماء فيهـا ليخدموا كتاب الله تعالى ويبيّنوا وجوب هدايته واعجازه ، وظلّ اهتمام علماء الاسلام بدراسة القرآن الكريم طوال العصور التاريخيّة المتعاقبة وكان هذا الاهتمام يتمثّل تارة فى تفسير القرآن الكريم - وكان لهؤلاء العلماء الذين تناولوا تفسير القرآن الكريم مناهج ومذاهب، فبعضهم فى تفسيره كان يعنى بالاكثار من الآثار كمحمّد بن جرير فى تفسيره ،(ت ٣١٠) وكان بعضهم يعنى باستخراج الأسرار البلاغيّة للقرآن الكريم ووجه اعجازه كالزمخشرى (ت٥٣٨) فى تفسيره * الكشّاف * مع عدم استساغة قراءته الاّ للمتمكن علميّا ، وذلك خشية الوقوع فى دسائسه الاعتزالية الخفيّة - وبعضهم كان يهتم باستنباط الأحكام الفقهيّة التى تضمنها هذا الكتاب الكريم : كالقرطبى (ت٦٧١) فى تفسيره ، وبعضهم كان يهتم بذكر قصص الأوّلين ، وأخبار السابقين التى أجملها القرآن الكريم مثل الخازن (ت ٧٢٥) فى تفسيره .

- والبعض اعتنى باعجازه ،كاعجاز القرآن للباقلانى (٤٠٣هـ) ودلائل الاعجاز وأسرار البلاغة

= الدراسة نهجا واجب الأتباع فى تفسير القرآن الكريم .. ولست ممّن يوافق على النّظر الى القرآن الكريم نظرته الى العلوم الكونيّة والمعارف المختلفة ، وانّما أنا أنظر اليه- ويشاركنى من يرى رأيى - على انه كتاب هداية وتهذيب وتشريع ، جاء ليخلص البشريّة من الظلمات الى النّور ،ومن عبادة الأوثان والعباد الى عبادة الواحد الأحد - ربّ العباد ،ومن هنا لم يصح عندى اقحام النظريات الحديثة فى تفسير القرآن العزيز . أمّا بالنّسبة للدراسات اللغويّة والبلاغيّة والأدبيّة ،فأرى أن دراستها يجب أن تكون مرتبطة بتفسير النّصّ القرآنى وفهم معانيه ،وتذوق الوان الجمال والروعة التى تنطوى عليها آياته الكريمة .

للجرجانـــي (ت ٤٧١) . ومنهـــم من اعتنى بتقريبـــه كالمفردات في غريب القرآن للراغـــب الأصفهانـــي (ت ٥٠٢) . والبعض منهم اعتنـــــى بقراءاته ـ كالكفاية في القراءات العشر لابن مهران المتوفى ٣٨١ ، وكالتّبصـــرة في القراءات السّبع لمكي بن أبي طالب المتوفى ٤٣٧ ، وكالتجريد لبغيّة المريد لابن الفحام ٥١٦ .

والبعض منهـــم اعتنى باعرابه ـ كإملاء ما منّ به الرحمن للعكبـــــري المتوفّى سنة (٦١٦) ، وكالبحر المحيط لابن حيان المتوفّى سنة ٧٥٤ . الى غير ذلك من الدراسات المختلفة التي كانت تدور حول القرآن الكريم ووجوه هدايته وأسرار اعجـازه . . . التي كانت لها في نفسي صـــدى عميقاً، وتأثيراً لطيفـــا .

فلقـــد شرفني الله بحفظ كتابه ـ عن ظهر قلب [1] ومن ثمّ اتجهت نحو علوم القرآن الكريم فالتحقت بكليّة القرآن الكريـــم والدراسات الاسلاميّة ، وبعدها وليت وجهـــي شطر دراسة تفسير القرآن الكريم وعلومه ، وتعرفـــت في هذه الساحة الرحبة على انتاج بعض أعلام المفسرين ، الذين أثـــروا المكتبة القرآنيّة بكنوز من المعرفة تحتلّ الصدارة في مفاخر هذه الأمّـــة ـ ولله الحمد ـ وبينما أنا كذلك وجدت أملا يراودني ، وفكرة تتردد وتتوهج في ذهنـــي : وهي أن أرتاد في ساحة الدراسة التفسيريّة مجالا بكرا أنقب فيه عن تراث دفين لعلم من أعلام التّفسير ، الذين توفرت لهـــم الأصالة المنهجيّة ، وحملوا لواء الريادة في هذا العلـم ، وتركـــــوا

---

(١) وأرجو الله ـ مخلصا ـ أن يوفقني للعمل به .

فيمن بعدهم من المفسرين آثارا بارزة وبصمات واضحة ،تحتسب لهـــم في السجل العلمي ،وتسجل لهم امتداد باقيا في تاريخ العلماء ،وفي عقول الدارسين الملتقين حول مأدبة الله .

واختـــرت القرن الثامن الهجـــرى ، لأنّني وجدته من أخصـــب القرون وأكثرها نشاطا في مجال القرآن الكريـــــم .

فقد ظهر كلّ من الخازن ،وابن جزى المتوفى ٧٤١ ،وابن حيّـــان ، وابن كثير . وكلّ واحد منهم يمثّل في كتابه الذى ألفه في التفسيـــر لونا معينا من ألوان التّفسير ،ومنهجا خاصّا من مناهجه ، فهؤلاء ، وان كان يجمعهم عصر واحد ، الاّ أنّهم لا يجمعهم فكر واحد ،ولا ثقافة واحدة .

وقد وجدت في الامام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثيـــر القرشـــي وفي انتاجه التفسيرى ضالتي المنشودة ،والأمل الذى طالما يراودني ... فلم أتردد ولم أتوان في اختيار * تفسير ابن كثير للاسرائيليّات من خلال تفسيـــره * وبعد مشاورة أولى العلم والتخصص، استقـــرّ رأيي على أن يكون * موقف ابن كثير من الاسرائيليّات في ضوء تفسيـــره * موضوعا لهـــذا البحث .

وممّا لا شكّ فيه أنّ من أخطر القضايا - ان لم يكن أخطرهـا - المتعلّقة بالتّفسيـــر هي قضيّة الاسرائيليّات في التّفسير ، تلك القضيّة التـــي طرحت من قديم في ساحة البحث ،ولا تزال الى الآن موضع بحث العلماء ، ولا يزال خطرها متجددا ببقاء هذا النبت - وبئس النّبت - الضـــارّ في حقل التّفسير مكتنفا زرعه ،وملتفا بسوقه ،وممطبا لثمـــاره .

وقد بنيت اختياري لهذا الموضوع على جملة من الركائز والأسباب أجملها فيما يلي :

أولا : ان هذا الموضوع لم أجد من قام بمثل ما اعتزمت القيام به في هذه الرسالة من هذه الدراسة المنهجيّة الواسعة عن تحديد موقف الامام ابن كثير من الاسرائيليّات،لأنّهم حينما كتبوا عن ابن كثير مثلا (1) تناوله في بعض شذرات متناثرة هنا وهناك فكتاباتهم اقتصرت على بيان موقفه من الإسرائيليّات بشكل عام ،وأظنّ - بل أعتقد - أنّ كلّ من قرأ تفسيره ، سيقف على موقفه العام من خلال مقدمته .

أمّا هذه الرسالة فستبرز موقفه بشكل تفصيلي ،وبنظرة علميّة فاحصة تسبر غوره وتحدّد منهجه العلمي ، وتجوب الآفاق والجوانب التي طرقها الامام ابن كثير - رحمه الله .

ثانيا - أهميّة الكتاب في خدمة علم التّفسير ،ومكانة مؤلفه :

فقد قرأت أكثر من مؤلف لابن كثير ، فوجدت أنّها امتازت بمناهجها السليمة ، . وأمّا المؤلّف - ابن كثير - فقد حقّق لنفسه مكانة علميّة شامخة على مستوى عصره وفي التّاريخ العلمي بصفة عامّة . وبلغ في التفسير بصفة خاصّة - الى المكانة التي تكاد تجمع عليها المصادر والتراجم - التي وقفت عليها - وهي أنّه *استاذ عصره في التّفسير *

ولم تكن تلك الشهادة له من اطراء المؤرخين ، فقد قال فيه الحافظ الذهبي - وهو من هو - : (وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل

---

(1) كاستدركات ابن كثير على ابن جرير ، رسالة دكتوره للأخ / أحمد عمر ، وقد نوقشت بالجامعة الاسلاميّة - عام ١٤٠٥ .

عماد الدّين اسماعيل ابن كثير - . . . الى أن قال : . . . وله عنايـــة بالرجـــال ،والمتون ، خرّج وألّف،وناظر،وصنّف ،وفسّر ،وتقدم . . . (١)

و قال الذهبى أيضا : الامام المفتى المحدث، فقيه متفنّـن ، محدث، متقـــن ، مفسر نقاد . (٢)

ثالثـا - من أبرز ماقادنى الى دراسة ابن كثير وموقفه من الاسرائيليّات: أنّنى كنت - ولا زلت - شديد الاعجاب والتّعلق بتراث شيخ الاسلام ابـــن تيميّه ،وكنت - ولا زلت - شغوفا بمطالعة كتبه ومعاودة النّظر فيه ، وكـــان من أبرز مااعدّ انتباهى أن الامام ابن كثير أحد أخلص تلاميذ شيـــخ الاسلام ، فقد أجمعت المصادر - أو كادت - على أن ابن كثير كان مـــن المعجبيـــن بشيخ الاسلام ابن تيمية - رحمهما الله . -

ودفعنـى الفضول العلمى الى البحث ودراسة تفسيره - ابن كثير - فوجدت فيه عالما فحلا ،ومفسرا من طراز الرواد المنهجيين ، ثم شـــاءت ارادة الله - عزّ وجـلّ - أن يكون موضوع هذا البحـــث .

رابعـــا - سبق وأن ذكرت أن هذا الموضوع لم يطرق من قبـــل بالدراسة ، اللّهـــم الاّ طرقا خفيفا ،وبالتّالى عقدت النّيّة على محاولـــة سدّ هـــذا الفراغ بابراز معالم هذا الموضوع ولأساهـــم بجهدى - الذى هـــو جهد المقل - فى توعية المؤمنين حتّى يكونوا على بصيرة من هـــذه

---

(١) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبى ٤/ ١٥٠٨ط/ دار احياء التراث العربى .

(٢) انظر: الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانـى ١/ ٤٠٠ ،وطبقات المفسرين للداودى ١/ ١١١ ،وشذرات الذهـب لابن العماد الحنبلى ٦/ ٢٣١ .

الإسرائيليّات السّاقطة . . .

وقبل هذا وذاك لأجنب نفسى التى بين جنبىّ ولأحذّرها من هذه المزالق الخطيرة ، والسبل الملتوية ، والطرق الشيطانيّة ، حيث دراستى لمواقف الامام ابن كثير من الإسرائيليّات - وهو النّاقد البصير وفارس الحلبة - وبحثى لهذا الموضوع يتيح لى أن أستبين سبيل المجرمين ، واستبانة سبيلهم لتجنبها والحذر منها من المقاصد الشرعيّة الكبرى قال تعالى : " وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين " . (١)

خامسا - وجود هذه الإسرائيليّات والأباطيل والكثير من الدخيل فى كتب التّفسير الأمر الذى يقلقنى - بل ويقلق كلّ مسلم غيور على دينه وكتابه - فعسى أن تكون هذه الدراسة مساهمة فى تجريدها . .

سادسا - الى جانب هذا كلّه كان من أعظم الدوافع على اختيار هذا الموضوع ، هو ايمانى بأنّ هذا العمل الذى سأقوم به فى هذه الرسالة ماهو الّا إسهام منّى فى خدمة الكتاب العزيز ، وقيام منّى ببعض الواجبات نحو هذا الكتاب الكريم الذى يحمل فى آياته الدّعوة الى الحقّ والخير ويحقّق للنّاس السعادة فى دنياهم وأخراهم .

فمن الواجب علينا - نحن الباحثين فى مجال الدراسات القرآنيّة - أن نوجه الأنظار دائماً إلى القرآن ، وأن نجذب اهتمام النّاس إليه بالأساليب المختلفة ، ومن ذلك : تسليط الأضواء على الجهود العظيمة التى قام بها علماء الإسلام لتفسير هذا الكتاب وشرح آياته البيّنات .

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٥ .

لهـــذا قمت باختيار هذا الموضوع ،لكى أسهم بنصيب فى خدمـــة التّفسيـــر وبالتّالى خدمة كتاب الله تعالى ، ثمّ كان من وراء هـــــذه الدوافع والأسباب ،ومن فوقها جميعاً ،مشيئة الله ، فهى التى شرحت صدرى لهذا العمل ،وحببته الى نفسى ، وذللت لى الصعاب فى معالجته . .

ويعلـــم الله مدى المعاناة التى يستوجبها مثل هذا البحث ـ الذى لم يكن معبدا من قبـــل . وكم استغرق تحقيق بعض النّصوص التـــى تطلبها البحث من جهد ومشقّة ؟؟ ولكنّها مهمّة طالب العلم الذى ينقب على الكنوز ويغوص فى أعماق البحار ، ويجوب الصحارى والقفار ليعـــــود فى النّهاية بكنز ثمين ،ومخبأ على دفيـــن . .

وأمّا المنهـــج الذى ارتضيته فى بحثى وأهمّ معالمه فهو علـــى النّحـــو التّالـــى :

اقتضت طبيعة البحث فى هذا الموضوع أن أقسمه الى مقدمة وثلاثـة أبواب ،وخاتمـــــة . .

أمّا المقدمة : فهاهى بين يدى القارى .

وأمّا الباب الأوّل : فقد عقدته لدراسة * حياة ابن كثير * ويتضمن ثلاثـــة فصـــول :

الفصـــل الأوّل : ـ (حياته العامّة) وفيه أتناول الصورة السياسيّة للعصر الذى عاش فيه الامام ابن كثير ، ثم ألقى الضوء على الحالة الدينيّة وصلتها بالحياة السياسيّة وانعكاسها على الحياة العلميّة ،والاجتماعيّـة وكلّ ذلك بصورة مقتضبة جدّا ، لأسباب تذكر ان شاء الله فى حينهـــا .

وكلّ ذلك تحت عنوان * بيئة ابن كثيـــر *

ويشتمل على المباحث الآتيـــــــة :

المبحث الأوّل ـ اسمه ونسبـــــــه .

المبحث الثاني ـ مولـــــــده .

المبحث الثالث ـ نشأتـــــــه .

المبحث الرابع ـ عقيدتـــــــه .

المبحث الخامس ـ مذهبه .

المبحث السادس ـ وفاتـــــــه .

الفصل الثاني ـ (حياته العلميّة) .

ويشتمـــل على المباحث التاليـــــــة : ـ

المبحث الأوّل : طلبه العلم .

المبحث الثاني : شيوخه وأبنهـــــــم .

المبحث الثالث : تلاميذه وأشهرهم ، مع الترجمة العلميّة لكلّ من هؤلاء وأولئـــــــــــــــــك .

المبحث الرابع : مكانته العلميّة . ويلقى الضوء عليه ، اما ما في التفسير والتاريخ ، ومحدثا ، وفقيها ، وخطيبـــــا . . .

المبحث الخامس : آثاره ، وسنقف في هذا المبحث على ثروة طائلة من مصنفات الامام ابن كثيـــــــــر .

الفصل الثالث : تفسير ابن كثيـــــر ـ

ويشتمل على مبحثيـــــــــن :

المبحث الأوّل : مصادره فيه . ويحتوى على ذكر المصدر ، واسم مؤلفه وفكرة مبسطة عنه ، والطريقة التي استفاد ابن كثير من تلك المصادر والتـي تربو على أكثر من ثلاثين ومائة مصـــدر

المبحث الثاني : منهجه في تفسيره . وبه ينتهي الباب الأوّل . .

الباب الثّانـــي : الاسرائيليّات ورواتهـا .

ويشتمل هذا الباب على فصلين اثنين وهما مايلـــي :

الفصل الأوّل ـ الاسرائيليّـــات :

ويحتوى المباحث الآتية :

المبحث الأوّل : حقيقة الاسرائيليّات .

المبحث الثاني : متى وكيف تسربت الاسرائيليّات الى كتب التفسيـــر ؟ .

المبحث الثالث : كيف تصاعد تسرب الاسرائيليّات ؟ .

المبحث الرابع : اقلام الاسرائيليّات .

المبحث الخامس : حكم رواية الاسرائيليات .

الفصل الثانـــي : اشهر رواتهـــا .

وفيه مبحثـــان :

المبحث الأوّل : اشهر رواتها من الصحابة رضى الله عنهم أجمعيـــن .

مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير لهـــا . مع مناقشة لما قيل في هؤلاء

وأولئك والرد على الطاعنين فيهم. وبيان وجه الحقّ لأنّه الميزان لـ

ينتهـي الباب الثانـــي . .

الباب الثالـــث : موقف الامام ابن كثير من الاسرائيليات في ضـــوء تفسيره .

ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصـــول :

الفصل الأوّل : رأيي في موقف الامام ابن كثير من الاسرائيليات.

ويشتمل على تمهيد ومبحثين :

التّمهيد : وفيه اشارة خفيفة الى خطورة الاسرائيليّات، مع الاشارة الى مواقف المفسرين منها ، مع التّنويه الى أن ابن كثير رائد هم في هذا المجال ..

المبحث الأوّل : كلمات ابن كثير في شأن الاسرائيليّات .. وفيه نبرز أهم الكلمات القوية لابن كثير في شأن الاسرائيليّات وذلك من خلال تصريحه بها في كتابه * تفسير القرآن العظيم * .

المبحث الثاني : موقف الامام ابن كثير على سبيل الايجاز ، وينقسم الى قسمين :

القسم الأوّل : موقفه العام وينقسم الى أمور ثلاثة :

الأمر الأوّل : ماعلمنا صحته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

الأمر الثاني : ماعلمنا كذبه ممّا بأيدينا ممّا يخالفه ...

الأمر الثالث : ماهو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل .

القسم الثاني : موقفه الخاص وينقسم الى أربعة أمور :

الأوّل : ذكر الاسرائيليات منسوبة الى بعض المفسرين مفندا لها .

الثاني : ذكر الاسرائيليات منسوبة الى قائلها مع مناقشة لها وبيان بطلانها .

الثالث : الاشارة اليها والاعراض عنها ..

الرابع : ايرادها دون التّنبيه عليها ..

الفصل الثاني : موقف ابن كثير من الاسرائيليات من خلال تفسيره وفيه المباحث التالية :

المبحث الأوّل : تصريحه بأن هذه الآثار منقولة عن الاسرائيليـــــات.

المبحث الثاني : تصريحه بأن هذه الآثار لم يقم عليها دليل صحيح وأنّها مخالفة للنّقل الصحيح والعقل السليم.

المبحث الثالث : تصريحه بأن رواة هذه الآثار من أقطاب الروايـــــة الاسرائيليّـــــــــة .

المبحث الرابع : تصريحـــه بأن رواة هذه الآثار مشهورون بالأخـــذ عن الاسرائيليّـــــــات .

المبحث الخامس : تردده في الحكم على أنّ هذه الآثار اسرائيليّـــــةٌ أو غيـــــر اسرائيليّـــــة ؟؟

المبحث السادس : تصريحه بأن هذا الأثر أو الآثـار من غرائب كتـــب السنـــة ، أو من الآثار الموضوعة ، أو في اسناده نظر ،أو ضعيـــف ، أو فيـــه نكارة ويرجح بعد ذلك أنّها من أخبار أهل الكتاب.

المبحث السابع : مارجح أنّه من الاسرائيليّات التي لا تصدق ولا تكـــذب.

المبحث الثامن : ذكره للآثار الاسرائيليّة التي ورد في شرعنا مايؤيدها .

المبحث التاسع : اشارته الى أنّ هناك آثار اسرائيليّة ضرب عنهـــــا صفحـــا ،لغرابتها وكذبها ، وأن غيره قد ذكرهـــا .

الفصل الثالث : تتبع مافات ابن كثير من اسرائيليّات . . .

وهذا الفصل لا يعني التقليل من شأن ابن كثير ، انّما هو من بـــاب الاستدراك على أشياء تعد على أصابع اليدين من بين الآلاف مـــن الفتـــات القيّمة والتوجيهات السديدة لموقفه القويم.

ثمّ تأتي الخاتمة - أحسنها الله تعالى - وفيها أودع خلاصـــــة اجمالية لهذه الدراسة ،وأبين ماتحقق منها من نتائج وثمار.

أمّا عن مصادر ومراجع هذا البحث التي عدت اليها - وذلك بغية التمكّن من الوصول الى الحقائق الثابتة في الرسالة - فهي مثبتة بفهرس المصادر والمراجع ..

وهذا لا يمنع من الاشارة المختصره هنا :

فبالنّسبة للباب الأوّل : فأبرز مصادره ومراجعه الآتي :

أ - كتب التراجم ،لكلّ من الحافظ الذهبي - تذكرة الحفاظ،والحافظ ابن حجر . الدرر الكامنة ، أنباء الغمر بأبناء العمر ... الخ . وطبقات الحفاظ للحسيني ،وذيول تذكرة الحفاظ،والضوء اللامع،والداودي في طبقات المفسرين وغيرها الكثير ممّا هو مثبت في مكانه .

ب - كتب التاريخ كالبداية لابن كثير- رحمه الله - وعصر المماليك لابراهيم حسن ،والعصر المماليكي في مصر والشام د / سعيد عاشور ،والدارس في أخبار المدارس للنعيمي .

جـ - كتب البلدان ، معجم البلدان لياقوت الحموي ،وفي رحاب دمشق لدهمان ..

والباب الثاني : فأبرز مصادره ومراجعه . كتب الاسرائيليّات المتوفرة لدى وهي :

الاسرائيليّات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي .

الاسرائيليّات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد محمد أبو شهبة .

الاسرائيليّات وأثرها في كتب التفسير للدكتور رمزي نعناعة .

الدخيل والاسرائيليّات في تفسير القرآن الكريم للدكتور سمير عبد العزيز شليوه .

الباب الثالث: أبرز مصادره ومراجعـــــــه :

١ ـ كتب التفسير بالمأثور كالطبرى والمحرر الوجيز ،والدر المنثـور . .

٢ ـ كتب التفسير بالرّأى الجائز كمفاتيح الغيب للرازى ، وأنوار التنزيل وأسرار التّأويل للبيضاوى ،ومدارك التّنزيل ،وحقائق التّأويـــل للنّسفـى ،ولباب التّأويل فى معانى التّنزيل للخازن ،والبحـــر المحيـط لأبى حيان ،وآرشاد العقل السليم الى مزايا الكتـــاب الكريـــم ،لأبى السعود ،وروح المعانى للألوســـى . . .

٣ ـ كتب السنـــة : الصحيحان ،وسنـــن أبى داود والنسائـــى وابن ماجه ،ومسند أحمـــد ومسند الدارمى ،ومستدرك الحاكـــم ، وسنن البيهقـــى . . . .

٤ ـ كتب الجرح والتعديل ،كالجرح والتعديل لابن أبى حاتم ،والتهذيب وتقريبه لابن حجر ،وله ـ أيضا ـ لسان الميزان ،وميزان الاعتدال والكاشف للذهبى ، وله ـ أيضا ـ المغنى فى الضعفاء ،وخلاصـــة التهذيب للخزرجـــى . .

٥ ـ وكتب القراءات ،كشرح شعله كنز المعانى شرح حرز الأمانى ،للموصلى .

٦ـ وكتب التراجم ، كأسد الغابة لابن الأثيـــر ،والاستيعـــاب لابن عبد البـــر . . . وغير ذلك من المراجع المثبتة فى الحواشى وفى ثبـــت المصادر والمراجـــــع . .

هذا وقد اعتمدت فى دراسة تفسير ابن كثير على طبعتيـــن اثنتيـــن هما : طبعة دار الشعب ، وطبعة عيسى الحلبى ،وذلك لأنّ طبعة دار الشعب اعتمد محققوها على أقدم نسخة للكتاب، وأنّهـــا

أصح وأدق النسخ ،وغير ذلك من المميزات ، انظر كلّ ذلك في تفسير ابن كثير طبعة الشعب ١ / ٧ ، وميزتها في الحاشية بقولي دار الشعب، وأخرى الشعب .

أمّا عن طبعة الحلبي : فلأنّها نسخة ممتازة في طباعتها واخراجها ولما فيها من زيادات على طبعة الشعب . وقد ميّزتها في الحاشية بقولي: حلبي ، أو الحلبية ، أو ح .

وقد سلكت في كتابتي لهذه الرسالة منهجا من أبرز معالمه :

١ ـ ايراد الآية أو الآيات التي يذكر الحافظ ابن كثير في أثناء شرحه لها خبرا اسرائيليّا أو نحوه ، حسب تسلسل المباحث التي عقدتها .

٢ ـ اذكر مجمل كلام ابن كثير في تفسيره للآية أو الآيات بلفظه تارة وأخرى بمعناه .

٣ ـ كلّ آية ذكرتها وتضمنت السابق ذكره جعلت لها رقما . وحاولت كتابتها بالرسم العثماني .

٤ ـ حققت النّص الذي اقتبسه ابن كثير من مصادره المتوفرة لدي .

٥ ـ شرحت بعض الكلمات التي تحتاج الى شرح .

٦ ـ اذا كان الحديث في الصحيحين ، أو في أحدهما لم أتعرض للبحث عن اسناده لأنّ الأمّة ارتضت كتابهما بالقبول .

٧ ـ اذا كان الحديث في غير الصحيحين كالسنن والمسانيد وغيرها من كتب الحديث أو التفسير ولم يكن قد خرج في الصحيح فانّي أشير الى من خرج الحديث أو الأثر ، ثم أترجم لرجال الاسناد ،ترجمة

مختصـــــرة ، ناقلا ذلك من تقريب التهذيب ان وجدت للراوى ترجمـة فيـــــه بعد النّظر فى التهذيب التّهذيب - للتأكد من أنّ هؤلاء الرواه روى بعضهم عن بعـــض مع أنّى أرجع الى كلّ من طبقات ابن سعد والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ،وتاريخ بغداد ،والتاريخ الكبير للبخـــارى ، وتذكرة الحفاظ ،وميزان الاعتدال ،وغيرهما من الكتب المختصة بالتراجم ، والمبينـــة لتوثيق الراوى أو تجريحة مشيرا فى آخر ترجمة كلّ راو الى مصدر الترجمـــة . وبعد الترجمة لرجال الاسناد والنظر فى أحوالهـم أحكم على ظاهر اسناده بما يليق من صحة أو حسن أو ضعف بحسب الامكان اذ أن هذا الباب لا يجيده ولا يتقنه الّا العلماء الأفذاذ النقاد ولأنّ معرفة علل الحديث الهام كما صرح بذلك شيخ النقاد عبد الرحمن بن مهدى .

٨ - خرّجت الأحاديث وذكرت مواضعها من كتب السنـــة .

٩ - رددت الآيات الى مواضعها من القرآن الكريـــم .

١٠ - تتبعت أقوال أغلب المفسريـــن والمحدثين وغيرهم فى الأخبار الاسرائيليّـــة . وذلك تأييدا لابن كثير وموقفه ، أو مخالفه - وهـــى نادرة - وقد أكتفى بابن كثير أحيانا ..

تلك عشرة كاملة لأبرز ماقمنا به والبقيّة ستظهـر للعيان إن شاء الله .

وعن الصعاب التى واجهتنـى فتتلخص فى الآتـى :

يشاء الله سبحانه العلى القدير الذى لا رادّ لقضائه ولا معقـــب لحكمه أن يحدث تغيير المشرف الأوّل على هذه الرسالة الدكتور/ محمد سيد طنطاوى الذى أعتز بأستاذيته لى نظرا لانتهاء فترة عمله بالجامعـة

وقد وقع المأساة شديدا على نفسي . . .

وفي العام الثاني لاعداد الرسالة - وبعد تعيين المشرف الثاني للرسالة / فضيلة الدكتور محمد محمود أحمد العريان ، يشاء الله - جلت قدرته أن يسافر هو الآخر الى بلاده لانتهاء فترة خدمته بالجامعة .

وكان وقع المأساة أشد من المأساة الأولى ، وذلك لأسباب كثيرة لعلّ أبرزها الآتي :

أ - ضيق الفترة الزمنيّة المحدّدة لي .

ب - قرار عدم التّمديد .

جـ - ترى هل من المستطاع أنهاء الموضوع بالصورة التي كنت أتأمّلها وأرجوها ؟؟ .

تلك وغيرها كانت تدور بخلدي . ولكن الله الكريم القائل في نصّ كتابه الكريم : " الله لطيف بعباده . . "(1) قد لطف بي وأنعم عليّ - ضمن نعمه وآلائه الجزيلة التي لا تحصى ولا تعدّ - لطف بي حين أسند الاشراف الى فضيلة الدكتور عبد العزيز الدريني - ضمن سلسلة المشرفين المحترمين - الذي أبدى تفهما كبيرا للظروف التي تمرّ بي من تعداد المشرفين من الفترة الزمنيّة المتبقية . . .

وبالتّالي ضحى بوقت غير قصير ، وساهم مساهمة فعالة ، تكاد تكون قصوى للمساعدة في انهاء البحث حسب المدّة الزمنيّة المتبقية لي ، والتي تقدر بستة أشهر تقريبا ، وأن يخرج البحث في صورة قريبة من الكمال ، فأشكر الله شكرا حتّى يرضى وشكرا وحمدا بعد أن يرضى .

---

(1) سورة الشورى ، آية : ١٩ +

ثم لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر العميق ـ مرة ثانية ـ النّابع من سويداء الفؤاد لفضيلة استاذنا ـ الذى اعتز باستاذيته لى ـ لجهده الكبير معى ، وصبره معى وخاصة فى الظروف الأخيرة من فترة اعداد الرسالة. والله أسأل أن يهيئ له من أمره رشدا ، وأن يوفقه لخدمة العلم وخدمة طلّابه ، وأن يوفقه لكلّ عمل صالح يحبّه ربنا ويرضاه. كما لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر للمشرفين السابقين ، جزاء ما قدماه لى طيلة فترة اشرافيهما لى ، وأن يمد فى عمرهما ويمتعهما بالسعادة الدنيويّة والأخرويّة . آمين .

ولقد كان صعوبة المراجع ـ أحيانا ـ تضع الكثير من العراقيل فى طريق البحث ، وقد كان ذلك كفيلا بالتّعثّر فى هذا البحث والتوقف عن متابعته ولكن لم اتخذ من التسويف مطية أو التعلل بالغد . وذلك لأنّ التّسويف أمنية القاعدين وأن (الغد) يوم العاجزين .

واذا كان القصور ضريبة بشريّة ، فليس لى عن قدرى من مفر ، ولا يزال المرء على مدرجة الطريق ، حتّى يبلغ حاجة فى صدره . . . وكان أمر الله قدرا مقدورا . "(1)

واذا كنت قد تجاوزت قدرى ، فعذرى أنّ الأخذ بالأسباب ينفع يوم لا تنفع الأنساب .

وانّى لأسأل الله تعالى ـ من قبل ومن بعد ـ وهو أكرم مسؤل : أن يكتب لهذا العمل توفيقا من عنده ، وأن يعلمنى من لدنه علما أتعرف به وجه

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٣٨ .

الحقّ فأتبعه والباطل فأجتنبه ، وأن أحتسب بهذا البحث من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ، كما أسأله جلت أسماؤه وصفاته أن يجبر ما قد يطرأ لهذا البحث من نقص واعواز ، وأن يستر ما فيه من هفوات ، فيرتفع الى شأو الصلاحية والنّفع به ، والمثوبة عليه فى الدنيا والآخرة .

ثمّ أرجو ممّن سلك مسلك الانصاف ، وتنكب عن طريق الاعتساف أن يستر خطيئاتى ، ويجر قلم الاصلاح على هفواتى ، اذ المقصد من كتابتى هذه مقصد كريم

وما أحسن قول الشاطبى رحمه الله فى هذا المعنى :

أخى أيّها المجتاز نظمى ببابه ... يُنادى عليه كاسد السّوق أجملا

وظنّ به خيرًا وسامح نسيجه ... بالإغضاء والحسنى وإن كان هلهلا

وسلّم لإحدى الحسنيين إصابة ... والأخرى اجتهاد رام صوبا فأمحلا

وإن كان خرق فأدركه بفضلة ... من الحلم وليصلحه من جاد مقولا

وقل صادقا لولا الوئام وروحه ... لطاح الأنام الكلّ فى الخلق والقلا

لعمرك إله العرش يا إخوتى يقى ... جماعتنا كلّ المكاره هولا

ويجعلنا ممّن يكون كتابه ... شفيعا لهم إذ مانسوه فيمحلا

وبالله حولى واعتصابى وقوتى ... ومالى إلّا سترُه متجلّلا

فيارب أنت الله حسبى وعدّتى ... عليك اعتمادى ضارعا متوكلا

وآخر دعوانا بتوفيق ربّنا ... أن الحمد لله الذى وحده علا

وبعد صلاة الله ثم سلامه ... على سيّد الخلق الرضا متنخّلا

محمد المختار للمجد كعبة ... صلاة تبارى الريح مسكا ومندلا

وتهدى على أصحابه نفحاتها ... بغير تناه زرنبا وقرنفلا .

مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢ / ٨ / ١٤٠٦هـ

وكتبه

محمد ابراهيم تراورى

غفر الله له ولوالديه وللمشرفين على هذه الرسالة ، ولمن اطلع عليها وقومها تقويما علميا ولجميع المسلمين .

امين . امين . امين .

والحمد لله رب العالمين .

الباب الأول

حياة ابن كثير رحمه الله

تمهيد

(بيئة ابن كثير - رحمه الله -)

عادة تقتضي منهجية البحث العلمي في حياة علم من طراز الامام ابن كثير والتعرف على أثره العلمي وموقفه الحازم تجاه الاسرائيليات .

أن نلقي الضوء على سمات الفترة التي ترعرع فيها ، وذلك لأن سمات أي شخصية مرآة تعكس مافي بيئته وعصره .

وبدهي أن مافي البيئة والعصر من تيارات مختلفة سياسية كانت أو ثقافية أو دينية أو اجتماعية ، كل ذلك يؤثر في تكوين الشخصية .

وحيث انني سبقت بدراسة عصر وبيئة ابن كثير ، فليس من الحكمة أن أجوب في آفاق عصره ، وأتعمق في ذلك ، فهناك رسائل متخصصة في هذا المجال كتلك التي تحقق مؤلفا من مؤلفاته ، اذ يتحتم على الباحث الدراسة المستفيضة ، ومن ثم أعرض بايجاز مقتضب لأبرز ملامح أهم الجوانب السياسية والدينية والاجتماعية ثم للحياة العلمية في عصره .

وسلكت هذا المسلك خشية تكرار الدراسة من جهة ، ومن ناحية أخرى عدم تبديد الجهد في شيء مكرر كان من الواجب أن أنفقه في شيء جديد .

وتعرضي لبيئته يعد كمنطلق لدراسة حياته - دراسة مبسطة - وأثره ، ومقدار أخذه وعطائه ، ثم لذكر فكرة مبسطة عن تلك التي تسربت وأقحمت على كتب التفسير ، وأعني بها الاسرائيليات ، حتى أصل الى الموضوع الرئيسي الا وهو موقف الحافظ ابن كثير من الاسرائيليات من خلال تفسيره .

أولا : الصور السياسية لعصره :

عاش الامام اسماعيل ابن كثير - رحمه الله - في القرن الثامن الهجرى منذ بدايته وحتى أوائل الثلث الأخير منه - أو بعدها بقليل - "٧٧٤" .

وكانت بلاد الشام منذ النصف الثانى من القرن السابع الهجرى تعيش في ظل دولة المماليك البحرية التى قامت على انقاض الدولة الأيوبية ، وأصبحت من أعظم مراكز القوى في العالم الاسلامى بسبب قدرتها على ايقاف التقدم المغولى المدمر ، الذى قضى على الخلافة العباسية ببغداد ، من جهة الشرق[1] ، وأوقف التقدم الصليبى الحاقد على أطرافها من جهة الغرب[2] .

وعاشت دمشق آنذاك وهى تشهد عز الاسلام والنصر بعد النصر ، فقد تمكنت جيوشها من هزيمة جيوش المغول شر هزيمة في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ[3] ، ويليه النصر في سنة ٦٧٦ هـ بقيادة الملك الظاهر بيبرس : الأسد الضارى وهكذا استقر الوضع السياسى ... الخ[4] .

ثانيا : الحالة الدينية والاجتماعية :

حفلت دمشق الشام في هذا العصر - الذى يضم عصر ابن كثير - بالعديد من النزاعات الدينية والخلافات المذهبية الحادة .

---

(١) البداية ١٣/ ٢٠٠ - ٢٠٤ .

(٢) البداية ١٣/ ٣٧٥ .

(٣) البداية ١٣/ ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٤) البداية ١٤ أبرز حوادث النصف الأول من القرن الثامن .

وكان الحكام الصالحيين يتدخلون فى كثير من الأحيان ، فيناصرون جماعة على أخرى .[1]

وكان الايوبيون قبل ذلك قد عنوا عناية كبيرة بنشر مذهب الشافعى ، فأسسوا المدارس الخاصة به ، وأوقفوا عليها الوقوف ، وعنوا فى الوقت نفسه بنشر عقيدة الأشعرى[2] ، والذى شبت دعائم المذهب الأشعرى أبو حامد الغزالى فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ، واعتبروها السنة التى يجب اتباعها وبالتالى أصبحت للأشاعرة قوة عظيمة فى مصر والشام .

وقد أثر ذلك على المذاهب الأخرى ، فأصابها الوهن والضعف ، عدا الحنابلة الذين ظلوا على جانب كبير من القوة ، وكانت لهم فى دمشق مجموعة من دور الحديث والمدارس بلغت عشر مدارس ، من ذلك ست مدارس داخل دمشق وهذه ، بيانها كالاتى :

المدرسة الحنبلية ، والجوزية ، والسمارية ، والصدرية .

ولهم بالجامع الأموى مدرستان وهما حلقة الاوزاعى ، وحلقة المحراب ، وخارج دمشق بجبل الصالحين خاصة اربع مدارس وهى : دار الحديث الأشرفية ، والصالحية ، والضيائية ، ومدرسة الشيخ أبى عمر رحمه الله ، آخر مدارس الحنابلة .[3]

وكان النزاع العقائدى بين الحنابلة والأشاعرة شديدا الذى زاده اعتماد الحنابلة على النصوص فى دراسة العقائد ، واعتماد الأشاعرة على الاستدلال

---

(١) البداية ١٤/ ٢٨ - ٢٩ .

(٢) طبقات الشافعية ٧/ ٣٣٩ - ٣٥١ .

(٣) فى رحاب دمشق لمحمد دهمان ص ٧٦ بتصرف يسير ط دار الفكر .

المنطقي والبرهان المنطقي في دراستها ، كما أن الجهل والاعتقاد والخرافات منتشر بين العوام في المجتمع الدمشقي ، وكان التصوف منتشرا في أرجاء البلاد انتشارا واسعا ، وظهر بينهم كثير من المشعوذين الذين أثروا على العوام أيضا أيما تأثير ، بل عمل الحكام والمماليك على الاهتمام بهم (١) .

كما انتشر تقديس الأشياخ والاعتقاد فيهم وتقديس النذور عند قبورهم ، بل كانوا يطلبون المغفرة من أصحاب القبور (٢) .

ثالثا : الحياة العلمية :

ان من يدرس الحركة الفكرية في العصر الأيوبي لابد وأن يراقب هذه الحركة في عصر المماليك البحرية ، ذلك العصر المخضرم بين العصرين : الأيوبي ، والمماليك الشركسي (٣) .

ثم يخرج بنتيجة لأثر هذه الحركة الفكرية ، ورأينا - من الناحية الدينية - أن هناك نزاعات عديدة أدت الى التعمق في البحث أدى ذلك الى أن - أصبحت بلاد الشام مركزا كبيرا من مراكز الحركة الفكرية ، وفيها من المدارس - العامرة التي بلغت احدى وتسعين مدرسة تفصيلها على النحو الآتي :

المدارس الشافعية : ثلاث وأربعون مدرسة .

المدارس الحنفية : احدى وثلاثون .

المدارس الحنبلية : عشر مدارس .

المدارس المالكية : أربع مدارس .

مدارس الأطباء : ثلاث (٤) .

---

(١) البداية ١٣/٢٦٥ ، وتاريخ الاسلام ١٨/٣٦ ، والبداية ١٤/١٥ .

(٢) البداية ١٢/٢٦١ - ٢٦٥ - ٢٨٣ - ٢٩٨ - ٣١٤ - ٣٢٦ و١٤/١٤ - ٥١ - ٧٢ - ٨١ - ٨٣ - ١١٥ - ١١٩ . والسمادة الاولى ظ

(٣) في رحاب دمشق ص ١٢٥ . (٤) في رحاب دمشق ص ٧٧ .

وقد سلف ذكر مدارس الحنابلة ، ومن أشهر مدارس المالكية النورية .

ومن أشهر المدارس الحنفية مدرسة الظاهرية التي قامت على دار من أعظم دور دمشق وأكثرها شهرة تدعى بدار العقيقي .

وأشهر مدارس الشافعية العادلية الكبرى ، والتي تقوم برعاية اللغة العربية .

وقد وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٨ ، ثم تمّ الملك العادل بناءها وأصبحت مدرسة بناؤها عظيمة للشافعية ودعيت باسمه ، وتولاها عدد كبير من القضاة المبرزين منهم جمال الدين المصري ، وشمس الدين بن خلكان ، وبدر الدين بن جماعة ، وتقي الدين السبكي[1] .

وكان امام هذه المدرسة ابن مالك حتى اذ صلى شيخه ابن خلكان الى بيته تعظيما له[2] ، وكان بالشام أيضا دور للقرآن الكريم والحديث من أبرزها :

دار الحديث الأشرفية ، وهي مدرسة تخصصة بدراسة الحديث النبوي الشريف ، وقانونها الداخلي يقضي بأن يتولى التدريس فيها أعلم رجال الحديث في مدينة دمشق ، وأن يجلب اليها كل من له ميزة في رواية الحديث لا توجد في غيره ، سواء في دمشق أو في غيرها من البلدان ليستفاد من علمه واختصاصه

---

(١) المصدر السابق ٧٥ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٥٥ ط الحلبي .

ولذلك صار فيها من المدرسين والمحدثين جماعة لم توجد مثلا في غيرها من دور الحديث ، ونظرة صغيرة الى أسماء من تولى رئاسة التدريس والقاء المحاضرات ومجلس الحديث فيها تجعل القارئ يطمئن الى أن أساتذتها كانوا أساطين علم الحديث لا في دمشق وحدها ، بل في جميع أنحاء عالمنا الاسلامي الكبير .

وأول من تولى مشيختها تقي الدين أبو عمرو بن الصلاح صاحب المقدمة المشهورة في علوم الحديث سنة ٦٤٣ ، ثم أبو القاسم عبد الرحمن الشهير بأبي شامة ، ثم محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، ثم الحافظ المزي ، وصدر الدين الشهير بابن المرحل وبابن الوكيل ، ثم عماد الدين ابن كثير (صاحب الرسالة) وتقي الدين السبكي ، وعلاء الدين الصيرفي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني وغيرهم ممن يطول بنا ذكر اسمائهم .(١)

وكانت العناية بالدراسة الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد ، وما يتصل بها من علوم العربية ، هي السمة البارزة لهذا العصر ، فانتجت هذه الحركة أيضا في القرن الثامن الهجري ، الذي تبوأت دمشق والقاهرة السيادة العلمية والفكرية في جميع انحاء العالم الاسلامي بما انتجتا من تراث فكري ، وانجبتا من علماء مبرزين في هذه الميادين .(٢)

وقد يجد الباحث في هذا العصر تباينا شديدا في قيمة الانتاج الفكري لهذه الفترة وأصالته ، فيجد الكثير من المؤلفات الهزيلة لم تكن غير تكرار لما هو موجود في بطون الكتب السابقة .

---

(١) البداية والنهاية ١٣/١٧٩ - ١٨٠ ط دار الكتب العلمية .
المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي ط دار الكتاب الجديد
ودور القرآن في دمشق للنعيمي أيضا ، ورحاب دمشق ١٣٣ - ١٣٤ مع تصرف

(٢) عصر المماليك في مصر والشام لسعيد عاشور ، وعصر المماليك لابراهيم حسن
مع التصرف

ويجد في الوقت نفسه بعض المؤلفات التي امتازت بالأصالة والابتداع والمناهج المنهجية المتميزة .

كما يلاحظ في هذا العصر ظهور مجموعة من العلماء البارزين في جملة العلوم والآداب والفنون ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ٧٢٨ .

وعلم الدين البرزالي ٧٣٩ ، والحافظ المزي ٧٤٢ ، وشمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ٨٣٣ ، وأبو حيان ٧٤٥ ، والحافظ الذهبي ٧٤٨ ، وابن قيم الجوزية ٧٥١ ، وتاج الدين السبكي ٧٧١ .

الفصل الأول
حياة ابن كثير العامة

ويشمل المباحث الآتية :

المبحث الأول : اسمه ونسبه .
المبحث الثاني : مولده .
المبحث الثالث : نشأته .
المبحث الرابع : شيوخه .
المبحث الخامس : مذهبه .
المبحث السادس : وفاته .

(الباب الأول)

:: حياة ابن كثـــــير (١) ::

ويحتوى هذا الباب على :

الفصل الأول - حياته العامة

---

(١) تناول ترجمة الامام ابن كثير جملة من العلماء والمؤرخين ، تناولا متفاوتا من حيث الاختصار والتفصيل ، فبعضها أدق وأوضح من بعض في تدوين المعلومات الواردة في حياته ، ونجد بين من ترجم له شيوخه ثم اقرانـــه ومعاصروه ، ثم تلامذته .

وقد تناقل المتأخرون ترجمته حتى أصبح معظمها تكرارا لما ذكره المتقدمون ، ولكن ربما انفرد بعض هؤلاء المتأخرين بذكر فائدة عثر عليها أو استنبطها من مصدر متقدم هو اليوم مفقود .

وهذه لمحة عن أبرز من ترجم له :

ترجم له من شيوخه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤/١٥٠٨ ، وفي المعجم المختص ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/١١٣ ، وترجم له من معاصرين شمس الدين ابن عبد الهادي المتوفى سنة ٧٤٤ طبقات المحدثين ورقة ١١ ، ذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين ٣/٢٠٨٣ ، وشمس الدين أبو المحاسن الحسيني ٧٦٥ ، ذيل تذكرة الحفاظ ٥٧ - ٥٨ ، وبدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر المعروف بابن حبيب ٧٧٩ ، نقله ابن حجر في أنباء الغمر ١/٣٩ .

وترجم له من تلامذته : شمس الدين ابن الجزري ٨٣٣ ، المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد ٣٠/٣١ ، وشهاب الدين أحمد بن حجي ٨١٦ ذيل البداية نقل عنه ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعيـــة ، وتقي الدين أحمد بن علي المقريزي ٨٤٥ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ٦/٢٠٨ .

=

(المبحث الأول)

((اسمه ونسبـــــــــــه))

تمهيـــد :

لمؤثرات البيئة دور خطير في حياة العلماء تنطبع آثاره في شخصيتهـــم وتنعكس الى حد ما على سلوكهم واتجاهاتهم العلمية ، وفقا لمدى قابليـــة الشخصية العلمية للتفاعل مع البيئة واستجابتها لظروف البيئة التي تدخل في مكونات النشأة والسلوك ، ثم تمتد جذورها في الأعماق النفسية لتدخل في بناء الشخصية واتجاهاتها السلوكية والعلمية .

وعالمنا (الحافظ ابن كثير) قد نبت في أرض الشام حيث أجمعـــت المصادر - التي وقفت عليها - المترجمة له على أن مولده بالشام .

أما أبرز خصائص تلك البيئة مر معنا على عجالة - ولا بأس بها -

فعالمنا رأى النور الأول مرة تحت سمائها ، ودرج أولى خطاه علـــى بساطها ومهادها ونشأ في جنباتها وبين ربوعها وتفتحت موهبته العلمية فـــي أحضانها وقضى حياته في أرجائها ، ثم كان ثواه الأخير في ثراها .

(=) وترجم له من بعد عصره جماعة منهم شهاب الدين ابن ناصر الدين ٨٤٢ الرد الوافر ١٥٤ - ١٥٨ وتقي الدين السبكي في طبقات الشافعية وابن حجر في الدرر الكامنة ١/ ٣٩٩ ، وابناء الغمر ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ٢٤٥ ص ١١٠ ، وشذرات الذهـــب لابن العماد الحنبلي ١٠٨٩ ص ٢٣١ ، وصلاح الدين المنجد فـــي معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة ٢٠٣-٢٠٧ ، وخلق وأكثر التراجم أصالة ومنفعة هي تراجم الذهبي والحسيني وابـــن حبيب وابن الجوزي وابن ناصر الدين وقاضي شهبة ، وابن حجر وابـــن تغري بردي والعيني لما حوته من معلومات غزيرة متنوعة ، ومن الرسائـــل =

لنبدأ بتعريف الحافظ الامام ابن كثير - غفر الله له -

هو الشيخ الامام العالم الحافظ البارع عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن الخطيب شهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء ابن كثير بن ضوء زرع القيسي القرشي الحصلي البصروي الدمشقي الشافعي ، فهو قرشي ، لأن بني حصلة ينتسبون الى الشرف ، ويأيديهم نسب ، وقد وقف على بعضها شيخه المزي فأعجبه ذلك ، وابتهج به ، فصار يكتب في نسبه بسبب ذلك ، القرشي ، وبصروي ، لأن أصله من بصرى وهي بلدة قديمة بالشام من أعمال دمشق ،

ودمشقي : لأنه سكن دمشق ، ونشأ فيها ، ثم توفي ودفن بها .

والشافعي : لأنه تمذهب بمذهب الامام الشافعي .

(*) التي ضمت مآثر وحياته العلمية رسالة بعنوان حياة ابن كثير ومؤلفاته بالهند بجامعة عليكرة للدكتور سعود خان الندوي وابن كثير ومنهجه في التفسير للدكتور اسماعيل عبد العال بمصر

(١) كما في ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٥٧ نشر القدسي دمشق ، وفي طبقات المفسرين للداودي " درع " ص ١١٠ ومثله في البداية والنهاية ١٤/ ٣ ، وفي شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح الحنبلي ص ٢٣١ " ذرع " نشر جزء مكتبة المقدسي ١٣٥١هـ .

(٢) ذكر ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جـ ١ ص ٣٩٩ ط المكتبة الحديثة بمصر .

(٣) ذكره ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢٢/١٠ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وقد ذكره ابن كثير في ترجمة والده انظر البداية ١٤/ ٣١ .

(٤) ستأتي ترجمته في شيوخ ابن كثير ان شاء الله .

(٥) تقع في الجنوب الشرقي من سوريا ، وتعد ثاني مدينة بعد درعا في منطقة حوران .

(المبحث الثانى)

:: مولـــــده ::

توفرت عناية المؤرخين على تحديد تاريخ وفاة الامام ابن كثير ، فى حين أنها لم تتفق بتاريخ مولده .

ويبدو أن احجام المصادر عن تحديد تاريخ مولده راجع الى أعواز الدقة فى تحديد ذلك التاريخ وقد يعلل لذلك بأن مستقبل حياة الاعلام - ابـــان مولدهم - كان مغيبا فى لوح القدر ، ولا يدرى عنه شئ يستاهل توفر العنايـــة على تسجيل هذا التاريخ والاحتفاظ به .

وعلى العكس من ذلك أمر الوفاة الذى ينال من اهتمام المؤرخين علـــى قدر ماقدمته هذه الشخصية فى حياتها من عطاء وماخلفته من أثر .

وصاحبنا (ابن كثير) قد قدم للعلم وأهله عطاء غدقا ، وترك آثارا فى حافظة التاريخ لاتنسى ، فحق على المجتمع المسلم أن يحتفى به ويقدر لـــــه عطاءه ، ويفرد له صحيفة ناصعة فى سجله .

والمصادر التى بين يدى تباينت فى تحديد مولده تباينا طفيفا ، ماعدا البغدادى الذى انفرد برأى عجيب وشاذ ، فلا أدرى كيف اهتدى اليه !!

ذهب الحافظ الذهبى والحافظ ابن حجر العسقلانى الى أنه ولد بعد السبعمائة أو فيها .(١)

وذهب العلامة السيوطى وابن العماد الحنبلى الى أن مولده كان سنة

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٥٠٨ ط دار احياء التراث العربى بيروت والدرر الكامنة ١/٣٩٩ .

سبعمائة من الهجرة.[١]

وابن تغرى بردى والحسينى والداودى ذكروا أنه ولد سنه احدى وسبعمائة.[٢]

وقد سبق وأن أدعيت أن البغدادى شذ عن القوم برأيه القائل بأنه ولد سنة خمس وسبعمائة.[٣]

بينما ذهب أحمد شاكر الى أنه ولد سنة سبعمائة أو قبلها بقليل ، وعلل ذلك بقول ابن كثير عند ذكر وفاة والده : " لا أدركه الا كالحلم " فقال : والذى هو فى سن أقل من الثلاث ما أظنه يذكر شيئا كالحلم ولا أبعد من العلم ولا أقرب فهو حين موت أبيه قد جاوز الثالثة فى أكبر ظنى " أهـ.[٤]

وبعد : فلست أدرى لم كل ذلك !! وقد صرح الحافظ نفسه فى كتابه البداية والنهاية بأنه ولد فى سنة احدى وسبعمائة ، فقد قال فى حوادث سنة احدى وسبعمائة ، وقبل حوادث سنة اثنتين وسبعمائة وعند ذكره لصاحب مكة قال : " وفيها ولد كاتبه اسماعيل بن كثير القرشى . . . عفا الله عنه " .[٥]

كما أنه أشار الى ذلك عندما تحدث عن وفاة والده حيث قال : " توفى

---

(١) طبقات الحفاظ ص ٥٢٩ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣١- ٢٣٢ .

(٢) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣ ،وذيل تذكرة الحفاظ للحسينى ص ٥٧ ، وطبقات المفسرين للداودى ١/ ١١٠ - ١١١ .

(٣) هدية العارفين ٥/ ٢٥١ طبعة بالأوفست الطبعة الثالثة.

(٤) عمدة التفسير اختصار وتحقيق تفسير ابن كثير للشيخ الاستاذ أحمد شاكر ١/ ٢٢ - ٢٣ ط المعارف .

(٥) البداية ١٤/ ١٩ - ٢١ ط دار الكتب العلمية .

والد ى فى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة فى قرية مجيدل[1] القريه ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون ، وكنت إذ ذاك صغيرا ابن ثـــلاث سنين أو نحوها لا أدركه الا كالحلم أ هـ[2].

فهكلام ابن كثير نفسه يتحدد تاريخ ميلاده ، وهو أنه ولد فى سنـــة احدى وسبعمائة لا فيما قبلها ـ لأنه مؤرخ حافظ يحتج بأقواله فى تحديـد تواريخ الميلاد والوفاة .

---

(١) مجيد القرية : احدى القرى التابعة لمدينة " بصرى " وهى غـــير البصرة بالعراق ، والتقييد بالقرية للتمييز بينها وبين البلـــدة الكبيرة التى تسمى المجيدل ، وبدون تقييد هى بلدة من بـــلاد فلسطين بين الناصرة وحيفا ، أ ـ هـ بمحض التصرف من التنبيـــه والايقاظ لما فى تذكرة الحفاظ للشيخ أحمد رافع الطهطاوى ص ٢٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٤/٣٣ - ٣٤ ط الأولى دار الكتب العلمية .

(المبحث الثالث)

((نشأتـــــه))

نشأ الحافظ ابن كثير في أسرة علمية متدينة ، فكان والده شهـــاب الدين خطيبا في مجيدل القرية ، وأمه مريم بنت فرج حافظة للقرآن الكريم - وأنعم بهما من أبوين كريمين -

وبعد وفاة والده - سنة ثلاث وسبعمائة انتقل مع أمه واخواته الـــى دمشق وذلك في سنة ٧٠٧ ، وأترك الحافظ ابن كثير يحدثنا عن عائلته : يقول : " وكان والدي الخطيب شهاب الدين عمر بن كثير . . القرشي مـن بني حصلة . . من قرية يقال لها : (الشركوين) عُربي بصرى بينها وبين أذرعات ، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلـــم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جمل الزجاج ، وعني بالنحو والعربية واللغة ، وقرر بمدارس بصرى بمـنزل الناقة ... ثم انتقل الى خطابة القرية شرقي بصرى ، وتمذهب للشافعـي وأخذ عن النواوي ، والشيخ تقي الدين الفزاري وكان يكرمه ويحترمه فيمـا أخبرني شيخنا العلامة ابن الزملكاني ، فأقام بها نحو من ثنتي عشرة سنة ، ثم تحول الى خطابة مجيدل القرية التي منها الوالد ، فأقام بها مـــدة طويلة في خير وكفاية . . وكان يخطب جيدا ، وله مقول عند الناس، ولكلامه وقع لديانته وفصاحته . . وكان يؤثر الاقامة في البلاد[1] لما يرى فيها مـــن الرفق ووجود الحلال له ولعياله .

وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهـــم اسماعيل ثم يونس ثم ادريس ثم من الوالدة عبد الوهاب ، وعبد العزيـــز ومحمد واخوات عدة ، ثم أنا اصغرهم ، وسميت باسم الأخ اسماعيـــل ،

---

(١) المراد بها القرية .

لأنه كان قد قدم دمشق، فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن الكريم على والده ، وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه ، وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه . قاله شيخنا ابن الزملكاني .

ثم انه سقط من سطح الشامية البرانية ، فمكث أياما ومات فوجد الوالد عليه وجدا كثيرا ، ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني اسماعيل باسمه ، فأكبر أولاده اسماعيل وآخرهم وأصغرهم اسماعيل فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقي .

توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين في قرية مجدل القرية[1] .

انتقل ابن كثير بعد وفاة أبيه مع باقي أسرته الى دمشق عام ٧٠٧ ، وقد ذكر ابن حجر وابن العماد الحنبلي انه انتقل الى دمشق سنة ٧٠٦هـ[2] ولكن ماأثبته هو ماماال اليه بعض المؤرخين بل هو عين ماصرح به ابن كثير في البداية[3] .

غادر ابن كثير قريته بعد أن رسخت في ذهنه ذكريات الطفولة ، وحفظ مايتحدث الناس به من خطب والده المؤثرة ، وأدرك منزلة العالم المخلص الصادق مع الله ومع نفسه الحنفاني في سبيل العلم وطلابه ، وربما قص عليه أخوته واخواته سبب تسميته باسماعيل ، وان القصد منه التيمن بأن يكون كأخيه الكبير الذي اختطفته يد المنون ، بعد أن قطع

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٣٣ - ٣٤ .

(٢) أنباء الغمر ١/٤٥ ، وشذرات الذهب ٦/٢٣١ .

(٣) البداية ١٤/٣٤ .

حظا لا بأس به في طريق طلب العلم ، وبالتالي تطلعت نفسه آنذاك الى السير في هذا الطريق - وأنعم به من طريق - والارتواء من منهله العذب حتى يقر بذلك أعين أسرته ، ومن ثم يصبح بين الناس كأبيه شيئا مذكورا ، وقد تم له ذلك ولله الحمد والمنة .

ولقد رعاه المولى عز اسمه وهيأ له أسباب عدة في تلك الفترة من السن المبكرة ، فهو قد ارتحل الى دمشق بصحبة أخيه الشقيق عبد الوهاب ت ٧٥٠ هـ ، الصهب الشفوق ، والذي كان بمثابة الأب والأستاذ والمعلم الأول له . واستمر في ملازمته والاستفادة من علمه ، ولنترك الحديث لابن كثير مرة ثانية ، يقول - رحمه الله - : " ثم تحولنا من بعده - وفاة والده - في سنة سبع وسبعمائة الى دمشق صحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقا ، وبنا رفيقا شفوقا ، وقد تأخرت وفاته الى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه ماتعسر[1] .

وفي دمشق التي تكتنفها خضرة الغوطتين[2] ، فيستيقظ أهلها وفي عيونهم بهجة الربيع ، وفي اسماعهم شدى فروع نهر بردى[3] وهي تهبط على

---

(١) البداية ١٤/٣٤ .

(٢) الغوطة : هي الكورة التي منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلا يحيط بها جبال عالية كما في معجم البلدان لياقوت الحموي سنة ٦٢٦ (٢/٤٦٣) ط أوهي الواحة الخصبة التي بها مياه ، كما في رحاب دمشق ص ١٠ .

(٣) بردى : بثلاث فتحات أعظم أنهر دمشق كما في معجم البلدان ، وفي رحاب دمشق يخرج بردى من جبل قاسيون بين ضفتي الوادي - ص ١٠ .

سفوح جبال قاسيون[1] الأشم ، تروى أشجار الحشش والخوخ وتنساب بين غياض الحور الصاعد فى زهورنحو السماء فى دمشق الشام استقر المقام بابن كثير وبأسرته .

ودمشق تعد من أجمل الأرض لحسن العمارة ونظارة البقعة وكثرة الفاكهة والمياه والأنهار الجارية[2] .

ان مثل هذه الطبيعة وجمالها والحياة فيها لابد أن ينعكس على من يعيش فيها ـ بعد قدرة الله ـ .

وابن كثير ـ رحمه الله ـ أحد أولئك الذين تمتعوا بما فيها من نعيم وخيرات وهو لا زال غلاما يافعا .

---

(١) هو الجبل المشرف والمطل على مدينة دمشق عاصمة سوريا كما فى معجم البلدان ، أى هو الجبل الأشم الذى تقوم مدينة دمشق عند أقدامه ، يتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان ، ومن الشمال والشرق بسلسلة جبال قلمون الممتدة الى منطقة حمص .

انظر فى رحاب دمشق ص ٩ .

(٢) معجم البلدان ٢/٤٦٣ .

(المبحث الرابع)

((عقيدتـــــه))

لا شك أن لعقيدة المسلم أهميتها وخطورتها فى سلوكه وخلقـــــه وثقافته وفكره وسائر نشاطاته العلمية ، والأمر أكثر أهمية وأشد خطـــــورة بالنسبة للائمة والعلماء ، لاتساع أثر العقيدة وامتداده الى تلاميذهـــم ، وكتبهم ومصنفاتهم .

فان سلموا من الفساد فى العقيدة والانحراف فى السلوك كانـــــوا هداة خير ودعاة نور الى السبيل القويم ، وان كانت الأخرى فلحاق الضـــرر والضلال بالتابعين لهم والسالكين طريقهم أمر لا مفر منه .

وابن كثير ـ رحمه الله ـ أحد العلماء الأفاضل الذين عرفوا من خـــلال كتبهم ومؤلفاتهم بصفاء العقيدة والسير على مذهب السلف الصالح ، واعلاء هذا المذهب واظهاره .

يظهر ذلك جليا لمن وقف على مصنفاته أو بعض منها ، فمثلا تفسيره تبرز فيه سمات أهل السنة والجماعة ـ جعلنا الله منهم ـ كما أنه يدافـــــع عنهم دفاعا قويا .

كما أن البداية فيها دفاع مستميت عن العقيدة ومحاربة أهل البـــدع والأهواء والانحلال وغيرهم .

وذلك لأن منهج أهل السنة ـ ولله الحمد ـ قويم قائم على التمســـك بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة خليله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بخلاف أعداء السنة من كفرة وملحدين وأصحاب فرق وأهواء ، فليس لهـــم منهج ثابت مستقيم يسيرون عليه ، بل التخبط والشذوذ عن منهج اللـــه .

وحتى نعطي القارئ فكرة صادقة عن صفاء ونقاء عقيدة امامنا الحافظ ابن كثير نذكر بعض الأمثلة الحية من خلال تفسيره الذى حاول فيه جاهدا ابراز عقيدة أهل السنة وأظهارها للملأ .

وذلك لبيان صحة ماذهبوا اليه ، كيف لا ! وهى الطائفة التى مدحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكاها صلى الله عليه وسلم بقوله : " لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة "(١) ولنبدأ الآن بذكر نماذج خصبة وأمثلة واضحة لبيان ماتطرقنا اليه آنفا .

فمثلا عند قوله تعالى : النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب "(٢).

يقول : وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة والجماعة على عذاب البرزخ فى القبور "(٣).

وعند ذكره لآيات الصفات نرى مذهب أهل السنة والجماعة واضح المعالم فى عبارته الذكية المستقيمة ، وبالتالى فهو يشن حملة على القدرية المعتزلة "(٤). عبارته

---

(١)

(٢) سورة المؤمن ، آية ٤٦ .

(٣) تفسيره ٤/ ٨١ حلبى و ٧/ ١٣٥ - ١٣٧ الشعب .

(٤) القدرية لقب للمعتزلة من بين القابهم ، واختلف فى سبب تسميتهم بذلك وتباينت أقوال الدارسين ، وذلك لارتباط التسمية بالعديد من المسائل التاريخية ، ولاشك أن نشأتها فى العصر الأموى ، ولعل رأى الشهرستانى هو أرجح الأراء فى التعريف بهم : يذكر الشهرستانى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ أن السبب فى تسميتهم بالمعتزلة =

فضلا بعد انتهائه من تفسير سورة الفاتحة ، يعقد فصلا تحت اسم " معاني هذه السورة " وخلاصة ماقاله : واشتملت - الفاتحة - على الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل ، لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة ، وهم المغضوب عليهم والضالون ؛

وما أحسن ماجاء اسناد الانعام اليه في قوله تعالى : " صراط الذين أنعمت عليهم " وحذف الفاعل في الغضب في قوله : " غير المغضوب عليهم" الآية .

وكذلك اسناد الضلال الى من قام به ، وان كان هو الذي أضلهم بقدره كما قال تعالى : " من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا "(١) وقال عز وجل : " من يضلل الله فلاهادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون "(٢) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه سبحانه هو المتفرد بالهداية والاضلال كما تقول القدرية ، ومن هذا حذوهم ، من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه ويحتجون على بدعتهم

(=) أن دخل واحد على الحسن البصري فقال : ياامام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لاتضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وفي أثناء ذلك وقبل الاجابة قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول : ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام هو واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ماأجاب به على جماعة من أصحاب أبا الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل - فسمي هو وأصحابه معتزلة أ - هـ من الملل والنحل جـ١ ص ٦٠ ط دار المعرفة ببيروت الطبعة الثانية .

(١) سورة الكهف - ١٧ . (٢) سورة الاعراف ، آية ١٨٦ .

بمتشابه من القرآن الكريم ، ويتركون مايكون فيه صريحا فى الرد عليهـــم ، وهذا حال أهل الضلال والغى .

وقد ورد فى الحديث الصحيح " اذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم "[1] يعنى قوله تعالى : " فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه . . "[2] .

ولمزيد من قراءة وفهم منهج الامام ابن كثير السليم ينظر فى تفسيره عند الآية الرابعة والخمسون من سورة الأعراف وهى قوله تعالى : " ثـــم استوى على العرش " .

وتعرض لمبحث رؤية الله فى كثير من المواضع من تفسيره ينظر مثـــلا عند آية الأنعام الثالثة بعد المائة .

وينظر فى البداية فى أماكن عدة تظهر فيها سمات أهل السنـــــة والجماعة ، ومن تلك الأماكن الآتى جـ ١٢ / ٢٨٣ - ٢٩٨ - ٣١٤ / ٣٢٦ ، ١٤ / ٥١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٣٢ ، ٢٢٠[3] وغيرها من الصفحات المشرقة الوضاء .

كما يرد على الشيعة ردا عنيفا فعند قوله تعالى : " فمابكت عليهـــم السماء والأرض . . "[4] .

قال ابن كثير - رحمه الله - قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا عبد السلام بن عاصم وساق سنده وفيه أن الحسين بن على رضى الله

---

(١)

(٢) تفسيره ١٥ / ٤٧ - ٤٨ ط دار الشعب وأنظر تفسير الطبعة الحلبيـة ١ / ٣٠ - ٣١ ، والآية ٧ من آل عمران .

(٣) البداية طبعة السعادة الاولى ١٣٤٨هـ .

(٤) الدخان ، آية ٢٩ .

عنهما لما قتل أحمرت السماء ... لما قتل الحسين أحمرت آفاق السماء ، أربعة أشهر ، قال يزيد وأحمرارها بكاؤها ، وهكذا قال السدى الكبير ، وقال عطاء الخرساني بكاؤها أن تحمر أطرافها .

وذكروا أيضا فى مقتل الحسين رضى الله عنه أنه ماقلب حجر يومئذ الا وجد تحته دم عبيط ، وأنه كسفت الشمس ، وأحمر الأفق ، وسقطت حجارة !!

قال ابن كثير معقباعلى ماتقدم : وفى كل ذلك نظر ، والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ، ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذى اختلقوه وكذبوه ، وقد وقع ماهو أعظم من قتل الحسين رضى الله عنه ولم يقع شئ مماذكروه ، فانه قد قتل أبوه على رضى الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شئ من ذلك ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل فى المحراب فى صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شئ من ذلك .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر فى الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شئ مماذكروه ، ويوم مات ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس ، فقال الناس خسفت لموت ابراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف ، وخطبهم ، وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته .(١)

وكذلك الحال مع الفرق الخارجة عن الاسلام وهى تدعيه ، فنراه يقول عند قوله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار

---

(١) تفسيره ١/٢٠٣ - ٢٠٥ ، الشعب والحلبى ع/١٤٢ - ١٤٣ .

والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه[1] يقول : فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، فياويل من أبغضهم أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وخيرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه ، فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذا بالله من ذلك .

وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الايمان بالقرآن الكريم اذ يسبون من رضى الله عنهم ! وأما أهل السنة فانهم يترضون عمن رضى الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويوالون من يوالى الله ، ويعادون من يعادى الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ، وهؤلاء هم حزب الله الخلعون وعباده المؤمنون .[2]

وبعد : فمما تقدم يعلم علما لا تأرجح فيه أنه سنى قح وسلفى كبير يستنير ويستظل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك تضمحل وتلاشى وتبطل المزاعم الباردة ، والتى تتهمه بأنه أشعرى العقيدة .[3]

---

(١) التوبة ، آية ١٠٠ .

(٢) تفسيره ٤ / ١٤١ - ١٤٢ ، الشعب والحلى ٢ / ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٣) ينظر فى كتاب الفصول للخطراوى ص ٣٣ .

(المبحث الخامس)

((مذهبـــــه))

عاش ابن كثير بدمشق الشام وكانت هناك المذاهب الأربعة المشهورة متواجدة على تفاوت في المتمذهبين بها ، ولكن نجد المذهب الشافعـــي أكثر انتشارا ويليه المذهب الحنبلي .

واذا ما القينا نظرة الى شيوخ ابن كثير الذين تتلمذ على ايديهـــم وجدنا جلهم شوافع وقد سبق أن أشرت الى أنه في بداية تلقيه العلـــم حفظ كتبا في الفقه الشافعي كالتنبيه للشيرازي (١) .

ثم سار على هذا المذهب في سائر أيامه ، ودفعه هذا الى التأليف عن امام المذهب الامام الجليل والعالم الكبير العلامة محمد بن ادريـــس الشافعي وسماه الواضح النفيس في مناقب الامام بن ادريس (٢) . ثم واصـــل عمله في التصنيف عن هذا المذهب فكتب كتابا عن رجال المذهب وعنوانـــه (طبقات الشافعية) (٣) .

هذا والمتتبع لتفسيره وخصوصا مواطن ذكر أئمة المذاهب الأربعـــة يلحظ تمسكه بالمذهب الشافعي من غير تعصب ، مع قوة الحجاج لمذهب الشافعي وربما أكبر دليل على صحة هذا القول هـــو

---

(١) شذرات الذهب ٦ / ٢٣١ .

(٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١ / ١٨٤٠ ، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١١ / ١٢٣ باسم مناقب الامام الشافعـــي ، والداودي في طبقات المفسرين ١ / ١١١ .

(٣) لايزال مخطوطا .

ماذكره عند قوله تعالى : (أن الله وملائكته يصلون على النبيّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما "[1].

فقال ـ رحمه الله ـ : " وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه ، وكيفية الصلاة عليه ، ونحن نذكر منها ان شاء الله ماتيسر والله المستعان ، قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبى عن مسعر عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ قال : " قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد "[2].

ثم واصل سرد الاحاديث التى تيسرّ له فى المعنى السابق الا وهو الأمر بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيفيته الى أن قال : " ومن ههنا ذهب الشافعى يرحمه الله ـ الى أنه يجب على المصلى أن يصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد الأخير فان تركه لم تصح صلاته ، وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الامام الشافعى فى اشتراطه ذلك فى الصلاة ويزعم أنه قد تفرد بذلك .

وحكى الاجماع على خلافة أبو جعفر الطبرى والطحاوى والخطابى وغيرهم فيما نقله القاضى عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل فى رده على الشافعى وتكلف دعوا الاجماع فى ذلك ، وقال ما لم يحط به علما فانا قد

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٥٦ .

(٢) تفسيره ٣/٥٠٧ الحلبى .

رونا وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسى الصلاة كما هو ظاهر الآية وفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود.. ومن التابعين خلق كالشعبي ، واليه ذهب الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضا .

واليه ذهب ابن حنبل أخيرا فيما حكاه أبو زرعة الدمشقي ، وذهب الى هذا الفقيه محمد بن ابراهيم المعروف بابن الموأز المالكي رحمهم الله

وخلص ابن كثير الى القول : والغرض أن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلفا وخلفا كما تقدم ولله الحمد والمنه ، فلا اجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديما ولا حديثا والله أعلم[1].

مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد في الصلاة عند الجم الغفير والجمهور الكثير أنها من سنن الصلاة ومستحباتها .

كما هو الحال عند الحنفية[2] ، والحنابلة[3] ، والمالكية الا محمد بن الموأز وهو اختيار العلامة ابن العربي ومن الشافعية الخطابي ، أما بقية الشافعية فمع امامهم الذي قال بوجوبها، ترى ما هو الراجح ؟

الذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لوجهة أدلة الشافعي ومن وافقه لكن القول بأنها مبطلة للصلاة كما هو في مذهب الشافعية فيحتاج الى نظر والعلم عند الله .

---

(١) تفسيره ٣/٥٠٧ - ٥٠٨ ط حلبي وقارن بالشعب ٦/٤٥٠ .

(٢) فتح القدير لابن الهمام ١/٢٤٢

(٣) المغني ١/٤٤٢

ينظر الكتب التى أشرت اليها وتفسير القرطبى ١٤/٢٣٢-٢٣٦ ،
ونصب الراية للزيلعى ١/٤٢٤ - ٤٢٨ لمزيد من الاطلاع .

ومع تأييد ابن كثير لمذهب الشافعى وتمذهبه به الا أنه فى بعض الأحيان يخالفه ، وذلك اذا ماعلم أن الحق فى جانب غيره ، الأمر الذى يؤكد روح ابن كثير العلمية واتباعه للحق اينما كان ، ومن أى جهة كانت طالما كان ذلك مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مثال يؤكد ذلك ، قال تعالى : " . . . وأمسحوا برؤوسكم "(١)

قال الحافظ ابن كثير : (واختلفوا فى هذه الباء ، هل هى للالصاق وهو الأظهر أو للتبعيض ، وفيه نظر ؟ على قولين ، ومن الأصوليين من قال هذا مجمل فليرجع فى بيانه الى السنة ، وقد ثبت فى الصحيحين(٢) من طريق مالك عن عمرو بن يحى المازنى عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وهو جد عمرو بن يحى وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : هل تستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم ، فدعا بوضوء فأفرغ على يديه ففسل يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ، ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه ، وفى حديث عبد خير عن على رضى الله عنه فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وروى أبو داود عن معاوية والمقداد بن معديكرب فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، ففى هذه

---

(١) المائدة (٦)

(٢) البخارى كتاب الوضوء ١/٤٦ ، ومسلم كتاب الطهارة ١/١٤٩ .

الأحاديث دلالة لمن ذهب الى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الامام مالك وأحمد ابن حنبل لا سيما على قول من زعم أنها خرجت مخرج البيان لما أجمل في القرآن .

وقد ذهب الحنفية الى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية .

وذهب أصحابنا الى أنه يجب ما يطلق عليه اسم مسح ولا يتقدر ذلك بحد ، بل لو مسح بعض شعره من رأسه أجزأه واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال : تخلف النبي صلى الله عليه وسلم فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء ؟ فأتيته بمطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يديه من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه فغسل ذراعيه ومسح بناصيته ، وعلى العمامة وعلى خفيه ، وذكر باقي الحديث وهو في صحيح مسلم[1] ، وغيره ، فقال لهم أصحاب أحمد انما اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ، ونحن نقول بذلك ، وأنه يقع عن الموقع كما وردت بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين ، فهذا أولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل على العمامة . والله أعلم[2] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة ١/١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) تفسيره ٢/٢٤ طبعة الحلبي .

(المبحث السادس)

:: وفاتـــــه ::

بعد أن عاش الحافظ ابن كثير مايقرب من ثلاث وسبعين سنـــــة ، حيث استهل القرن الثامن الهجرى به ، وتفتحت زهرة طفولته وصباه مـــــع مشرق القرن الثامن الذى صب ثلثيه فى كأس عمره ، قضاها خدمة للعلـــــم وروادة - كما سيتضح بعد ان شاء الله - مدرسا وخطيبا ومفتيا وفقيهـــا ومفسرا ومؤرخا و .... و ...

وبعد ذلك وافاه الأجل المحتوم .

وهنا نجد اجماع جميع المصادر - حسب اطلاعى - التى ترجمـــــت أو تحدثت عن قرب أو بعد - لابن كثير ، نجدها تجمع على أن وفاته كانـــت فى يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائـة بدمشق ، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمهمـــا الله برحمة واسعة ، ووفقنا جميعا للانتفاع بعلومهما .[1]

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣ ، وطبقات المفسرين ١/ ١١١ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣٢ .

الفصل الثاني
حياة ابن كثير العلمية

ويشمل سبعة مباحث :

المبحث الأول : طلبه العلم .
المبحث الثاني : شيوخه وأبرزهم .
المبحث الثالث : تلاميذه وأبنهم .
المبحث الرابع : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .
المبحث الخامس : آثاره .

(الفصل الثاني)

((حياتـــه العلميـــــة))

(المبحث الأول)

((طلبه العلـــــــم))

وبعد وصول ابن كثير مع أسرته الى دمشق ، وبعد أن استقر المقام به ، اتجه للاشتغال بالعلم ، فجالس العلماء ، وسمع منهم ، وكان قـــد اشتغل على يدى أخيه كمال الدين عبد الوهاب في العلم ، ثم حفـــظ القرآن الكريم على الشيخ شمس الدين البعلبكي المتوفى سنة ٧٣٠ ، فأتـــم حفظه وهو لا يتجاوز الحادية عشرة .(١)

وتعلم الكتابة على يد الكاتب الفاضل نجم الدين المعروف بابـــن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه لا سيما في المزوج والمثلث المتوفـــى سنة ٧١٦هـ .(٢)

اتجاه ابن كثير كان منصبا في العلوم الشرعية ، وبخاصة الفقـــه والحديث وما يتصل بهما من علوم السنة والعربية - وهو الاتجاه السائـــد في عصره - .

وكان العلماء الذين يتصدرون حلقات العلم في المساجد والمـــدارس يلمون بفروع علوم الشريعة مجتمعة ، وقد يغلب على العالم منهم أن يشتهـــر باتقان فرع معين أو أكثر .

---

(١) البداية ١٤/١٥٦ .

(٢) البداية ١٤/٨٢ .

وكان التنافس في اكتساب العلوم بين العلماء واضحا ، وكان لا يرى في موكب العلم الا من كان متقنا ومتفوقا ، واكتسب صيتا ذائعا عند العامة والخاصة بذكاء وقاد ، وعلم غزير ، وبالتالي يستدعي أن يكون طلبة العلم من النابهين المتفوقين كأساتذتهم ، أما غيرهم من الطلاب العاديون في مستوى الذكاء والتحصيل ، فانهم يكتشفون أنفسهم في حلقة الشيخ ويلمسون عدم قدرتهم على التحصيل والحفظ كغيرهم من أوائل الطلبة ، فيكتفي بعضهم بمعرفة الفروض العينية ، ثم ينصرف الى العمل والكسب من زراعة أو صناعة أو نحوهما كالتجارة .

وأن مانقل - الينا من صفات اتصف بها ابن كثير وهو يطلب العلم تؤكد لنا ، أنه طالب علم نبيه ، ومتفوق ، كثير الاستحضار ، قليل النسيان ، صحيح الذهن (١) .

حيث اجتهد في تحصيل العلوم على العلماء الكبار في عصره ، فتوجه بعد ماتقدم آنفا لدراسة الحديث الشريف فسمع صحيح مسلم في تسعة مجالس مع الشيخ محمد الوزير على الشيخ نجم الدين العسقلاني (٢) ، وعلى الشيخ برهان الدين الفزاري صحيح مسلم وغيره (٣) ، وحفظ التنبيه للشيرازي وعرضه سنة ٧١٨ (٤) .

ثم حفظ مختصر ابن الحاجب ، وسمع ابن السويدي المتوفى ٧١١ (٥) ، وقرأ تهذيب الكمال لشيخه المزي ، ودرس أصول الفقه على أبي البقاء

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٣١ .

(٢) البداية ١٤/ ١٥٦ .

(٣) البداية ١٤/ ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، الطاش كبرى زادة ١/ ٢٠٤ ، طبع الهند الأولى .

(٥) البداية ١٤/ ٦٥ .

الأصفهانى ، وأخذ النحو عن عبد الله الزرينددى النحوى المتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .(١)

وسمع الموطأ على نجم الدين على بن محمد المتوفى سنة تسع وعشرين وسبعمائة .(٢)

وقرأ صحيح البخارى على شيخه المزى(٣) ، وتهذيب الكمال على شيخه المزى - أيضا - كما سمع عليه أكثر تصانيفه(٤) .

ثم بدأت مواهبه تظهر وتنمو ، وماكان يدريه وهو غلام ينشد بمبادئ العلم الأولى فى دمشق أنه سيتولى التدريس فى عدد من المدارس ، ويؤلف الموسوعات النافعة فى التفسير والحديث والتاريخ . . . الى جانب الأعمال الأخرى التى كان يمارسها كالخطابة والافتاء والدعوة الى الله .

ودمشق يوم جاءها ابن كثير تشاطر القاهرة ، وكونتا مركزين رئيسين فى العالم الاسلامى للعلم والمعرفة والثقافة ، حتى أصبحتا قلبا الأمة الاسلامية النابضين بالحركة والاستمداد .

فدمشق مثلا قلعة من قلاع الاسلام ، وكانت عامرة بالعلماء البارزين الذين وقفوا حياتهم لنشر العلم وتثقيف الأجيال الناشئة ، وكان العلماء والطلاب يقصدونها من جميع انحاء العالم الاسلامى .(٥)

---

(١) البداية ١٤/١١١ .

(٢) البداية ١٤/١٥١ .

(٣) الدرر الكامنة ٤/٣٣٦ .

(٤) ذيل الحسينى ٥٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ٣/١١٣ .

(٥) الاعلام للزركلى ١/٣١٨ .

ولئن كانت الحياة من خير المدارس للانسان فان الشيخ الامام ابن كثير استفاد من هذه المدرسة أعظم الفوائد ، وأغناها ، لأنه كان في يقظة تامة يرى كل مايجرى حوله عن كثب ، ويؤرخ في ذلك بدقة فائقة وأمانة علمية صادقة .

هذا وقد ساعدت عوامل عدة في بروز شخصية ابن كثير منها :

١ - اخلاصه العمل لله تعالى وزهده عن الدنيا وحسن الطلب ، وانتقاؤه المشايخ الأفذاذ والذين تشرف بالتتلمذ عليهم ، ولازمهم طويلا ، وأخذ عنهم ، وانتفع بهم وتخرج عليهم .

٢ - أسرته : فقد عاش في وسط اسرة متدينة متينة الجذور في تدينها ، فما تولى الخطابة من قبل والده وحفظ والدته القرآن الكريم الا برهانا ساطعا ودليلا حيا على ذلكم التدين ، فتلقى التوجيه السليم والرعاية السديدة منذ صغره (١) .

٣ - المكان الذى عاش فيه : تلقى تعليمه في دمشق الشام ملتقى العلماء آنذاك ، وكان بها مدارس ودورا للقرآن الكريم ومدارس للفقه الشافعي والحنبلي بدرجة كبيرة ، ويلي ذلك المالكي والحنفي ، وبلغت عدد مدارس دمشق كثرة تزيد على مائة وثلاثين مدرسة (٢) . وقد سبق وأن فصلنا القول في ذلك بعض التفصيل .

---

(١) البداية ١٤/٣٣ - ٣٤ .

(٢) دور القرآن الكريم في دمشق للنعيمي ص ط دار الكتاب الجديد .

٤ - الهيئة العلمية التي كانت هناك :

حيث برز في الساحة العلمية آنذاك جهابذة العلماء وكبار الحفاظ وعباقرة الفقهاء ، كشيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، والحافظ المزى ، والحافظ الذهبى ، والفقيه التاج السبكى وغيرهم .

٥ - الموهبة العقلية التى منحها الله - تعالى - لهؤلاء الارادة والعزيمة القوية في تحصيل العلم والنهل من مناهله ، واستغلال الفرصة المتاحة له استغلالا حسنا .

فضلا عن ذلك كان يتمتع بحسن الضبط وكل تلك الصفات هى غاية مايتمناه أولوا العلم ، وليس ثمة شك في أن من تتوفر له تلك الأسباب وذلك المناخ العلمى الرفيع يبرز ويظهر ، ويخرج منه شخصية علمية كبيرة لها وزنها في المجال العلمى ، ناهيك عن صدق النية وتقوى الله - تعالى - " واتقوا الله ويعلمكم الله " .[1]

---

(١) سورة البقرة آية (٢٨٢) .

(المبحث الثاني)

((شيوخه وأبرزهـــــم))

نهل الامام ابن كثير من أشرى مناهل العلم الفياضة في عصـــره ، وتضلع من محصلات المهاليل في مختلف فروع العلم والأدب ، فطاف علـــى شوامخ اعلام الأمة ممن أنس فيهم رشده العلمي وألفى عندهم بغيتـــه ، فضرب أطنابه في رحاب التفسير والفقه والحديث والتاريخ واللغة والنحـــو ، ثم تخصص بصحبة أئمة علوم التنزيل وجهابذة رجال التفسير والحديث وعلـــم الرجال ، فلازم هؤلاء وأولئك وتجرد للأخذ عنهم ، فخصه كل منهم - كمـــا صرح بنفسه - بمكنون ماعنده وأودعه خلاصة تجربته لما وجد فيه من أصالـــة الموهبة وتوفر الاستعداد مع صدق الهمة وتوقد القريحة، فكان يلازم بعـــض شيوخه من شروق الشمس الى غروبها ، وتستمر الملازمة الى غروب حياة شيخه فيمضي الى آخر وآخرين .

ويصل الليل بالنهار في محيط لا يدرك له قرار ، حتى اكتملت ذاتيته العلمية واستحق في نظر عدول الأئمة من معاصريه ألقاب استحقها عـــن جدارة .

واذا مانظرنا الى شيوخ ابن كثير وجدناهم من الطراز السابق الذكر لا سيما من ظهر منهم وبلغت شهرته الآفاق .

ولقد تعددت موارد الامام ابن كثير العلمية ، وبلغ شيوخه من الكثرة حدا حتى أوصلتها كتب التراجم الى تسعة وخمسين شيخا ، خمسة منهـــم بالاجازة ، وتلك نسبة كبيرة ساهمت مساهمة عالية في نمو ذهنه وتألقـــه في رحاب العلم ، وجعله عالما وحافظا اماما ، اشتهر من خلال مؤلفاتـــه

المشهورة والمتداولة بين الناس ، ليس الآن فقط - بل في عصره ، وماقصة الشاب الذي حضر من بلاد تبريز وخرسان ، وزعم أنه حفظ البخاري ومسلم وجامع المسانيد والسنن والكشاف الخ (١) ، الا دليل حي على صحة قولي .

وبما أن استقصاء اولئك الأعلام والترجمة المستفيضة لهم أمر متعذر ، من ثم سأكتفي هنا بذكر طائفة من شيوخه الذين اشتهر أخذه عنهم ، مرتبا إياهم حسب سنوات الوفاة ، مترجم لهم من خلال ترجمة ابن كثير لهم في البداية مع الاشارة - بقدر الامكان - الى أهم ماتعلم منهم أو سمع عليهم مع الأخذ في الاعتبار ذكر بعض شيوخه في المبحث الأول من هذا الفصل -

١ - أبو زكريا الشيباني المتوفى سنة ٧٢٤هـ .

قال عنه ابن كثير : (شيخنا القاضي أبو زكريا محي الدين يحي بن الفاضل جمال الدين اسحاق بن خليل الشيباني الشافعي ، اشتغل على النواوي ، ولازم ابن المقدسي ، وولي الحكم بزرع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع ، وخرج له الذهبي شيئا وسمعنا عليه الدارقطني وغيره (٢)) .

٢ - اسحاق بن يحي بن اسحق الآمدي المتوفى سنة ٧٢٥هـ .

قال عنه ابن كثير : (شيخنا عفيف الدين اسحاق بن يحي بن اسحق بن ابراهيم .. الآمدي ثم الدمشقي الحنفي ، ولد في حدود الأربعين وستمائة ، وهو شيخ دار الحديث الظاهرية ، وكان قد سمع الحديث على جماعة كثيرين منهم يوسف بن خليل ومجد الدين ابن تيمية ، وكان شيخا

---

(١) البداية ١٤/٣٠٩ .

(٢) البداية ١٤/١١٩ .

حسنا بهى النظر سهل الاسماع يحب الرواية ولد به فضيلة)[1].

هذه نص ترجمة الحافظ ابن كثير لشيخ من شيوخه ، ونلحظ عدم ذكر ابن كثير للفن الذى استفاد من هذا الشيخ أو الكتب التى قرأها عليه ، ولكن يفهم من السياق أنه علم الحديث . والله أعلم .

٣ - عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدى المشهور بابن قاضى شهبة المتوفى سنة ٧٢٦هـ .

قال عنه الامام ابن كثير - رحمه الله - : (الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة وفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدى الشهبى الشافعى ولد سنة ٦٥٣هـ وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزارى ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، وتخرج به ... وكان بارعا فى الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة ، وكان يعتكف جميع شهر رمضان ... وقد سمع الكثير ، سمع المسند للامام أحمد وغيره)[2] .

وقد تفقه ابن كثير على هذا الشيخ[3] .

٤ - أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) ٧٢٨هـ.

قال عنه ابن كثير : (كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة احدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدايم وابن أبى اليسر وابن عبدان ... وخلق كثير سمع منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير ، وطلب الحديث وكتب الطباق والاثبات ، ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل ان سمع شيئا الا حفظه

---

(١) البداية ١٤/١٢٤ .

(٢) البداية ١٤/١٣١ - ١٣٢ .

(٣) طبقات المفسرين ١/١١٠ .

ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكيا كثير المحفوظ فصارا اماما فى التفسير وما يتعلق به عارفا بالفقه ... وكان عالما باختلاف العلماء ، عالما فى الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ...

واثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضى الخوى ، وابن دقيق العيد ، وابن الزملكانى وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكانى أنه قال : " اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين " .

قال ابن كثير : وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بينى وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، واسماء مصنفاته وسيرته وماجرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبسه مرات ، لايحتمل ذكر جميعها هذا الموضع .(١)

هذه بعض من صفحات كثيرة ذكرها ابن كثير عن شيخه ابن تيمية ، وقد وزعها فى عدد من المواضع فى البداية والنهاية .

وتدل دلالة لاتأرجح فيها أن ابن كثير كان على صلة قوية جدا مع ابن تيمية - رحمهما الله - مما أدى الى تأثره به تأثرا ملحوظا يؤيد ذلك ماذكره بعض العلماء كابن حجر الذى قال : (وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه .(٢)

---

(١) البداية والنهاية ١٤/ ١٤١ - ١٤٦ ، وانظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦ - ١٤٩٧ ، والدرر ١/ ١٥٤ - ١٧٠ ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١ ، وشذرات الذهب ٦/ ٨٠ .

(٢) الدرر الكامنة ١/ ٤٠٠ .

وكالداودى الذى قال : كانت له خصوصية بالشيخ ابن تيمية ، ومناضله عنه ، واتباع له فى كثير من آرائه ،[1] وقصارى القول شيخ الاسلام ابن تيمية أشهر من أن يعرف .

٥ - ابراهيم بن عبد الرحمن المعروف بابن الفركاح ت ٧٢٩هـ .

قال عنه ابن كثير : (شيخنا العلامة برهان الدين الفزارى هو الشيخ الامام العالم العلامة وشيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله ، شيخ الاسلام ومفتى الفرق بقية السلف برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن الشيخ العلامة تاج الدين أبى محمد عبد الرحمن وابن الشيخ الامام المقرى المفتى برهان الدين أبى اسحاق ابراهيم ، الفزارى المصرى الشافعى ، ولد فى ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد فى حلقته وبرع وساد اقرانه وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، له تعليق كثير على التنبيه فيه من الفوائد ماليس يوجد فى غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب ، وله مصنفات فى غير ذلك كبار وبالجملة فلم أر شافعيا من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار .[2]

٦ - شمس الدين البعلبكى ت ٧٣٠هـ .

قال عنه ابن كثير : (شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبى الحسن بن حسين البعلبكى الحنبلى ، امام مسجد السلالين بدار البطيخ العتيقة سمع الحديث وأسمعه ، وكان يقرئ القرآن طرف النهار ، وعليه ختمت القرآن فى سنة احدى عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار والعباد الأخيار .[3]

---

(١) طبقات المفسرين ١/ ١١ .
(٢) البداية والنهاية ١٤/ ١٥١ - ١٥٢ وانظر ترجمته فى الدر ١/ ٣٥- ٣٦ وشذرات الذهب ٦/ ٨٨ - ٨٩ . (٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٥٦ .

٧ - شمس الدين أبو محمد عبد الله المقدسي الحنبلي ت ٧٣٧ هـ .

قال عنه ابن كثير : (شيخنا الامام العالم العابد شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف المقدسي النابلسي الحنبلي امام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وستمائة وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس كثيرا من الاجزاء والفوائد .[1]

٨ - الحافظ أبو الحجاج المزي ت ٧٤٢ هـ

قال عنه ابن كثير : (شيخنا الامام العالم الحبر الحافظ محدث الشام جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف ، الكلبي الدمشقي الشافعي ، ولد بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة ونشأ بالمزة وحفظ القرآن الكريم وتفقه قليلا ثم اقبل على هذا الشأن ، وسمع المسند والكتب الستة ، ومعجم الطبراني ، عمل كتاب تهذيب الكمال في مائتي جزء وخمسين جزء ، وعمل كتاب الأطراف في بضعة وثمانين جزء وولي المشيخة بأماكن منها الدار الأشرفية ، وكان ثقة حجة كثير العلم حسن الاخلاق ، ترافق هو وابن تيمية كثيرا في سماع الحديث وفي النظر في العلم وكان يحرر طريقة السلف في السنة ويمضد ذلك بمباحث .)[2] .

وقد لازم ابن كثير هذا الشيخ الكبير ، وسمع عليه اكثر تصانيفه وتخرج على يديه ، ومن المؤكد انه قرأ عليه كتابة في تراجم الرجال المسمى بتهذيب الكمال .

---

(١) البداية ١٤ / ١٩١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٩٨ .

(٣) التنبيه والايقاظ لما في ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٦ .

يقول ابن حجر في ذيل معجمه : " وقد قرأت بخطه في آخر تهذيب الكمال قرأته من أوله الى آخره على مؤلفه واجزت روايته عني لكل من وقف على خطي هذا ."(١)

ولم يكتف ابن كثير من الحافظ المزي بعلاقة الطالب المحب المقدر ، لاستاذه بل أضاف الى ذلك علاقة المصاهرة ، فتزوج ابنته زينب ، وأصبح قريبا من الشيخ في حلقته وفي بيته مكثرا من الأخذ عنه والتأثر بمنهجه وسيرة حياته

وقد وصف لنا مرضه الذي مات فيه وجنازته المهيبة ، فنلمس إكبار ابن كثير بصلاح الشيخ وتقواه والصلة القوية الحميمة بينهما .(٢)

٩ - كما أن هناك مشايخ لابن كثير قد أجازوا له ومنهم :

ابن الدواليبي ت ٧٢٨ هـ

وترجم له ابن كثير بقوله : " الشيخ الصالح العالم العابد المسند عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن البغدادي الحنبلي المعروف بابن الدواليبي ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولد في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وسمع الكثير وله اجازات عالية ، وقد أجاز لي فيمن أجاز من مشايخ بغداد ولله الحمد .(٣)

---

(١) التنبيه والايقاظ لما في ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢٦ .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤/٢٠٣ - ٢٠٤ ، وانظر الدرر ٥/٢٣٣ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥٣٣ ، وشذرات الذهب ٦/١٣٦ - ١٣٧ ، وفتاح السعادة ٢/٣٦٧ ، البدر الطالع ٢/٣٥٣ .

(٣) البداية ١٤/١٤٧ .

١٠ - الحافظ الكبير شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي

وصفه ابن كثير بشيخه الذهبي قوية ، ذلك أن الذهبي يعد من أقطاب رجال الحديث في ذلك العصر .

وابن كثير ممن أحب السنة ، ووهب لها حياته جمعا وشرحا للحديث ونقدا وتمحيصا لرجاله .

فكان الذهبي أحد شيوخه المقربين الذين يستفيد منهم وينقل عنهم ، ويثني على كتبهم ، ويذكرها في مؤلفاته ، كما استفاد منه في نقد الرجال وبيان صحيحه من ضعيفه وموضوعه ، ومن ذلك سؤاله عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية مادام اسمي في ذلك الكتاب) .

قال ابن كثير : وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد روى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولا يصح .

قال الذهبي شيخنا : واهيه موضوعا .(١)

وهو حديث موضوع كما صرح به الذهبي في الميزان .(٢)

وقال عن الذهبي الفقيه السبكي : وأما استاذنا أبو عبد الله فبصير لا نظير له . . . وذهب العصر معنى ولفظا ، وشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها .(٣)

---

(١) تفسيره ٦/٤٦٧ الشعب .

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ١/٣٢٠ .

(٣) البداية ١٤/٢٣٦ .

ووصفه الحافظ ابن كثير بقوله : " وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذى القعدة حوادث ٧٤٨ ، توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بتربية أم الصالح ، وقد ختم به شيوخ الحديث رحمه الله ."(١)

---

(١) البداية ١٤/٢٣٦ .

(المبحث الثالث)

((تلاميذه وأتباعهـــم))

أما تلاميذه فقد عرفوا لأبي الفداء مكانته العلمية ، فجلسوا اليـــه يستمعون منه ، ويتفقهون على يديه ، وأقبلوا على كتبه يحفظونها ، ويتناقلونها .

وقد سبق معنا في المبحث الثاني من هذا الفصل أن أشرت الى أن أحد التلاميذ قدم من تبريز قاصد الشيخ ابن كثير ، حتى طار الشاب فرحا باجازة ابن كثير له ، ومن أشهر وأنبغ تلاميذه .

١ - أبو المحاسن الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ
وهو محمد بن علي بن الحسين الدمشقي الشافعي[١] .

٢ - الزركشي ت ٧٩٤ هـ .
وهو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر . . . المصري الزركشي الشافعي .[٢]

٣ - العراقي المتوفى سنة ٨٠٦هـ
وهو عبد الرحيم بن الحسين المهراني العراقي .[٣]

٤ - الامام ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ

---

(١) انظر ترجمته في الدرر ٤/١٧٩ وابن قاضي شهبة ٣/٧٤ وطبقـــات المفسرين ٢/١٥٧ ومعجم المؤلفين ١٠/٢٠٥ .
(٢) انظر ترجمته في الدرر ٤/١٨ وشذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، وانبـــاء الغمر ١٠/٢٤٦ - ٢٤٧ .
(٣) انظر ترجمته في انباء الغمر ١/٤٥ ، والضوء اللامع ٤/١٧٣ ،

وهو محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى خاتمة القراء المحققين[1].

٥ - شهاب الدين الحجى المتوفى سنة ٨١٦هـ .

وهو أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد بن سعيد الحسبانى الدمشقى الشافعى[2].

وأما تلاميذ كتب ابن كثير فهم لا يحصون كثرة ، لانه ترك آثار تبلى الألوف ، بجديتها وأصالتها ، وكلما تعاقب الجديدان ازداد طلابها ورواداها ، لأن التاريخ لا يطوى صفحات العلماء فى سجله بموتهم ، بل يؤرخ لهم حياة جديدة متعاقبة ، ويسجل لهم امتدادا بأثارهم وطلابهم .

(=) شذرات الذهب ٧/٥ ، وحسن المحاضرة ١/٢٠٤ .

(١) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٩/٢٥٥ ، وشذرات الذهب ٧/٢٠٦ ، والمقصد الأحمد ٣٩٣١ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء ٢/٢٤٧-٢٥١ .

(٢) أنباء الغمر ١/١٩ - ٢٠ ومعجم المؤلفين ١/١٨٨ ، والنجوم الزاهرة ١١/٤٣٩ ، والضوء اللامع ١/٢٦٩ .

(المبحث الرابع)

((مكانتـــه العلميـــة))

يتمذر علىّ - كباحث - فى نتاج فحول العلماء من أمثال الامام ابن كثير - أن أحيط بشتى الجوانب العلمية التى اتسعت لها مداركهـــم ، وحفلت بها موسوعيتهم الفذة ، اللهم الا رؤية شمولية للاطار العلمى ككل ، ومن خلال اقترب - حسب ظنى - رويدا رويدا من زاوية خاصة ، فأتناولهـا بالدرس والتحليل ، واستوضح بالرؤية الفاحصة الدقيقة مدى توفر الأصالـــة العلمية والمنهجية التى ترتفع بالعالم الى أوج النضج والاكتمال .

من هذا المنطلق نتعرف على أبرز معالم البناء العلمى عند ابـــن كثير ، فنجده قد بدأ مساره التكوينى بتأسيس قاعدة علمية عريضة تتمثل فيهـا أبرز مكونات الشخصية العلمية التى تؤهله للتبحر فى شتى العلوم .

ثم ترتفع قاعدة الهرم العلمى آخذة طريقها للشموخ والتخصـــص والتفرد حتى تصل الى الذروة ، وهناك - وما أدراك ما هناك - هناك نلتقى بابن كثير المفسر ، فلقد صبت كل الروافد العلمية - تقريبا - فى محيـــط تفسيره ، وانعكست ثقافته الحديثية والتاريخية فى أسلوبه التفسيرى ، وأن امتدت ابعادها الى مصنفات أخرى لا سيما فى الحقل الحديثى والتاريخى .

فاما منا مفسر محدث مؤرخ فقيه كثير المصنفات المفيدة غزير المعرفـــة والعلم عميق الفكر مستقل الرأى - كل ذلك كان نتيجة الجهد الطويـــل المتواصل فى سبيل العلم والمعرفة -

صاحب أربعة من عظماء عصره ، وتأثر بهم وهم شيوخ الاسلام ابـــن تيمية ، والمزى ، والذهبى ، والبرزالى .(١)

---

(١) انظر ترجمته فى البداية ١٤/١٩٦ - ١٩٧ والدرر ٣/٣٢١ وشذرات الذهب ٦/١٢٢ .

كما التقى بعلماء آخرين كثيرين ، وأفاد منهم ، يظهر ذلك جليا في المجالات العلمية التي شغلها - عن جدارة - كما يظهر ذلك بوضوح في المصنفات الكبيرة القائمة - باذن الله -

فتدريسه في أكبر مدارس دمشق كدار الحديث الأشرفية ، وتصنيفه المصنفات العظيمة ، تظهر أساتذيته في تلك الميادين ، وتبرز مكانته العلمية الكبيرة له .

والناظر لكتب التراجم يلحظ أن جل العلماء الذين عاصروه أو الذين أتوا بعده - وترجموا له - يلحظ أن جلهم قد أثنى عليه ثناء عاطرا بما هو أهل له، كما شهدوا له بسعة العلم وقوة الحفظ وكثرة الاستحضار ، ودقة الضبط والتحرير ، وقدرة على النقد والتمحيص لمتون الأحاديث ، ومعرفة رجالها وصحيحها وسقيمها .

كما أشادوا الى صدق لهجته واعتداله ، وحسن مفاكهته وجم مروته ، وخلقه الحسن الطيب وغير ذلك .

وسنمر سريعا بلمحات خاطفة أبرز الكلمات التي قالها العلماء فيه :

١ - قال الحافظ الذهبي : " وسمعت مع الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين اسماعيل بن كثير . . . الى أن قال . . وله عناية بالرجال والمتون والتفقه ، خرج وألف ، وناظر وصنف ، وفسر وتقدم " .(١)

وقال الحافظ أيضا : " . . . الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن ، محدث متقن ، مفسر نقاد وله تصانيف مفيدة " .(٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤/١٥٠٨ .

(٢) الدرر الكامنة ١/٤٠٠ وطبقات المفسرين ١/١١١ وشذرات الذهب ٦/٢٣١ .

ان تلميذا يترجم له أستاذه لمن أكبر الدلائل صدقا وأعظمها لهجة على نجابة التلميذ ، وبلوغه منزلة تستحق تلك الترجمة وتستحق كل احترام واكبار .

وقال ابن حبيب الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٩هـ : " امام ذوى التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع ، وجمع ، وصنف ، وأطرب الاسماع بأقواله ، وحدث وأفاد ، وطارت أوراق فتاواه الى البلاد واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت اليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير " .(١)

وقال ابن حجر العسقلاني : " ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني وشيخنا العراقي " .(٢)

وقال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني : " اشتغل بالحديث مطالعةً فى متونه ورجاله وجمع التفسير ، وشرع فى كتاب كبير فى الأحكام لم يكمل ، وجمع التاريخ الذى سماه البداية والنهاية . . . وكان كثير الاستحضار حسن الفاكهة ، سارت تصانيفه فى البلاد فى حياتهوانتفع بها الناس بعد وفاته . " (٣)

وقال عنه ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى : " هو الامام العلامة عماد الدين أبو الفداء ، لازم الاشتغال وأدب وحصل وكتب ، وبرع فى الفقه والتفسير والحديث ، وجمع وصنف

---

(١) أنباء الغمر ١/٣٩ ، وفتاح السعادة ١/٢٠٥ ، وشذرات الذهب ٦/٢٣١ .

(٢) أنباء الغمر ١/٣٩ . (٣) الدرر ١/٤٠٠ .

ودرس وحدث ، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذلك وأفتى ودرس الى أن توفي " .(١)

وقال عنه العيني : " كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ ، وسمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف ، وكان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير وانتهى اليه علم التاريخ والحديث والتفسير " .(٢)

وقال ابن العماد الحنبلي : " ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم الحسيني والعراقي وغيرهما " .(٤)

ولما سئل الحافظ العراقي عن أربعة تعاصروا أيهم أحفظ ؟ فأجاب أوسعهم اطلاعا واعلمهم بالانساب مغلطاني على اغلاط تقع في تصانيفه ولعله من سوء الفهم ، واحفظهم للمتون والتواريخ ابن كثير ، واقصدهم لطلب الحديث وأعلمهم بالمؤتلف والمختلف ابن رافع ، وأعرفهم بالشيوخ المعاصرين والتخريج الحسيني وهو دونهم في الحفظ .

وهذه طائفة أيضا من أقوال العلماء فيه وهذه المرة من أقوال تلامذته :

---

(١) ميكروفيلم بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة ، وهو مصور عن دار الكتب المصرية برقم ١٣٨١٠ الجزء الثاني ، ١٤٤-١٤٥ مخطوط بمكتبة عارف حكمت

(٢) النجوم الزاهرة ١١/١٢٣ .

(٣) شذرات الذهب ٦/٢٣١ .

(٤) طبقات الحفاظ للسيوطي ٥٣٣ .

فقال الحافظ شهاب الدين الحجي : "كان أحفظ من أدركناه لمتون الحديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وكان يستحضر شيئا كثيرا من الفقه والتاريخ قليل النسيان ، وما أعرف التي اجتمعت به على كثرة تردد إلى الا واستفدت منه " .(١)

وقال تلميذه ابو المحاسن الحسيني : "أفتى ودرس وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل " .(٢)

ووصفه تلميذه ابن الجزري بقوله : "الشيخ الامام مؤرخ الاسلام وحافظ الشام " .(٣)

هذا وقد اعترف بفضله (نبوغه) المتأخرون من العلماء والباحثين .

فوصفه أحمد شاكر بقوله : "الامام الحافظ الحجة المحدث المؤرخ الثقة ذوى الفضائل " .

وكان من افذاذ العلماء في عصره أثنى عليه معاصروه وتلاميذه ، ومن يعدهم الثناء الجميل فهو مستقل الرأى يدور مع الدليل حيث دار لا يتعصب لمذهب ولا لغيره .(٤)

ووصفه أيضا بقوله : "امام عظيم من الأئمة الثقات " .(٥)

واعتبره ثالث ثلاثة كان السند لابن حنبل كله على اطراف السنتهم وكانوا يعرفونه صدقا .(٦)

---

(١) طبقات ابن قاضى شهبة ٣ / ١١٤ وانباء الغمر ١ / ٣٩ وطبقات المفسرين ١ / ١١ .
(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٥٧ .
(٣) المصعد الأحمد في ختم مسند أحمد (٤) عمدة التفسير ١ / ٢٥
(٥) الباعث الحثيث (٦) مسند أحمد ١ / ٤

وعده د . صلاح الدين المنجد من أعظم العلماء المسلمين الدمشقين في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ .(١)

وان هذه الشهادات العلمية التي أثرت اليها - وهي شهادة شيوخه وأقرانه وغيرهم - المليئة بالثناء والاكبار على ابن كثير مع مابقي (أثر) من مصنفاته لهي من أعظم الدلائل على سمو مكانته وارتفاع شأنه ومتانة جانبه .

كما تتضح وتبرز للعيان مكانته العلمية الكبرى في تلك المصنفات الجمة النافعة ، ولعل أبرز تلك الكتب هي تفسير القرآن العظيم ، وجامع المسانيد والسنن ، والبداية والنهاية ، فهي - تلك الكتب - في نظري من خير ماألف ، اذ تظهر أستاذيته ومعرفته بعلوم تلك المصنفات التفسير والحديث والتاريخ .

كما تتجلى مكانة ابن كثير ومنزلته العلمية وتبوؤه مكان الصدارة في كثير من المجالات العلمية والوظيفية في عصره ، وهذه الوظائف - ان جاز لنا تسميتها بذلك - لم تخرج عن مجال التدريس في المدارس والمساجد والخطابة والافتاء ، وماذاك الا لأنه نذر نفسه ووقته لخدمة العلم وطلابه .(٢)

وسنسلط الضوء خفيفا على أهم المجالات العلمية والمناصب الثقافية التي عمل بها الحافظ الامام ابن كثير :

---

(١) مولد الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير ص٥

(٢) البداية ١٣/٣١٢ - ٣٤٤ ، والدارس ١/٤٦٨ - ٤٧١ - ٤٢٩ .

أ - لقد تولى مشيخة أم الصالح ومشيخة الحديث بالتنكزية بعد موت الذهبي .[1] ثم تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة .[2]

ب - كما تولى التدريس في عدد من المدارس كالنجيبية بدمشق وهي من مدارس الشافعية ، والمدرسة الفاضلية ، ودرس - التفسير في الجامع الأموي وغيرها من المدارس .[3]

جـ - وتولى الخطابة في جامع المزة الفوقانية[4] ، وفي جامع القبيبات[5]

د - وعضوية لجان الامتحان .[6]

هـ - الافتاء [7]

---

(١) البداية ١٤/٢٢٥ ، وتذكرة الحسيني ص ٥٨ .

(٢) البداية ١٣/١١٥ ، والدارس ١٩/٤٧ ، وطبقات المفسرين ١/١١١

(٣) البداية ١٤/٣٢١ ، وانباء الغمر بأبناء العمر ١/٥٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/٧٦ و ٥/١٣٧ ، والجامع الأموي أسسه (أنشأه) الوليد بن عبد الملك ، وابتدأ في عمارته سنة ثمان وثمانين للهجرة .

(٤) البداية ١٤/٢١٦ - ٢٦٣ .

(٥) يسمى الجامع الكريمي بالقبيبات أنشأه كريم الدين في شهور سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، ويعرف الآن بجامع الدقاق بمنتصف حي الميدان ، انظر في رحاب دمشق ٨٢ ، والبداية ١٤/٢٧٣ .

(٦) البداية ١٤/٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٧) طبقات الحفاظ ٥٠٨ .

من خلال أقوال العلماء فيه تبين لى أنه مفتى بارع ، فما وصف الذهبى له بالفقيه المفتى وبالامام البارع[٢] ، وبالفقيه المتفنن[٣] الا قول حق .

كما أشار ابن حبيب الى انتشار فتاواه فى البلاد .[٣]

وقد أذن له فى الافتاء الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد المعروف بالقلانس سنة ٧٣١ .[٤]

ترى مالذى أهله لكل تلك المناصب ، وغيرها مما يكون قد فاتنى ؟

نجيب بقولى : الذى أهله لذلك : ماعرف عنه من كثرة العلم وخصوصا علم الكتاب والسنة ، وسعة الاطلاع ، ورفاهة حسه ، اضافة الى ماتميز به من اخلاق عاليه ، يلحظها من يقرأ تفسيره ، وغيره من كتبه القيمة الأصيلة .

---

(١) ابناء الغمر ١/٣٩ .

(٢) انباء الغمر ١/٣٩ ، وطبقات ابن قاضى شهبة ٣/١١٤ .

(٣) ذيل طبقات الحسينى ص٥٨ ، وطبقات ابن قاضى شهبة٣/١١٤ .

(٤) درة الاسلاك رقم ٤٦٩ .

وانظر كل ذلك فى البداية ١٤/٢٨١ - ٢٨٢ - ٣١٥ - ٣١٧

المبحث الخامس :-

آثاره

على امتداد التاريخ العلمي نجد في كل عصر قلة قليلة وهبت نفسها للعلم وكرست له حياتها كاملة تقتات من زاده ، وترتوي من معينه الذي لا ينضب فلا تزداد على كثرة الاقتباس والارتواء الا نهما وتعطشا الى مزيد من قوت الروح وغذاء العقل .

وقد كان الحافظ ابن كثير -بيقين- أحد أفذاذ عصره الذين وهبوا للعلم أرواحهم وانفاسهم فلم يخلد الا الى العلم متبتلا في محرابه ومتحنثا في غاره صارفا اليه وكده ومطويا اليه أزمة همته ، فأفنى جذوة شبابه وزهرة عمره في الطلب والتحصيل والبحث والتدقيق حتى تفجرت عيون معارفه وتدفقت محصلته العلمية بصنوف من التصنيفات بدائع من المؤلفات ، اضافت لعصره مددا جديدا أو رصيدا زاخرا أملأ المكتبة الاسلامية ركنا كان يفتقده وجانبا كان ينشده .

وقد تنوعت آثار الامام ابن كثير في أكثر من ميدان ، بيد أنه غلب -حسب ظني- ميدان تفسير القرآن الكريم وعلومه بجل همته ووفرة تأليفه ، ثم طرق ميادين أخرى فالحديث والتاريخ و مصطلح الحديث و غيرها فبرز و تفرد واجاد وافاد ، وظلت مؤلفاته الى اليوم مرجع المتبحر ووجهة القاصد المشمر ، واجمع اهل العلم على حسنها وتفردها في ابوابها ، كما نطقت بذلك تراجم ابن كثير التي وقفت عليها ، حيث سبق وان نقلنا قول الذهبي : (وله تصانيف عديدة مفيدة) - وقول ابن حجر : ((سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس في حياته)) (١) وقول ابن حبيب : ((وطارت أوراق فتاواه في البلاد)) .

ولقد انتفع الناس بمؤلفاته في حياته وبعد مماته ، وعبر تلك المصنفات الكثيرة الرائعة عرفت منزلته و استاذيته في علوم تلك المصنفات .

---

(١) الدرر ١/ ٣٢٤ ، وذيل السيوطي ٣١١ - ٣١٢ ، والبدر الطالع ١/ ١٥٢ وانباء الغمر ١/ ٣٦ .

على أنني أذكر - بادئ ذي بدء - أن ما وقفت عليه من تصانيف ابن كثير لا يمثل كل انتاجه العلمي ، بل لقد وقفت - من خلال ذكر ابن كثير نفسه لها في تفسيره ، ومن خلال ما أوردته كتب التراجم -

على أن بعض مؤلفاته قد أصبحت بكل أسف - في ذمة التاريخ وضل عنها - المؤرخون فلم يشيروا إليها في ترجمته ، وما تواتر ذكره من مؤلفاته وما لم يتواتر لا يمثل آثاره وتأليفه كلها .

ورغم هذا وذاك فقد تبقى لنا من تراث هذا الامام ثروة علميه تحتل في المكتبة الإسلامية مكانه سامية وتحظى في نفوس روادها من علماء ومبتدئين - بحظ وافر من الإعزاز والتقدير .

لما في تلك المصنفات من الجودة والانتفاع . فمثلا تفسيره عُدّ من خيرة التفسير بالمأثور ، حتى وصل الى المرتبة الثانية بعد تفسير الطبري رحمه الله - ، وكتابه جامع المسانيد والسنن والذي حقق بعض من أوراقه من بعض أجزائه بقسم الدراسات العليا في عام ١٤٠٥هـ خير دليل على كونه أحد المحدثين المبرزين .

وكذا الحال بالنسبة للبداية ففيه من الدقة والروعة والأصالة والجودة ما ليس في غيره ، إذ كثير من كتب التاريخ تحتاج إلى تضافر الجهود لإعادة صياغتها من جديد (١) .

وهكذا في سائر مصنفاته كالفقه وتراجم الرجال وغيرها كلها تشهد بتألقه وسعة فهمه ، وأنه بذل جهدا مشكورا لإيصال المعلومات الى الأجيال بعده .

ولسوء الحظ لم تصل إلينا كل تلك المصنفات - والذي وصل بعضه مطبوع ، وبعضه لا يزال مخطوطا ، وأخشى ما أخشاه هو تعرض تلك المؤلفات لعوارض -

---

(١) انظر المجتمع المدني وتنظيماته د . اكرم العمري ص ١٣ / ١ الطبعة الاولى .

الزمن من أرضة أو هرم أو فقدان - لا سمح الله - كما حصل لبعض المؤلفين ،

هذا وقد أثنى الباحثون في عصرنا على مؤلفاته ، وقدروها حق التقدير فاعتبرها صلاح الدين منجد من أجود المؤلفات في تراثنا العربي وأكثر فائدة ، فكل ما كتب ابن كثير جيد ، وقل أن تجد عند غيره ما عنده من سعة الإطلاع والتحرير والضبط وحسن الإنتقاء والدقة (١) .

ومجموع تلك المصنفات إمتازت - خلا ما ذكرنا - بأشياء كثيرة ولعل أبرزها الآتي :-

١- الإعتماد الكامل على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢- الدقة في الكلام والسهولة في العرض والبعد عن التعصب المذهبي

٣- دفاعه القوي عن السنة النبوية وعن أهل السنة والجماعة ، وإبراز الحق الذي في أيديهم ، وبالتالي فهو يحارب البدع والترهات وسائر معتقدات الفرق الخارجة عن الإسلام وهي تدعية من زنادقة وملحدين ورافضة ومن نحا منحاهم .

ولا عجب في ذلك فهو التلميذ البار المخلص لشيخ الإسلام ومجدد الدين والمناضل عنه تقي الدين أحمد بن تيمية - رحمهما الله - .

وآن أوآن إعطاء فكرة مبسطة عن أشهر مؤلفاته - حسب إطلاعي - وهل هي مطبوعة او مخطوطة (٢) أو في سبيل إخراجها من حيز المخطوطات (٣) إلى حيز الوجود ، أو أنها تعد من المفقودات - وبالله حولي وقوتي :-

الاول - القسم المطبوع :-

١- تفسير القرآن العظيم .

وقد وصف الحافظ الذهبي الامام ابن كثير بقوله : (مفسر نقاد) (٢)

---

(١)

(١) مقدمة كتاب مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٨ دار الكتب المصرية

(٢) ذيل طبقات الحسيني ٧٥ .

ألف هذا الكتاب في عشرة أجزاء ، وقد وصفه العلماء بأوصاف كثيرة كلها تشير الى أنه جمع فأوعى .

قال السيوطي :- ((لم يؤلف على نمطه مثله))(١)

وقال الشوكاني :- ((..... ونقل الآثار والأخبار ، وتكلم بأحسن الكلام وأنفسه وهو من أحسن التفاسير وأفضلها وخصوصا التفسير بالمأثور ، اذ يعتمد على التفسير بالرواية ، فيفسر القرآن بالقرآن ثم بالأحاديث المشتهرة ، يسوقها - بأسانيدها فينتقد تلك الأسانيد ويحكم عليها في الجملة ، ثم يذكر الآثار المروية عن الصحابة والتابعين ...))(٢)

وقال الاستاذ احمد شاكر : ((... أحسن التفاسير التي رأينا وأجودها وأدقها بعد تفسير الطبري وليس نوازن بينهما وبين أي تفسير آخر مما بأيدينا ، فما رأينا مثلهما ولا ما يقاربهما)) ثم سماه عمدة التفسير .

هذا وقد طبع الكتاب عدة طباعات بأجزاء مختلفة الاولى بهامش فتح البيان بالمطبعة الاميرية الكبرى ببولاق سنة ١٣٠١ - ١٣٠٢ هـ في ٦ مجلدات قال أحمد شاكر : وهي طبعة محرفة لا يكاد ينتفع منها نفعا صحيحا ثم طبع مع تفسير البغوي بتحقيق رشيد رضا مطبعة المنار بمصر في تسعة مجلدات على نفقة الملك عبد العزيز ، وقد أعتمد فيها على طبعة بولاق ومخطوطة الأزهر ثم طبعة الفجالة الجديدة بمصر ١٣٨٤ في ٤ مجلدات والناشر عبد الشكور ندا ثم طبع طبعة ممتازة في اربع مجلدات في مصر مطبعة عيسى الحلبي ، ولكن دون تاريخ الطبع وقد صورت هذه الطبعة عدة مرات وهي أكثر انتشارا في أيدي الناس . فطبعة دار الفكر ببيروت ١٣٨٥ هـ في ٧ مجلدات .

وهكذا طبع الكتاب عدة طباعات ومازال يطبع الى الآن ، ثم هناك طبعة ممتازة جدا إذ حققت بتحقيق الأساتذة عبد العزيز غنيم ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمد إبراهيم البنا ، وقد اعتمد محققوها على نسخة الازهر كما ذكروا في مقدمتهم ١/٧ . (طبعة دار الشعب) بمصر وهي تشتمل على فهارس علمية

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ٣٦١

(٢) البدر الطالع ١/١٥٢ مع التصرف .

فيه الكفهرس الموضوعات والأعلام والبلدان الخ تلك الفهارس الجيدة ، وفيها - مع ذلك - نقص كبير على الطبعة الحلبيه ، أنظر مثلا ١ / ٧٢ من الحلبي وأنظر - ١ / ١٠٣ من دار الشعب تجد النقص ما يقارب صفحة ، وذلك لاعتمادهم على مخطوطات اخرى غير المعتمد في طبعة الحلبي - .

ويوجد مخطوطات عدة لتفسيره منها ما ذكره أحمد شاكر في ١ / ٧٠٥ ومنها نسخة مخطوطه بمكتبة الحرم المكي برقم ٩٠ تفسير وتقع ٨ مجلدات بأختلاف في الخط والنسخ وتاريخ النسخ ، وفيها نقص ، وهي أقدم نسخة كتبت في حياة المؤلف فقد ورد في آخر المجلد الثامن قال : آخر كتاب فضائل القرآن ، وبه يتم الكتاب إن شاء الله ، وكان الفراغ منه في ١٠ / ٥ سنة ٧٥٦ بخط محمد بن أحمد ابن معمر المقرئ البغدادي .

واختصره لأول مرة فيما قرأت واطلعت سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني (١) وسماه البدر المنير ، كما ذكره بروكلمان ثم شمس الدين محمد بن علي البعلي (٢) المشهور بابن اليونانية المتوفى ٧٩٣ هـ واختصر الكتاب عدة مختصرات ، فاختصره اختصاراً رائعاً مع تحقيق على كبير الشيخ أحمد شاكر وسماه - كما أسلفت - عمدة التفسير ولكنه ولسوء الحظ لم يكمل والمطبوع خمسة أجزاء حتى الآية الثامنة من سوره الانفال ولو خرج هذا السفر بهذه الدقة العلمية لأفاد فائدة كبيرة ولسد فراغا كبيرا في المكتبة الاسلامية ولأراحنا من كثير من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتلك الاسرائيليات الساقطة ، التي شحنت بها غالب كتب التفسير ونسأل الله أن يهيئ له من تتوفر له الملكة العلمية ليكمل عمل الشيخ أحمد شاكر لتحقيق ما نصبوا اليه من امال .

---

(١) تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان ٢ / ١٠-١١ .

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٤ / ٢٣١ .

واختصره آخرون كالشيخ محمد نسيب الرفاعي في أربع مجلدات وأخرجه باسم ((تفسير العلي القدير لإختصار تفسير ابن كثير)) وطبع لأول مرة عام ١٣٩٢- ثم طبع ثلاث مرات آخرها ١٤٠٠ه دار البيان للطباعة والنشر ،

ثم اختصره الصابوني ، والشيخ محمد كريم راجح في كتابه مختصر تفسير ابن كثير في ٢ مجلد طبع عام ١٤٠٣ه دار المعرفة ببيروت .

وهذه المختصرات كلها لأنه من أفيد كتب التفسير بالرواية ، إذ يتكلم في أسانيد الروايات جرحا وتعديلا غالبا ، ولا يرسلها إرسالا كما يفعل غالب المفسرين .

كما أن الناس تلقوا تفسيره بالقبول والرضى ، لدرجة أنك قلما تزور مكتبة خاصة أو عامة إلا وتفسير ابن كثير في مقدمة وقوفها .

وقد انفرد الامام ابن كثير في تفسيره بمميزات ، قد لا تجدها في غيره من كتب التفسير ونذكر بعض منها :-

١- تفسير القرآن بالقرآن وهي ميزة فاق بها غيره من المفسرين ، حيث جمع الآيات التي تدل على المعنى المراد من الآية التي يفسرها

٢- الإعتماد على السنة وإيراد الأحاديث الصحاح في الغالب ، مع العناية الشديدة بتمحيص الأخبار وتمييزها والكلام على الحديث وعلله ورجاله .

٣- الإحاطة بالأخبار والإستقصاء في روايتها من طرقها ، وقد أعانه على ذلك عصره المتأخر اذ عاش في الشام الهجرة ، فتمكن أن يجيل النظر فيما سلف من تراث .

٤- الإهتمام بمقاصد القرآن الكريم في إبراز العظة وإجلاء العبرة في قصص القرآن الكريم فاستطاع أن يلفت النظر الى كثير من مواطن العبرة في آيات الأنبياء وأن يجعل من عرض القصص وسيلة لتقرير كثير من الاحكام والادب .

٥- عني ابن كثير بدفع الشبهة التي أثارها بعض المفسرين والملقين الكتاب واستطاع بمقدرته في التفسير وقوته في الإستدلال أن يوضح

جانب الحق و أن يرد كثير من الآراء الفاسدة التي لا تتفق مع كرامة الأنبياء .

١- من المآخذ التي سجلها الحافظ ابن كثير على من سبقوه : أنهم أكثروا من الحكاية عن أهل الكتاب وعن كتبهم ووصلوا هذه النقول بجوار آيات الله الواضحات تفسيرا لها وتوضيح لكلماتها مع أن ديننا قد كمل - ولله الحمد - فليس في حاجة الى شيء من هذه الإسرائيليات .

٢- عرضه لمذهب السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عرضا جميلا كما نلمس جانب التجديد فيه و أثر علم وورع شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمهما الله - عليه واضحة فقد كان ابن كثير كأستاذه ابن تيمية بعيداً عن الخرافات ، حريصا على الرجوع الى السنة يعتمد على التحقيق و التدقيق بوسيلته العلمية التي يملكها .

٨- ان ابن كثير في تفسيره تراه بوضوح يحترم التفسير المنقول عن الصحابة و التابعين نقلا صحيحا ، ويرى أن ذلك وحده هو علامة التفسير القويم أما التفسير بالرأي فيخاصم أصحابه ولا يؤيدهم .

٩- ومن مزايا تفسيره أنه لا يهتم في تفسيره الا بما يفيد من المعاني ، أما الأقوال والمعاني التي لا فائدة من وراء معرفتها فهو يهملها و يتهكم بمن يهتم بها .

١٠- كذلك اهتم ابن كثير في تفسيره بأن يسلك في عبارته المسلك الأدبي الذي يدخل على النفوس البهجة والسرور .

تلك أخي الكريم عشر مزايا كاملة ، وددت أن أمثل من خلال تفسيره لكل ميزة ذكرتها . ولكن خشية الخروج عن هدف الرسالة اكتفيت بذكرها - بعضها - مجردة ، ولا بأس من رجوعك الى تفسيره فتأمله فكله كنز و خير و بركة .

٢- الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث

وهذه مقتطفات من مقدمة الكتاب بقلم المؤلف : ((ولما كان علم الحديث النبوي الشريف - من أهم العلوم وأنفعها أحببت أن أعلق فيه مختصراً نافعاً جامعاً لمقاصد الفوائد وما نعاً من مشكلات المسائل الفرائد . وكان الكتاب الذي اعتنى بتهذيبه الشيخ الإمام العلامة أبو عمرو ابن الصلاح تغمده الله برحمته المتوفى ٦٤٣هـ من مشاهير المصنفات في ذلك بين الطالبين لهذا الشأن وربما عنى بحفظه بعض المهرة من الشبان ، سلكت وراءه واحتذيت حذوه و اختصرت ما بسطه ونظمت ما فرقه ....)) . أ/هـ .

وفي هذه الكلمة الدلالة الكافية على نبوغه وإمامته في هذا الفن ورحم الله ابن حجر حيث قال (1) : ((واختصر كتاب ابن الصلاح وله فيه فوائد)) .

وقد طبع الكتاب لأول مرة - فيما سمعت - بمكة المكرمة بالطبعة الماجدية عام ١٣٥٢ بتعليق وتصحيح الشيخ محمد عبد الرازق حمزة وطبع بشرح الاستاذ أحمد شاكر بمصر عام ١٣٥٥ ولا يزال الكتاب يطبع مع بعض زيادات وتنقيحات وقد ذكره غير واحد من العلماء كابن حجر في الدرر الكامنة ١/٤٠٠ والسيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ ص ٢١١ .

٣- الاجتهاد في طلب الجهاد

وهو كتاب ألفه أبان هجوم الصليبيين على مدينة الإسكندرية عام ٧١٧ وكان أيضا بناء على طلب نائب السلطان بالشام الذي طلب منه أن يكتب ما تيسر من الكتاب والسنة والآثار الحسنة في المرابطة بالثغور المحروسة الاسلامية .

هذا وقد طبع الكتاب بتحقيق د. عبد الله عبد الرحيم العسيلان في مجلد واحد عام ١٤٠١ هـ .

---

(1) الدرر ١/٣٧٤

٤- الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهو كتاب يتألف من جزئين :-

١- في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- في أحواله وشمائله وخصائصه صلى الله عليه وسلم .(٢)

وطبع الكتاب في سوريا من مؤسسة علوم القرآن الكريم في عام ١٣٩٦ هـ وقد حققه وعلق عليه كل من الأستاذ محمد العيد الخطراوي والاستاذ محي الدين المستو .

وهي أحسن من النسخة المطبوعة الأولى عام ١٣٥٧ والذي يغلب عليها التحريف والتصحيف وكثرة الأخطاء .

وقد أحال ابن كثير على هذا الكتاب في التفسير في مواضع من تفسيره .

٥- مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ....

وقد ألفه بناء على طلب الشيخ عماد الدين أبي بكر بن حسن المؤذن بالجامع الظافر بدمشق ذكر فيه نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار جده وأبيه وأمه وأخبار أرضاعه وصفاته وشمائله وأخلاقه ...

وقد طبع الكتاب في دار الكتب المصرية ١٩٦١م بتحقيق د. صلاح الدين المنجد .

٦- البداية

وهو كتاب في التاريخ ويشتمل على التاريخ (تاريخ) ما قبل الإسلام وحتى القرن الثامن الهجري .

وهو بحق موسوعة نفيسة يعد من أكبر التواريخ الاسلامية حجما وأغزارها مادة وأكثرها فائدة . وهو شبيه إلى حد ما لكتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير .

---

(١) عمدة التفسير ١/ ٣٥

و كتاب البدايه حاوى ذكر الأنبياء و أحوالهم و الأمم و سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم و معجزاته و أحوال المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم . . . .

قال عنه ابن تغرد بردى : ((وهو فى غاية الجودة))[1] .

و طبع الكتاب عدة طبعات و بأحجام مختلفة و طبع محققا و بدون تحقيق و طبع أول مرة فيما علمت بالقاهرة سنة ١٩٣٥ م ثم طبع بمطبعة السعادة فى أربعة عشر مجلد عام ١٣٥١ .

ثم قامت مكتبات المعارف بيروت والنصر بالرياض و الحياة ببيروت بتصويره و نشره سنة ١٩٦٦ ، ثم طبع أخيرا بنسر المكتبة العلمية ببيروت مع فهارس و تحقيقات هفيفة عام ١٦٨٥ .

و إن شهرة الكتاب و انتشاره فى أنحاء العالم ، ولما يتميز به من غيره من كتب التواريخ جعل الطلاب يتسابقون الى الى انتزاع بعض الكتب منه ، ويفردونه بالطبع و ينسبونه الى ابن كثير منها :

أ- قصص الأنبياء لمصطفى عبد الواحد فى جزئين[2] .

ب- قصص الأنبياء قام بانتزعه محمد احمد عبد العزيز زيدان و قام بطبعه دار الكتب العلمية ببيروت عام ٤٠٣ هـ و تحقيق يبدو أنه أجود من سابقه حيث خرج بعض الأحاديث . . . و ختمه بفهارس علمية مفيدة للايات و الأحاديث و جعله فى جزئين من الحجم الكبير . بعكس سابقه الذى اكتفى بعزو الآيات الى سورها لا غير .

---

(١) النجوم الزاهرة ١١/٢٣٢ .

(٢) قال محققه : (و قد رأيت من الخير نشره مستقلا بعد أن تبينت من كلام ابن كثير . . . أنه كان له سيرة مطولة و رجحت أنه ضمنها فى كتاب البداية و النهاية ، الذى ألفه فى آخر عمره و أن قصص الأنبياء جدير بأن ينفرد بالعرض و ينال من العناية ما نالته السيرة النبوية إذ أن تاريخ النبوة حلقات متصلة لا بد من اكتمالها و من وضع صورتها فى الأذهان لتقرر الحقيقة . . . مقدمة الكتاب أ - ب .

جـ السيرة النبوية : قام بانتزاعها الدكتور مصطفى عبد الواحد ، وهو مختصر من القسم الذي أفرده لأخبار العرب في الجاهلية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ دعوته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم ، ويقع الكتاب في أربع مجلدات قام بنشره مطبعة عيسى الحلبي عام ١٩٦٦م ، وطبع في دار المعرفة بلبنان عام ١٣٨١ .

وقد ذكر ابن كثير هذا الكتاب في سورة الأحزاب في قصة غزوة الخندق ، شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وخصائصه ، لمصطفى عبد الواحد . وقام بطبعه دار المعرفة في حجم كبير ٥٨٤ صفحة .

د- استشهاد الحسين رضي الله عنه ..

تقديم د . محمد جميل غازي (وله ملحق بعنوان رأس الحسين لابن تيمية) وطبع بمطبعة المدني بمصر وبدون تاريخ الطبع ..

عمر بن عبد العزيز .

هـ اختصار السيرة النبويه لابن كثير .

قام باختصارها محمد علي قطب ، وطبعة بمطبعة دار السيرة ببيروت ١٤٠٢هـ وهي في حجم كبير ٥٥٢ .

٧- النهاية أو الفتن والملاحم

تناول فيه الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان من ذكر اشراط الساعة والأمور التي تكون قبل يوم القيامة ... الخ

والكتاب -حسب رأي- يعد من الكتب الشاملة في موضوعه وأحسنها ، فقد جمع فيه ابن كثير ما تفرق عند غيره من دواوين الحديث وما صنف في موضوعه من المصنفات في نوعه ككتاب التذكرة بأمور الآخرة للقرطبي والبعث والنشور للبيهقي . وطبع الكتاب بمصر في مجلدين لدار النصر بتحقيق د .طه . محمد الزيني الطبعة الاولى دون تاريخ ، .

كما طبعت بالرياض بتحقيق الشيخ اسماعيل الأنصاري مكتبة النور ١٣٨٨هـ

معتمدا على النسخة المصورة بالجامعة الاسلامية برقم ٣٩٣٥ ، .

و طبع طبعة ثانية عن مؤسسة النور بالرياض و مكتبة المدرس عام ١٤٠٣ هـ و طبع طبعة ثالثة و رابعة و هكذا .

٨- فضـــــائل القـــــرآن الكـــــــريم

و قد تناول فيه فضائل القرآن الكريم للبخارى كاملا و فيه ٦٦ حديثا و منهجه أن يذكر فى أول كل بحث ما ورد عند البخارى من أحاديث ثم يشرحها أحاديث التوحيد و الرد على أهل الشرك (١) .

هذه هى الكتب المطبوعة للامام ابن كثير - رحمه الله - فيما وقفت عليـــها.

و الله أعلم

---

(١) ذكر كارل بروكلمان فى الطبعة ٢/٤٨ أن الكتاب طبع بدلهلى عام ١٢٩٧ .

ثانيا الكتب التي قيد التحقيق وتحت الاخراج :

١- جامع المسانيد والسنن

كتاب كبير وعظيم يقول حاجي خليفة عنه : ((وهو كتاب عظيم جمع فيه أحاديث الكتب العشرة في أصول الاسلام))(١) أن الستة والمسانيد الأربعة أي الصحيحين والسنن الأربعة ومسند الامام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة .

وقد ذكر هذا الكتاب عدد من العلماء كالداودي وابن العماد(٢) تحت اسم جامع المسانيد العشرة .

وذكره الحسيني باسم (الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن)(٣) وكان الكتاب مخطوطا ولم يشرع في طبعه الا في وقتنا الحاضر حيث قام طالبان من قسم الدراسات العليا بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة بتحقيق بعض أوراق من بعض أجزاءه وتمت مناقشة الرسالتين المحققتين من هذا الكتاب(٤)

وبقيت الأوراق من أجزاء الكتاب في انتظار الباحثين لإخراجها الى حيز الوجود ، ونرجو أن يكون ذلك عاجلا ، فهو كتاب عظيم .

٢- ارشاد الفقيه الى معرفة أدلة التنبيه .

وفي مقدمته بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وبعد :

فلما كان كتاب التنبيه في الفقه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله على مذهب الامام الرباني أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي رضي الله عنه

---

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ١-٥٧٣

(٢) طبقات المفسرين ١/١١١ وشذرات الذهب ١/٢٣١

(٣) ذيل تذكرة الحسين ٥٨

(٤) مخطوطات المكتبة المركزية بالجامعة . للباحثين سلطان سند العكايلة وصالح الوعيل وكل منهما حصل على العالمية العالية .

/ في العام الجامعي ١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ .

وعن سائر أئمة الدين من الكتب المشهورة النافعة وكنت ممن من الله سبحانه وتعالى عليه بحفظه و رأيت أن الفائدة لا تتم بدون معرفة أدلته استخرت الله في جمع أحكام على أبواب مسائله ....الخ .

وهو كتاب مرتب على أبواب الفقه فأول كتاب الطهارة باب المياه - وقد ذكر هذا الكتاب غير واحد من أهل العلم كابن حجر و البغدادي[1] و الكتاب مخطوط و موجود في مخطوطات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنـــورة برقم ١١٧ ويقع في ٢٦٠ ورقة و نسخة أخرى بمصر دار الكتب من ٣٧٣ حديـــث تيمور في حدود ٤١١ ورقة و نسخة ثالثة في الظاهرية وعدد أوراقها ٢١٨ ولها صورة بالجامعة الاسلامية .

هذا وقد بداء في تحقيق بعض أوراقه طالب بقسم الدراسات العليـــا بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وهو على وشك الانتهاء منه .

٣- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب .

ذكر هذا الكتاب الحافظ بن حجر ، و ابن تغرى بردى و العلامـــة السيوطي والداودي[2] .

كما ذكره الحافظ بن كثير في ترجمة ابن الحاجب

وتوجد صورة منه في الجامعة الاسلامية في المخطوطات برقم ٢٧٩٦ .

" نسخة أخرى بمكتبة فيض الله أفندي بتركيا برقـــم ٧٨٣ .

" " ثالثة بدار الكتب المصرية برقم ٣٧٣ حديث تيمور وعدد أوراقهـــا ٣٢ ورقـــة وهذا الكتاب يحقق في جامعة أم القرى بمكة المكرمة - فيما أخبرت من مصادر موثوقة .

---

(١) الدرر الكامنة ١/ ٣٧٤ وهدية العارفين ١١٥ و انباء الغمر ١/ ٣٦

(٢) الدرر ١/ ٣٦٦ و انباء الغمر ١/ ٣٦ و النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٣-١٢٤ و ذيل تذكرة الحفاظ ٢٦١ و طبقات المفسرين ١/ ١١١ .

ثالثا: القسم المخطوط.

لما نرى أنه من باب الفائدة أحببت أن أعطي القراء قسطا من المشاطرة في التعرف على تراث علم له وزنه وذلك بذكر ما تيسر لي عن القسم المخطوط وأماكن وجودها حتى يتسنى لهم - بعد ما تقدم - لمن أراد خدمة الإسلام عن طريق تحقيق المخطوط إلى حيز المطبوع الإهتداء إلى أماكنها والله الموفق.

١- كتاب الاحكام.

وقد أطال ابن كثير على هذا الكتاب في عدد غير قليل من المواضيع من تفسيره[1]، كما ذكره غير واحد من العلماء منهم ابن حجر والسيوطي وابن العماد الحنبلي والداودي[2].

وهو مذكور في فهرست مخطوطات الشؤون الثقافية بتونس المجلد الاول اذ - مكتوب في هذه الفهرسة أن الكتاب موجود بدار الكتب الوطنية التونسية برقم ١١٨. ومنه صورة بالجامعة برقم ٦١٦، والموجود الجزء الثالث ويقع في ٣٨٩ صفحة.

٢- التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل.

جمع فيه كتابي تهذيب الكمال للمزي، وميزان الإعتدال للذهبي، وزاد عليهما زيادة مفيدة في الجرح والتعديل[3]،

قال ابن كثير وهو من أنفع شيء للفقيه البارع، وكذلك المحدث، وليس الكلام في جرح الرجال على وجه النصيحة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولكتابه والمؤمنين بغيبة بل يثاب بتعاطي ذلك إذا قصد به في ذلك...

---

(١) انظر تفسيره ١/١٢٣ و٤١٥ و٢/١٨-١٦٥، ٣/٤ و٥ و٥٥، و٤/ ٤٠٩ و٥٠١/٨ و٥٠٢ الشعب. والبداية - مثلا ٢/١٤٤-٤/٨٣/١/٨ واختصار علوم الحديث، ٢٠-٢٠٣.

(٢) انظر مصادر تعليق ((١)) السابق وشذرات الذهب ٦/٢٣١.

(٣) الباعث الحثيث ص ١٣٧ طبعة دار الفكر.

وقال ابن قاضي شهبة : (واختصر تهذيب الكمال وأضاف إليه ما تأخر في الميزان وسماه التكميل[1]) .

وقد أحال عليه ابن كثير في البداية في مواضيع منها ٦/٧٤-١١٣ ٢٧١ و ١٠/٢١ - ٦١ ، ٧٣ - و ١١/٣٧ - ٥٢ - ٦٧ .

ويوجد منه من هذا الكتاب الجزء التاسع بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٢٢٧ب مصورة عن نسخة بمكتبة دار الحديث المكية ويقع في مجلدين وعددا وراقه ٢٤٠ ورقة . ويوجد لهذا الجزء نسخة مصورة في مكتبة حماد الانصاري .

٣- طبقات الشافعية ، وهو مجلد وسط ومعه مناقب الشافعي رحمه الله وقد أحال عليه في البداية في ١١/٣٦ - ٣٧ - ١٢٣ و ١٣/٥٥ وغيرها والكتاب توجد منه نسخة مصورة بالجامعة برقم ١٨٧١ وتقع في ١١١ ورقة وهي مصورة عن مكتبة الكتاني ، وهي مؤرخة سنة ٧٤١ وفي مكتبة تيمورتيبي برقم ٣٣٦٠ .

٤- مسند الفاروق عمر رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم وهو مرتب على أبواب الفقه فأوله كتاب الطهارة وآخره أحاديث فضائل القبائل والبقاع ويقع في ٤٥٠ صفحة وهو موجود بدار الكتب المصرية برقم ١٥٢ حديث تيمور وتوجد نسخة مصورة في مكتبة حماد الأنصاري بالمدينة المنورة .

٥- رسالة في أحاديث الإشراك .

وتوجد في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد في نحو ٥ ورقات برقم ٧/ ١٣٧٦٢ مجاميع .

٦- الواضح النفيس في مناقب الامام ابن ادريس .

أشار ابن كثير في البداية إليه في ٦/٢٥١ - و ١٠/٢٥١ وما بعدها وهذا الكتاب عبارة عن ذكر نشأة الشافعي ومولده ونسبه وتربيته ، وتوليته الحكم بنجران وحكاية الوشاية التي جرت بينه وبين هارون الرشيد وثناء العلماء عليه ، وما قاله من الحكم والمواعظ والشعر .

وختمه بذكر المسائل التي انفرد بها الشافعي ورتبها على أبواب الفقه .

٧- مسند الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وفيه كما ذكر ابن كثير :- ذكر كيفية إسلام أبي بكر ثم أورد فضائله وشمائله واتبع ذلك بسيرة الفاروق رضي الله عنهما ، واورد ما رواه كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ، وما روى عنهما من الآثار والحكم والفتاوى فبلغ ذلك ثلاث مجلدات .

٨- شعب الإيمان

توجد نسخة مصورة موجودة في الجامعة برقم ٩٧٧ مجموعة من عشر ورقات وهي تقع في ٢ ورقات .

والكتاب عبارة عن شرح حديث الإيمان بضع وسبعون شعبة فقد نص على كل شعبة من شعب الإيمان وأيدها بدليل من الكتاب والسنة مع ذكر درجة الحديث فقال رحمه الله سوف اجمع في تحديد هذه الشعب أحاديث وآثار فلنذكرها ولنتكلم عن كل منها من حيث صحته وضعفه وعزوه وبالله التوفيق (١)

و

ويقع

---

(١) الكتب التي اشارت إلى هذه المصادر كثيرة منها :- الدرر ١ / ٣١٦ - والنجوم الزاهرة ١١ / ١٢٢ وشذرات الذهب ٦ / ٢٣٣ وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ٥٨ وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ٣١١ وما بعدها وطبقات المفسرين ١ / ١١ والبدر الطالع ٢ د ١ والباعث الحثيث وفهرس مخطوطات صبحي السامرائي في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى وكشف الظنون ٢ / ١٨٤٠

رابعـا الكتب التى فى حكـم المفقـود

هناك كتب وردت أسماؤها فى بعض المصادر السابقة الذكر ولكن لـم أقف عليها فى الفهارس المتداولة فى المكتبات التى زرتها وأحسبها من المفقود والعلم عند الله .

وهذه الكتب كثيرة نذكر بعضها أيضا ما تيسر بأذن الله تعالى اذ ليس الغاية حصر مؤلفات الامام ابن كثير لا المطبوع ولا المخطوط فضلا عن شبه المفقود . وتمثل تلك الكتب الآتـى :-

١/ شرح صحيح البخارى .

وقد ذكره ابن كثير فى البداية فقال عند الكلام عن حديث بدء الوحى وتكلمنا عليه مطولا فى أول الشرح لكتاب شرح البخارى فى كتاب بدء الوحـى اسنادا ومعنا ولله الحمد والمنة.(١)

كما ذكره غير واحد من العلماء : منهم ابن حجر : "شرح فى شرح البخارى"(٢)

وقال يوسف بن تغرى بردى : "وكتب على البخارى ولم يكملـه"(٣) .

" ابن العماد الحنبلى : "وشرح قطعة من البخـارى"(٤) .

٢/ جزء فى فضل يوم عرفـة ـــــ ذكره فى التفسير ١/٤٥٤ الشعب

٣/ " " فتح القسطنطينية .

٤/ " " هل الاخوان تسمى اخـوة ذكره فى التفسير ٢/١٦٦ الشعب

٥/ " " الزواج فى سورة النـور .

٦/ احاديث الأصول ذكره فى التفسير ١/٣١٦ الشعب .

٧/ مسألة سماع الغناء بالالحان ذكرها حاجى خليفة ٢/١٠٠٢ .

٨/ مؤلف مفرد فى تحريم الجمع بين الأختين .

٩/ " فيه تراجم شيخه ابن تيميـة .

(٥)

١٠/ جزء في بناء المساجد واحترامها وتوفيرها وتطييبها .

وبعد : فمن هذه الكتب المعروفة لنا من تراث ابن كثير ـ رحمه الله ـ يظهر اتجاهه واهتمامه بالسنة النبوية وعلومها كما يلاحظ عليه روح عصره في مختصراته وشروحه ، وقد يكون لعوامل عدة لعل أبرزها الآتي :

١ـ حروب التتار .
٢ـ ملل النفوس .
٣ـ سهولة الحمل والتداول .

ويظهر ابتكاره في تفسيره ـ تفسير القرآن الكريم ، والمسمى (تفسير القرآن العظيم) .

---

(١) البداية ٣/ ٤ دار الكتب العلمية

(٢) الدرر ١/ ٤٠٠

(٣) النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٤ ، ١٠٢-٣

(٤) شذرات الذهب ١/ ٢٣١

(٥) ينظر في هذه الكتب وغيرها من مصادر ابن كثير تفسير ابن كثير الطبعة الحلبية جـ ١ و ٢ والطبعة دار الشعب ١-٢ ، ١ ، ٢ ، والبداية جـ ٧ ، ٨ ، ١٤ .
وكشف الظنون ١ ، ٢ .

الفصل الثالث
تفسير ابن كثير رحمه الله

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الاول : مصادره .

المبحث الثاني : منهجه .

الفصل الثالث

تفسير ابن كثير

تـوطئـة :-

مما لا شك فيه ان التعرف على مصادر المفسر يمثل الركيزة الاساسية والمنطلق الحقيقي لدراسة منهجه في التفسير إذ لا يمكن استكشاف جهد المفسر وإضافته الحقيقية في التفسير دون الوقوف على المنابع التي استمد منها إذ لا بد من امتداد جسر المعرفة بين ما أفاد وما أعطى فذلك مطلب رئيسي لوضوح الرؤية في إنتاج المفسر وتكوينه .

ثم إن للمصادر دورا رئيسيا في تشكيل منهج المفسر وتكوينه على نحو ما ، وقد تمثل هذا المضمون بجلاء في تلك الملاحظات التي تبديها لجان المناقشة - مناقشة الرسائل العلمية .

ويأتي دور المفسر الحقيقي في الإفادة بما يستعين به من مصادر ، فيتوقف ذلك على مدى موهبته الفطرية ، واستكمال أدواته لاستيعاب معطيات ما يتناوله من المصادر ثم الاضافة عطائه هو للتفسير .

من هنا اقتضتنا الضرورة المنهجية لمعرفة منهج الإمام ابن كثير في التفسير أن ندرس مصادره التي اعتمد عليها وأفاد منها ودخلت في تكوين بنائه التفسيري .

وقد وجدت وأنا أتصور غمار هذا البحث أن مصادر ابن كثير قد بلغت من الشمول والسعة والتشعب والكثرة مدى بعيداً إذ بلغت أكثر من ثلاثين ومائة مصدرا ويرجع ذلك إلى المنهج الذي ارتضاه الحافظ ابن كثير لنفسه والذي يقوم على التفسير بالمأثور فقد ضمن تفسيره قدرا وفيرا من النقول المأثور عن السنة النبوية الشريفة ، وعن الصحابة والتابعين

كما ضمنت الى جانب ذلك رصيدا زاخرا من نقول علماء اللغة وأقوال كبار المفسرين وخصوصا الغالب عليهم الطابع الأثري ... الأمر الذي اقتضى أن يفرد لهذه المصادر بحثا - وإن كنت لست أهلا لذلك لضعف بضاعتي - لتفصيلها بعض الشئ وايراد النماذج التي تصور مدى الاستمانة بها توطئة ومدخلا للتعرف على مدى افادة ابن كثير منها في منهجه التفسيري .

المبحث الاول

مصادره

المبحث الاول — مصادره

اولا : القرآن الكريم :

لا ريب ان أعظم ما يفسر القرآن الكريم هو القرآن نفسه ، فقد أجمع العلماء على اعتباره المصدر الأول للتفسير .

يقول السيوطي : ((من أراد تفسير القرآن الكتاب العزيز طلبه من القرآن الكريم فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان . فقد بسط في موضع آخر ، وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه)) وأشرت الى أمثلة منه في نوع المجمل (1))) .

ثانيا : كتب التفسير :

ويبقى أن تكون كتب التفسير قد حازت السبق في تلك المصادر وكان عليها الإعتماد - بعد الله سبحانه تعالى - وفيما يلي بيان تلك المصادر بشيء من التفاصيل

وان استفادته من كتب التفسير كانت على درجات ، إذ يظهر جليا أنه جعل الطبري المتوفى ٣١٠ مصدره الأصيل ، إذ لا تكاد تمر آية إلا وابن كثير - يذكر قولا للطبري أو رأيا من آرائه من حديث وشر وغير ذلك كالأخبار الإسرائيلية بل وإنكار الطبري لبعض القراءات المتواترة أيضا يذكرها .

كما أنه نقل عن تفسير ابن أبي حاتم المتوفى سنة الذي يعتبر المصدر الثاني له فقد نقل عنه أحاديث جمة وآثارا ضخمة مع ما فيها ، .

لكن الامام ابن كثير لم يكتف بمجرد النقل ، بل قام ينبه قارئ كتابه على تلك الأحاديث والآثار ، وبين صحيحها من ضعيفها . . . . وهل هي من الإسرائيليات أولا في كثير من الحالات .

---

(1) الاتقان في علوم القرآن للعلامة جلال الدين السيوطي ٢ / ٢٢٥ طبعة الحلبي الطبعة الرابعة .

٣- التفسير الكبير للفخر الرازي ((مفاتيح الغيب))

وبديهي أن استفادته من الرازي في النواحي التي برز فيها وغيرها فمثلا نجد ابن كثير في مقدمة تفسيره يعقد فصلا باسم ((تفسير الإستعاذه وأحكامها)) .

فيبين آراء العلماء في الاستعاذة هل هي قبل القراءة أو بعدها . فيحكي قول طائفة من القراء وغيرهم : انهم يتعوذون بعد القراءة واعتمدوا على ظاهر سياق الآية ((فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)) (١)

ولدفع الاعجاب بعد فراغ العبادة قال ابن كثير : ((ونقله محمد ابن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه)) (٢) .

٤- الجامع لاحكام القرطبي (٣)

واستفادته من القرطبي في الأحكام الفقهية التي هي السمة البارزة في كتاب القرطبي وغيرها - واليك مثالا لما نقله ابن كثير عن القرطبي وهو ما جاء في أثناء شرحه لسورة الفاتحة ، وهل هي مدنية أو مكية فنقل عنه ان نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة (٤) .

---

(١) النحل ((٩٨))

(٢) تفسيره ١/١٣ ط حلبي وانظر مفاتيح الغيب . التفسير الكبير ١/٥٦ ط الاولى .

(٣) هو الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الانصاري الخزرجي وكان ممتنا لمذهب اهل السنة والجماعة ، ويراه المذهب الجدير بالاتباع وسار في تفسيره على هذه العقيدة ودافع عنها ، وهاجم المعتزلة والشيعة وغيرهما ممن لا يدين بهذا المذهب فمثلا عند قوله تعالى : (قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم) الاعراف الآية ١٦ نراه يؤيد صحة ما قلته عنه سابقا اذ يقول: مذهب أهل السنة أن الله أضله بأن خلق فيه الكفر ولذلك نسب الاغواء الى هذا الى الله تعالى . وهو الحقيقة ، فلا شيء في الوجود الا وهو مخلوق له صادر عن ارادته ثم قال : وخالفت الامامية - وهي فرقة من فرق الشيعة والقدرية - لقب للمعتزلة لأنهم ينسبون أفعال العباد الى قدرتهم =

٥- الكشـــاف للزمخشـــــري (١)

إن استفادته من تفسير الزمخشري تكاد تكون في مواضع معدودة ، فمثلا في اسماء سوره الفاتحة نقل ابن كثير عنه أن من اسمائها الصلاة و الكنز. (٢)

و انظر اليه ايضا عند قوله تعالى : (و ما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا ...) ٥٩ القصص قال ابن كثير : وقيل المراد بقوله (حتى يبعث في أمها رسولا) أي أصلها و عظيمها كأمهات الرساتيق و الأقاليم . حكاه الزمخشري و غيره و ليس ببعيد . (٣)

= و غيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كلما زينه لهم ، و لكنهم لم يطاوعوه في هذه المسئلة .... أنظر تفسيره ص ٧ ص ١٧٥ و تفسيره مطبوع في عدة طبعات و قد أثنى عليه كثير من العلماء من ذلك قول الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في تاريخه .. و قد سارت بتفسيره - أي بتفسير القرطبي - العظيم الشأن الركبان - توفي القرطبي عام ٦٧١ هـ .

(٤) تفسيره ج ١ ص ٨ و انظر القرطبي ج ١ ص ١١ ج ١ د احياء التراث العربي

(١) الزمخشري : هو محمود ابن عمر ابن محمد الخوارزمي ولد سنة ٤٦٧ هـ و تفسيره مطبوع و هو عمدة في البلاغة كما أن تفسيره عمدة التفاسير الإعتزالية توفي سنة ٥٣٨ .

(٢) تفسيره ج ١ ص ٨ و انظر الكشاف ج ١ ص ٢٢ و ٢٤ ط الحلبي ١٣٨٥ هـ

(٣) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٥٨ الشعب و الحلبي ج ٣ ص ٣٦١ و انظر الكشاف ج ٣ ص ١٨١ ط الحلبي ١٣٨٥ هـ .

(١)

٦- تفسير ابن مردويـــة

مثال ذلك قال ابن كثير : قال الحافظ أبوبكر أحمد بن موسى ابن مردوية تفسيره حدثنا أحمد بن محمد بن زياد وساق سنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الحمد لله رب العالمين سبع آيات ، بسم الله الرحمن الرحيم إحداهن ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهي أم الكتاب ، وفاتحة الكتاب)) علق ابن كثير عقبه بقوله : وقد رواه الدارقطني(٢) أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بنحوه وقال كلهم ثقات.(٣)

(٤)

٧- تفسير ابن عطيـــة

مثال ذلك : - قال ابن كثير : قال وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : ((من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن)) فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد ، قال ابن كثير بعده : ذكره ابن عطية(٥) والقرطبي ونصره بحديث لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها بقول الرجل : ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفا.(١)

---

(١) هو الحافظ ابوبكر احمد ابن موسى بن مردوية ....

(٢) هو أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني امير المؤمنين في الحديث المتوفى عام ٣٨٥هـ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦ ط الحلبي .

(٤) هو ابو محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الاندلسي ولد عام ٤٨١ وتوفي عام ٥٤١ وقيل غير ذلك وتفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز طبع من عشرة أجزاء حتى الآن المغرب باشراف وزارة الاوقاف وطبع من جزئين فيما . أعلم - بمصر بتحقيق الأستاذ احمد الملاح قال شيخ الاسلام ابن تيمية ت (٧٢٨هـ عنه وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري واضح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع وان اشتمل على بعضها بل هو خيرا منه وأسلم من البدعة من تفسير - الزمخشري . (مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٣)

(٥) هو ابن عطية الغرناطي لأن هناك ابن عطية الدمشقي .

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٨-١٩ حلبي وانظر المحرر الوجيز ١/ ١٠ بتحقيق أحمد الملاح والقرطبي ١/ ١٢ دار احياء التراث العربي ببيروت .

٨- البغـــــــــوى (١)

مثال ذلك قال ابن كثير في تفسيره : وحكى البغوى عن سعيد بن المسيب (٢) انه قال : ((لله ألف علم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر ، وقال وهب بن منبه (٣) ((لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها . وقال مقاتل : ((العوالم ثمانون ألفا)) وقال كعب الأحبار (٤) : ((لا يعلم عدد العوالم الا الله عز وجل نقله كله البغوى (٥) قلت وهذا المذكور كله عند تفسير قوله تعالى : (رب العالمين (٦)) وليس هناك حديث صحيح أو حسن أو ضعيف تعدد طرقه تقوى بعضها يذهب اليه البغوى ومثال آخر في مادة عند قوله تعالى : (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)) (٧) .

نجد أن ابن كثير - رحمه الله - يسوق أقوال كثير من المفسرين في معنى الآية ومن بينهم البغوى حيث يقول : قال البغوى : (المحسنون الأنبياء والمؤمنون) يعني أظهرنا فضله عليهم أهـ قال ابن كثير كقوله تعالى : (قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي (٨)) ولا يلزم اصطفاءه على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والخليل عليهما الصلاة والسلام لأدلة أخرى (٩) .

---

(١) هو في السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعي المتوفى سنة ١٦ هـ نهج في كتابه التفسير نهج الحديث والسنة في اثبات الصفات ومخالفة أهل الاهواء في ذلك . وتفسيره مطبوع على هامش تفسير الخازن في مجلدات ، فطبع أيضا مع تفسير ابن كثير في سنة ١٣٤٧ هـ الطبعة الاولى بمطبعة المنار بمصر وأيضا طبع لوحده في ٤ مجلدات بتحقيق خالد عبد الرحمن العك مروان سوار الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

(٢) سعيد بن المسيب من كبار التابعين (ت بعد ٩٠هـ) .

(٣) سيترجم له في اشهر رواة الاسرائيليات .

(٤) سيترجم له في اشهر رواة الاسرائيليات .

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٤ ط حلبي والبغوى .

(٦) الاية ١ من سورة الفاتحة .

(٧) الاية ١٥٤ من سورة الانعام .

(٨) الاية ١٤٤ من سورة الاعراف .

(٩) تفسير ابن كثير ص٢ ص٣١٤ ط الشعب وانظر الحلبي جـ٢ ص١٦٢ والبغوى .

٦- تفسير ادم بن ابى اياس[1]

و مثال ذلك ما ذكره ابن كثير في سياق قصه موسى و بنى اسرائيل في شأن القتيل عند قوله تعالى : ((واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة[2] . الاية) فقال في نصه : ((وقال آدم ابن أبى اياس في تفسيره أنبأنا ابو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية في قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال : كان رجل من بنى اسرائيل و كان غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب و كان وارثه فقتله ليرثه ، ثم ألقاه على مجمع الطريق و أتى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال له إن قريبى قتل وانى الى أمرعظيم . . .الخ سياق تلك القصة المشهورة[3] .

١٠- تفسير وكيع بن الجراح[4]

و مثاله ما جاء في تفسير قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى و يريكم آياته لعلكم تعقلون)[5] قال ابن كثير رحمه الله - : و قال وكيع بن الجراح في تفسيره : ((حدثنا النظر بن عربى عن عكرمة (فقلنا اضربوه ببعضها ، فضرب بفخذها فقام فقال قتلنى فلان))[6]

---

(١) هو المحدث الإمام الزاهد ابو الحسن الخرساني المروزى ثم الدمشقى سمع الليث و طبقته ، روى عنه البخارى وابو زرعه الدمشقى وغيرهما .قال ابو حاتم : ثقة مامون متعبد من خيار عباد الله انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٩

(٢) البقرة (٧٢) .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص١٥٤ و ١٥٥ ط الشعب وانظر الحلبى جـ ١ ص١٠٨

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح ابو سفيان الرواسى الكوفى سمع جماعة منهم الثورى والأعمش روى عنه احمد ومنهم هشام بن عمار ت ٩٦ تاريخ بغداد ١٣/٤٩٦ ط وتهذيب الكمال ١٤٦٢

(٥) البقرة (٧٣) .

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص١١٠-١١١ ط والشعب والحلبى جـ ١ ص١١٢ .

١١- تفسير أبي علي[1]

و مثاله : قوله تعالى : (وإن منها لما يهبط من خشيه الله)[2]

قال ابن كثير : قال أبو علي الجبائي في تفسيره (وان منها لما يهبط من خشية الله) هو سقوط البرد من السحاب[3] لكن ابن كثير لم يرض بهذا التفسير إذ قال : وهذا تأويل بعيد[4] لانه خروج عن اللفظ بلا دليل والله اعلم

١٢- تفسير علي بن أحمد الواحدي[5]

و مثال لما نقله ابن كثير عنه عند تفسير قوله تعالى ((حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى ...))[6] حيث ذكر اقوال كثير من المفسرين في معنى ((الصلاة الوسطى)) و من بينهم الواحدي فقال : وقيل : إنها الوسطى العشاء الأخيرة ، إختاره علي بن احمد الواحدي في تفسيره المشهور - اهـ .[7]

---

(١)

(٢) البقرة ٧٤

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١١٢ ط الحلبي .

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ١١٢ نفس الطبعة .

(٥) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي الميساقوري الشافعي توفي عام ٤١٨ هـ . ووصفاته كثيره في التفسير وعلوم القرآن و النحو والادب والعلوم الاخرى ومن مصنفاته في التفسير ،البسيط في تفسير القرآن الكريم وهو تفسير كبير ويقع في ستة عشر مجلدا كما ذكره صاحب شذرات الذهب ٣ / ٣٢٠ وذكر ((بروكلمان في تاريخ الأدب العربي إنه سبعة عشر مجلدا وهو مخطوط إلى الآن وتوجد بعض نسخه بمصر وهي غير كاملة ثم تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم وهو التفسير الوسط -للواحدي - بين الوجيز والبسيط و الوجيز ويسمى هذا التفسير الوسيط بين المقبوض والبسيط ، وهو مخطوط وتوجد نسخه في دار الكتب بمصر وفي المكتبة الظاهرية بدمشق ، ثم تفسير الوجيز في تفسير القرآن الكريم وهو التفسير الوحيد المطبوع للواحدي حيث طبع بمصر سنة ١٣٠٥ هـ على هامش كتاب التفسير المنير لعالم التنزيل ط عيسى الحلبي) ، وله غير ذلك من المصنفات في التفسير وغيره انظر الواحدي ومنهجه في التفسير ، وهي رساله دكتورة قدمها جودة محمد مهدي بجامعة الأزهر وطبعت الرساله على نفقة الجامعة

(٦) البقرة آية (٢٣٨) .

(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٣٤ ط الشعب وقارن بالحلبي ج ١ ص ٢١٤ .

١٣- تفسير أبي بكر بن المنذر (١)

ومثال ذلك : عند قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله (٢)) ذكر ابن كثير عند قوله تعالى وابتغاء تأويله حديثا عن مسند الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي أنزل عليك الكتاب ... منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات (٣) الى قوله (أولو الألباب) فقال صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم) ثم قال ابن كثير ورواه ابوبكر بن المنذر (٤) في تفسيره ....

١٤- تفسير سنيد بن داود (٥)

ومثاله ما ذكره ابن كثير عند قوله تعالى (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ...) (٦) فعند هذه الآية قال ابن كثير : وقال سنيد بن داود في تفسيره : حدثنا أبو الاحوص عن طاوس عن طاوس بن عبد الرحمن عن قيس قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما أيقع الرجل على امرأة وابنتها مملوكتين له ؟ فقال أحلتهما آية وحرمتهما آية ، ولم أكن لافعله (٧).

قلت قوله ابن عباس : أحلتهما آية يشير الى قوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٨)) وقوله وحرمتهما آية يشير الى قوله تعالى (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم (٩))

---

(١) آل عمران ((٧))
(٢) " " "
(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٥-٦ ط الشعب والحلبي جـ ١ ص٣٤
(٥) ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥٦ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٦٩
(٦) النساء آية ((٢٣))
(٧) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص٢٢٠ ط الشعب والحلبي جـ ١ ص٤٧١
(٨) المؤمنون (٥ - ٦)
(٩) النساء ((٢٣))

هو ما ذكره

و مثال آخر لما نقله ابن كثير عن تفسير سنيد بن داود عند قوله تعالى :

(وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة و اذكروا ما فيه لعلكم تتقون)(١)

٥١- تفسير الحافظ أبو اسحاق(٢)

و مثال لذلك ما جاء عند قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك(٣) فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما)

حيث قال ابن كثير : قال الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن رحيم في تفسيره " حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى للمحق على المبطل فقال المقضي عليه لا أرضى فقال صاحبه : فما تريد ، قال ان نذهب الى أبي بكر الصديق فذهبا إليه ، فقال الذي قضي له قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لي فقال أبو بكر : انتما على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى عليه صاحبه أن يرضى ، وقال نأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه .....الخ فنزلت ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية))(٤)

قلت ذكر نحوه السيوطي في لباب النقول في اسباب النزول وقال : أخرجه ابن ابي حاتم و ابن مردويه الا أنه عقب على ذلك بقوله : مرسل غريب في إسناده ابن لهيعة و جعل الأثر الذي ذكره ابن كثير هنا شاهد على ذلك الحديث(٥) .

---

(١) الأعراف (١٧١) و انظر تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٩٦ - ٥٠٠ الشعب والحلبي . جـ٢ ص ٢١٠

(٢) هو الحافظ ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن رحيم

(٣) النساء (٦٥)

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٣٠٨ الشعب والحلبي جـ١ ص ٥٢١

(٥) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٧٣ ط دار احياء العلوم بيروت الطبعة الاولى ٧٨ م

(١)

١٠٦- تفسير عبد بن حميد

ومثال ذلك قول الحق -تبارك وتعالى- : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)(٢)

قال ابن كثير ـــــــ رحمه الله ـــــ: ((وقال الليث(٣) ابن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال : حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية(٤) على صف العدو حتى فسرنه ومعنا أبي أيوب الأنصاري(٥) ، فقال ناس القى بيده إلى التهلكة فقال أبي أيوب : ((نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا ، صحبنا رسول صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه ، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار نجيا فقلنا قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشى الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيها فنزل فينا (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)

فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد رواه عبد بن حميد في تفسيره وغيره كالترمزي(٦)

---

(١) [illegible]

(٢) البقرة (١٩٥)

(٣) الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) من أتباع التابعين

(٤) مدينة تركيا تسمى اليوم اسطنبول

(٥) هو خالد بن زيد الأنصاري الذي نزل عنده الرسول صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة المنورة ودفن تحت أسوار القسطنطينية

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٣١ ط الشعب والحلبي ١/ ٢٢٨ وذكر نحوه السيوطي في أسباب النزول ص ٣٧ .

١٧- تفسير العـــوفي(١)

و مثال ذلك ما ذكره ابن كثير عند قوله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)(٢)

فقال : ((وقال العوفي في تفسيره عن ابن عباس (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فجعل الله منهم القردة و الخنازير ، فزعم أن شباب القوم صاروا قردة و إن المشيخة صاروا خنازير(٣) .

١٨- تفسير شجاع ابن مخلد

مثال ذلك ما ذكره ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى : (وسع كرسيه السموات والارض)(٤) فقال : وقال شجاع ابن مخلد في تفسيره (اخبرنا ابو عاصم عن سفيان عن عمار الذهبي عن سلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) قال كرسيه موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره الا الله عز وجل)(٥) ... الخ و قد علق ابن كثير عقبه فقال . وهو غلط

---

(١)

(٢) البقرة (٦٥)

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٥١ ط الشعب والحلبي ١/ ١٠٥

(٤) البقرة (٢٥٥)

(٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٧ ط الشعب والحلبي ١/ ٣٠١

(١)

١٦- زاد المسير لابن الجوزى

مثال ذلك ما ذكره ابن كثير - رحمه الله - عند قوله تعالى : (٢)
(خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد)
فقال وقد اختلف المفسرون فى المراد بهذا الاستثناء على أقوال كثيرة :
حكاها الشيخ أبوالفرج الجوزى فى كتابه زاد المسير ، وغيره من علماء المفسرين
واختار هو ما نقله عن خالد ابن معدان والضحاك وقتادة وابن سنان
وعن ابن عباس والحسن رضى الله عنهم . أن الاستثناء عائد على العصاة من
أهل التوحيد ممن يخرجهم الله الى النار بشفاعة الشافعين من الملائكة
والنبيين والمؤمنين حتى يشفعون فى أصحاب الكبائر . . . الخ (٣) .

قلت : ذكر ابن الجوزى أقوال العلماء فى هذا الاستثناء وأوصلها
الى ستة اقوال ثم اختار الذى اشار اليه ابن كثير .

---

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن على القرشى التيمى البكرى المعروف بابن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) واسم تفسيره (زاد المسير فى علم التفسير) وهو مطبوع فى مجلدات تربو على تسع وطبع عدة طبعات كطبعة المكتب الاسلامى عام ٨٤ هـ ٦٤ م وتفسيره فيه آثار جيدة كما ان هناك اخبار اسرائيلية التى اغناها الله عنها بما هو اصح منها وأنفـــــع

(٢) هود (١٠٧)

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٤١٠ حلبى ، وتفسيره ٤ / ٢٨١ الشعب وانظر زاد المسير لابن الجوزى جـ ٤ ص ١٤٠ - ١٤١ طبعه المكتب الاسلامـــى

وبعدهؤلاء مجموعة كبيرة من أشهر المفسرين إن لم يكن أشهرهم بلغوا قرابة عشرين مؤلفا نقل منها ابن كثير - رحمه الله - على تفاوت ، مع ملاحظة أنه يمكن تصنيفها إلى مصادر أولية أو أساسية كالطبري وابن أبي حاتم وابن مردوية وعبد بن حميد ، وإلى مصادر ثانوية كبقية كتب التفسير التي ذكرت آنفا مع ملاحظة أن ابن كثير لم يكن عمله مجرد النقل الحرفي من تلك المصادر فقط بل نقل بتصرف وصاغها بأسلوبه بعد أن هضم المعاني كما أنه يبدي وجهة نظره ويناقش تلك الأقوال واكتفى بمثال واحد لهذا العمل الكبير والجهد الجبار وهو ما ذكره الشيخ - عند قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)(١) فقال - رحمه الله - قال أبو جعفر الطبري : معنى (الحمد لله) الشكر لله خالصا دون سائر ما يعبد من دونه ...

ثم أضاف ابن كثير يقول : وقال الطبري : وقد قيل : إن قول القائل : الحمد لله ، ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنى وقوله : الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه ، ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يرقمون كلا منهما الحمد والشكر مكان الآخر(٢) اهـ وعقب ذلك علق ابن كثير على قول الطبري بقوله : وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر ، لأنه اشتهر عند كثير من العلماء المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان ....

ولكنهم اختلفوا : أيهما أعم الحمد أو الشكر ؟ على قولين والتحقيق(٣) أن بينهما عموما وخصوصا ... فالحمد أعم من الشكر ... الخ

---

(١) الفاتحة : (١)

(٢) تفسير الطبري جـ ١ ص الحلبي وانظر ابن كثير جـ ١ ص ٣٧ دار الشعب

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٧ الشعب

الرحيقة

فانت تلاحظ مناقشة ابن كثير الرائعة و إفادته ، وهكذا سار في مناقشته لأقوال المفسرين في تفسيره تفسير القرآن الكريم .

ثانيا كتب السنة

ولما كانت السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي والشارحة للكتاب الكريم ولما كان الأمر كذلك فان ابن كثير قد استفاد منها استفادة تامة ، وكما سبق في فصل : منهج ابن كثير - أن أوضحت أن ابن كثير محدث من الدرجة الأولى وناقد فذ ، غلبت على الصبغة الحديثية ، ويظهر ذلك جليا في استنداده للصحاح والسنن والمسانيد والمستدراكات والمستخرجات وغيرها من كتب الحديث ، وهذه أسماء الكتب التي استفاد منها ابن كثير من كتب الحديث الصحاح

أ / صحيح البخاري ؛ وصحيح مسلم موطأ مالك

ب / السنن ؛ أبو داود ، النسائي ، الترمذي ، ابن ماجه ، البيهقي سعيد بن منصور ، المزي الأحوذي في شرح الترمذي لابن العربي

ج / المسندات :

مسند احمد ، الدرقطني ، الحافظ ابو يعلى ، الدارمي ، عبد الرازق البزار ، الشافعي ، الحميدي ،

د / المستدركات :

مستدرك الحاكم .

هـ / المستخرجات :

البرقاني ، المستخرج على الصحيحين للمقدسي .

و / المعاجم الحديثية :

المعجم الكبير للطبراني ، معجم البغوي .

ن / كتب اخرى فى الحديث ايضا :

صحيح ابن حبان ، مشكل الحديث لابى جعفر الطحاوى ، صفة الجنة لابى عبدالله المقدسى ، الموضوعات لابن الجوزى ، كتاب السنة لابى عاصم الاربعين لابى الفتح .

ع / كتب فى معرفة الرجال :

تاريخ بغداد ، تاريخ ابن عساكر ، الجرح التعديل لابن ابى حاتم معرفة الصحابة لابن مندة الاستيعاب لابى عمرو ،

ط / كتب فى علوم القرآن الكريم :

الناسخ والمنسوخ لابى عبيد فضائل القرآن لابى عبيد القاسم بن سلمان ابو اسحاق الزجاج فى معانى القرآن الكريم ، كتاب الغريب لابى عبيد .

ى / كتب فى النبوة والسير :

سيرة ابن هشام ، دلائل النبوة للبيهقى ، النسب للزبير بن بكار الاموى فى مغازيه دلائل النبوة لابى زرعة ، خليفة ابن خياط ، دلائل النبوة للاصفهانى ، التنوير فى مولد السراج المنير للحافظ ابو الخطاب عمر بن دحية

ك / كتب الفقه والاصول :

الاملاء ، والام للشافعى ، كشف الغطاء فى تبيين الصلاة الوسطى للدمياطى ، المختصر للشافعى ، القرأة خلف الامام للبخارى ، الاحوال الشرعية وبيان جهتها ومصارفها لابى عبيد بن سلام ، الصلاة للمروزى ، نوادر الاصول للترمزى .

س / كتب التوحيد :

كتاب التوحيد لابن خزيمة ، الرد على الجهمية لابن حنبل ، الاعتقاد للبيهقى .

ع / كتب اللغة : ومثال ذلك (1)

الصحاح للجوهرى ، والفراء قال تعالى : فراغ عليهم ضربا باليمين

---

(1) الصافات ٩٣

و قال الفراء :معناه مال عليهم ضربا باليمين وقال قتادة والجوهرى فاقبل عليهم ضربا باليمين تفسيره ج ٤ /١٢ حلبى وانظر معانى القرآن للفراء والصحاح للجوهرى .

قال تعالى :(ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير (الآية ١٠ سبأ) .

و قال عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى فى كتابه الجمل فى باب النداء منه (يا جبال أوبى معه) أى سيرى معه بالنهار كله ،والتأويب سير النهار كله ،والإسآد سير الليل كله . أهـ .

قال ابن كثير عقبه وهذا لفظه وهو غريب جدا لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من بعض اللغويين فى اللغة ولكنه بعيد فى معنى الاية هذا ،والصواب ان المعنى فى قوله تعالى - (أوبى معه) أى رجعى مسبحه معه والله اعلم (تفسيره ج ٣ /

ز/ كتب اخرى :

المحلى لابن حزم الظاهرى ، الاشراف على مذاهب الاشراف لابن هبيرة ، المختار للحافظ الضياء الشفاء للقاضى عياض ، التفكر والاعتبار لابى الدنيا ، الايجاز فى علم الفرائض للبصرى ، الاستذكار لابن عبد البر ، الايضاح لابى على الطبرى ، الافصاح ، الشرح الكبير للرافعى التذكرة للقرطبى الشامل للصباغ والانواع والتقاسيم لابى حاتم النهاية للجوينى الاربعين لابى الفتوح ، الهداية للمرغينانى ، الزهد لابن حنبل ، الافصاح لابى على وجزء الجراد لابن عساكر ، المستقصى للحافظ البهائى .المشهور للسخاوى المعرفة لابى يعلى ، شرح المهذب للنووى ، الخمول لابن ابى الدنيا المعارف لابن قتيبه ،تهذيب الاسماء للنووى مكارم الاخلاق للخرائطى العجائب لابن المنذر ابو عبيدة .

هذه بعض مصادره التى صرح الشيخ ابن كثير بذكرها فى تفسيره وله مصادر اخرى شفهية كتلك التى تلقاها من عدد كبير من شيوخه البارزين كشيخ الاسلام ابن تيمية والمزى والذهبى كما يلاحظ ان ابن كثير كثيرا ما يحيل على بعض كتبه تارة ،وتارة على كتب غيره من غير ذكرهم وتارة يقول وذلك مبسوط فى غير هذا الموضع . من دون تحديد لذلك المكان المبسوط فيه الموضوع الذى يتحدث عنه

ومن خلال هذه المصادر يتبين منهج ابن كثير ، حيث استفاد من هذه الكتب وغيرها ، مع ملاحظة انه لم ينقل من السابقين فقط بل حاول هضم المعانى وابرازها فى معانى جيدة فى كثير من الحالات .

المبحث الثانى

منهجه

(المبحث الثاني)

((منهج الامام ابن كثير في تفسيره))

تمهيد :

يقوم الجهد الحقيقي للمفسر بمدى توفر الأصالة المنهجية في تفسيره ، ويحتسب في زمرة المبرزين في هذا الميدان من تفرد في منهجه وتميز عمن سواه من فرسان هذه الحلبة ، وما أكثر هؤلاء الفرسان ، وما أقل الرواد منهم .

ومن ثم كانت الغاية القصوى التي يرنو اليها الباحثون في نتاج المفسرين وتقويمه علميا ، هي اختيار المنهج الذي ارتضاه المفسر لنفسه والوقوف على مدى ما أحرزه في تطبيقه من نجاح .

وقد برقت لي - منذ الوهلة الأولى في دراسة تفسير الامام ابن كثير - لوامع الأصالة ونطقت دلالات الريادة ، فقد أودع ابن كثير في مقدمة تفسيره - تفسير القرآن العظيم - نظريته في التفسير ، وأفرغ في تحليلها خلاصة تجربته العلمية الطويلة الحافلة ، وقد كانت بذور هذه النظرية كامنة في قرار ملكته العلمية واستعداده الفطري التواق الى استكناة أسرار لغة القرآن والكشف عن غوامض معانيه .

فكتب التفسير التي ألفت من بدء عصر التدوين - حين دون التفسير بجانب الحديث النبوي الشريف - وكان أشهر من دون ذلك يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة ١١٧هـ ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـ ، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧ وغيرهم .(١)

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٤١ .

ثم تلت تلك الخطوة - تدوين التفسير بجانب الحديث الشريف - خطوة انفصال التفسير عن الحديث ، وتم ذلك على أيدى طائفة من العلماء منهم الطبرى المتوفى سنة ٣٢٠هـ وغيره .(١)

ثم تلت ذلك خطوات عديدة امتدت الى عصرنا الحاضر ، كتب التفسير تلك الناظر اليها يجدها متعددة المناهج مختلفة فى مادة تفسيرها وفى أسلوبها ، وفى طريقة عرضها .

أ - فمنها ما يغلب عليها طابع التفسير بالمأثور كابن جرير الطبرى والدر المنثور للسيوطى المتوفى سنة ٩١١ ، والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسى ت ٥٤١ هـ ، ومعالم التنزيل للبغوى ت ٥١٦ .

ب - ومنها ما هو مترع بالخلافات النحوية والصرفية كتفسير البحر المحيط لابى حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ وغيره .

جـ - ومنها ما هو ممتلئ بالمجادلات الكلامية والفلسفية كتفسير الفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ .

د - ومنها ما غلبت عليه الصبغة الفقهية كأحكام القرآن لابى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣هـ ، والجامع لاحكام القرآن للقرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ .

---

(١) المصدر السابق ١/١٤١ .

الأمر الذى أقلق العقول ، وجعلها تتحير فى أمر تحصيلهـــــا مما تقرأ ،

، اذ الغاية الكبرى من وراء دراسته لهذا العلم هـــى تهذيب القلوب ، وتطهير النفوس ، والوقوف على الأحكام الشرعية .

وأظن - بل اعتقد - أنها أمور لا تقضى بالخوض فى مشكلات النحـو وغوامض الكلام ومآزق الفلسفة .

وابن كثير - رحمه الله - قد اختار لنفسه منهجا وسطا معتـــدلا ضمن تلك المناهج المتعددة يكاد يكون أفضلها ، وأبعدها عن التكلـف اذ قد جمع فى تفسيره بين التفسير بالمأثور ، وبين قليل من المباحـــث الفقهية ، والكلامية ، واللغوية ، والتاريخية ، والعقيدية .

وقد كتب كل ذلك باسلوب سلس العبارة ، مهذب الألفاظ ، تغلب عليه ظاهرتان هما خبرة المحدث الناقد ، وطبيعة المؤرخ الواعى .

وكان لابد لنا من هذه الوقفة بين يدى المنهج لنمهد أرض البحث بهذه الرؤية الأفقية المختصرة ، وسنطرح سؤالا واحدا ، هو هل التزم فـى تفسيره بتلك النظرية التى رسمها ؟

ذلك وغيره مانبغى التعرف عليه والتوصل اليه فيما يلى :

منهج الحافظ ابن كثير فى تفسيره :
==========

منهج الحافظ ابن كثير يتضح للعيان من الوهلة الأولى ، فتقدمه بتلك المقدمة اللطيفة ساعدت كثيرا على فهم تفسيره .

فهو يشرح الآيات الكريمات بأسلوب سهل واضح ، لا لبس فيـــه ولا غموض ،

ولنبدأ بتخليص منهجه كما رسمه بنفسه .

الأول : تفسير القرآن بالقرآن :

أى تفسير الآية بآية أخرى ، والمقارنة بين الآيتين ، ليتبين المعنى ، وهو حريص جدا لهذا النوع من التفسير القرآن بالقرآن .

والذى حاول فيه الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى المتوفى سنة ١٣٩٣هـ السير عليه فى كامل القرآن الكريم فى كتابه المسمى أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن (١) .

مثال ذلك ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى : " وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين " (٢) .

قال ابن كثير : وقد اختلف المفسرون فى مكان الربوة من أى أرض هى ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بمصر ، وقال سعيد بن المسيب هى دمشق ، وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : هى الرملة من فلسطين ، ثم قال ابن كثير أخيرا : وأقرب الأقوال فى ذلك ماروواه العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية المذكورة " المعين" الماء الجارى وهو النهر الذى قال الله تعالى : " قد جعل ربك تحتك سريا " ، وكذا قال الضحاك وقتادة الى ربوة ذات قرار ومعين ، بيت المقدس ، فهذا والله أعلم هو الأظهر ، لأنه المذكور فى الآية الأخرى والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ، وهذا أولى مايفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة المتواترة " أ هـ (٣) .

---

(١) وقد اتم المؤلف بيده ، سبعة اجزاء ، ثم أتم الشيخ عطية سالم القاضى بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة ، والمدرس بالمسجد النبوى الشريف ، اتم بقية الاجزاء ، فبلغت الاجزاء تسعة ، وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة المدنى .

(٢) المؤمنون " ٥٠ "

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٧٠ الشعب ، وقارن بالحلبى ٣/ ٢٤٦ .

الثانى : تفسير القرآن بالسنة :

سبق فى التمهيد السابق أننى أشرت الى أن الصبغة الحديثية ظاهرة واضحة فى تفسيره لأسباب لعل أبرزها : أنه محدث ناقد ، وأنه اعتمد فى مصادره على كتب الستة المعتبرة ، الصحاح والسنن ، ولعل ذكره للأحاديث المتعلقة بالإسراء والمعراج أكبر دليل على ماذهبت اليه حيث ذكر معظم ماورد فى تلك الحادثة العظيمة من الأحاديث الواردة فيها ، الأمر الذى حدى ببعض العلماء أن يجرد الاسانيد ويخرجه فى كتاب مستقل .(١)

ومن الامثلة لهذا النمط من التفسير - تفسير القرآن بالسنة - قوله تعالى : "يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " .(٢)

فيقول ابن كثير : وفى جملة المسائل الحديثية - علم الحديث الشريف - يشير الى كتابه شرح البخارى للرجوع اليه فهو قد أسهب فيه فلا داعى لاشغال تفسيره بذلك الحديث والافاضة مرتين .

كما أنه يذكر فى الآية الواحدة عدة أحاديث قد يكون ظاهرها التعارض ، ثم بعد فراغه يذكر خلاصة تلك الأحاديث فى عبارة سلسة ، وهو أسلوب جد عظيم ، ومثال ذلك ماذكره عند تفسيره لقوله تعالى : "أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر " .(٣)

ومن أراد التحقق مما ذكرنا أو معرفة تلك الأحاديث فلينظر اليه .(٤)

---

(١) اسم الكتاب " الاسراء والمعراج " تحقيق وتنسيق اسماعيل الانصارى

(٢) سورة البقرة آية (١٨٣) .

(٣) سورة البقرة آية (١٨٤) .

(٤) تفسيره ١/٣٠٥ - ٣٠٨ الشعب ١/٢١٤ - ٢١٥ حلبى .

الثالث : تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة :

مثال ذلك ماذكره عند قوله تعالى : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين "[1] حيث نقل أقوالا كثيرة عن الصحابة رضوان الله عليهم ، حاصلها الآتى :

ان منهم من يقول : ان الآية منسوخة كابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما رضى الله عنهم جميعا ، ومنهم من يقول : بعدم نسخها كابن عباس رضى الله عنهما .

ثم فصل ابن كثير القول بعد ذلك بقوله : " ان النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بايجاب الصيام عليه ، بقوله تعالى : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " .[2]

وأما الشيخ الفاني ... فله أن يفطر ولا قضاء عليه .[3]

الرابع : وهكذا يفسر بأقوال التابعين - اذا لم يجد آية قرآنية أو حديثا نبويا شريفا أو اثرا عن الصحابة -

وهذا المسلك من ابن كثير جد طيب ، وأما التفسير بالرأى فانه يراه أنه ينقسم الى محمود ومذموم ، فان كان موافقا للغة القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو أقوال الصحابة ، أو مشاهير التابعين أو ورد في اللغة الأصيلة القحة فهو محمود وما خالف ذلك ، بان اعتمد على مجرد الهوى أو الرأى فهو مذموم ، ولكنى الاحظ عليه فى الآيات التى يأمر الله - سبحانه - نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بـ " قل " أو بكاف الخطاب الأحظ

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٤) .

(٢) سورة البقرة آية ((١٨٥) .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٣٠٦ - ٣٠٨ الشعب وقارن بالحلبى ١/٢١٤-٢١٥ .

على - ابن كثير - أنه يقول : أى قل يامحمد - فى كثير من المواضع فى تفسيره ، والأجدر أن يفسر هذا اللفظ بـ قل يارسولنا أو يانبينا لأن الله - سبحانه وتعالى - لم يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم باسمه الشريف فى موضع من المواضع ، بل ذكره باسم الرسالة تارة كقوله تعالى " ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك من ربك "(١) وتارة باسم النبوة كقوله تعالى : " ياأيها النبى اتق الله "(٢) أوبصفة من صفاته كقوله تعالى " ياايها المدثر "(٣) ، وللوقوف على صحة ذلك أنظر مثلا تفسير ٢ / ٧٨ و ١٨٦/٢ حلبى .

أما منهجه من العلوم المختلفة والمساعدة لتفسير آيات الله البينات فيمكن ايجازذلك بالآتى :

١ - منهجه فى علم القراءات :

لم يهتم ابن كثير بالقراءات اهتماما كبيرا ، وربما لانشغاله بالحديث وعلومه والتاريخ والسير ، اذ يظهر ذلك جليا لمن قرأ تفسيره بدقة وعمق ، وكان له دراية بفن القراءات ، وقد خرجت من تلك القراءة ، المستفيضة بالآتى - بعد توفيق الله لى -

١ - يورد احيانا قراءة ما وينسبها الى امام من أئمة القراء ، وبالتحقيق نجد أن تلك القراءة غير مقروءة ، لذلك القارئ ، وللوقوف على صحة ما ذهبت اليه ينظر عند قوله تعالى " مالك يوم الدين "(٤) .

---

(١) سورة المائدة آية (٦٧) .
(٢) سورة الاحزاب آية (١) .
(٣) سورة المدثر آية (٢) .
(٤) سورة الفاتحة آية (٤) .

اذ يقول ابن كثير - رحمه الله - قرأ نافع[1] "ملكى يوم الدين" باشباع كسرة الكاف .[2]

قلت : والصواب : ان نافع يقرأ ملك بالقصر أى بحذف الألف .

قال الشاطبى[3] : ومالك يوم الدين راوية ناصر .

ففهم من قول الشاطبى أن (مالك) فيها قراءتان ، مالك بالمد أى باثبات الألف بعد الميم - لكل من الكسائى[4] وعاصم[5] ، وقراءة الباقين بالقصر لأنه ضد المد ، والمد هنا اثبات الألف ، والقصر حذفها ، والقراءتان صحيحتان ثابتتان وكلا اللفظين من مالك وملك صفة لله تعالى[6] .

ولمعرفة أيهما أبلغ انظر الحجة فى القراءات لابى زرعة ، ولابن خالوية وللمقدسى .

---

(١) هو ابن عبد الرحمن بن أبى نعيم أبو رويم أحد القراء السبعة والاعلام الثقات صالح المتوفى سنة ١٦٩ وقيل غير ذلك ، انظر غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢/٣٣٠ - ٣٣٤ ط دار الكتب العلمية .

(٢) تفسيره ١/٢٤ حلبى .

(٣) الشاطبى هو القاسم بن فيرة بن خلف أبو محمد الشاطبى أحد الاعلام الكبار والمشهورين فى الاقطار المتوفى سنة ٥٩٠ ، الغاية ٢/٢٠ - ٢٠٣ .

(٤) الكسائى هو على بن الحسن بن عبد الرحمن التميمى الكوفى مقرئ معروف ثقة ، النهاية ١/٥٣٠ - ٥٣١ .

(٥) عاصم بن بهدلة أبى النجود الأسدى شيخ القراء بالكوفة وأحد القراء السبعة مات سنة ١٢٠ ، الغاية ١/٣٤٦ - ٣٤٩ .

(٦) ابراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ ص - ٥٥ ، وانظر كنز المعانى شرح الأمانى للموصلى ت٦٥٦ ص٦٩ .

وقال ابن الجزرى[1] : ومالك حزفز ٠٠٠ أى يقرأ كل من يعقـــــــوب وخلف العاشر من القراء الثلاثة المتممين للعشر باثبات الألف بعد الميم ، فعلم أن قراءة مالك بالمد لكل من الكلسائى وعاصم ويعقوب وخلف وأن غيرهم - ونافع من بينهم - يقرؤن ملك بالقصر أى بحذف الألف بعد الميم .

وأيضا عند قوله تعالى : "فأزلهما الشيطان عنها"[2] حيث نســـــب لعاصم قراءة "فأزالهما الشيطان عنها"[3] أى باثبات الف بعد الزاى ، وتخفيف اللام التى بعدها .

والصواب : أنها قراءة حمزة[4] من السبعة وليست لعاصم .

قال الشاطبى : وفى اللام خفف لحمزة // وزد الفا من قبله فتكملا ٠

قال أبو شامة : يريد قوله تعالى "فأزلهما الشيطان عنها" والهاء فى قبله تعود الى اللام فيصير فأزال ومعناهما واحد أى فنحاهما عنها ، وقيل: يجوز أن يكون معنى قراءة الجماعة أوقعها فى الزلة وهى الخطيئـــة فهذا تصريح من الشاطبى بأن هذه القراءة لحمزة فقط.[5]

(١) [illegible]

(٢) سورة البقرة آية (٣٦) .

(٣) تفسير ابن كثير ١/١١٤ الشعب وقارن بالحلبى ١/٨٠ .

(٤) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات أحد القراء السبعة ا.

الغاية ١/٢٦١ - ٢٦٣ .

(٥) كنز المعانى بتصرف ص ٢٦٠ - ٢٦١ وانظر ابراز المعانى بتصرف ص ٢٢٩ .

ومثال ثالث عند قوله تعالى : "وإني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا ..." (١)

قال ابن كثير - رحمه الله - قرأ الأكثرون بنصب الياء من الموالى على أنه مفعول ، وعن الكسائى أنه سكن الياء . (٢)

قلت : الأكل فى لفظ الموالى بالنصب .

٢ - انه أحيانا يذكر بعض القراءات الواردة فى الآية ، ولا يذكر كل القراءات الواردة فيها ، كما أنه لا يذكر القارى لتلك القراءة ، انظر اليه مثلا عند قوله تعالى : "ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا" . (٣)

قال : من القراء من قرأ أن صدوكم بفتح الألف من (أن) ومعناها ظاهر ، أى لا يحملنكم بغض قوم قد كانوا صدوكم عن الوصول الى المسجد الحرام ... على أن تعتدوا حكم الله فيهم .. (٤)

قلت : فى هذه الآية الكريمة قراءتان (أن صدوكم) بفتح الهمزة على أنها علة للشنآن أى لأنهم صدوكم ، وهى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى وابن عامر وخلف العاشر ويعقوب وأبو جعفر، وبكسر الهمزة على أن (ان) شرطية وهى قراءة ابن كثير وأبو عمرو . (٥)

---

(١) سورة مريم آية (٥) .

(٢) تفسيره ٥/٢٠٦ الشعب وانظر الحلبى ٣/١١١ .

(٣) سورة المائدة آية (٢) .

(٤) تفسيره ٣/٩ - ١٠ الشعب وانظر الحلبى ٢/٥ .

(٥) كنز المعانى ص ٣٤٧ - ٣٤٨ ، وانظر إبراز المعانى ص ٢٩٤ .

قال الشاطبي : وفي كسر ان صدوكم حما مد (د)لا .

وقال ابن الجزري : أن صدوكم اكسر (حـــز (د)فا .

وبصورة أخرى ممكن ايجاز منهجه في القراءات بالآتي :

أ ـ المميزات الهامة . ب ـ المآخذ الهامة .

أ ـ أما أهم المميزات في منهجه للقراءات الآتي :

الاولى : أنه يوجه القراءات الصحيحة المقروءة بها توجيهـــــا سديدا ، فانظر اليه مثلا عند قوله تعالى : "فلما وضعتها قالت ربـــي إني وضعتها أنثي والله أعلم بما وضعت " .(١)

قال ابن كثير قوله تعالى : " والله أعلم بما وضعت " قرئ برفـــع التاء على أنها تاء المتكلم ، وأن ذلك من تمام قولها ـ أمراة عمران ـ وقرى بتسكين التاء على أنه من قول الله عز وجل .(٢)

قلت : بقي أن يوضح ابن كثير لمن هذه القراءة والأخرى لمن ؟ وعلى كلا فقراءة رفع التاء واسكان العين قرأت ابو بكر ـ شعبة عن عاصم ـ وابن عامر ويعقوب .

والباقون من القراء يقرؤن بفتح العين واسكان التاء على أنـــه ابتداء إخبار من الله تعالى .(٣)

قال الشاطبي : وضمت وضوا ساكنا صح كملا

---

(١) سورة آل عمران آية (٣٦) .

(٢) تفسيره ٢/٢٦ الشعب وقارن بالحلبي ١/٣٥٩ .

(٣) كنز المعاني ص ٣١١ ، وانظر ابراز المعاني ص ٢٦٩ .

وقال ابن الجزرى : واسكن وضم / / /سكون تاوضمت(صلى (ظاهراكرم

الثانية : أنه يؤيد القراءات الصحيحة ويدافع عنها ، فمثلا نراه عند قوله تعالى : "مالك يوم الدين[1]" يقول :قرأ بعض القراء ملك يوم الدين ، وقرأ آخرون (مالك) وكلاهما صحيح متواتر فى السبع ، وقد روى ابو بكر بن أبى داود شيئا غريبا قال :حدثنا أبو عبد الرحمن الأذرمى حدثنا عبدا لوهاب بن عدى بن الفضل عن أبى المطرف عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد كانوا يقرؤون "مالك يوم الدين" قال ابن شهاب :وأول من أحدث "ملك" مروان ، قال ابن كثير عقبه : مروان عنده علم بصحة ماقرأه ، لم يطلع عليه ابن شهاب . والله أعلم[2].

أ-
الثالثة : أنه ينسب فى بعض الأوقات القراءات الصحيحة الى أصحابها ويوجهها أحيانا أيضا .

فمثلا عند قوله تعالي :"ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون "[3].

نجده يقول :أى اختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الاكثرون "قول الحق" برفع "قول" .

وقرأ عاصم وابن عامر بالنصب .

---

(١) سورة الفاتحة آية (٤) .

(٢) تفسيره ١/ ٤٠ الشعب وانظر الحلبى ١/ ٢٤ .

(٣) سورة مريم آية (٣٤) .

ثم قال عقب ذلك : والرفع أظهر إعرابا ، ويشهد له قوله تعالى " الحق من ربك فلا تكن من الممترين " .(١)

قلت : نسبة القراءة الى أصحابها وتوجيهها جيد الا أن هنباك تعقيب خفيف على كلامه ، وبيانه كالاتى :

(قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب اللام على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ، وعامله محذوف وجوبا تقديره : أقول قول الحق .

وهذا ان أريد بالحق معنى الصدق ، وان أريد به أنه اسم من اسماء الله تعالى : فنصبه على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره أمدح قول الحق أى قول الله وكلمته الذى هو عيسى .

والباقون بالرفع على أنه خبر بعد خبر ، والحق يحتمل أن يكون معناه الصدق أو اسم من أسماء الله تعالى ، أو على أنه بدل من عيسى أو صفة له .

والحق على هذا يتعين أن يكون اسما من اسمائه تعالى .

قال الشاطبى : وفى رفع قول الحق نصب نفد (كلا) .

وقال ابن الجزرى : قول النصب الرفع نهى (ظل) (كفى (٢)

ب - وتارة ينسبها فقط

فمثلا عند قوله تعالى : "كمثل جنة بربوة أصابها وابل فطل..." .(٣)

---

(١) البقرة آية (١٤٧) وانظر تفسيره ٣/١٢٠ حلبى و٥/٣٢٤ الشعب

(٢) كنز المعانى ٤٨٥ - ٤٨٦ وابراز المعانى ٣٩٢ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٦٥) .

نجده يقول : قال ابن جرير : وفى الربوة "ثلاث لغات هـــى ثلاث قراءات ، بضم الراء ، وبها قرأ عامة أهل المدينة والحجاز والعراق وفتحها وهى قراءة بعض أهل الشام والكوفة ، ويقال إنها لغة تميـــم ، وكسر الراء ، ويذكر أنها قراءة ابن عباس رضى الله عنهما .(١)

قلت : فى كلام ابن كثير إجمال لمن قرأ بالضم والفتح ، وتفاصيل ذلك كالاتى :

" ربوة " قرأها ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها .

قال الشاطبى : وفى ربوة فى المؤمنين وهاهنا

على فتح ضم الراء نبهت كملا

وقال ابن الجزرى : ربوة الضم معا رضا سما (٢)

هذه ابرز ميزات ابن كثير عند تعرضه للقراءات القرآنية .

ب ـ أما أهم المآخذ على ابن كثير فكثيرة لعل أبرزها الآتى :

الأول : كثيرا مايورد قراءات فوق العشر المتواترة على أرجـــح الأقوال ، ثم لا يعلق عليها بكلمة واحدة اللهم الا قوله قرأ فلان كذا ، الأمر الذى يجعل من لا خبرة له فى هذا الفن ـ القراءات ـ أن يعتقـد أن تلك قراءة صحيحة مقروءة بها ، محتجا بأن ابن كثير قد أثبتها فـــى تفسيره ، أنظر إليه مثلاً عند قوله تعالى : "ويشهد الله على مافى قلبـه وهو ألد الخصام(٣)" يقول : قرأ بن محيصن(٤) "ويشهد الله "بفتح اليـــاء

---

(١) تفسيره ١/٤٧١ الشعب وقارن بالحلبى ١/٣١٩ .

(٢) كنز المعانى ٢٩٧ وابراز المعانى ٢٥٨ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٠٤) .

(٤) هومحمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى مولاهم المكى مقرىء أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة، روى له مسلم ... انظر الغاية ٢/١٦٧ .

وضم الجلالة ، وقرأ الجمهور بضم الياء ونصب الجلالة (١)

قلت : فى هذه الآية قراءة واحدة فى السبعة المتواترة باتفاق ، وكذلك فى الثلاث المتممة للعشر والمتواترة على قول أكثر المحققين من جهابذة القراء .

وانظر إليه أيضا عند قوله تعالى : "سلام على الياسين" (٢) ، حيث يقول : وقرأ آخرون "سلام على إدراسين" وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وآخرون "سلام على آل ياسين" يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (٣) .

قلت : ماعليه المسلمون اليوم هى قراءة واحدة والقراءات - كما هى معلومة - ستة متبعة والقراءة المعتمدة هى "سلام على الياسين" .

الثانى : عند ذكره لبعض القراءات يوافق الطبرى فى انكار بعض القراءات الصحيحة المتواترة ، وهذا موقف من الشيخ غير جيد ، اذ القراءات ستة متبعة لا مجال لتحكيم العقل واللغة فيها ، طالما أن تلك القراءة متواترة وموافقة للعربية ولو بوجه وصح إسنادها فنرى الشيخ - ابن كثير - عند قوله تعالى : "قالت هيت لك" (٤) يقول : وقرأ ذلك آخرون هئت بكسر الهاء والهمز وضم التاء بمعنى تهيأت لك ، ومن روى عنه هذه القراءة ابن عباس رضى الله عنهما ، وأبو عبد الرحمن السلمى ، وأبو وائل وعكرمة وقتادة وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك .

---

(١) تفسيره ١/٣٥٩ الشعب ١/٢٤٦ حلبى .

(٢) الصافات (١٣٠) .

(٣) تفسيره ٧/٣١ - ٣٢ الشعب والحلبى ٤/٢٠ .

(٤) سورة يوسف (٢٣) .

قال ابن كثير : قال ابن جرير : وكان أبو عمرو والكسائى ينكران هذه القراءة [1]

فأنت تراه - ابن كثير - قد وافق الطبرى فى إنكار هذه القراءة التى قرأ بها كل من ابن عباس رضى الله عنهما وأبو عبد الرحمن السلمى وأبو وائل وعكرمة وقتادة رحمهم الله ، وهى قراءة هشام عن ابن عامر .

قال الشاطبى : وهيت بكسر أصل كهؤ وهمزه

لسان وضم التاء لو اخلفه . [2]

فالقراءة اذا صحيحة وغير قابلة للنقاش إذ ان قراءة هشام من المتواترة لانه أحد القراء السبعة . والله أعلم .

الثالث : أن ابن كثير يستدل على رأى ما أو مذهب ما بقراءة شاذة ، فمثلا عند شرحه لسورة الفاتحة وعند تعرضه للآية الشريفة " بسم الله الرحمن الرحيم " خاض فى تعريف اسم الجلالة بقوله : وهو اسم لم يسم به غيره - تبارك وتعالى - ولهذا لا يعرف فى كلام العرب له اشتقاق من فعل ويفعل ، فذهب من ذهب من النحاة الى أنه أسم جامد ولا اشتقاق له .

وقيل : إنه مشتق واستدلوا عليه بقول رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المدّة سجن واسترجعن من تألهى

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر ، وهو التألّه من آله يأله لاهة وتألها ، كما روى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ : " ويذرك والاهتك " قال : عبادتك . [3]

---

(١) تفسيره ٤/٣٠٧ الشعب والحلى ٢/٤٧٤ .

(٢) كنز المعانى ص ٤٣٨ ، وابراز المعانى ص ٣٥٩ .

(٣) تفسيره ١/٣٥ الشعب والحلى ١/١٩ .

فنرى ابن كثير قد ساق ضمن احتجاجه " بان اسم الله مشتق " بقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ،وهي شاذة. ا.ا.

٤- منهجه في اللغة:

تفسير ابن كثير أقل تعرضا للجوانب اللغوية ،والصرفية من غيره من المفسرين المعاصرين له، كأبي حيان مثلا.

فابن كثير لايتعرض لبحث هذه المسائل الابشكل موجز، وبالقدر الذي يفهم منه المعنى ، لأنه يرى :أن التفسير ليس موضع بسطها ،

فمثلا عند قوله تعالى : " وأنزلنا من السماء ماءً طهورا " (١) يقول : (أي آلة يتطهر بها كالسحور والوجور ،وماجرى مجراهما ، فهذا أصح مايقال في ذلك ،

وأما من قال :إنه مفعول بمعنى فاعل ،أو أنه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات من حيث اللغة ،والحكم ،ليس هذا موضع بسطها والله أعلم) (٢)

ومن محاسن منهجه في هذا الفن أنه يرفض أن يكون شيئا في القران الكريم زائدا ، ويرد على أصحاب هذا القول ،ويوضح الرد توضيحا بليغا

فمثلا عند قوله تعالى : " فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك " (٣)

نراه يقول : (قال بعض الناس: قوله "فوق" زائد ،وتقديره "فان كن نساء اثنتين كما في قوله تعالى : " فاضربوا فوق الأعناق " (٤)

يعلق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله: (وهذا غير مسلم هنا ولاهناك، فانه ليس في القران الكريم شيء زائد لافائدة فيه وهذا ممتنع، ثم قوله تعالى : " فلهن ثلثا ماترك " لوكان المراد ماقالوه لقال : " فلها ثلثا ماترك الخ) (٥)

---

(١) الفرقان "٤٨"
(٢) تفسيره ٦/ ١٢٣ الشعب. والحلبي ٣/ ٣٢٠.
(٣) النساء "١١"
(٤) الانفال "١٢"
(٥) تفسيره ٢/ ١٩٥ـ١٩٧ الشعب. والحلبي ١/ ٤٥٨.

٣ - منهجه في علم الفقه :

ان طريقة ابن كثير - رحمه الله - في المسائل الفقهية طريقة جيدة ، اذ سلك مسلكا يكاد يكون وسطا في ذلك فلم يسرف في ذكر أقوال الفقهاء واختلافاتهم ، ولم يخل كتابه منها لما لها من أهمية بالغة في تفسير القرآن الكريم وبيانه .

وبعد التقصي لما ذكر منها خرجت من ذلك بالآتي :

١ - أنه يذكر أقوال الفقهاء واستدلالاتهم بطريقة مختصرة فمثلا عند آية النور " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن "[1] يقول : ذهب كثير من العلماء الى انه لا يجوز للمرأة النظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغيرها أصلا ، واحتج كثير منهم بما رواه ابو داود والترمذي من حديث الزهري عن نبهان مولى أم سلمة رضي الله عنها أنه حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم ، فدخل عليه ، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (احتجبا منه) فقلت : يارسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أو عميا وان - أنتما ؟ألستما تبصرانه ؟) ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) سورة النور آية (٣١) .

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد ، وعائشة رضي الله عنها تنظر إليهم من ورائه ، وهو - صلى الله عليه وسلم - يسترها منهم حتى ملت ورجعت أهـ .(١)

قلت : وأنا أميل إلى الرأى الثاني - وهو جواز النظر الى الرجال الأجانب بغير شهوة ، وفي مثل هذه الصفة وأعني بها - كعمل عائشة رضي الله عنها . والله أعلم .

هذا وعند سوقه للأحكام الفقهية تراه أحيانا يعرض مذهبه - أي - مذهب الشافعي - أو مذهبا من المذاهب المعتمدة - الأربعة المشهورة - ولا يشير الى المذاهب الأخرى .

فمثلا عند قوله تعالى : " والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم " .(٢)

قال ابن كثير : وقد استدل الشافعي - رحمه الله - ومن وافقه على تحريم الإستمناء باليد بهذه الآية الكريمة قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال تعالى : " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون "(٣) وقد استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حيث قال : حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن خسان بن حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى

---

(١) تفسيره ٦/٤٦ - ٤٧ الشعب والحلبي ٣/٢٨٣ .
(٢) المؤمنون آية (٧٥) .
(٣) المؤمنون آية (٧) وتفسيره ٢/٢٩ حلبي

الله عليه وسلم قال : سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاطين ، ويدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا ، ومن تاب تاب الله عليه ، الناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتى يستغيثا ، والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه ، والناكح حليلة جاره " .

علق ابن كثير عقبه بقوله : هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لجهالته . والله أعلم .

وفي بعض مسائل الأحكام الفقهية : كحكم قتل الزنديق وآراء العلماء في ذلك يحيل إلى كتابه الأحكام ، ونادر مايسهب في عرضه أقوال الفقهاء ومذاهبهم ، فيذكر عدة مسائل الواحدة أثر الأخرى ، مناقشا أراء العلماء فيها ، مختارا مايراه صوابا ، ومنبها مايراه خطا ، ومثال ذلك قوله تعالى : " شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن "(١) حيث ذكر أقوال العلماء في مسائل كثيرة تتعلق بالصيام ، كمن كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في اثنائه فما حكمه؟ وماحكم الصيام في السفر ؟ قضاء صوم رمضان لمن أفطر لعذر شرعي هل يجيب متتابعا أو يجوز فيه التفريق ؟ الخ تلك المسائل التي ذكرها بتفصيل جيد عند هذه الآية الكريمة(٢) .

وبعد : فيما تقدم وغيره نجد أن ابن كثير أضاف في تفسيره اسهاما علميا موفور العطاء أبرز فيه التزامه بمذهب أهل السنة والجماعة ، وأثبت فيه شخصيته العلمية المتميزة ومعالجته المنهجية الدقيقة ، أكدت لنا أنه خاض مجال التفسير متأهلا بأسبابه ، متقلدا مفاتيح أبوابه ، مستجمعا لما يجب توافره في المفسر من مقومات علمية تمكنه من الكشف عن أسرار التنزيل ووجوه التأويل .

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٥) .
(٢) تفسيره ١/٣٠٩ - ٣١٣ الشعب والحلبي ١/٢١٦ - ٢١٧ .

الباب الثاني

الإسرائيليات ورواتها

ويشتمل هذا الباب على فصلين :

الفصل الأول : الإسرائيليات.

" الثاني : أشهر رواتها.

الفصل الاول
الإسرائيليات

ويحوي المباحث الآتية :-

المبحث الاول : حقيقة الاسرائيليات .

المبحث الثاني : متى وكيف تسربت الاسرائيليات الى كتب التفسير ؟

المبحث الثالث : كيف تصاعد تسرب الاسرائيليات الى كتب التفسير ؟

المبحث الرابع : أقسام الاسرائيليات .

المبحث الخامس : حكم رواية الاسرائيليات .

الفصل الأول :ـ

الإسرائيليات ويحوى المباحث الآتية :

المبحث الأول

حقيقة الإسرائيليات

الإسرائيليات : جمع مفردة إسرائيلية وهى قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلى والنسبة فيها إلى بنى اسرائيل [1] والنسبة فى هذا المركب الإضافي تكون لعجزه لا لصدره [2] فيقال : إسرائيلى وإسرائيلية .

وإسرائيل هو نبي الله يعقوب بن نبى الله اسحاق بن نبى الله وخليله ابراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

وإسرائيل : اسم اعجمى ولذلك لم ينصرف وفيه سبع لغات :

١ إسرائيل بهمزة وياء ، ٢ إسرائيل بمدة مهموزه مختلسة

٣ إسرائيل بمدة بعد الياء من غيرهمز ٤ إسرائيل بغير ياء مهموزه مكسورة

٥ وإسرائل بهمزه مفتوحه ٦ إسرائين بالنون على لغة تميم

٧ وإسرال بغير همز ولا مد

ومعنى إسرائيل عبد الله قال ابن عباس رضى الله عنهما بالعبرانيه هو "عبد" و "ايل" هو "الله"

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد السيد حسين الذهبى ص ١٢ طبعه الازهر ١٣٨٨هـ

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد محمد ابو شهبه ص ٢١ مطبعة الاميريه ١٣٩٣هـ

وقيل (إسرا) هو " صفوة الله " و (إيل ، هو (الله)

وقيل (إسرا) من الشد فكأن إسرائيل الذى شد هالله وأتقن خلقه) (١)

وبنوا اسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلو منهم فيما بعد إلى عهد موسى ، ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى ، وحتى عهد محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا " باليهود "

وقد ذكروا بنى اسرائيل فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة كقوله تعالى (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) (٢)

(والناظر فى كتاب الله تعالى يجد أن الله سبحانه وتعالى أكثر من خطابهم بنى إسرائيل وذلك تذكيرا لهم بأبوة هذا النبى الصالح حتى يتأسوا به ويتخلقوا باخلاقه ويتركوا ما جبلوا عليه من كفران النعم وما كانوا يتصفون به من الجحود واللؤم إلى غير ذلك من أخلاقهم الرذيلة (٣)

كذلك ذكرهم المولى جل ذكره باسم اليهود فى غير ما آية منها :

قول الحق تبارك وتعالى (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (٤)

وقد دعاهم القرآن الكريم إلى الاسلام واتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (٥)

فمن آمن به وأسلم محمد صلى الله عليه وسلم فقد أصبح فى عداد المسلمين واطلق عليهم مسلموا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله عنه .

---

(١) تفسير القرطبى ، ١/ ٣٣١ ببعض التصرف

(٢) البقره " ٤٧ "

(٣) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٢١ ٢٢ بتصرف يسير

(٤) المائده " ٤٤ "

(٥) المائده " ١٥ ١٦ "

والمعنى الإصطلاحي للإسرائيليات لم أجده عند المتقدمين بيد أن اصطلاح المتأخرين هو ماعناه المتقدمون ورأيته عند غير قليل من الباحثين المتأخرين وإليك بعض اقوالهم :

١ يقول صاحب التفسير والمفسرون (ولفظ الاسرائيليات وان كان يدل بظاهره على القصص والاخبار الذى يروى أصلا مصادر يهودية من توراة وشروحها وأسفار وما اشتملت عليه ، والأساطير والخرافات يستعمله علماء التفسير وغيرهم ويطلقونه على ماهو أوسع وأشمل من القصص التى تروى عن مصادر يهودية ،

فهو فى اصطلاحهم : يدل على كل ماتطرق إلى التفسير من أساطير قديمة منسوبة فى أصل روايتها إلى مصدر يهودى أو نصرانى أو غيرهما

بل توسع بعض المفسرين فعدوا من الإسرائيليات ماد سه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير ليفسدوا بها عقائد المسلمين (١)

الباحث : ولنا فى قصة لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، مثل واضح فقد ادعوا كذبا وبهتانا ، أن لوطا زنا بابنتيه بعد أن شرب الخمر كما زعموا وهى قصة باطلة مردودة مصنوعة بخبث نية وسوء طوية !!

وغير ذلك من الإفتراءات الكاذبة والدعاوى السخيفة .

(وإنما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودى على غيره) (٢)

(أ) لأن اليهود كانوا يسكنون بالمدينة وما جاورها كخيبر مثلا ،

وطبيعى أن يحمل اليهود معهم إلى جزيرة العرب ماحملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية ،

وثقافتهم كانت تعتمد على التوراة (٣) المحرفة ، وليست من التوراة التى أنزلها الله سبحانه على موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بل مما بدلوه وحرفوه .

---

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ١٦٥/١ ط الثانية وانظر الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٢ ١٣ ببعض التصرف .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ١٦٥ والاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٤

(٣) كلمة عبرانية ومعناها الشريعة

والتوراة فى اصطلاح المسلمين هى الكتاب الذى أنزله الله سبحانه على موسى نورا وهدى للناس، وألقاه إليه مكتوبا فى الألواح قال تعالى (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (١)

كما كانت ثقافتهم بجانب التوراة المزيفة تعتمد على التلمود وهى عبارة عن شروح ونصائح وشروح لم تؤخذ عن موسى عليه السلام بطريق الكتابة وإنما تحملوها ونقلوها بعضهم عن بعض بطريق المشافهة ثم نمت على مرور الزمن وتعاقب الأجيال وعرفت باسم "التلمود" أضف إلى ذلك ماكان لهم من قصص وتاريخ وأساطير، كل ذلك من مصادر اليهود الثقافية (٢)

ب) ومن المعلوم أيضا أن اليهود قوم بهت (٣) وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا وللاسلام معا .

ولنا فى تاريخهم مثل حى على صحة ذلك، فما فعله ابن سبأ اليهودى ليس ببعيد عن الأذهان فقد تظاهر بالإسلام، وتشيع لآل البيت، وقصد من وراء ذلك وذلك زعزعة المسلمين، وافساد عقائدهم وبث هو ومن وراءه فى المجتمع المسلم سموما وأفكارا خبيثة، كقولهم قاتلهم الله " إن عليا رضى الله عنه لم يقتل وانما رفع إلى السماء، كما رفع ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام)

وأيضا سار على هذا المنوال الماكر الحاقد للإسلام عبد الله ابن السوداء الذى كان على دين اليهودية وانتسب إلى الرافضة البغيضة حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى الكفر وأبغضهم إلى الاسلام فاختلق تأويلات كاذبة فى على رضى الله عنه وأولاده (٤)

---

(١) المائدة (٤٤)

(٢) انظر التفسير والمفسرون ١ / ١٦٦ والاسرائيليات والموضوعات ص٢٢ ، ٢٣ بتصرف

(٣) أشنع الكذب كما فى المفردات فى غريب القرآن لابن القاسم الحسين بن محمد الاصفهانى المتوفى ٥٠٢ هـ ص ٦٣ دار المعرفة بيروت

(٤) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم للاستاذ الامام عبد القادر البغدادى ٢٢٣ = ٢٢٤ ط ١٩٧٢ م

جـ) ومما أخبرنا القرآن الكريم أن للعرب رحلتين إحداهما إلى اليمن والأخرى إلى الشام ،

ويدهى أنه كانت تتم لقاءات بينهم ومن المسلم أيضاً أن فى اليمن والشام كثير من أهل الكتاب ، وجلهم من اليهود .

د) اللقاءات التى جرت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين اليهود أو بين اليهود وبين المسلمين .

ففى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يلقون الأسئلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مايمن لهم ، إما إمتحاناً له صلى الله عليه وسلم واختبار الصدق نبوته صلى الله عليه وسلم وإما تحدياً وتعجيزاً فرد الله كيدهم ، وجعل كلمتهم السفلى ، وتبقى دائما وأبداً كلمة الله هى العليا ، من أجل ذلك كان لليهود لعنهم الله نصيبهم الكبير وحظهم الوافر من الهشيم المركوم والحصاد التالف من الإسرائيليات المسربة على التفسير

(أما النصارى فكانت ثقافتهم تعتمد فى الغالب على الأنجيل ، (١)
وهذا البشارة)

وقد وصف الله تعالى هذا الإنجيل بقوله: (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (٢)

بيد أن هذا الأنجيل لا وجود له عند النصارى ولم يذكر أحد من علماء التاريخ أنه رأى نسخة منه وبيد وأن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يكتبه وإنما كان يبشر به فى بنى إسرائيل إذا كان من عادته أن يلقى موعظة على الناس وأن الانجيل أنزله الله تعالى جملة على عيسى عليه السلام فألقى الملك معناه فى روعه مرة واحدة ثم كان عليه السلام

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٦٦

(٢) المائدة (٤٦)

(٣) اظهار الحق للعلامة الشيخ رحمه الله بن خليل الرحمن ١/٧٣ طبعة قطر مع التصرف

يلقى فى كل مجلس أو لقاء بعض مواعظه منه وكان الملك يسدد ه فى العبارة فلا يلفظ عيسى إلا بما هو صحيح موافق للمعنى الذى نفثه الملك فى روعه وأما السامعـــون والتلاميذ فقد كان البعض منهم يحفظ قدر استطاعته ولكن واحدا منهم لم يكتب شيئا وقت السماع وما كتب حرف واحد منه فى الفترة التى كان المسيح فيها فوق الأرض بل بدأت الكتابة لبعض التلاميذ بعد رفع المسيح بثلاثين سنة على أحسن قول عندهم وأغلب من كتب ليس من تلاميذ المسيح، ومنهم من كتب بعد الرفع به ٩٣ سنة أو ست وتسعين سنة إلى غير ذلك من تواريخ كتابة الاناجيل ثم كتب بولس انجيلا يحتوى على كثير من الاخطاء والخرافات (والأناجيل المعتبرة عند النصارى يطلق عليها وعلى ما انضم إليها من رسائل الرسل اسم (العهد الجديد) (١)

والكتاب المقدس عند النصارى يشمل التوراة والانجيل يعنى العهدين القديم والجديد

وكان ضروريا أن يشرح الأنجيل بشروح متباينة وأصبحت فيما بعد منبعا من منابع الثقافة النصرانية .

كما وجد بجانب ذلك ما زاده النصارى من القصص والاخبار والتعاليم التى زعموا فيما زعموا انهم تلقوها عن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (٢)

(والحق أن ما فى كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شئ قليل بالنسبة إلى ما فيها من الاسرائيليات ولا يكاد يذكر بجانبها ، وليس لها من الأثار السيئة ما للاسرائيليات، إذ معظمها فى الأخلاق والمواعظ وتهذيب النفوس (٣)

يقول صاحب التفسير المفسرون : (وإنما أطلق علماء التفسير لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للون اليهودى على غيره ، ومن هنا صح إطلاق لفظ الأسرائيليات (٤) على جميع الأفكار المتسربة بشكل فوضى فى كتب التفسير .

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٦٦ ببعض التصرف

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ١٦٦ ببعض التصرف

(٣) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٢٣ = ٢٤ بتصرف يسير

(٤) التفسير والمفسرون ١ / ١٦٥

٢) ويقول الدكتور أحمد خليل: إن هذه الكلمة الإسرائيليات يهودية الأصل وقد فليت على كل نقل من اليهودية إلى الإسلام ، وما نقل عن الأديان الأخرى إليه أيضا ، ولكن خصت بهذا الاسم لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقه الاسرائيليون) (١)

٣) وجاء في كتاب السيادة العربية (أن علماء المسلمين يطلقون كلمة اسرائيليات على جميع العقائد غير الاسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسها اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الاول الهجري) (٢) هذا بعض ما ورد في المعنى الإصطلاحي للإسرائيليات في الكتب التي وقفت عليها والذي نخلص إليه أن كل هذه الدلالات المختلفة لمعنى (الاسرائيليات) في الاصطلاح ذات وشائج دانية تنتهي إلى رحم واحدة هو: إطلاق لفظ الإسرائيليات على كل دخيل في التفسير وبخاصة ماله علاقة باليهود، والله اعلم

ومن ثم تعزوها الى غير الاسرائيليين وفي نفس [illegible]

[illegible]

(١) نشأة التفسير في الكتب المقدسة للدكتور احمد خليل ص ٣٧

(٢) السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية لفان فلوتن ، ص ٩ - ١ ط الثانية

(٣)

المبحث الثانى

متى وكيف تسربت الاسرائيليات إلى كتب التفسير ؟

قبل الاجابة على ماتقدم أحب أن اذكر لمحة عن صلة اليهود بالعرب بصورة مقتضبة .

فأقول وبالله التوفيق :

إنه كان فى جزير العرب بيئات يهودية وسأكتفى بيهود الحجاز أما عن كيفية وصولهم الى الحجاز فقد ذكر المؤرخون روايات مختلفة منها مايلى :

١- بعض الروايات تذكر أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام حج إلى الكعبة وفى رجوعه تخلف بعض اليهود فسكنوا يثرب (المدينة المنورة) فسكنا هم فيها عن طريق المصادفة ، أو عن طريق الأختيار)[1]

٢- وبعض المؤرخين يقول : إنه لما تم إنتصار الروم على بنى إسرائيل سنة ٧٠ م على يد الأمبراطور " تيتوس " الذى نكل ببنى إسرائيل شر تنكيل ، حيث قتل رجالهم وسبى نسائهم ، وأخذ أموالهم عندئذ فر من وجهه بنو هدل وبنو قريظة وبنو النظير هاربين إلى الحجاز وسكنوا يثرب "[2]

يعلق أحدهم على هذا بقوله (وأما ما ورد فى روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالى الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم بالعبرانيين وتنكيلهم مما اضطر ذلك بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء الأمنة البعيدة عن مجالات الروم فإنه يستند إلى أساس تاريخ صحيح ")[3]

ويضيف معلل " فالذى نعرفه أن فتح الرومان لفلسطين أدى إلى هجرة عدد كبير من اليهود الى الخارج ، فلا يستبعد أن يكون أجداد يهود الحجاز من نسل أولئك المهاجرين ، ومن هؤلاء المهاجرين على رأى الإخباريين بنو قريضة وبنو النظير وبنو هدل

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم للسمهودى ١ / ١٥٧ ط دار احياء التراث .

(٢) المدينه فى العصر الجاهلى لمحمد عيد الخضراوى ص ٧١ وما بعدها .

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ص ١ مطبعة المجتمع العلمى العراقى .

ساروا إلى الجنوب تجاه يثرب فلما بلغوا موضع الغابة وجدوه وبيلا فكرهوا الإقامة فيه ، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً طيبا وأرضاً عذبة فذهب حتى إذا بلغ ((العالية)) (١) أعجبه ماؤها وهواؤها فرجع إليهم ليخبرهم بأمرها ، وبما رأه منها فقر رأيهم على الإقامة فيها ، فنزل بنو النظير ومن معهم بطحان ، ونزلت قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور (٢)

وتؤكد روايات أخرى أنهم جاؤا إليها من فلسطين قاصدين سكنى هذه المنطقة لأن التوراة بشرت بظهور نبي يهاجر إلى أرض ذات نخل وماء تقع بين حرتين ، وكانت هذه الصفة تنطبق على أربعة أماكن تقريبا مروا بها وهي تيماء وفدك (وتعرف اليوم باسم الحائط والحيوط) ويثرب (المدينة المنورة) وخيبر ،

لكن كثيراً من علماء بني إسرائيل كانوا يرون انها يثرب لذلك نرى كثيرا من القبائل الإسرائيلية نزلوا بيثرب ، ورغبوا أن يعيشوا فيها ويتخذوها وطنا لهم ،

حتى إذا ظهر النبي المبشر به من قبل الأنبياء آمنوا به فكان للمعتقد الديني أثره إذاً في استقرارهم بالحجاز (٣)

ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو أقرب الآراء إلى الصواب . والله أعلم "

أما عدد قبائلهم وبطونهم فكثيره فقد أوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين فرعا (٤) منهم بنو قينقاع وبنو النظير وبنو قريظة وبنو هدل وبنو عكرمة وبنو زعوراء وغيرهم وقد اشتهر من تلك القبائل (بنو قينقاع ، وبنو النظير ، وبنو قريظة) وسبب شهرتهم : أنهم كانوا ذوي عدد وعدة ولهم وقائع مع الأوس والخزرج ثم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة (٥)

---

(١) جزء المدينه المنوره كانت تطلق في الماضي على وادي بطحان ووادي مهزور وهما واديان بهما عيون غزيرة ومياه عذبة .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١١ بتصرف يسير .

(٣) وفاء الوفاء ١ / ١٦٠ والمدينة في العصر الجاهلي ص ٧٠ .

(٤) أنظر أسمائها بالتفصيل في كتاب المدينة في العصر الجاهلي لمحمد عيد الخطراوي ص ٧٤ مؤسسة دار القران بدمشق الطبعة الأولى .

(٥) مرويات تاريخ يهود المدينه ص ٢ رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الاسلاميه بالمدينه المنوره اشراف د / أكرم العمري مطبوعة على الالة الكاتبة ٩٩ = ١٤٠٠هـ للسندي أكرم حسين علي .

وأما اليهود خارج المدينه فاشهرهم (يهود خيبر وتيماء وفدك ووادى القرى)

وأما مساكن اليهود فى الحجاز فبعضها كان بداخل المدينة المنورة وبعضها كان قريباً منها وبعضها كان بعيداً عنها .

فبنو قينقاع كانوا يسكنون بداخل المدينة وكانت لهم سوق تعرف بسوق (بنى قينقاع) وتقع منازلهم فى الجهة الجنوبية من المدينة .

وكانوا موالى الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبى سلول .

وكان عددهم قليلا وصناعتهم الصياغة وهم أغنى سكان المدينة .

ومنهم عبد الله بن سلام ذلك الصحابى الجليل الذى أسلم وحسن إسلامه وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة .

وبنو النظير كانت مساكنهم بالعوالى فى الجنوب الشرقى للمدينة على وادى مذنيب وهو قرع بطحان ، ولم يبق من آثارهم غير بعض أطلال حصن كعب بن الأشرف .(٢)

وبنو قريضه كانوا يسكنو العوالى فى الجنوب الشرقى للمدينة على وادى مهزور وهو قرع لبطحان وكان يسكن مع بنى قريظة بنو هدل .

وأما يهود خيبر فكانوا يسكنون على بعد ثمانين برد من المدينة الى جهة الشام (أى ١٣٦ كم) وقد اشتهروا بحصونهم لخصوبة أرضهم وكثرة مزارعهم وبساتينهم وكانت حصونهم ضخمة وحصينة وعلى مقربة منهم كان يسكن قسم آخر من اليهود كيهود وادى القرى وتيماء وفدك .

ومساكن اليهود عموماً كانت تمتاز بمنزلتها ومتانتها وذلك ليتحصنوا بها عند الأخطار وليدافعوا عن أنفسهم من ورائها .

وأما علاقتهم مع الأوس والخزرج فيذكر المؤرخون أن الأوس والخزرج أصلهما من قبيلة إزد من اليمن وأنهم جاؤا الى المدينة بعد حادث سيل العرم إلتماسا لمكان جديد يصلح لمعيشتهم بعد أن غرقت مساكنهم باليمن ، وانهم حينما نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوه ولذلك رضوا بما حصلوا عليه من أرض ضعيفة ومن رزق شحيح

---

(١) آثار المدينه ص ٦٥ = ٧٦ دار العلم للملايين (بيروت ٩٣ ، عبد القدوس الأنصارى .

وذلك لأن اليهود سبقوهم وتملكوا أخصب بقاع المدينة وأعذب مياهها مما اضطر الأوس والخزرج الى سكن الأراضى المهجورة من يثرب وبمرور الأيام اختلط الأوس والخزرج باليهود الذين كانوا يسكنون المدينة.

وكانوا أصحاب الثروة والمال والكلمة النافذة فيها لهم.

وبقى الأوس والخزرج على ضعفهم حتى ظهر فيهم رئيسهم مالك بن العجلان الذى استطاع بدهائه ومكره وشجاعته أن يفتك باليهود وأن يجعل الكلمة ... لقومه.(١)

وعلاقة اليهود بالأوس والخزرج كانت خاضعة للمنفعة الشخصية والمكاسب المادية فهم يعملون على إثارة الحرب بين الفريقين متى وجدوا فى إثارتها فائدة لهم كما حصل ذلك فى كثير من الحروب التى أنهكت الأوس والخزرج وكان حديثهم عن النبى المرتقب قد شجع الأوس والخزرج على الدخول فى الإسلام.

وقد استمرت علاقة اليهود بالأوس والخزرج تسير على هذا المنوال إلى أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

وبدهى أن أولئك اليهود الذين سكنوا الحجاز وغيرها قد حملوا معهم تراث اسلافهم وثقافتهم.

إضافة إلى ماتقدم فكان للعرب فى جاهليتها رحلتين يرحلونهما شمالاً وجنوبا وكانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام (قال تعالى: لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف)(٢)

وفى اليمن والشام كثير من أهل الكتاب معلمهم من اليهود.

ومما تقدم يعلم أنه كانت تتم لقاءات بين العرب واليهود فكانت عاملا قويا من عوامل تسرب الثقافة اليهودية الى العرب الذين كانت ثقافتهم حينئذ شبه محدودة أو ضيقة

ذكر ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: (كان هذا الحى من الأنصار هم أهل وثن مع هذا الحى من اليهود وهم أهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم وكانو يقتدون بكثير من فعلهم)(٣)

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام وبنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ١/٧٢ = ٧٣ دار مكتبة الأندلس بنغازى ٩٢ هـ ط الثانيه

(٢) قريش (١-٢)

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٢٦١

ثم جاء الاسلام ودخلت فيه طائفة من أحبار اليهود كعبد الله بن سلام رضى الله عنه ، وكانت عاصمة الاسلام المدينة المنورة وتعاليم الاسلام تبث من خلال مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلقى اليهود (وغيرهم من أهل الكتاب ليعرض عليهم دينه ويدعوهم إلى الاسلام ويحذرهم من الكفر به فقد جاء فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينا نحن فى المسجد خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس مواضع يقيمون فيها عباداتهم وشعائر دينهم ويتدارسون فيها أحكام شريعتهم وأيامهم الماضية وغير ذلك —

فقام النبى صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : يا معشر يهود اسلموا تسلموا فقالوا بلغت يا أبا القاسم ، فقال لهم : رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أريد أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أريد ثم قالها الثالثة فقال : إعلموا إنما الأرض لله ولرسوله وإنى أريد أن اجليكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه والا فاعلموا انما الارض لله ورسوله (١)

وكان اليهود يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكموه فيما شجر بينهم كما مر معنا فى قصة الزانى المحصن أو ليسألوه عن بعض ما يعن لهم السؤال عنه إما تحديا وتعجيزا واما امتحانا واختبارا لصدق نبوته .

كقوله تعالى : (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية) (٢)

فالآن يمكننى الاجابة عن الاستفهام السابق ألا وهو متى وكيف تسربت الاسرائيليات إلى كتب التفسير ؟ بالآتى : بدأنواتها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فى أشياء لا تكاد تذكر ثم فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم أخذت تتسرب بشكل أكبر من ذى قبل وقد ساعد ذلك أمور منها :

أ) هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية قبله وبالطبع تكون هناك مسائل أشار اليها

---

(١) فتح البارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب " وكان الانسان أكثر شئ جدلا "

وقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) ١٣ / ٣١٤

(٢) النساء (١٥٣)

القرآن بصورة موجزة وقد تكون مبسوطة في التوراة أو الأنجيل أو هما معا، ومما لا شك فيه ان النفس تميل عادة الى حب التوسع في معرفة الأشياء المجملة .

(فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القران الكريم يجد من نفسه ميلا إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن الكريم منها ولم يتعرض لها فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الاسلام وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني .

بيد أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يسألوا أهل الكتاب في أمور العقيدة أو شيء من أصول الدين، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعد وأن تكون توضيحا للقصة مثلا، كما أنهم لم يقبلوا منهم كل شيء.

وكان موقفهم هذا متمشيا مع أصل الاباحة الشرعية ((وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج)) ولأنهم كانوا يحسنون الظن بمن آمن منهم كما لا تفوتنى الاشارة الى القول بأنهم كانوا يتوقفون فيما يلقى اليهم فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) (١)
(كذلك كانت تتم لقاءات بين بعض المسلمين وبعض اليهود الذين اسلموا فكان بعض المسلمين يسألوهم عن جزئيات لم يفصح القران الكريم عنها) (٢)

والصحابه رضوان الله عليهم اجمعين كانوا اشد تحريا للصحة فيما يتحملون أو يروون ولنا أمثلة عديدة واضحة تبين مدى تشبههم للمروى وتأكدهم منه من ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي أن أمير المومنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى بن كعب رضى الله عنه وقد روى له حديثا: (لتأتين على ما تقول ببينة فخرج فاذا ناس من الانصار فذكر لهم قالوا قد سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: أما إنى لم أتهمك ولكن أحببت أن أتثبت) (٣)

اذا علم ذلك فكيف يسلم بعض المسلمين ما افتراه بعض المستشرقين كجولد زيهر ومن سار

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العقلانى ٤٩٨/٦ وما بعدها ط السلفيه والتفسير والمفسرون ١٦٩/١ مع البعض التصرف

(٢) الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ١٥ = ١٦

(٣) تذكرة الحفاظ ٨/١ وأنظر الحديث والمحدثون ٥ محمد أبوزهو ص ٧٠ والسنة قبل التدوين للدكتور محمد عاج الخطيب ص ١١٥ .

على رأيه من بعض المسلمين ـ وللأسف ـ كأحد أمين إذ زعموا باطلا) أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين استقوا معارفهم فيما استقوا من اليهود وأنهم رجعوا إلى أهل الكتاب في كل شيء وقبلوا كل شيء وسأنقل بعض فقرات جولد زيهر التي اتهم فيها بعض اجلاء الصحابة بالنقل عن أهل الكتاب على عدالتهم يقول في كتابه المذاهب الاسلامية في تفسير القران الكريم: (وكثيراً ما يذكر أنه فيما يتعلق بتفسير القرآن كان أي ابن عباس يرجع إلى رجل يسمى أبا الجلد الذي أثنى الناس عليه بأنه كان يقرأ الكتب.... ومن بين المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس رضي الله عنهما نجد أيضا كعب الاحبار.... وعبد الله بن سلام وأهل الكتاب على العموم ممن حذر الناس منهم كما أن ابن عباس رضي الله عنهما نفسه في أقواله حذر من الرجوع إليهم ولم تكن التعاليم الكثيرة التي أمكن أن يستقيها ابن عباس رضي الله عنهما والتي اعتبرها من تلك الأمور التي يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر مقصورة على المسائل الانجلية والاسرائيلية فقد كان يسأل كعبا عن التفسير الصحيح لأم القران.... وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم على العموم في القران الكريم وفي كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وما فيهما من المعاني الدينية ورجعوا إليهم سائلين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من كل جهة من سوالهم)[1]

هذه بعض عبارة جولد زيهر أحد المستشرقين من كتابة المذاهب الاسلامية في تفسير القران الكريم ، ونرى فيها بوضوح التجني على أولئك الصفوة البررة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه عام وعلى حبر الأمة وترجمان القران الكريم بوجه خاص وعلى فرض صحة ذلك الخبر القائل برجوع ابن عباس رضي الله عنهما الى غيلان بن فروة ابو الجلد ـ فلا يمكن أن يصدق أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يرجع إليه في كل شيء أو عن كل شيء على أني أستطيع الجزم بأنه يرجع إليه إن رجع في نطاق الإباحة الشرعية فقط.

---

(١) المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ص ٦٥ وأنظر التفسير والمفسرون ١/ ٧١.

فقوله رضي الله عنهما : يامعشر المسلمين كيف تسالون أهل الكتاب ؟ أكبر دليل على صحة ماذهبت إليه والله أعلم (١)

وأما رجوع ابن عباس إلى عبد الله بن سلام رضي الله عنه أو كعب الاخبار؛ فكان كمداد أي شخص من علماء المسلمين الذين رجع إليهم ابن عباس في هذا المنقصة له وماعد ذلك من الاتهام أمور غير مسلمة فلم أجهد نفسي في الرد عليها وهذه بعض مقتريات أحمد أمين من المسلمين الذين أدت أقوالهم إلى بلبلة واضطراب في نفوس المسلمين إذ يقول فيما يقول متأسيا بالآراء الاستشراقية النص التالي :

(وتميم كان نصرانيا من نصارى اليمن أسلم في سنة تسع من الهجرة النبوية وقد ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال . . . ونظرة في حديث الجساسة تدلنا على عقليته ونوع قصصه ومنحاه فيما يروى) (٢)

فهويتهم الصحابي الجليل الذي تشرف بأن الرسول صلى الله عليه وسلم روى عنه وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عنه وحاله منهم إذ لا يقره الوحي على ذلك.

كما يقول أحمد أمين في موضع آخر وذلك اثناء حديثه عن مصادر التفسير المباركة الآتية:

وثالثا : وهناك منبع آخر من منابع التفسير استمد منه المفسرون كثيرا ذلك ان شغف العقول وميلها للاستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن الكريم أن تتساءل عما حولها فاذا سمعوا قصة كلب أصحاب الكهف قالوا ماكان لونه ؟... وكان الذي يسد هذا الطمع هو التوراه وما علق عليها من حواش وشروح بل وما دخل عليها من أساطير وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الاسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الاخبار ودخلت في تفسير القران الكريم يستكملون بها الشرح ولم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس رضي الله عنهما من أخذ قولهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا حدثكم أهل الكتاب

---

(١) فتح الباري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لاتسالوا أهل الكتاب عن شيء) ١٣/ ٣٣٤. وانظر التفسير والمفسرون ١/ ٦٤ بتصرف كبير.

(٢) فجر الاسلام ١٥٨ - ١٥٩

فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ولكن العمل كان على غير ذلك وأنهم كانو يصدقونهم وينقلون عنهم. ..)[1]

" تفنيد اتهام أحمد أمين لكبار الصحابة رضى الله عنهم اجمعين "

١- صاحب هذا القول لا يعرف قيمة الصحابة ومدى تمسكهم بالسنة النبوية الشريفة إذ يؤخذ من قوله - أحمد أمين - انهم بسطاء وسذج وحاشاهم - والا فماذا يفهم من قوله : ولكن العمل كان على خلاف قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)

٢- إنه تابع المستشرقين في تخصيص ابن عباس رضى الله عنهما من دون الصحابه في الأخذ بأقوال أهل الكتاب كيف ما جاء!! وفي هذه المتابعة فيها مافيها .!!

٣- انه ناقض نفسه بنفسه مما يدل على اضطراب نفسي وفكري وعقائدي معا - إذ يقول في مسألة المفسرون في عصر الصحابه : (ويظهر أنه وضع على ابن عباس . . . أكثر مما وضع على غيره ،،فابن عباس من بيت النبوة والوضع عليه يكسب الموضوع رونقا . . . وتقديسا . . .

وابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون ، يتقرب إليهم بكثرة المروى عن جدهم ...)[1]

فنقول هذه أمور مسلمة لدى المسلمين فلا تمس ،فلماذا إذا تجزم بأن ابن عباس كان يأخذ كل شيء عن أهل الكتاب ؟

مع علمك بهذا وبغيره كما اشهت ذلك[3] وأن المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما كان كثيرا الأمر الذى حدى بنقاد أهل الحديث أن يجعلوا حدا لهذا المروى بتقنيتهم نظاما معينا وهي أصح الطرق عن ابن عباس وأو هي الطرق. ولو ذهبت افند مطاعن هذا الرجل أحمد أمين لطال الحديث و لخرجت عن الموضوع الأصلي لهذه الرساله.

---

(١) فجر الاسلام ٢٠١ وانظر التفسير والمفسرون ١ / ٧٢

(٢) ،، ،، ٢٠٢ و ٢٠٣ مع التصرف

(٣) لقد اشهت ذلك في كتابة فجر الاسلام ص ٢٠٣

ولكن أقول له ولا مثاله: قفوا عند الحقيقة واعلموا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون علماء اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم من منطلق أنهم مؤتمنون على دينهم الجديد الاسلام والمسلم لا ينبغي له أن يسيء الظن بأخيه مع العلم اليقين أن أسئلتهم لم تكن في شيء يمس العقيدة أو يتصل بالأحكام كما أنهم لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من العبث واللهو . . . .

(كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لا يصدقون اليهود أو غيرهم من أهل الكتاب فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة السمحة .

فهم قد فهموا من الحديث الشريف (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) إباحة الحديث عن بني اسرائيل وتصديق ما جاء موافقا الشريعة الاسلامية وتكذيب ما جاء مخالفا لها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب

وما سكت عنه القران الكريم واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه .(١)

(ثم كيف يستبيح ابن عباس رضي الله عنهما لنفسه أن يحدث عن بني اسرائيل بمثل هذا التوسع الذي يجعله مخالفا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من أشد الناس تكيرا على ذلك . مصداق ذلك ماجاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (يا معشر المسلمين تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله . .)(٢)

وخلاصة القول ان الصحابة جميعا لم يخرجوا عن دائرة الاباحة التي فهموها من النص النبوي القائل " لا تصدقوا اهل الكتاب" بل جمعوا بينهما كما سلف سابقا. والله أعلم .

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٧٠ - ١٧١ مع تصرف يسير

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٧٢ وما بعدها

أما عصر التابعين .

فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت على عهدهم المرويات الاسرائيليه في التفسير .

أهم العوامل والاسباب التي ساعدت على انتشارها :-

إن العوامل والأسباب كثيرة ولعل أبرزها الآتي :

آ- كثرة من دخل من أهل الكتاب وغيرهم في الاسلام، وكان منهم من دخلوا في الاسلام عن اقتناع وايمان وكان منهم من دخلوه على دَخَل ودَغَل وقد احترف هؤلاء وهؤلاء العلم وأفرغوا أنفسهم له وجدوا في طلبه ... وكان تفسير القران الكريم هو أحد هذه العلوم التي تولاها هؤلاء الأعاجم عامة وأهل الكتاب منهم خاصة ومن هنا بدأت الاسرائيليات من نصوص العهدين القديم والحديث تنهال وتلتصق بآي الكتاب الكريم .

ب - ميل نفوس المسلمين الجدد لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن الكريم من أحداث يهودية أو نصرانية فظهرت في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا هذه الحوادث والأخبار والتي أشار إليها القرآن الكريم بما هو موجود عند اليهود والنصارى وغيرهم فحشوا التفسير بكثير من القصص (١) ولعل أبرز هؤلاء مقاتل ( ) بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ إذ نسبه أبو حاتم إلى أنه استقى علومه بالقران الكريم من أهل الكتاب..) (٢)

جـ- أن الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين تلقوا التفسير وغيره من امام المفسرين الأول ورائدهم الأمثل الذي أنار لهم الطريق واضاء لهم السبيل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان الأعلام من الصحابة يرجعون إليه في حياته إذا استغلق عليهم أمر أو التوت عليهم فكرة وهذه المرحلة تسمى "مرحلة الرواية" فلما سبقهم إلى الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه حملوا

---

(١) التفسير والمفسرون ١٧٥/١ تفسير ابن كثير الشعب ص٤ ٥ والاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢)

من بعده التشعل وصاروا في طريقهم الواضح يحدو هم الايمان ويقودهم الإخلاص وترفرف عليهم الملائكة .

فكان هؤلاء الائمة الاوائل من المفسرين رضوان الله عليهم على جانب عظيم من معارف عصرهم وثقافة زمنهم إضافة إلى ماكانوا يعرفون من أسباب القرآن الكريم والظروف التي لابست نزول آياته والأحداث التي نزلت هذه الآيات في شأنها .

وهناك الأمثلة العديدة التي تؤيد ذلك منها : قول أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه الآتي :

(١) فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (والله مانزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وإن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا)[1]

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ماأخذت من تفسير القرآن فعن علي ابن أبي طالب)

(٢) ومنها قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

عن مسروق رحمه الله قال : قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (والذي لاإله غيره مانزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تنالهالمطايا لأتيته)[2]

وروى أبو نعيم في الحليه عن ابي البحتري قال : قالو العلي رضي الله عنه أخبرنا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : علم القران والسنه ثم انتهى ، وكفى بذلك علما)[3]

---

(١) الحليه حلية الاولياء وطبقات الاصفياء للحافظ ابي نعيم الاصفهاني ١ /٦٧ وما بعد طبع السعادة

(٢)

(٣) الحليه ١ /١٢٩

وقد التزم هؤلاء الأئمة في تفسيرهم للقرآن الكريم منهجا لم يتجاوزه، وسلكوا طريقا لم يحيدوا عنه، ثم نقلوا ما علموه من التفسير إلى تابعيهم بعد تفرقهم في البلاد .

د- كثرة الوضع ونشاط القصاص في هذا المضمار .

ففي عصر التابعين ومن جاء بعدهم ضعفت الخاصية التي كانت في العصر الأول وهي :-

التثبت والتحري في الحديث فكثرت الرواية، وانتشر الحديث وفشا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض صحابته فقد وجدنا في كتب التفسير أمثلة على هذا القصص لا حصر لها معزوة الى بعض التابعين، أمثال قتادة ومسروق وكعب ووهب وزيد بن مسلم وغيرهم وهذه القصص التي نسبت إليهم فيها كثير من الإغراب والمبالغة والخيال والبعد عن العقل)[1] .

ومن الأمثلة على ذلك ماذكره غير واحد من المفسرين عند قوله تعالى (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه)[2] .

فقد روى السدى عن زيد ابن أسلم أثرا عجيبا فيه كثير من المبالغة والخيال ومما جاء فيه (إن الله تعالى - سلط البعوض على النمرود وجنوده وقت طلوع الشمس فلم يروا عين الشمس وسلطها عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها منخري الملك فمكث فيه أربعمائه سنة يعذبه الله بها حتى كان يضرب رأسه بالمرزبه)[3]

في هذه المدة حتى أهلكه الله)[4]

قلت: بعوضة تدخل منخري الملك وتمكث أربعمائة سنة ويضرب بالحديد

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٣٦ بتصرف يسير

(٢) البقره (٢٥٨)

(٣) الآية

(٤) التفسير ابن كثير ١/ ٣١٣ - ٣١٤ ج

في رأسه طوال هذه المدة ثم يهلك بعد ذلك أكانت تخرا الملك سردابا طويلا مظلما ، ورأسه قدت من صخر لا يؤثر فيه الا الحديد!!

ان من المؤسف حقا أن تشيع هذه الأباطيل بين المسلمين أليس في هذا ضياع للوقت وتشتيت للفكر ، والهاء عن أمر الرب . اللهم غفرا .

أما عصر تابع التابعين وما بعدهم : فازدا خطر الوضع وتفشى بصورة مزعجه حيث جاء من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقران الكريم كل مايروى لهم وإن كان لا يتصوره العقل .

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعا من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير فوجد من المفسرين من حشو كتبهم بهذا القصص الاسرائيلى الذى كاد يضيع الناس عن النظر فيها والركون إليها (١) .

وهكذا بدأ الكدر يشوب موارد التفسير وأخذت أكاذيب أهل الكتاب وأساطيرهم تأخذ طريقها إلى هذه الموارد التي كانت من قبل طاهرة نقية لم تُرَنّق صفوها الأحاديث الموضوعة والأخبار المدخولة والخيالات التي يأبها العقل . . .

ومهما يكن من استمرار سوء الوضع قرونا فقدنا هضها العلماء ولاسيما أئمة الحديث وجهابذته الذين ألفوا الكتب ودونوا الدواوين وميزوا فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ، وغيره .

إضافة إلى هذه الجهود الجباره كانوا لا يقبلون شيئا إلا بعد معرفة رجال الاسناد فاذا ماثبت عدالتهم وضبطهم قبلوا المروى وإلا رفضوه .

يؤيد هذا الأمر ماذكره الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين رحمه الله أنه قال : (لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنه قالو : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)(٢)

---

(١) التفسير والمفسرون ١/١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) مقدمه صحيح مسلم بشرح النووى ج١ ص٨ وانظر الحديث والمحدثون ص٧٠ ط الاولى والاسرائيليات للذهبى ص ١٩

وروى مسلم أيضا بسنده عن ابن المبارك قال: بيننا وبين القوم القوائم أى الاسناد قال الإمام النووى: ومعنى هذا الكلام إن جاء باسناد صحيح قبلنا حديثه والا تركناه فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير اسناد كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم)[1].

إلى غير ذلك من الروايات التى تدل دلالة واضحة على ظهور الوضع بعد عصر الفتنة وان كبار أئمة الحديث والجرح والتعديل كانوا للحركة بالمرصاد.

---

(١) مسلم بشرح النووى ١/٨٤ - ٨٨.

المبحث الثالث

كيف تصاعد تسرب الإسرائيليات ؟

يلاحظ الدارس لعلوم القران الكريم أن التفسير مر بمرحلتين قبل أن يصل إلى ماهو عليه الآن ، وتلك المرحلتين هما :- مرحلة الرواية ومرحلة التدوين .

وقد سبق بيان مرحلة الروايه بشكل لا بأس به إذ بينا فيما سبق أن القران الكريم نزل بلسان عربي مبين ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لصحابته ماأشكل فهمه عليهم ....

ثم اختلف العلماء في القدر الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم على قولين :-

الأول : إن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لهم كل معاني القرآن الكريم وعلى رأس القائلين به شيخ الإسلام ابن تيمية واستدلوا بأدلة كثيرة منها قوله تعالى : ((وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون))(١)

فقوله سبحانه (لتبين للناس مانزل إليهم) يتناول هذا وهذا) إلى غير ذلك من الأدلة النقلية والعقلية)(٢)

الثاني : قول من قال بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني قليلة فقط ،

واستدلوا على ذلك بأدلة منها :-

قوله جلّ شانه (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ...)(٣)

فالله سبحانه وتعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه ... إلى غيرها من الأدلة ، ومن هؤلاء السيوطي)(٤)

---

(١) النحل (٤٤) .

(٢) مقدمة في اصول التفسير لشيخ الاسلام ابن تيميه ص ٧٠٥ ط٤ .

(٣) ص (٢٩) .

(٤) الاتقان ٢/١٧٤

والقول الراجح - إن شاء الله - هو أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه الكثير من معاني القرآن الكريم وليس كلها . (ويؤيد ذلك إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر كل معاني القرآن الكريم - أن الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات ، واوكان عندهم فيه نهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوقع هذا الاختلاف ، أولا رتفع بعد الوقف على النص)[٢] فلقد وعى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقلوا ماعندهم إلى إخوانهم من الصحابه - الذين فاتهم سماع بعض الشيء من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين ، وهكذا نقل التابعون ماتحملوه من الصحابة .

(ولم يكن كل مايرويه التابعون وتابعوهم مقصوراً على ماهو مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان في ضمن مايروونه موقوفات على الصحابة أوالتابعين بعضها يرجع إلى التفسير وبعضها يرجع إلى غيره من الأمور الدينية غير أن الرواية للماثور من التفسير لم تكن في أدواره المختلفة تمشي على نمط واحد من الضبط والتثبت .

ففي عصر الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحرون الصحة فيما يتحملونه ويروون - كما مر معنا - فلم تستطيع الإسرائيليات غزو المجتمع الاسلامي بصورة كبيرة وإن كانت لها بذور في الصدر الأول ، وفي عصر التابعين كثرا الوضع ونشأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل في التفسير كثير من الاسرائيليات والنصرانيات وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وكان لايزال عالقا بأذهانهم من الأخبار مالا يتصل بالأحكام الشرعية كأخبار بدء الخليقة وبدء

---

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٤٩ - ٥٤

الكائنات وكثير من القصص وكانت النفوس ميالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية .

فتساهل التابعون فزجوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات والنصرانيات بدون تحرٍ ونقد ...)(١)

فعندها وقف المسلمون موقفا حازما من قبول الحديث وهو المتمثل في معرفة رجال الاسناد عدالة وضبطا فاذا كان من هذا القبيل قبلوه وإلا ضربوا به عرض الحائط وقد سبق وأن أشرت إلى الأثر المروي عن محمد بن سيرين رحمه الله (لم يكونوا يسألون عن الإسناد...) . ظل الأمر في عهد التابعين على هذا فكان مايروونه من التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة لا يروونه الا باسناده(٢) أما عصر أتباع التابعين فقد ازداد وتفاقم أمر الوضع وتطرق الكثير من الموضوعات إلى التفسير وغيره . وكان ذلك خدمة للقصص الضعيفة المريضة من مبتدعة وغيرهم الأمر الذي حدى بالعلماء الاجلاء أن يتصدوا لهذه المفتريات بفضحها وإبانة زيفها ، كذلك وضعوا لرواية الحديث ورواته قواعد وضوابط محررة جعلوها معايير ومقاييس يمكن بواسطتها معرفة المقبول والمردود من الحديث ومن تقبل روايته ومن لا تقبل روايته من الرواة وتحذير الناس من الاغترار بهم فجزاهم الله أعظم ماجازى علماء أمة .)(٣)

وجدير بالإشارة هنا أن نذكر أن طابع الرواية إلى هذا الوقت أن يذكر المروي مقرونا باسناده وكان هذا يسهل لنقاد الحديث مهمة النقد ومن ثم الحكم على المروي بالقبول أو الرد .

ثم خلف من بعد هؤلاء وما أدراك ماهؤلاء فقد تساهلوا في الرواية والمروي معا . فاذا رووا حذفوا الأسانيد وإذا تحملوا مرويا لا يسألون عن سنده . وكانت لتلك الطريقة آثارها السلبية على التفسير بالمأثور وغيره حيث التبس على

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٣٠

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ٢٠٢

(٣) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٨ - ٢٠ بتصرف

الناس وجه الحق . . . وفتح على المسلمين باب شر عظيم ، حيث مكن من تسرب الموضوعات والإسرائيليات والدخيل إلى التفسير فإننا نلحظ في كتب التفسير وغيره أن أصحاب المذاهب السياسية والعقدية وغيرهم من أصحاب الميول المختلفة والنزعات المنحرفة وضعوا أقوالاً في التفسير ونسبوها زوراً وافكاراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى بعض من اشتهر بالتفسير من الصحابة ترويجاً لمذاهبهم وتمكينا لبدعهم وأهوائهم .

فمن خلال بعض مراحل الرواية تسربت وتصاعدت الإسرائيليات بشكل كبير لإن انتهاء التفسير بالمأثور بحذف الاسانيد سبب فجوة وسهل أمر الاسرائيليات وأيضا من خلال بعض خطوات التدوين والذي مر بمراحل متعددة وسنوجز تلك الخطوات بالآتي :

الأولى : خطوه التلقي بالمشافهة حيث كان الصحابة يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروى بعضهم عن بعض وهكذا التابعون .

وأعقب هذه الخطوة خطوة تدوين التفسير على أنه باب من أبواب الحديث فجمع ماروى في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو الى التابعين (١)

وكان من بين هؤلاء الذين ساهموا في هذا التدوين يزيد بن هارون السلمي ت ١١٧ هـ

قال السيوطي (ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون واخرون) (٢)

غير أن هذه التفاسير ولسوء الحظ لم يصل إلينا شئ منها .

ثم تلت خطوة ثالثة وهي انفصال التفسير عن الحديث فوضع التفسير لكل آية من القران الكريم ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ؛

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ١٤١

(٢) الاتقان ٢ / ٢٤٣ ط الحلبي الطبعة الرابعة

ونفذ هذه الخطوات طائفة كبيرة من جهابذة العلماء كالطبرى رحمه الله. (وكان التفسير رغم انفصاله عن الحديث لا يزال يغلب عليه سمة الحديث وطابعه فقد كان مأذونا فى هذه الفترة لا يتجاوز المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين اللهم إلا ما كان من ابن جرير الطبرى فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط)[1].

ثم جاءت الخطوة الرابعة: وهى الخطوة التى اختصرت فيها الأسانيد ونقلت الأقوال تترى وبالتالى تصاعدت الإسرائيليات أكثر من قبل والتبس الصحيح بالعليل وراجت الروايات الواهية والمختلقة المكذوبة وشاع القصص الإسرائيلى بشكل عام بسبب حذف الأسانيد)[2]

يقول الذهبى فى التفسير والمفسرون : (والحق ان هذا السبب حذف الاسناد - يكاد يكون أخطر أسباب ضعف التفسير بالمأثور لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر فى هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها مافيها من الإسرائيليات والقصص المخترع على أنه صحيح كله مع ما فيها مما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل)[3]

قلت : ولنا مثل واضح فى تفسير الخازن[4] وغيره ممن الصقوا بجوار آيات الله تراهات وأباطيل .

ويقول الذهبى أيضا : (واذا كان للإسرائيليات خطرها فان خطرها كان من الممكن تلافيه لو ذكرت لنا هذه الأسانيد ولكن حذفها وللأسف عمى علينا كل شئ وليت هؤلاء الذين حذفوا الأسانيد وعنوا بجمع شتات الأقوال فعلوا كما فعل ابن جرير من رواية كل قول باسناده فهو وان كان لم يتحر الصحة فيما يرويه إلا أن عذره فى ذلك أنه ذكر لنا السند مع كل رواية يرويها (من أسند لك فقد حملك)[5]

---

(١) المصدر السابق ٢/٢٤٣ وأنظر التفسير والمفسرون ١/١٤١ بتصرف

(٢) الاتقان ٢/٢٤ وانظر التفسير والمفسرون ١/١٤٥ مع التصرف

(٣) التفسير والمفسرون ١/٢ ٢ بتصرف يسير

(٤) له فى بعض القصص مواقف منشرقه وفى غيرها هفوات والحق هو الميزان .

(٥)

أنا : لست مع الدكتور الذهبي فيما مال إليه أخيراً !

وذلك لأن عدم تمحيص الروايات والاكتفاء بإلقاء المهمة على الرواة المذكورين في أسانيد الروايات ألقى عبئاً كبيراً على (المفسر المعاصر) لأنه يحتاج إلى بذل جهد ضخم للوصول إلى الروايات الصحيحة بعد فهم وتطبيق منهج المحدثين وهو أمر لم يعد سهلا ميسورا كما كان بالنسبة للطبري أو غيره بسبب تضلعهم في مناهج المحدثين وطريق سبرهم للروايات وتمييزها. وعلى أية حال فنحن لا ننكر قدامى المفسرين حقهم وفضلهم فقد جمعوا لنا المادة الأولية بالأسانيد التي تمكننا من الحكم عليها ولو بعد جهد وعناء.

ثم تلت تلك الخطوات خطوات عدة وفي كل خطوة يقحم ويدس في تفسير القرآن المجيد أشياء وأشياء ومن أبرز ما دس في تفسير القرآن الحكيم وأخطره هو القصص الإسرائيلي.

ويلاحظ أن تسرب الإسرائيليات كان يتدرج في كل من مرحلة الرواية وخطوات التدوين. أما في مرحلة الرواية فقد تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث في وقت واحد ضرورة أنهما كانا في أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر وقد كان الصحابة رضي الله عليهم يقرؤن القرآن الكريم ويمرون على ما فيه من قصص وأخبار يرونها تقتصر في ذكر حوادثها على موضع العظة والعبرة)

وتطوى من جزئيتها وتجمل من تفاصيلها ما يعلمون بحكم جوارهم لأهل الكتاب ودخول نفر منهم في الاسلام أن التوراة والانجيل اللذين لم يحرفا يشتملان على كثير مما يشمل عليه القرآن الكريم من وقائع وحوادث .....

وكانت نفوس بعض الصحابة تميل إلى معرفة هذه التفاصيل فيلقون بعض من أسلم من أهل الكتاب فيسألونهم عما تشوقت نفوسهم إليه ؛ فيجيبونهم بما يعرفون من ذلك)[1]

غير أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء ولم يقبلوا منهم كل شيء وقد سبق بيان ذلك بشيء من التفصيل)[2]

(١) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٢٢ = ٢٣ بتصرف

(٢) انظر ص ١٣٥ هذا البحث

وبعد ذلك جاء عصر التابعين وفيه اتسع النقل عن أهل الكتاب ونمت رواية الإسرائيليات نموا مزعجا، وقد سبق أيضا بيان الدواعي والأسباب التي أدت إلى نمو الإسرائيليات (١)

ثم جاء عصر اتباع التابعين ومن بعدهم وفيه أفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم يكادون لا يردون قولا ،

مع الأخذ في الإعتبار أن الذين شحنوا التفسير بالإسرائيليات في هذه المرحلة أكثرهم من القصاص وما ابتلى المسلمون بشيء أكثر من اللصاص الذين كانوا يجلسون إلى العامة في المساجد وغيرها يستميلون قلوبهم بما يروونه من أعاجيب تستهويهم ويتخذون من ذلك سبيلا إلى استدرار ما في أيديهم !!

ولعل أقرب مثال على ذلك مقاتل بن سليمان فتفسير فيه من العيوب الشيء الكثير ، لعل أبرزها :

١ = الكذب والتدليس في الرواية .

٢ = تأثره بإسرائيليات اليهود والنصارى .

٣ = وجود تجسيم وتشبيه في هذا التفسير (٢) .

إضافة إلى ما تقدم فقد تعرض هو نفسه للجرح من رجال الحديث وهذه بعض أقوال النقاد فيه :

(قال الإمام البخاري: منكر الحديث لا شيء البته .

(وقال يحي بن معين : ليس حديثه بشيء ليس بثقه .

(وقال أبو حاتم بن حبان : كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب عز وجل بالمخلوقين وكان يكذب مع ذلك في الحديث (٣)

---

(١) انظر ص ٤٠ من هذا البحث

(٢) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ٢١٩ = ٢٣٣ مع التصرف

(٣) تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨١ والميزان للذهبي ٤ / ١٧٣ / ١٧٥

وفى كتاب الضعفاء للنسائى : والكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة وعد منهم مقاتل بن سليمان ....)(١)

والقصص الاسرائيلى لم ينفذ أثره إلى أعماق الحياة الاسلامية إلا بعد أن أصبح القصص فنا عمليا يقال فى المساجد .

والقصص الإسرائيلى اقوى أثراً وابلغ من غيره فهو لذلك مادة خصبة لهؤلاء القصاص يعمودون إليها متى شاءوا فيأخذون منها مايعينهم على أداء مهمتهم .

وقد شعر المسلمون الأولون بخطر هؤلاء القصاص وتزايدهم وحسبى فى هذا مايرويه الغزالى فى الإحياء إذ يقول (أما القصص فهو بدعة وقد ورد نهى السلف من الجلوس إلى القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنه فظهر القصاص اهـ (٢)

وقد روى ان عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ماخرجنى إلا القصاص ولولا ه ماخرجت .

وقال ضمرة لسفيان الثورى : نستقبل القاص بوجه وهناء ؟

قال : ولوا البدع ظهوركم)

وقال ابن عون : دخلت على ابن سيرين فقال : ماكان اليوم من خبر ؟ فقلت : نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال : وفق للصواب))

وقد اشتهر بعض هؤلاء القصاص بتفسير القرآن ومنهم فى القرن الثالث الهجرى موسى الإسوارى وغيره .

ويدلنا على أن هؤلاء القصاص كانوا يبدون عناية خاصة بالقصص الإسرائيلى أن نوف بن فضاله كان يقص بالكوفة وقد ذكر البخارى أن سعيد بن جبير رحمه الله سأل ابن عباس رضى الله عنهما فيما يزعمه نوف من أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن إسرائيل فقال : كذب عدو الله .

هذا وقد قوى سلطان القصاص حين كانوا يستغلون لمبادى سياسة أو إجتماعية (٣)

---

(١) الضعفاء ص ١٢٣

(٢) إحياء علوم الدين

(٣) نشأة التفسير ص ٣٨ = ٣٩

وقد تسربت الاسرائيليات وازدادت فوق ماذكرنا من طريقين اخرين :

أولهما = طريق المذاهب الدينية القريبة من مذاهب أهل هذه النقول، واذا عرفنا ان الشيعة قد استوطنوا العراق التي هي مهد الدراسة اليهودية من قديم الزمان وعرفنا أن التلمود البابلي كتب في هذه البيئة أدركنا صلة تأثرهم بهذه الدراسة إلى الحد الذي نجده عندهم في تأويلاتهم البعيدة وتعسفاتهم البالغة (١)

وهنا يظهر محمد بن السائب الكلبي السبعي إذ كان من أتباع عبدالله ابن سبأ اليهودي لعنه الله .

قال ابن حبان :كان الكلبي سبئيا من أولئك الذين يقولون إن علياً لم يمت وأنه راجع الى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جورا (٢)

وعن أبن عوانه قال : سمعت الكلبي يقول : كان جبريل عليه السلام يملي الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء جعل يملي على علي (٣)

وعن الأعمش باتق السيئة فإني أدركت الناس وإنما يسموتهم الكذابين (٤)

وقال السيوطي الكلبي اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه كل شئ حدثتكم عن أبي صالح كذب ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشد منه ضعفا وهو محمد بن مروان السدي الصغير (٥)

وثانيهما = ترجمة التوراة وشروحها فقد ذكر ابن النديم في فهرسته (ان احمد بن عبدالله بن سلام(٦) ترجم التوراة ترجمة دقيقة وبذلك قدم هذا الرجل وغيره

---

(١) نشأة التفسير ص ٣٩

(٢) ميزان الاعتدال ٣/٥٥٨

(٣) " " ٣/٥٥٨

(٤) " " ٣/٥٥٧ وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ ومابعدها

(٥) الدر المنثور ٦/٤٢٣

(٦) لم أعثر له على ترجمة

للمفسرين مادة خصبة جديدة من الإسرائيليات يضيفونها إلى تفسير القران الكريم ومن ثم توسع المفسرون وغيرهم فى الاستعانة بهذه الترجمات (١)

وأما خطوات التدوين فقد سبق وان أوضحنا (٢) أن التفسير كان بابا من أبواب الحديث وماذكر من المأثورات أولا كان مذكوراً بأسانيده وكان فى جملته خاليا من الاسرائيليات الا قليلا منها لا يعارضه نص شرعى .

وبعض منها مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق صحيح كأحاديث بنى إسرائيل الموجودة فى كتب الحديث الصحيح كالبخارى .

ثم تلته خطوة انفصال التفسير عن الحديث فدون أول مادون بالاسناد مع طائفة من الإسرائيليات غير قليلة وفى بعض منها نكارة وغرابة .

وتلت ذلك خطوة تدوين التفسير بحذف الاسانيد مع عدم تحرى الدقة فجمع الصحيح ونفيضه فى تلك الخطوة وبالتالى ضمن ذلك كثير من الإسرائيليات وكلما تقدم الزمن بالناس كلما زادها بعض من تصدوا لكتابة التفسير (٣)

وبعد فهذه الإسرائيليات التى تسربت إلى كتب التفسير كثيرة متشعبة يحتاج ترتيبها ، وتنقيتها إلى وقت مسرف فى الطول لأن حديث القران الكريم عن بنى إسرائيل حديث طويل كما لم يفته أيضا أن ينبه إلى مواطن العبرة فيما أورد من قصصهم .

كما إشار إلى بعض أحكامهم التشريعية العملية كمسالة القصاص قال تعالى :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية) (٤)

وكحرمة بعض الاشياء عليهم (أو الحوايا أو ما اختلط بعظم) (٥)

كما ناقش قول العقيدة عندهم أحيانا (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) (٦)

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٣٤ وما بعدها ط دار المعرفه بيروت

(٢) انظر ص ١٤٨ من هذا البحث

(٣) انظر التفسير والمفسرون ١/١٤١ = ١٥١ مع التصرف

(٤) المائده (٤٥)

(٥) الانعام (١٤٦)

(٦) التوبه (٣٠)

المبحث الرابع

أقسام الإسرائيليات.

تنقسم الإسرائيليات الى أقسام ثلاثة باعتبارات متباينة:

فتنقسم أولا باعتبار السند إلى مايلى :

أ = صحيح من ناحية السند والمتن (١)

ومثال ذلك ماذكره ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمّى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) (٢) حيث يقول: قال ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا عثمان بن عمر.... عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال: أجل والله وانه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن (يأيها النبىء إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدى ورسولى ...الخ) (٣)

ثم علق الحافظ ابن كثير على هذه الرواية بقوله: (وقد رواه البخارى (٤) فى صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح فذكر باسناده نحوه .

الباحث: اسناد هذا الحديث صحيح لأن رجاله ثقات ولأنهم من رجال البخارى.

وصحيح من حيث المتن إذ هو موافق لقوله تعالى : (يأيها النبىء إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا) (٥)

وحكم هذا القسم الجواز مادام رجال الاسناد موثقون من قبل أئمة الجرح والتعديل ومادام المتن لم يصادم النص القرآنى أو السنة المطهرة والله أعلم .

ب = ضعيف من ناحية السند أو المتن أو كلاهما :

مثال الأول ماذكره الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) (٦)

---

(١) الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٣٦ والاسرائيليات وأثرها فى كتب التفسير للدكتور رمزى نعناعة ص ٧٦ ط١

(٢) الاعراف (١٥٧)

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٢٥٣ حلبى

(٤) فتح البارى كتاب البيوع باب كراهية السخب فى الأسواق ٤/ ٣٤٢-٣٤٣ وكتاب التفسير ٨/ ٥٨٥/ ٥٨٦

(٥) الأحزاب ٤٥ = ٤٦)

(٦) البقره (٣٤)

قال رحمه الله :(وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك السماء الدنيا ...)[1]

علق عليه الحافظ بقوله فهذا الاسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السدي ويقع فيه اسرائيليات كثيرة فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو انهم أخذوه من أهل الكتب المتقدمة والله أعلم)[2]

ويقول الطبري عن هذا الإسناد : اذ كنت بإسناده مرتابا)[3]

ويعلق الشيخ أحمد شاكر على كلام الطبري هذا بقوله (وحق لأبي جعفر أن يرتاب في إسناده)[4]

مثال الثاني : قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة الآية)[5]

قال الامام ابن كثير نقلا عن ابن أبي حاتم عن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول : " السجل[6] ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له في كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وما كان فيه من الأمور ...)[7]

قال ابن كثير عقبه: (وهذا أثر غريب وبتقدير صحته إلى أبي جعفر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكاره توجب رده والله أعلم)[8]

---

(١) تفسيره ١ / ١٠٩ الشعب.

(٢) تفسيره ١ / ١٠٩ الشعب.

(٣) تفسير الطبري ١ / ٣٥٤ طبعة شاكر.

(٤) تفسير الطبري ١ / ٣٤٨ طبعة شاكر.

(٥) البقرة (٣٠)

(٦) الصحيفة على القول الراجح وقيل غير ذلك أنظر الجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/١١

(٧) تفسيره ١ / ٧١ حلبي

(٨) تفسيره ١ / ٧١ حلبي

ومثال الثالث = ضعيف من ناحيتى السند والمتن :

قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم)

روى ابن كثير أثرا عن اسماعيل بن يحيى أن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : أكتب قال : ما أكتب قال : بسم الله قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدرى قال له عيسى : الباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مملكته والله ، اله الآلهة ..)!!(١)

فأما إسماعيل ابن يحيى فيقول ابن عدى : يحدث عن الثقات لا يحل الرواية عنه بحال "

وقال الدار قطنى : " كذاب متروك "

وأخيراً يقول ابن الجوزى : ما يضع مثل هذا الحديث الملحد يريد شين الاسلام أو جاهل فى غاية الجهل(٢)

وبد هى أن حكم هذه الأمثلة الثلاثة لا ينبغى روايتها الا لبيان مافيها والله اعلم

(ج) الموضوع (٣)

مثال ذلك ماذكره ابن كثير عند قوله تعالى : (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) (٤) أن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضى الله عنه ان نوفا البكالى يزعم إن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل فقال ابن عباس رضى الله عنهما : (كذب عدو الله)(٥)

قلت : نوف البكالي ابن امرأة كعب الأحبار أسلم وهو يحمل معه أخباراً إسرائيلية كثيره منها الصادق ومنها الكذب :

والأثر الذى معنا من الكذب الواضح لمعارضته القرآن الكريم ،

والأحاديث الصحيحة ولعله كاف قول ابن عباس رضى الله عنهما كذب عدو الله .

---

(١) تفسيره ١ / ١٧ حلبى والشعب ١ / ٣٣

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ١ / ٢٠٣ = ٢٠٥ ط السلفيه

(٣) الحديث المختلف المصنوع المكذوب

(٤) الكهف (٦٠)

(٥) تفسير ابن كثير ٣ / ٩٢ = ٩٣ حلبى

وتنقسم الأخبار الاسرائيلية ثانيا باعتبار موافقتها لما فى شريعتنا ومخالفتها لها الى اقسام ثلاثه:

الاول: الموافق لما فى شريعتنا أى مما يعلم صحته بأن نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم نقلا صحيحا كتعيين اسم صاحب موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخارى رحمه الله)(١)

ومثاله أيضا ماروا ه الامام البخارى فى صحيحه عن عطاء بن يسار عن أبى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزه واحد ه يتكفؤ ها (٢) الجبار بيد ه كما يكفا أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن عليك يأبا القاسم ا لا أ خبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟

قال : بلى : قال : تكون الارض خبزة واحد ة كما قال النبى صلى الله عليه و سلم فنظر النبى صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذ ه)(٣)

فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضحك حتى بدت نواجذ ه لخبر ذلك اليهودى تعجبا وتصديقا لخبره عن نزل أهل الجنة فوافق خبره خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمثل هذا المثال يجوز روايته (للاستشهاد و لا قامه الحجة عليهم من كتبهم ، وفى هذا القسم ورد قوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذ ب على متعمدا فليتبوأ مقعد ه من النار)

قال الحافظ فى الفتح : أى لا ضيق عليكم فى الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر فى كتبهم ثم حصل التوسع فى ذلك وكأن النهى وقع قبل استقرار الاحكام الاسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنه ثم لما زال المحذور وقع الأذن فى ذلك لما فى سماع الاخبار التى كانت فى زمانهم من الاعتبار)(٤) .

---

(١) فتح البارى ٨/٤٩

(٢)

(٣) فتح البارى كتاب الرقاق باب يقبض الله الارض يوم القيامه ١١/٣٧٢

(٤) فتح البارى ٦/٤٩٨

الثانى :

المخالف لما فى شريعتنا أى مما يعلم كذبه بنقضه المعروف من شرعنا

مثال ذلك بقوله تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى اللّه جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) (١)

فقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره أن أولئك السبعين بعد إحيائهم ، قالوا يا موسى : إنك لا تسأل من الله شيئا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبيا ؟!! فدعاه بذلك فأجاب الله دعوته ؟! (٢)

علق الحافظ ابن كثير على هذا بقوله : وقد أغرب الرازى حيث حكى قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد احيائهم ... إذ لا يعرف فى زمن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام نبى سوى هارون عليه السلام ويوشع بن فون عليه السلام) (٣)

وهذا القسم لا ينبغى ذكره لمن لم يسمعه ، وتجب إزالته لمن سمعه بتفنيده وبيان زيفه ، وأنه صنيعة أعداء الاسلام والمسلمين معا ،

وفى هذا القسم ورد النهى عن النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة عن روايته والزجر عن أخذه عنهم وسؤالهم عنه ، وما لم يرد النهى عنه أو تفنيده وما لم يرد الشرع بتصديقه أو تكذيبه ما سكت عنه شرعنا وليس فيه ما يؤيده أو ينفيه

الثالث - ما سكت عنه شرعنا ولم يرد فيه ما يؤيده أو ينفيه

وتنقسم الإسرائيليات ثالثا = باعتبار موضع الخبر الاسرائيلى إلى أضراب ثلاثة : يأمر آل إسرائيل بقرة »

الأول ما يتعلق بالعقائد :

ومثاله ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء حبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنه اذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر

---

(١) البقرة (٥٥)

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٣ / ٨٤ ط الاولى

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٩٤ حلبى

الخلائق على إصبع ، ثم يهزهن ، ثم يقول سبحانه :(أنا الملك أنا الملك) فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقوله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (وما قدروا الله حق قدره الى قوله يشركون)(١)

فهذا الحديث مذكور في كتب الصحاح والستة وصرح ابن كثير بذلك (٢) كما أن السيوطي قد ذكر نحوه في الدر المنثور وفي أسباب النزول ، كما ذكره غيره واحد من المفسرين (٣)

وبد هي أن مثل هذا يجوز التحدث به والعلم عند الله .

الثاني : مايتعلق بالأحكام .

مثل ماروا ه الامام البخاري رحمه الله في الصحيح عند قوله تعالى :

(قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين)(٤)

اذ قال حدثني ابراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة وساق سنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال صلى الله عليه وسلم لهم :(كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟) قالوا : نحممهما ونضربهما فقال : صلى الله عليه وسلم (لا تجدون في التوراة الرجم ؟ فقالوا :لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام :كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) فوضع مدراسها الذي منهم يدرسها كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع يده عن اية الرجم

---

(١) فتح الباري كتاب التفسير باب(وما قدروا الله حق قدره ، ٨/ ٥٥٠ = ٥٥١ وكتاب التوحيد باب قول الله (لما خلقت بيدي) ١٣/٣٩٣ ومابعدها وباب قول الله (إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا ١٣ / ٤٣٨ وباب كلام الرب سبحانه وتعالى يوم القيامه مع الانبياء وغيرهم ١٣ / ٤٧٣

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٦٢ ح والشعب ٧/ ١٠٤

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٨٦ وأسباب النزول للواحد ص ٢١٢.

(٤) آل عمران (٩٣).

فقال: ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز قال: فرأيت صاحبها يجنا عليها يقيها الحجارة)[1]

وحكم هذا النوع كسابقه والله أعلم.

الثالث ما يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تمت إلى العقائد والأحكام بصلة مثل ما ذكره الامام ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى :(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)[2]

ذكر الحافظ عند هذا ان اسم ذلك الملك هدد بن بدد وأنه مذكور في التوراة في ذرية العيص بن اسحاق)[3]

وبعد :فهذه هي أقسام الاسرائيليات بالنسبة لكل اعتبار من الاعتبارات المذكورة وواضح كل الوضوح أنها متجانسة، ويمكن عزو بعضها إلى بعض، كما يمكن أن ندرجها تحت الأقسام الثلاثة .

مقبول = مردود = متوقف فيه بين القبول والرد .

ويظهر حكمها جليا ان شاء الله بعد استعراض لأقوال علماء التفسير في حكم الرواية الاسرائيليه في المبحث التالي : -

---

(١) فتح الباري كتاب التفسير باب قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) ٨/ ٢٢٤

(٢) الكهف (٧٩)

(٣) تفسيره ٥/ ١٨١ ط الشعب

المبحث الخامس

حكم رواية الاسرائيليات

يستحسن بادي ذي بدء أن أذكرهم نصوص الشارع الحكيم وما يلحق ذلك من المأثورات عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في شأن روايتها.

والمتأمل في تلك النصوص الحكيمة وغيرها يجدها تنقسم إلى شقين الشق الأول أدلة وآثار تجعل روايتها من المحظور، وأما الشق الثاني فهي تجعل روايتها من المباح.

وتفاصيل ذلك كالآتي:

الأول أدلة الحظر:

١ - (جاء في القرآن الكريم من الآيات الكريمات ما يدل دلالة لا تأرجح فيها أن اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها، وأخفوا الكثير منها.

أ - من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا)(١)

ب - وقوله تعالى جده: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به، ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)(٢)

ج - وقال الله عز ذكره في شأن النصارى: (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)(٣)

إلى غير ذلك من الآيات التي توضح أن كتب القوم محرفة مبدلة الأمر الذي يجعل الثقة فيها وفيما تخبر مفقودة تماما.

ومن الأمور البدهية أن ما لا يوثق به لا تجوز روايته)(٤)

---

(١) الأنعام: (٩١)

(٢) المائدة (١٣)

(٣) المائدة (١٤)

(٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٢ بتصرف كبير.

أنا: في الآيات السابقة إشارة الى عدم الجواز لأنهم أهل الكتاب حرفوا كتبهم فكيف يتسنى لنا نقلها ؟ اذ نستطيع استبعاد القصص والخرافات والأساطير التي قيسها بعض المفسرين عن أهل الكتاب وغيرهم وملؤوا بها كتب التفسير من غير ان تكون هناك حاجة اليها لفهم النص القرانى .

٢ = ماجاء في السنة النبوية الشريفة من الأحاديث الدالة على عدم الأخذ عنهم وهى كثيره تكتفى بالآتى :

أ = ماروا ه الامام البخارى في الصحيح قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمرو ساق سنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ... الآية) (١)

ومعنى الحديث على ماشرحه الحافظ ابن حجر في الفتح كالآتى :

(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم أى اذا كان مايخبرونكم به محتملا لئلا يكون فى نفس الأمر صدقا فتكذبوه ، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله) (٢)

ب - ماروا ه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرءونه محضا لم يشبه وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، لاينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله مارأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم) (٣)

---

(١) فتح البارى كتاب التفسير / باب قولوا آمنا بالله وماأنزل الينا " ٨/ ١٧٠ وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : (لا تسالوا اهل الكتاب عن شئ ١٣/ ٣٣٣ وكتاب التوحيد باب يجوز من تفسير التوراه ١٣ / ٥٦

(٢) فتح البارى كتاب التفسير باب قوله (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ٨/ ١٧٠ الاعتصام بالكتاب والسنه باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسالوا أهل الكتاب عن شئ ١٣ / ٣٣٤ وكتاب التوحيد باب قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن ١٣/ ٤٩٨ = ٤٩٨ وكتاب الشهادات باب لا يسال أهل الشرك عن الشهاده وغيرها ٥ / ٢٩١ .

جـ ماأخرجه عبدالرزاق فى مسنده من طريق حريث بن ظهير قال : قال عبدالله - يعنى ابن مسعود رضى الله عنه (لاتسألوا أهل الكتاب ، فانهم لن يهدوكم ، وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل) (١)

الثانى :ادلة الجواز :

أ = ماورد فى مسند أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لا إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة ، فدخل الكنيسة ، فاذا يهودى يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبى صلى الله عليه وسلم أمسكوا إإوفى ناحيتها رجل مريض ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (مالكم أمسكتم ؟) فقال المريض " إنهم أتوعلى صفة نبى فأمسكو ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأمته ، فقال: هذه صفتك وصفة امتك ، أشهد ان لااله الا الله ، وأنك رسول الله) (٢)

ب = ماجاء فى الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) (٣)

جـ = ماجاء فى صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن جمع الناس (إنى والله ماجمعتكم لرغبة ولا لرهبه ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت احدثكم عن مسيح الدجال) (٤)

(ففى الأحاديث السابقة الدلالة الكافية على رفع الحرج فى الحديث من بنى اسرائيل والاستماع اليهم الى غير ذلك من الأدلة على اباحة التحدث عنهم) (٥)

---

(١)

(٢) مسند الامام احمد / وعلق عليه الاستاذ احمد شاكر بقوله اسناده ضعيف لأن فيه ابا عبيده وهو لم يسمع من ابيه

(٣) فتح البارى كتاب احاديث الانبياء باب ماذكر عن بنى إسرائيل ٦/٤٩٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ / ٧٨ = ٨٣ وانظر تعليق النووى فى الموضع عينه

(٥) انظر الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٤٦ بتصرف كبير

التوفيق بين أدلة المنع وادلة الجواز :

لقد سبق وأن أشرت إلى أدلة تفيد المنع وأخرى تفيد الجواز ، وهنا أحاول التوفيق بينهما ، إذ ليس من الإنصاف العمل بأحدهما دون الآخر) فكلاهما وردا في الشرع فأقول :

إذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم ، وجدنا من آياته البينات قوله تعالى :

(الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب)(١)

وقوله تعالى :(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به)(٢)

كما أنه ورد في الشرع ما يدعونا معشرا المسلمين إلى الرجوع إلى أهل الكتاب لنسألهم عن بعض الحقائق التي جاءت في كتبهم وجاء بها الاسلام فأنكروها أو تناكروها أو نسوها تهاونا ، لنقيم عليهم الحجة من واقع أنفسهم ولعلهم يهتدون (٣)

ومن تلك الحقائق صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد وصف في التوراة وغيرها بصفات الكمال والجمال التي هي أهل له صلى الله عليه وسلم

فقد أخرج البخاري وغيره ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه قال : والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ، ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل)(٤)

٢ = (قص علينا القرآن الكريم كثيرا من أخبار بني إسرائيل من ذلك:

قصة قتيل بني اسرائيل الواردة في قوله تعالى :(واذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة إلى قوله سبحانه فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)(٥)

---

(١) النساء (٥١)

(٢) المائدة (١٣)

(٣) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٧ بتصرف شديد .

(٤) فتح الباري ٤/٣٤٢ وما بعدها

(٥) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٩ والاية ٦٧ من سورة البقرة .

كذلك قص علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من أخبار بني إسرائيل فمن ذلك ماروا ه الامام البخاري رحمه الله عن أبي هريره رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ثلاثة من بني اسرائيل أبرص وأعمى وأقرع ، بدا لله سبحانه أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص فقال : أي شئ احب اليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن الخ فما قصه الله علينا في كتابه الكريم وقصه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحوال من قبلنا حق لا مريه فيه ، وصدق لافريه فيه ، وماذاك الا للعبرة والاتعاظ ، ولم يكن لقتل الوقت قال تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)(١)

مع ملاحظة أن مافي كتب القوم أهل الكتاب طبعا بعد التحريف والتغيير والتزييف ، وما يحدث به علماؤهم عن صدق أو كذب باعتبار البشرية لا يمكن أن ينخدع به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعل قصة رجم الزاني المحصن التي مرت معنا أكبر دليل على ذلك ، اذ قد حاول اليهود عبثا أن يخفوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم مافي التوراة من رجم الزاني المحصن

وانما يمكن أن ينخدع به غيره من جماعة المسلمين ، وخاصة السذج والبسطاء ، لذا لا ينبغي أن يقبل مايحدثون به على إطلاقه ، ولا أن يرد إطلاقه ، بل نقبل منه ماكان موافقا لما جاء في الكتاب الكريم ، أو السنة المطهرة لأن هذه الموافقة والمتابعة دليل على أنه سلم من التحريف والتغيير

وبالتالي فنحن نرد ماجاء مخالفا للأصلين الشريفين الكتاب والسنة أو كان لا يتفق مع العقل ، لأن هذه المخالفة دليل على أنه مما تطرق إليه التحريف والتبديل ،

فالذي جاء موافقا للاصلين الكريمين تجوز روايته وسماعه وتحمل عليه الأحاديث الدالة على إباحة التحدث وسماع أهل الكتاب .

---

(١) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص١٥ بتصرف كبير والآية ١١١ من سورة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

مع العلم اليقيني أن التحدث عن أهل الكتاب لا يكون في أصل العقيدة وجوهرها، بل في جزئيات المسائل التي أضرب القرآن الكريم عنها صفحا،

ولأنه من الأمور المتحتمة على المسلم أن يصون عقيدته ويحفظ قرآنه ويصونه من أن يخضع في فهم معانيه لشئ مما جاء ذكره في هذه الكتب التي لعبت فيها أيدي المحرفين.

(وأما ما جاء مناقضا للشرع الاسلامي أو كان لا يصدقه العقل، فلا تصح روايته لان الله جل جلاله عند ما أباح لنا أباحه في الأخبار الصادقة، ولا يمكن أن يكون في ما كان كذبا، إذ لا يمكن ولا يعقل أبدا أن يبيح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم رواية الكذب)(١)

قال الامام مالك بالمراد جواز التحدث عنهم بما لا يعلم من أمر حسن أو ما علم كذبه فلا(٢)

وقال الإمام الشافعي: " من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب فمعنى " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج "، أي بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم بالتحديث به عنهم.

وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)(٣)

وأما ما سكت عنه شرعنا، ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملا، فحكمه التوقف في قبوله فلا تصدقه ولا تكذبه، وعليه يحمل قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)(٤)

اما عن حكمة النهي عن التصديق والتكذيب في أخبار بني إسرائيل فكثيرة منها ما أفصح عنها حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه عند ابن عبد البر " أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود فقال : يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الله اعلم

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢

(٢) فتح الباري ٦/ ٤٩٨ ٤٤٩

(٣) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥١

فقال اليهودى :أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" ماحدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا :آمنا بالله وكتبه ورسله ، فان كان حقا لم تكذبوهم ، وان كان باطلا لم تصدقوهم "(١)

إذا علم ذلك فما حكم روايته ماسكت عنه شرعنا ؟

أما رواية ماسكت عنه شرعنا فحكمه جائز عند بعض أهل العلم ، وعللوا ذلك على أنها مجرد حكاية لما عندهم ، ولأنها تدخل فى عموم الاباحة المفهومه من قوله عليه الصلاة والسلام " حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج "

أنا : أرى رأيا مغايرا لما سبق وهو التوقف فقط :

وذلك لما أحدثته الإسرائيليات من بلبلة فى المجتمع الاسلامى ، ولأن فى كتاب الله غنية عن كل دخيل ، ولعدم وجود إيمان قوى كالموجود فى عصور الاسلام السابقة ، إذ ماعليه المسلمون اليوم من ضعف فى كل النواحى ،وللأسف الشديد ـ بدل أن يكونو فى قوة وعلوا كما أراد الله جل جلاله : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)(٢) وجعل سبحانه القوة نكرة لتعم وتشمل كل أنواع القوة ولكن ... !!

لذا أرى التوقف فى مثل هذه الحالة إلا وهى ماسكت الشارع عنه ،

(مع الأخذ فى الإعتبار أنما جاء من هذا القبيل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وكان ذلك بطريق صحيح مع جزم ذلك الصحابى ، فهو من القسم الذى يقبل ولا يرد

إذ لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب ، ثم يجزم بصدقه بعد ماعلم من نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تصديقهم فى مثل ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام :(لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)

---

(١) الحديث والمحدثون ص ١٨٥ = ١٨٦ مع بعض التصرف

(٢) الانفال (٦٠)

وأما ما جاء شيء من هذا القبيل الذي سكت عنه شرعنا وكان محتملا للصدق والكذب عن بعض التابعين فحكمه أن يتوقف فيه فلا يحكم عليه بصدق ولا بكذب، وذلك لقوة احتمال سماعه من أهل الكتاب، لما عرفوا به من كثرة الأخذ عنهم. وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك، أما إن اتفقوا عليه، فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعاً من أهل الكتاب، وحينئذ تسكن النفس إلى قبوله)

٦(ماثبت من أن بعض الصحابة كأبي هريرة رضي الله عنه كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عما في كتبهم.

وما روي أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من حديث (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)(١)

لا يعارض ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما من إنكاره على من يسألون أهل الكتاب بقوله: " كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ... الخ)(٢)

ولا ما رواه عبد الرزاق في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه من نهيه عن سؤال أهل الكتاب بقوله : (لاتسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم)(٣)

(نعم لا تعارض بين هذا وذاك، لأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أعرف الناس بأمور دينهم.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ص ٤٤ الطبعة الرابعة.

(٢) انظر التفسير والمفسرون ١/ ١٧٥ والاسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٥٣

(٣) سبق تخريجه.

وأبو هريره وابن عباس رضى الله عنهم وغيرهم ممن كانوا يرجعون إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب كان لهم منهج سديد ، ومعيار دقيق ، فى قبول مايلقى إليهم من الإسرائيليات)(١)

وسنشمل بمثالٍ واحد يبين صحة ذلك :

فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها)(٢)

(فقد اختلف السلف فى تعيين هذه الساعة وهل هى باقية أو رفعت ؟ وإذا كانت باقية ، فهل هى فى جمعة واحدة من السنة أو فى كل جمعة منها ؟

فنجد أبا هريرة رضى الله عنه يسأل كعب الأحبار عن ذلك فيجيب كعب : بأنها فى جمعة واحدة من السنة ، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا ويبين له : أنها فى كل جمعة ، فيرجع الى التوراة ، فيرى الصواب مع أبى هريرة فيرجع اليه)(٣)

(كما نجد أبا هريره ايضا يسأل عبدالله بن سلام عن تحديد هذه الساعة ويقول له : أخبرنى ولا تضن علىّ ، فيجيبه ابن سلام ، بأنها فى آخر ساعة فى يوم الجمعة ، فيرد عليه أبو هريره بقوله : وكيف تكون آخر ساعه فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى ، وتلك الساعة لا يصلى فيها ؟ فيجيبه ابن سلام بقوله : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى) الحديث)(٤)

فنلاحظ مما سبق كيف كانت مراجعة أبو هريرة مع مسلمة أهل الكتاب .

ونلحظ أيضا ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يقبلون كل مايقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب - مااستطاعوا - ويردون على أهل الكتاب أقوالهم إن كانت لا توافق الحق الذى بايديهم - الصحابه -

---

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٥٣

(٢) فتح البارى ٢ / ٤١٥ وما بعدها وكتاب الدعوات باب الدعاء فى الساعة التى فى يوم الجمعة ١٧ / ١

(٣) شرح الزرقانى على موطأ الامام مالك ١/ ٢٢٢ / ٢٢٨ وانظر التفسير والمفسرون

(٤) المصدرين السابقين لموضع نفسه

أما إنكار الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار الصحابة على من كانوا يرجعون إلى أهل الكتاب فقد كان في مبدأ الاسلام وقبل استقرار الأحكام فكان ـ فيما يبدو ـ لمخافة التشويش على عقائدهم وأفكارهم ،

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الاسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك ..)[1]

ويذكر الدكتور الذهبي في كتابه الإسرائيليات في التفسير والحديث هذه النقطة ويقول : " ومادام المنع من الأخذ عن أهل الكتاب ـ أول الأمر ـ كان علته خوف الفتنه ، والعلة[2] ، كما هو مقرر شرعا[3] ـ تدور مع المعلول وجوداً وعدما ، فلا يجوز لمن يخشى عليه غائلة الإسرائيليات اليوم أن يأخذ من مصادر كتابية أو يروى عنها ،

أما من كان له في العلم قدم راسخة ، وبصيرة نيره ، يستشق بها الحق من الباطل ويميز بها الخبيث من الطيب فلا عليه أن يأخذ منها ويروى عنها في حدود المنهج الشرعي الذي ذكرناه أ ـ هـ)[4] أي كما ذكر في موقف أبي هريره مع كل من عبدالله بن سلام وكعب الأحبار .

وخلاصة القول في حكم رواية الاسرائيليات

هو أنه تبين لي مما سبق أنه لاتعارض بين تلك الأحاديث كما يتبين المقدار الذي أباحه الشارع من الرواية عن أهل الكتاب

فما جاء موافقا لما في شرعنا صدقناه وجازت روايته ، فالجواز إذاً مقيد من ضمن دائرة محدودة بينتها الشريعة وأقوال الصحابة وأعمالهم .

وما جاء مخالفا لما في شرعنا كذبناه ، وحرمت روايته إلا لبيان بطلانه

---

(١) فتح الباري ٦ / ٤٩٨

(٢) في الاصل " ولعله "

(٣) في الاصل (مقر شرعا)

(٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥٤ مع التصرف

وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه ، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجـــوز روايته على أنّها مجرد حكاية كما تحدث بها أهل الكتاب، بصرف النظـر عن كونها حقّ أو غير حقّ .(١)

يعقب الشيخ أحمد شاكر على ذلك بقوله : ولكن ينبغي أن يلاحـظ أنّ اباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه أو كذبه شـيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن الكريم وجعله قولا أو رواية في معنى الآيـات أو في تعيين مالم يعين فيها ، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخـر ، لأن في اثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعـرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله عز وجل - ومفصل لما أجمل فيـــه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم ،فأي تصديق لرواياتهـم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله تعالى - ونضعها منه موضـــع التفسير والبيان .(٢)

ويحسن بي في ختام المطاف عن حكم الرواية الاسرائيلية أن أنقـــل بعض كلام لشيخ الاسلام ابن تيمية ،ولتلميذه النجيب ابن كثير - رحمهما الله .

قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم عقب الاثر القائل ان عبـــد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان قد أصاب زاملتين من كتب القوم

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٤ ج وانظر مقدمة في أصول التفسير ص ٤٤- ٤٥ مع التصرف ، وانظر البداية والنهاية ١ / ٥ . ط/ دار الكتب العلمية .

(٢) عمدة التفسير ١ / ١٥ .

. قال ماحاصله : ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانّها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ماعلمنا صحته ممّا بأيدينا ممّا يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ماهو مسكوت عنه ،لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته لما تقدم ـ حدثوا عن بنـــــي اسرائيل ولا حرج . وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود الى أمر ديني .

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا ، ويأتي عـــن المفسرين خلاف بسبب ذلك ،كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحـــاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعدتهم . . . الى غير ذلك ممّا أبهمه الله تعالى في القرآن الكريم ممّا لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهـــــــــم (١) .

(ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم . . . أحدا " . (٢) فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ماينبغي في مثل هذا ، فانّه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين ،وسكت عن الثالث ، فدل علـى

---

(١) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٤ / ٤٥ مع تصرف يسير .

(٢) الكهـــف : ٢٢ .

صحته اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم أرشد - سبحانه - الى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته ، فيقال فى مثل هذا : (قل ربى أعلم بعدتهم) فانّه مايعلم بذلك الاّ قليل من الناس من أطلعه الله عليه ، فلهذا قال : " فلا تمار فيهم الاّ مراء ظاهرا"، أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فانّهم لا يعلمون من ذلك الاّ رجم الغيب. فهذا أحسن مايكون فى حكاية الخلاف : أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلاّ يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الأهم .

فأمّا من حكى خلافا فى مسألة ،ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، اذ قد يكون الصواب فى الذى تركه أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا فان صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب،أو جاهلا فقد أخطأ .

كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها الى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان ،وتكثر مما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبى زور. والله الموفق للصواب. (١)

وقال الحافظ ابن كثير : اذا تقرر جواز الرواية عنهم - أهل الكتاب فهو محمول على مايمكن أن يكون صحيحا ، فأما ما يعلم أو يظن بطلانه بمخالفته الحق الذى بأيدينا الذى هو من المعصوم فذلك متروك مردود ولا يعرج عليه . (٢)

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) البداية والنهاية ٢/ ١٣٥ .

الفصل الثاني
أشهر رواتها

المبحث الاول

أشهر رواتها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير لها

الفصل الثاني ـ أشهر رواتهـــــا

المبحث الأوّل ـ أشهر رواتها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع نموذج لنقد ابن كثيـــر لهـــــا .

انّ المتصفح لكتب التفسير وخصوصا التفسير بالمأثور يرى أنّ هنـــاك اسرائيليات عزيت الى بعض الصحابة رضى الله عنهـــم ،

وهى ـ الاسرائيليات ـ تتفاوت كثرة وقلة عن أولئك البعض من الصحب الكرام . وكانت طرق التلقى امّا سماع أهل الكتاب الذين أسلموا ، أو تناول كتبهم مباشرة ، أو قد يتوافق قول الصحابى فى الرواية الاسرائيلية أو قد ينسب الى الصحابى إفكا وزورا روايات هو منهـــا براء .

وقد سبق وأن بينت موقف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مـــن الرواية الاسرائيلية باجمال . والآن أبين ببعض التفصيل للصحابـــة الآتية أسماؤهم بعد مع ترجمة موجزة عنهم ، مع الأخذ فى الاعتبار : أنهـم أكبر من أن يعرفـــــوا .

والصحابة المترجم عنهم كان اختيارى لهم لكثرة ما نسب اليهم ، ولأنهم هم الذين كان الاتهام منصبا عليهم أكثر من غيرهم ، وذلك على سبيـــل المثال لا الحصـــــــر .

والصحابة هم : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمـرو ابن العاص ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الدارى رضى الله عنهم . وبعدها يتبيّن وجه الحقّ ـ ان شاء الله ـ .

المطلب الأوّل : عبدالله بن عباس - رضى الله عنهمـــا :

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشـى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّه لبابة الكبـــرى - أخت أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها - بنت الحارث ابن حزن الهلالية ، ولد والنّبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب[1] بمكة ، وذلـــك قبل الهجرة بثلاث سنين ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولـــه من العمر ثلاث عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة سنة وقد عاش حتّى توفـــى بالطائف عام ٦٨ .[2]

وعبد الله بن عباس رضى الله عنه أكبر من أن يعرف اذ هو ترجمـــان القرآن الكريم ، وحبر الأمّة وماذاك الاّ ببركة دعاء النّبى صلى الله عليـــه وسلّـــم : اللهم علمه الكتاب .[3]

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ قال : اللهم علمه الحكمـــة .[4] ولمن يرغب فى المزيد من معرفته عليه الاطلاع على المراجع المشار اليها سابقا وغيرها ،وأيضـا

---

(١) ويعرف الآن بشعب علي بجوار مكتبة مكة المكرمة قريب من القشاشية وشارع الفزة .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، لابن عبد البر ٣/ ٩٣٥ .

(٣) فتح البارى - كتاب العلم ١/ ٤ ومابعدها . الاعتصام ١٣/ ٢٤٥ .

(٤) الحلية لابى نعيم الأصبهانى ١/ ٣١٥ ط/ السعادة

الرسالة العلمية التى تحمل اسم : ابن عباس ومنهجه فى التفسير.(١)

ومن ثم أتحدث عنه فى الجانب المتعلق ببحثى ،فأقول- وبالله التوفيق :

ان من الأباطيل الفاجرة أن يتهم الصحابى الجليل ابن عباس رضى الله عنهما ، ومدرسته فى التفسير بأنّها تصطبغ باللون اليهودى . وأنّه كان معجبا بما عند اليهود من علم وحقائق - زعم بأنّها ناصعة - وروايات . . . (٢) الى آخر ذلك الافك المفترى على صحابى جليل ، وعلم من أعلام الصحابة رضى الله عنهم .

لقد سلف وأن أشرت الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ،فكان بفضل هذه الدعوة النبوية الكريمة من خيرة المسلمين فقها لأحكام الله تعالى وفهما لكلماته - سبحانه - فكان لهذه المزية ترجمان القرآن الكريم ، وحبر الأمّة ،ومستشار الصحابة ،وخصوصا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،وعمر هو عمر فى حذقة واجتهاده لله وللمسلمين .

فقد أخرج أبو عبد الله فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنّه قال : كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم

---

(١) رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكتابة ،ورسالة دكتوراة باسم: التفسيرات الثابتة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الثلثين الأخيرين من القرآن الكريم ،رسالة دكتوراه وهى مطبوعة على الآلة الكتابة فى الدراسات العليا وكلا الرسالتين للطالب آدم محمد على .

(٢) مذاهب التفسير الاسلامى للمستشرق اجنتس جولد تسهر ص ٨٧ . ط / الخانجى بمصر . .

وجد في نفسه ، وقال : لم يدخل هذا معنا ،وأنّ لنا أبناء مثلـــه؟ فقال عمر: انّه من أعلمكم ،فدعاهم ذات يوم ، فأدخلني معهم ، فمـــا رأيت أنّه دعاني يومئذ الاّ ليريهم ،فقال : ماتقولون في قوله تعالى : " اذا جاء نصر الله والفتح " ؟[1] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم ولم يقل شيئـــا . فقال لـي : أكذلك تقول يابن عباس ؟ فقلت: لا . فقال : ماتقول ؟ قلت: هـــو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله تعالى له ، قال : اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره انّـــه كان توبا ، فقال عمر: لا أعلم منها الاّ ماتقول .[2]

ففي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس،وتأثير لاجابة دعـــوة النّبي صلى الله عليه وسلم . . .

اذا علم ذلك وأنّه كان مستشارا لكبار الصحابة بحضور أمير المؤمنيـــن وشيخة بدر رضوان الله عليهم أجمعين ، فما أدري ماحاجته الى الاستعانة بأهل الكتاب والتأثر بهم. مع علمه - يقينا - بأنّهم أهل تحريف وتبديـــل الاّ مارحم ربّك . !!

واليك أخي القارئ الحقائق التالية:

١ - ان كثيرا من الروايات لا تصح نسبتها اليه وهي محض افتراء ، اذ فيها

---

(١) سورة النّصر آية : ١

(٢) فتح الباري - كتاب التفسير باب قوله : " فسبح بحمد ربك واستغفره انّه كان توابا " . ٨/ ٧٣٤ - ٧٣٦. والحلية ١/ ٣١٧.

من الآراء ما يسفل عن منزلة مستشار الصحابة ،وبهبط بقدره ، وقد ساعدت عوامل لتلك الكثرة ،ولعل أبرزها أنّه من بيت النّبوة ،والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة ورواجا ، وأن من نسله الخلفاء العباسيون ،ولا شكّ أن هناك طائفة ترغب في التقرب اليهم بوضع أشياء تروى عن جدهم ابن عباس رضي الله عنهما ناهيك عن أعداء الاسلام الذين اندسوا بين أبناء الاسلام ، ثم مافتئوا يروجون الأخبار الواهية في التفسير ويأبى الله الاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون .

٢ - أن ابن عباس رضي الله عنهما نهى صراحة عن الأخذ من أهل الكتاب - كما مرّ معنا (١) .

٣ - أنّ بعض ماقاله ابن عباس رضي الله عنهما يوافق ماعند أهل الكتاب، فقد ذكر الطبري في تفسيره : أنّ يهوديا لقي سعيد بن جبير (٢) وهو يتجهز من الكوفة للحجّ فسأله : أي الأجلين قضى موسى ؟ فأجاب ابن جبير : لا أعلم ، ثم أتى ابن جبير مكّة فسأل ابن عباس تلك المسألة ، وفقل راجعا فلقي اليهودي نفسه ، فأخبره أن ابن عباس يقول : انّ موسى قضى أكثرهما وأطيبهما ، لأنّ النّبي اذا وعد لم يخلف ،فقال اليهودي : صدق ابن عباس وما أنزل على موسى (٣) .

---

(١) انظر ص ١٢٧ من هذا البحث

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ١٣- ١٤ ،والتقريب ١/ ٢٩٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٦٨ ط/ ٣ .

٤ ـ أن ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من الأخبار الاسرائيلية محمول على الأخبار المباحة التى توافق ما عندنا لأنّه عمل بأصل الاباحة الشرعية وهى أوّلا : قليلة تعد على الأصابع ،بل لا تكاد تذكر.

وثانيا : لو استبعدناها من ديننا مانقص منه الاّ كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر ، اذ فيه غنية عنها . ولا حاجة له الى حرف واحد منها .

ثالثا : أنّها كانت حجابا لجمال القرآن الكريم وتفسيره الصحيح .

٥ ـ أنّ أئمة علم مصطلح الحديث كانوا أبعد نظرا وأصل تفكيرا ، وأبعد أفقا ،وأدق فى تقعيدهم لقواعد النقد فى الرواية ،حيث تتبعوا سلسلة الرواة فعدلوا العدول ،وجرحوا الضعفاء ، وأناروا للناس الروايات ، ومن ذلك أنّهم ذكروا طرق جياد وأخرى ضعاف عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ولعل من أبرز الطرق الجياد الآتى :

١ ـ طريق قيس بن مسلم الكوفى ،عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم . وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين .(١)

ومن أبرز الطرق الضعاف وأوهاها : طريق مقاتل بن سليمان الأزدى الخرسانى عن مجاهد وعن الضحاك ، ففضلا عن عدم توثيق أحد له ففيه من المذاهب الرديئة مايكفى لردّ أقواله فى التفسير.(٢)

---

(١) التفسير والمفسرون ١ / ٧٩ ، وانظر: معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقى ،مقدمة الكتاب(بيج كه) ط/ دار احياء الكتب العربية .

(٢) الاتقان ٣ / ١٨٩ .

نماذج لنقد ابن كثير للاسرائيليات التى نسبت الى ابن عباس رضى الله عنهما .

انّ هناك اسرائيليات - من ضمن الاسرائيليات التى شوهت جمال القرآن الكريم ،وغزت عقول كثير من الناس، ونالت من عقيدة التوحيد - نسبت الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، وقد قيض الله لأمّتنا علماء مخلصين بررة أدركوا مدى خطورة هذا الغزو الفكرى ، الذى لا يقلّ خطورة عن الغزو العسكرى - ان لم يتفوق عليه - فهتكوا حجبها الكثيفة التى غشيت العيون ، وبددوا ظلماتها التى رانت على القلوب .

ولعلّ الامام ابن كثير - رحمه الله - فى طليعة أولئك العلماء ، ويظهر ذلك جليا فى الأمثلة الآتية :

١ - قال تعالى : " واذ قال ربّك للملائكة انّى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون " (١) . قال ابن كثير أثناء شرحه للآية : روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا من حديث شبيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما خلق الله الملائكة قال : " انى خالق بشرا من طين ، فاذا اسوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " . (٢) فقالوا : لا نفعل . فأرسل عليهم نارا فأحرقهم ، ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا : لا نفعل ، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم . ثم خلق ملائكة أخرى فقال : انّى خالق بشرا من طين ،فاذا أنا خلقته فاسجدوا له ، فأبوا ،فأرسل

---

(١) سورة الحجر ، آية : ٢٨ .

(٢) تفسيره ٢/٥٥٠ ط/ الحلبى والآيات ٧١-٧٢ من سورة ص

عليهم نارا فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة فقال : " انّى خالق بشرا من طين ، فاذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا : سمعنا وأطعنا الاّ ابليس كان من الكافرين الأولين . (١)

قال ابن كثير - رحمه الله - عقب هذا الأثر : (وفى ثبوت هذا عنه ، بعد ، والظاهر أنّه اسرائيل .) (٢)

قلت : الرواية مصادمة لنص كريم : " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون " (٣) اضافة الى مافيها من أشياء لا تليق بجلال الله وعظمته . وقال ابن عطيه : (والاسناد فى غير هذا غير وثيق (*)

٢ - وقوله جلّ ذكره : " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب " (٤) . أفاد ابن كثير عند هذه الآية الشريفة أن ابن أبى حاتم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أثرا غريبا منكرا ، يذكر فيه أن الشيطان تمثل بسليمان وأخذ خاتمه ، وأنكر الناس أفعال سليمان ، وشكوا فى الأمر ، فأرسلوا الى نساء سليمان ، فقالوا لهنّ : أتنكرن من سليمان شيئا ؟ قلن : نعم ، انّه يأتينا ونحن حيض ، وماكان يأتين قبل ذلك ، الخ آخر ذلك البهتان والافتراء على نبى الله ورسوله ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام . (٥)

---

(١) تفسيره ٢ / ٥٥٠ ط/ الحلبى

(٢) المصدر نفسه الموضع عينه .

(٣) التحريم آية : ٦ .

(٤) ص آية : ٣٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٥ بتصرف ط/ الحلبى

(*) المحرر الوجيز ١ / ١٨١ ط/ المغربيّة

هذا وعلق ابن كثير على هذه الرواية النكراء التي تنفي العصمة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال : اسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر أنّه انّما تلقاه ـ ان صح عنه ـ من أهل الكتاب.

وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فالظاهر أنّهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النّساء ، فانّ المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله ـ عز وجل منه ، تشريفا وتكريما لنبيه على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف وكلها متلقاه من قصص أهل الكتاب . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.(١)

وهذه القصة بلا شكّ خرافة وهي من أكاذيب بني اسرائيل وأباطيلهم وأنّ ابن عباس رضي الله عنهما تلقاها من مسلمة أهل الكتاب يؤيد ذلك ماذكره السيوطي في درّه أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أربع آيات من كتاب الله تعالى لم أدر ماهنّ ؟ حتّى سألت عنهنّ كعب الأحبار . . . وذكر منها وسألته عن قوله تعالى : " وألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب " قال : الشيطان أخذ خاتم سليمان ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ الذي فيه ملكه ، فقذف به في البحر . . .(٢)

ولنا وقفة مع ابن كثير ـ ايضاح كلامه ـ وهي : قوة السند لا تنافي كونها اسرائيليات.(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥ بتصرف ط/ حلبي .
(٢) الدر ٥/ ٣١٠
(٣) الاسرائيليات والموضوعات ص ٣٨٠ وما بعدها ـ بتصرف.

قـــال القاضي عياض: (ولا يصحّ ما نقله الأخباريون من تشبّـــــه الشيطان به سليمان وتسلطه على مكانه ،وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ،وقد عصم الأنبياء من مثله.(١)

ويعجبنـــي في هذا المقام عبارة أحد العلماء التي تصها الآتـــي : (والحقّ أنّ نسج القصة سهلهل ، عليه أثر الصنعة والاختلاق ،ويصـــادم العقل السليم ، والنقل الصحيح في هذا .

واذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله سليمان -على نبينا وعليه الصلاة والسلام ،فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا ؟ . وكيف يسلـــط الله الشيطان على نساء نبيه سليمان ،وهو أكرم على الله من ذلك ؟ .

وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ،ويزولان بزواله؟ . . . واذا كان خاتم سليمان بهذه المثابة ،فكيف يغفل الله -وحاشاه- شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية ،ولم يذكره بكلمة ؟ . وهـــل غيّر الله -سبحانه- خلقة سليمان في لحظة ،حتّى أنكرته أعرف النـــاس به -وهي زوجيته ؟ .

الحقّ أن نسج القصة سهلهل ،لا يصمد أمام النقد وأن آثار الكـــذب والاختلاق بادية عليـــــــه .(٢)

وبعـــــد : فهذان المثالان على سبيل البيان والتمثيـــــل فهناك من الأمثلة الكثيرة التي أجاد فيها ابن كثير وأفاد -فرحمه اللّه رحمة واسعـــــــة .

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٢/ ١٥٧ .
(٢) الاسرائيليات والموضوعات في التفسير ص ٣٨٢- ٣٨٣ .

الثانـــــــى : أبو هريرة رضى الله عنـــه :

هـــــو عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى ،واشتهر بكنيتـــــه حتّى غلبت على اسمه ،وأسلم سنة سبع من الهجرة على يد الطفيل بـــــن عمرو ، وقد لا زم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر حياته صلى اللـه عليه وسلم ، ورغم قلة المدة من الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلـــم هو أحفظ من روى الحديث مع الضبط لـــــــه .

قال ابن عمر رضى الله عنهمـــا : (ياأبا هريرة كنت ألزمنـــــا لرسول الله صلى الله عليه وسلـــم وأعلمنا بحديثه) .(١)

وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى : (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهـــــــــره) .(٢)

وقال البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ : (روى عنه الثمانمائة من أهـــل العلـــــم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره .)(٣)

وقد شهد اخوانه ـ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بكثـــرة سماعه وأخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنّه أدرك كبـــــار الصحابة وأخذ عنهم الشىء الكثير من حديث رسول الله صلى الله عليـه وسلـــم فتكامل علمه واتسع مداركه وأفقه كما أن بعض الصحابة رووا عنـــه ،

ترجمته فى طبقات بن سعد ٤/ ٥٢ ،والاصابة ٧/ ١٩٩ ،وتاريـــخ الاسلام ٢/ ٣٣٣ ،وتهذيب التهذيب ١٢/ ٦٣ ،وسير أعلام النبـلاء ٢/ ٤١٧ ـــ ١١٨ ـــ والتقريب الكنـــى .

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٥ ،والطبقات

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤ ،والبداية والنهاية ٨/ ١٠٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٦٥

فقد روى أشعث بن أسلم عن أبيه قال : سمعت أبا أيوب الأنصاري يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فقيل له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث عن أبي هريرة ، فقال : قد سمع ما لم نسمع ...)[1]

وكذا الحال معه بالنسبة لصحابة آخرون كابن عباس ،وابن عمر ،وجابر ابن عبد الله ،وأنس بن مالك . رضي الله عنهم .[2]

وقد تصدى للفتوى بحضرة علماء الصحابة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعله حارسا على أموال الزكاة ،[2] وتولى الامارة في عهدي عمر ومروان ، فقد ولاه عمر على البحرين ،[3] وولاه مروان على المدينة .[4]

وفاته : توفي بالمدينة المنورة سنة تسع وخمسين عن ثمانية وسبعين عاما ،فرضي الله عنه .[5]

وهو على أيّة حال أكبر من أن يعرف وما ذكرنا ،غيض من فيض، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا حتّى أثر أنّه قال : (ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنه مني الاّ ماكان من عبد الله بن عمرو فانّه كان يكتب ولا أكتب .)[6]

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٦ .
(٢) أسد الغابة
(٣) صحيح البخاري الوكالة / باب اذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا جازه الموكل فهو جائز .
(٤) طبقات بن سعد ٤/ ٦٠ .
(٥) المصدر السابق ٤/ ٦٤ .
(٦) سير أعلام النبلاء ،والبخاري ١/ ٢٠٦/ الدارمي ١/ ١٢٥ ،ومسند أحمد ٢/ ٢٤٨ .

(أبو هريرة رضى الله عنه ، فى نظر السذج والبسطاء من النّاس)

أبو هريرة رضى الله تعالى عنه - أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثمّ رمى بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتّهم بترويج الاسرائيليات - على مافيها من كذب وتحريف وأباطيل - . وقد ألفت مؤلفات عدة فى الرد على الطاعنين على شخصيته والدفاع عنه . (١)

وبالتالى أتحدث فى الجانب المتعلق بالرسالة فقط :

لقد اتجه المستشرقون الى دراسة الحديث النبوى الشريف فى القرن التاسع عشر الميلادى للطعن فى الأحاديث ورواته ليتوصلوا - خذاهم الله - للطعن فى السنة النبوية الشريفة ، وماذاك الاّ لمداوة أهل الصليب للاسلام ،اذ الاسلام هو الخصم الوحيد فى نظر الغربيين والشرقيين على حد سواء . (٢)

ولا غرو فى ذلك ، فقد قال تعالى : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . . . " . (٣) ولكنّ العجب

---

(١) انظر مثلا النماذج التالية : الحديث والمحدثون للشيخ محمد محمد أبو زهو ،والأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للشيخ عبد الرحمن المعلمى ،والمنهج الحديث فى علوم الحديث الذى هوى فصلا خاصا بأبى هريرة للشيخ الدكتور محمد السماحى ،ودفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين للدكتور محمد محمد أبو شهبة ،وأبو هريرة رؤية الاسلام لمحمد عجاج الخطيب ودفاع عن أبى هريرة للشيخ عبد المنعم المعلمى ، وهناك كتب شملت فى أثنائها الدفاع عن أبى هريرة : كالحديث والمحدثون لابى زهو ،والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى لمصطفى السباعى ،والسنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب،وغير ذلك .

(٢) دراسات فى الحديث النبوى ،د/ مصطفى الأعظمى .

(٣) المائدة آية: ٨٢.

من ذلك والأمر أن يوجد بين صفوف المسلمين - أو من ينتسبون اليه - من يروج تلك الأفكار الخاطئة الكافرة، والاعتقادات الزائفة، فيؤلف الكتب وينشر المقالات عبر وسائل الاعلام.

لقد أشيرت شبهات حول أبو هريرة رضى الله عنه قديما[1]، وحديثا[2]، وحول مروياته. وقد تولى عدد من العلماء الدفاع عنه.

ومن تلك الاتهامات التى اتهم فيها الصحابى الجليل - أبى هريرة - مايلى :

زعم صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية) أنّ أبا هريرة رضى الله عنه - وغيره من كبار الصحابة - كانوا قد اكثروا الرواية عن كعب الأحبار اليهودى الذى أظهر الاسلام - على حدّ زعم أبو ريّه - خداعا وطوى قلبه على يهوديته، وأنّ أبا هريرة رضى الله عنه كان أكثرهم انخداعا به - كعب الأحبار - وثقة فيه، ورواية عنه، وعن اخوانه - عبد الله بن سلام، وتميم ... - وأنّ كعبا سلط دهاءه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينميه، ليلقنه كلّ مايريد أن يبثه فى الدين الاسلامى من خرافات وأوهام.[3]

هذا الكلام من محمود - وهو فى الحقيقة مذموم - قد سبقه أحمد أمين الذى يقول : (وأمّا كعب الأحبار أو كعب بن ماتع فيهودى من

---

(١) كالنظام وبشر المريسى وغيرهما .

(٢) من المستشرقين : جولد تسهير . ومن المنتسبين للاسلام : كأبو ريه الذى هلك فى منتصف شوال عام ١٣٩٠ هـ .

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٧.

اليمن ... ومن أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود الى المسلمين ... وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمه : ابن عباس ... وأبو هريرة ...) وكلاهما - أحمد أمين ، ومحمود أبو ريه - نقلاه ، وتبناه عن دائرة المعارف الاسلاميّة الذى كان أحد محرريها : جولد تسهير - ذلك المستشرق اليهودى المجرى الخبيث الذى وصل الى مرتبة شيخ المستشرقين في الجيل الماضي - لعنه الله - . (١)

ان مناقشة المفتريات التى لفقت على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه لها مكان آخر. وقد تولى الرد عليها طائفة من العلماء أشرنا اليهم سابقا . (١) وللمزيد ينظر فى الكتب الآتية : ظلمات أبى ريه امام أضواء السنة المحمديه ، للشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، والأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل ، والمجازفة للشيخ عبد الرحمن المعلمى ، ودفاع عن السنة لأبى شهبة ص١٤٨ وما بعدها .

وبما أنى نقلت جزء من كلام أبى راية نرد عليه بالآتى :

١ - لقد حاول بعض صغار المستشرقين النيل من الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه والحط من قدره والتشكيك فى مروياته ، وتبعهم فى ذلك بعض المستغربين - وأنت - أبو رية - منهم - وأشاروا ضجة مفتعله حوله ، وألفوا كتبا ضمنوها مفتريات لا أصل لها وشبهات لا وزن لها .

٢ - روى عن أبى هريرة رضى الله عنه بعض الغرائب والروايات التى قد يكون

---

(١) موسوعة المستشرقين - لعبد الرحمن بدوى ص١٩ ، دار العلم بيروت.

(٢) انظر ص١٨٩ من هذا البحث.

سمعها من مسلمة أهل الكتاب، أو اطلع عليها فى كتبهم، وقد تكـــون نسبت اليه زورا وبهتانا - وهو الراجح - كما نسب الى ابن عباس رضـــى الله عنهما روايات هو منها بـــراء .

٣- أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يأخذ عن كعب ويعطى معه، وقد سبق أن أشرنا الى ذلـــك .(١)

٤- أن المتأمل لترجمة أبى هريرة رضى الله عنه وحرصه للعلم وشهـــادة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالأسبقية فى الحفظ، وكذلك التابعون قد شهدوا له بسعة العلم وقوة الذاكره مع دقة الضبـــط وتلك صفات ومميزات متى توفرت فى شخص أصبح ممن يشار اليـــه بالبنان . فكيف والحال هذه ويأتى - انسان فى عقر الزمـــان(٢) ويرمى بأبى هريرة كل صفات المنقصة من رميه بالغفلة والسذاجـــة والبساطة فى التفكير . وبالتالى استغلها كعب فاتخذه داعيـــة لأفكار يهوديـــة ....(٣)

كيـــف يكون سذاجا - لا سمح الله - وهو من عرفت خلال الترجـــمة البسيطة الآنفة الذكر . أم كيف يكون مغفلا - وقد سأل رسول الله صلـــى الله عليه وسلم يوما السؤال الآتـــى : من أسعد الناس بشفاعتـــك يوم القيامـــة ؟ فيجيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) انظر ص ١٧٠ من هذا البحث.
(٢) كأبى رية فى أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٤ - ٢٢٤.
(٣) الاسرائيليات فى التفسير والحديث - بتصرف كبير ص ٦١- ٦٢ .
وانظـــر : الاسرائيليات وأثرها فى ص ١٣٥ و ١٤٣.

لقد ظننت ياأبا هريرة الاّ يسألنى عن هذا الحديث أحد أوّل منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد النّاس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا اله الاّ الله خالصا من قلبه .(١)

فهل يبقى بعد هذا البيان من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم شيء يشكك فى متانة أبى هريرةرضى الله عنه ؟ اللهم لا ، الاّ فى زعم أبى ريه وأضرابه ...

٥- وأرى فى ختام الرد على صاحب (أضواء على السنة المحمدية) أن أنقل حديثين اثنين من تلك الأحاديث التى رويت عن أبى هريرة رضى الله عنه ولم ترق لأبى ريّه ،ومن ثمّ نختم الرد بكلمتين أعجب بهما .

الحديث الأوّل : عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النّبى صلى الله عليه وسلم أنّ موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت فأعوره .(٢) فزعم أبو ريه - لقصور فى فهمه - القول الآتى : (ان رائحة الاسرائيليات لتفوح من هذا الحديث) .(٣)

الردّ عليه : سبق أبوريّة فى هذا الفهم الخائب بعض منكرى السنة منقديم الزمان ، اذ يذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦) فى كتابه القيم (تأويل مختلف الحديث) هذه الشبه ،ومن ثم ردها ردا منطقيا مفحما ،

---

(١) البخارى ١/٢٠٣.
(٢) فتح البارى - أحاديث الأنبياء - باب : وفاة موسى وذكره بعد . ٦/٤٤٠ - ومابعدها .
(٣) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٢٣.

وها نحن ننقل بعض من ذلـــــــك . قال عقب ذكره الحديـــــث السابق : قالوا ـ الملحدون ـ ولعل عيسى بن مريم عليه السلام قـــد لطم الأخرى فأعماه لأن عيسى عليه السلام كان أشد للموت كراهيـــــة من موسى عليه السلام وكان يقول : اللهم ان كنت صارفا هذا الكـــأس عن أحد من النّـــاس فاصرفهـا عنّـــى .)

قـال أبو محمد ـ ابن قتيبه ـ ونحن نقول : ان هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسب له أصلا فى الأخبار القديمـــة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظـــر .

والذى نذهب اليه فيه أنّ ملائكة الله ـ تعالى ـ روحانيون ، والروحانى منسوب الى الروح ، نسبة الخلقة ، فكأنّهم أرواح لا جثث لهم ، فتلحقهـا الأبصار ، ولا عيون لها كعيوننا ، ولا أبشـار كأبشارنا ، ولسنا نعلـــم كيف هيأهم الله تعالى ، لأنّا لا نعرف من الأشياء الاّ ماشهدنا ، والاّ ما رأينا له مثلا ، وكذلك الجـنّ ... هى أرواح لا نعلم كيفيتهـــا . وانّمـا ننتهى فى صفاتها الى حيث ماوصف الله عز وجل لنا ورسوله صلى اللـــه عليه وسلـــــم . قال الله جلّ وعز : " جاعل الملائكة رسلا ، أولـى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ". (١) ثم قال سبحانه : " يزيد فى الخلق مايشـــاء " (٢) كأنّه يزيد فى تلك الأجنحة مايشاء وفى غيرها ... وقـد جعـــل اللهسبحانه للملائكة من الاستطاعة أن تتمثل فى صور مختلفـــة ،

(١-٢) سورة فاطـــر ، آية : ١

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى ،[1] وفى صورة رجل أعرابى ،[2] ورآه مرة قد سد بجناحيه ما بين الأفقين ...[3]

وليس ما تنتقل اليه من هذه الأمثلة على الحقائق ،انّما هى تمثيل وتخييل لتلحقها الأبصار ،وحقائق خلقها ،أنّها أرواح لطيفة ،تجرى مجرى الدم ،وتصل الى القلوب وتدخل فى الثرى وترى ولا ترى .

وقال تعالى : " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ،ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ...."[4] .

يريد - سبحانه : لو أنزلنا ملكا لم تدركه حواسهم لأنّها لا تلحق حقائق هيئات الملائكة ، فكنا نجعله رجلا مثلهم ليروه ،ويفهموا عنه ، . . . ولما تمثل ملك الموت لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وهذا ملك الله ،وهذا نبى الله ، وجاذبه ،لطمه موسى لما أذهبت العين التى هى تخييل وتمثيل ،وليست حقيقه ،وعاد ملك الموت عليه السلام الى حقيقة خلقته الروحانية ،كما كان لم ينقص منه شئ[5] .

وواضح من كلام ابن قتيبة - رحمه الله - أنّه يميل الى المجاز فى هذا الحديث . والله أعلم .

---

(١) هو دحية بن خليفة الكلبى صحابى مشهور ،يضرب به المثل فى حسن الصورة ،ترجم فى عدة كتب منها : الاصابة ٢/٢٨٤-٢٨٦ .

(٢) انظر مسند أحمد ٢/١٠٧ ط ٢ المكتب الاسلامى ١٣٩٨هـ

(٣) - - - ١/٤٠٧

(٤) سورة الأنعام ،آية: ٩

(٥) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٤٧٦ ط ٢ دار التراث

وأبو نعيم في الحلية يقول : وماروى في الخبر الصحيح من أنّ ملك الموت جاءه - موسى - فلطم عينه ففقأها ، ليس فيه مايحكم على موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - بالتعدى وفعل مالا يجب عليه اذ ظاهر الأمر بيّن الوجه جائز الفعل ، لأنّ موسى دافع عن نفسه ، من أتاه لا تلافها ، وقد تصور له في صورة آدمي ، ولا يمكن أنّه علم حينئذ أنّه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعه أدت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله ، فلما جاءه بعد ، واعلمه الله أنّه رسوله اليه استسلم ، وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا اسدها عندى) ٢/٦٦٠

وفي ارشاد الساري . . . للقسطلاني العبارة الآتية : أرسل الله - سبحانه - ملك الموت الى موسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - في صورة آدمي اختبارا وابتلاء ، فلما جاء ملك الموت بهذه الصورة ، ظنّه آدميا حقيقة تسور عليه منزله بغير اذنه ليوقع به مكروها ، فلما تصور عليه صكه - أي لطمه - على عينه التي ركبت في الصورة البشريّة التي جاء فيها دون الصورة الملكيّة ، ففقأها . . . (١)

وقد يرد هنا اشكالات منها - :

١ - لو فقأ أحدنا عين واحد من عامة النّاس لكان فاسقا باغيا ، فما حال من فقأ عين ملك مقرب؟ انّ فسقه وظلمه يكون أعظم وأظهر . !!

٢ - الحديث يدل على أنّ ملك الموت جاء موسى ظاهرا فأبصره ، وهل ملك الموت يبصر ؟ .

٣ - الحديث يدل على أنّ موسى ماكان يعلم بأنّه مائت لا محالة ، ولهذا يقول : ثم ماذا كأنّه لا يعلم أنّ الموت من بعد ! والجواب هو كالآتي :

---

(١) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري لشهاب الدين القسطلاني ٥/٣٨٧ط/ دار الكتاب العربي .

١ ـ أمّا عن الاشكال الأوّل ـ فيقال : انّ موسى ماكان يعلم أنّه ملك الموت، وأن الله بعثه اليه بل حسب أنّه انسى يريد العدوان عليه ،كما حسب ابراهيم ،ولوط عليهما وعلى النّبى الكريم أفضل الصلوات وأتمّ التسليم ـ الملائكة الذين جاءوهما أناسى ،فرأى أنّ الدفاع عن النّفس جائز أو واجب، وليس فى الحديث مايشهد بأنّه عالم حقيقة الملك ،وأيضا ربما حسب أن الملك ليس ملزما بأن يقبض روحه ،فطلب منه الامهال فلم يجب، فأصابه بما أصاب ،ولعله لم يكن قاصدا فقأ عينه ، وقص القرآن الكريم من فعل موسى مايقارب هذا ، وهو ماحكاه عن قتل القبطى ولا نرى موسى كان مريدا قتل ذلك القبطى ، وانّما أراد أن يخلص الاسرائيلى منه فكانت القاضية ، قال تعالى : " فوكزه موسى فقضى عليه ،قال : هذا من عمل الشيطان انّه عدو مضل مبين " .(١)

٢ ـ أن الملائكة تأتى الأنبياء بصور الرجال ـ فيما تأتى ـ كما مر معك ـ دحيه الكلبى رضى الله عنه وكما جاءوا الى ابراهيم ولوط على نبينا وعليهما الصلاة والسلام بهيئة أضياف . هذا الشىء لا ينكر .

وأمّا الاشكال الثالث فيقال عنه : ان الاستفهام فى الكلام يكون لضروب كثيرة وليس بلازم أن يقارنه الشك والجهل ، فقد جاء الاستفهام فى القرآن الكريم كثيرا كقوله : " هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا "،(٢) " واذ قال الله ياعيسى ابن مريم

---

(١) القصص آية : ١٥ :

(٢) الأنسان : آيه : ١

أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي الهين من دون اللـــه "؟ [1] . وأمثال هـــذا ،فهل الاستفهام هنا يقارنه الشكّ؟ ، فكذلك قول موسى : ثمّ ماذا ؟ لا يدل على أنّه شاكّ في مصيره الأخيـــــــر . [2]

اشكال آخـــر : كيف ساغ وجاز لنبي الله آن يلطم عين ملك المـــوت وان كان على صورة أخـــــرى ؟ .

قيـــل : ساغ ذلك لاحتمالات عدة منهـــا :

١ - انما ينتقل فيه هذه الأمثلة تخيلات ،وأن اللطمة اذهبت العيـــن التي هي تخييل وليست بحقيقـــــة . [3]

٢ - ومنهم من قال : ان الله اذن لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام في تلك اللطمة ، ويكون ذلك من باب الامتحان لذلك الملك .

٣ - ومنهم من قال : : انّ معنى قوله : لطم موسى عين ملك المـــوت. هو توسع في الكلام ، وهو نحو من يحكي عن علي رضي الله عنه أنّـه قال : (أنا فقا عين الفتنـــة) . [4] يريد بذلك الزام موســـى ملك الموت الحجة حين راوده في قبض روحه على حسب ماروى في الخبر. [5] وبعرض هذه الملابسات والاجابه عنها مع صحة الحديث سندا ومتنـــا ناهيك عن اتفاق الشيخين له أظن - بل أعتقد - أنّه لم يبـــــق لأبي ريّة وأشكاله معنا للطعن في هذا الحديث والله أعلم.

---

(١) المائدة ،آية : ١١٦ .
(٢) انظر : دفاع عن الحديث النبوي وتفنيد شبهات خصومه فجماعة من نوابغ العلماء ص١٩٣- ١٩٤ مع التصرف. ط/ الامام.
(٣) تأويل مختلف الحديث ص٢٧٧ .
(٤) يقال : فقأ فلان عين فلان اذا علبه بالحجة.
(٥) دفاع عن السنة ١٩٣- ١٩٥ .

الحديث الثالـــــــث //

جاء في كتاب (أضواء على السنة المحمدية) القول الآتي : واليك مثلا من ذلك ـ هراء أبي هريرة ـ كما يزعم صاحب الكتاب السالـــــف الذكر ـ نختم به ماننقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة ،وهي فـــي الحقيقة من الاسرائيليات . . . فعنه رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلهـــا مائة عام ، اقرؤوا ان شئتم: " وظلّ ممدود " (١) .

ولم يكد أبو هريرة رضي الله عنـــه يروي هذا الحديث حتّى أســـرع كعب فقال : صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمـــد صلى الله عليه وسلم ، لو أنّ رجلا ركب حقه أو جزعه ثم دار بأعلى تلـــك الشجر ما بلغها حتّى يسقط هرمـــا . . . (٢) .

الردّ على أبي ريّـــة : ـ

١ ـ **انكاره** لأبي هريرة رضي الله عنه في الحقيقة لم أفهمه ، ويشاركنـــي من يرى رأيـــي ، هل الانكار من جهة الراوي؟ لا أعتقد ، فقـــد رواه صحابيان آخران فضلا عن أبي هريرة رضي الله عنه ، اذ قـــد

---

(١) فتح الباري ٦/ ٣١٩ ،والآيـــة : ٣٠ من سورة الواقعة .
(٢) أضواء على السنة المحمدية ص. ١٢٠ط/ ٤ .

رواه أبو سعيد الخدري، وسهل بن سعد كما جاء في صحيح مسلم.(١)

٢- اذا سلمنا جدلا - وليس نسلم - أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قد أعجب بكعب الأحبار - كما تزعم - فهل ينطبق ذلك على سائر الصحابة رضي الله عنهم ومنهم : الخدري، وسهل بن سعد، وأنس بن مالك؟.

٣- أو أن الأنكار منصب على المتن؟ وهو أيضا ليس له محل للانكار، اذ ليس ضخامة الشجرة، أو سير الراكب مائة سنة لا يقطعها(٢) بالأمر المستغرب بالنسبة للآخرة.

٤- هناك حقائق ثابته لمن له أدنى مسكة من عقل. أولها - قوله تعالى : " وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ..."(٣) ثانيها - قوله صلى الله عليه وسلم - أثنا وصفه للجنّة : فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.(٤)

ثالثها - ثبت في الحديث الصحيح أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر (أو العصر) ثم تقدم وتقهقر وفيه ... وكنت قد أردت أن أقطف عنقودا من العنب. . ولو تناولته - لم ينتهي الأبد زوال الدنيا ...(٥) أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النّووي ١٧ / ١٦٧ وما بعدها، عن أبي هريرة وسهل ابن سعد وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

(٢) فتح الباري ٦ / ٣١٩ كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنّها مخلوقة، وكتاب التفسير باب: " وظلّ ممدود " ص/ ٦٢٧.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٤) السنة قبل التدوين ص٤٦٥-٤٦٦ مع التصرف والحديث رواه البخاري.

(٥) ونص الحديث عن جابر رضي الله عنه انه قال : "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفوفنا في الصلاة، صلاة الظهر والعصر، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول شيئا، ثم تاخر، فتاخر الناس، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: شيئا صنعته في الصلاة لم تكن تصنعه؟ قال: عرضت على الجنة بما فيها =

فأين غرب عقل محمود ريه - وهذا ان كان له عقل ولا أحسبه - من هذا ...

رابعها - تخريج الحديث - حديث الباب - كاف للدلالة على ثبوته وصحته اذ لا يعقل ان جهابذة العلم وحفاظ الحديث وأئمته - بمن فيهم صاحبا الصحيح - قد انخدعوا في ذلك الحديث .

٥- اضافة الى ماتقدم فقد أثبت العلم بعض مافي عالم الشهادة ممّا لا يكاد يتصوره العقل ولنا مثل واضح في الشمس وأنّها تعادل أرضنا أكثر من مليون ضعف ...

٦- ان قصور تفكيره - أبو رية - وضيق أفقه ،وسوء أدبه ، وبلادة حسه ليس له أيّ وزن ،فلا يعبه بكلامه أصلا .

أولى الكلمتين اللتين أعجبت بهما : قول الامام الفهامة أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١هـ : (وإنّما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم ،فلا يفهمون معاني الأخبار: امّا معطل جهمي[1] ،يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه تمويها على الرعاع والسفل . وامّا خارجي[2] يرى السيف على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرى طاعة خليفة ولا امام ، اذا سمع أخبار أبي هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال ولم يجد حيلة في دفع أخباره بحجّة وبرهان ،كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة ،أو قادري[3] اعتزل

= من الزهرة والنظرة ،فتناولت منها قطفا من عنب لاتيكم به ،فحيل بيني وبينه ، ولو اتيتكم به لاكل منه من بين السماء والارض ،ولاينقصونه شيئا ... الخ انظر مسند الامام احمد ٣/ ٣٥٣ - ٣٥٤ و ٥/ ٣٧٠ وما بعدها .

(١) هم الذين نفوا صفات الله عزوجل وعطلوها عنه سبحانه وقالوا : اثباتها له سبحانه يوهم تشبيهه بالخلق وأول من قال بذلك الجهم بن صفوان السمرقندي . ترجمته الطحاوية ٥٩٠ - ٥١٠ .

(٢) المراد بهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ، فتح الباري ١٢/ ٢٨٢ ، وظلال الجنة ١/ ١١٤

(٣) هم نفاة القدر ، وهم فرقتان كغلاة القدرية وغيرهم .
فالقدرية هم الذين ينفون سبق علم الله بالمستقبل ، ويقولون : الأمر أنف .
والثانية : المعروفة بالقدرية لنفاة القدر العباد ، ولكنهم يزعمون بأن الله أقدر العباد على أفعالهم واقعة بهم استقلالا وأنها مقدورة لهم . وهؤلاء هم المعتزلة . لوامع الأنوار البهية ١/ ٢١١ - ٢١٠

الاسلام وأهله وكفر أهل الاسلام الذين يتبعون الاقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها إذا نظر الى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النّبي صلى الله عليه وسلم في اثبات القدر ولم يجد بحجة يريد صحة مقالته التي هي كفر وشرك ،كانت حجته عند نفسه أنّ أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها .

أو جاهل يتماطى الفقه ويطلبه من غير فطانه ، اذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه وأخباره تقليدا بلا حجة ولا برهان تكلم في أبي هريرة . . . (١)

ثاني الكلمتين :

قول الشيخ أحمد شاكر غفر الله له : (وقد لهج أعداء السنة ،أعداء الاسلام في عصرنا وشغفوا بالطعن في أبي هريرة رضي الله عنه وتشكيك الناس في صدقه وروايته ،وما الى ذلك أرادوا ،وانّما أرادوا أن يصلوا الى تشكيك النّاس في الاسلام تبعا لسادتهم المبشرين المضللين ، وان تظاهروا بالقصد الى الاقتصار على الأخذ بالقرآن (٢) أو الأخذ بما صح من الحديث في رأيهم وما صح من الحديث في رأيهم الاّ ماوافق أهواءهم

---

(١) المستدرك للحاكم المتوفى ٤٠٥هـ ٣/٥١٣ .

(٢) كفرقة أهل القرآن في القارة الهندية وبالضبط في ولاية البنجاب في أواسط الهند الموحدة والتي أسسها عبد الله بن عبد الله الجكرالوى المتوفى سنة ١٩١٤م وأسسها عام ١٩٠٢م . انظر فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها للشيخ خادم حسين .

وما يتبعون من شعائر أو ربـة وشرائعها ولن يتورع أحدهم عن تأويـل القرآن الى مايخرج الكلام عن معنى اللفظ فى اللغة التى نزل بها القرآن ليوافق تأويلهم وهواهم (١) وما اليه يقصدون (٢) . وماكانوا بأوّل من حارب الاسلام فى هذا الباب، ولهم فى ذلك سلف من أهل الأهواء قديما ، والاسلام - ولله الحمد - يسير فى طريقه قدما ، وهم يصيحون ماشاؤا ، لا يكاد الاسلام يسمعهم ، بل هو اما يتخطاهم لا يشعر بهم ، واما يدمرهم تدميرا ، ومن عجب أن تجد مايقول هؤلاء المعاصرون (٣) يكاد يرجع فى أصوله ومعناه الى ماقال أولئك الأقدمون (٤) بفرق واحد فقط: هو أن أولئك الأقدمين - زائغين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضله الله على علم .

أمّا هؤلاء المعاصرون ، فليس الاّ الجهل والجرأة ، وامتضاع ألفاظ لا يحسنونها ، يلقدون الكفر ثم يتعالون على كلّ من حاول وضعهم على الطريق القويم (٥) .

---

(١) آخر هؤلاء - حسب اطلاعى - عبد الرحمن الشرقاوى صاحب كتاب (محمد رسول الحرية) الذى اعترض الأزهر على كتابه وفنده ولكن . . . وله مقالات جريئة ومجازفات عنيفة وخصوصا تلك التى نسبت زورا وبهتانا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وعلى أمّ المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنها وأرضاها - انظر: علل وأدوية للغزالى ص٢٦٥-٢٦٧ ومابعدها .

(٢) المسند للامام أحمد ١٢ / ٨٤ ومابعدها .

(٣) من المتشرقين (شاخت) الذى قال كذبا وأفكا : انّه ليس هناك أى حديث صحيح حتّى اعتبر كتابه (انجيلا ثانيا) لعالم الاستشراق ، انظر: دراسات فى الحديث النبوى للأعظمى ص ى وما بعدها . ولمعرفة ابرز المعاصرين ينظر فى السنة ومكانتها ص١٦-٢٣٦ - ٣٧٤ فقد ذكر عددا لا بأس به منهم : أحمد أمين ومحمود أبو رية .

(٤) كبشر المريسى (٥) مسند الامام أحمد ١٢ / ٨٤ ومابعدها .

أنـــا : بما تقدم يظل أبا هريرة رضى الله عنه صامدا علما مبـــرزا فى رواية الحديث النّبوى الشريف ،وتضمحل كلّ المحاولات للنيل من شخصه أو مـــن مروياته ،فرضى الله عنه وأرضـــاه .

أصحّ الأسانيد عن أبى هريرة رضى اللـه عنه /

اختلف فى أصحها عنه اختلافا لا يضر ومن أبرزها الآتى :

قال الحاكم : وأصح الأسانيد الزهرى عن سعيد بن المسيـــــب عنـــه ـ أبو هريرة ـ . وقيل : عن البخارى عن أبى الزناد عن الأعرج .

وذكر السيوطي أيضـا ـ من تلك الأسانيد الصحاح ،عن حماد بـــن زيد عن أيوب عن محمد بن سيريـــــن . وعن يحيى بن أبى كثيـــــر عن أبى سلمة .[1] اهـ.

نموذج لنقد الامام ابن كثير للاسرائيليات التى أثرت عن أبى هريـــــرة رضى الله عنـــــــــه :/ /

قوله تعالى : " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبـــا "[2] ،ذكر الامام ابن كثير عند هذه الآية الكريمة من مسند أحمد الخبر التالى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا قال : انّ يأجوج ومأجوج ليحفـــــرون السد كلّ يوم حتّى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستفتحونه غدا ،ولا يستثنى ،فاذا أصبحوا وجدوه قد رجع كما كان ،فاذا أراد الله بخروجهم على النّاس،قال الذى عليهم : ارجعوا فستفتحونـــــه ان شاء الله ويستثنى ،فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركون فيحفرونـــه ،

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى ٨٢-٨٣ .

(٢) الكهف ،آية : ٩٧ .

ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم فى حصونهم ، فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء ،فيقولون : قهرنا من فى الأرض،وعلونا من فى السماء ،فيبعث الله عليهم نغفا فى أعناقهم فيهلكون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فوالذى نفس محمد بيده ان دواب الأرض لتسمن ،وتبطر ،وتشكر شكرا من لحومهم.(١)

يعلق ابن كثير قائلا : رواه أحمد أيضا عن حسن بن موسى الأشهب عن سفيان عن قتاده به ،وكذا رواه ابن ماجة عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : حدث أبو رافع،وأخرجه الترمذى من حديث أبى عوانة عن قتادة ثمّ قال : غريب لا يعرف الاّ من هذا الوجه ،واسناده جيّد قوى ،لكن متنه فى رفعه نكاره ،لأن ظاهر الآية الشريفة يقتضى أنّهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه ،لأحكام بنائه وصلابته وشدته ،ولكن هذا روى عن كعب الأحبار: أنّهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتّى لا يبقى منه الاّ القليل ،فيقولون: غدا نفتحه ،فيأتون من الغد ،وقد عاد كما كان فيلحسونه ويقولون: غدا نفتحه ،ويلهمون أن يقولوا : ان شاء الله ،فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه ، وهذا متجه ، ولعلّ أبا هريرة رضى الله تعالى عنه تلقاه عن كعب الأحبار ،فانّه كان كثيرا ماكان يجالسه ،ويحدثه ،فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنّه مرفوع ـ والله أعلم .(٢)

---

(١) تفسيره ٣/ ١٠٤-١٠٥ / حلبى . وانظر: الشعب٥/ ١٩٣ . والدر المنثور ٤/ ٢٥١ .

(٢) تفسيره٣/ ١٠٥ ،وفتح البارى٦/ ٣٨١ و١٣/ ١٠٦ ،وكتاب المناقب٦/ ٦١١ .

ثم يدعم الامام ابن كثير قوله هذا بحديث روى عن أمّ المؤمنين رضى الله عنها وأرضاها وهو قولها : استيقظ النّبى صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول : لا اله الاّ الله ،ويل للعرب من شرّ قد اقترب،فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا ،وحلق ، قلت: يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ،اذا كثر الخبث.(١)

قلت : نقده للحديث متجه ،اذ قد أجاد وأفاد ، فمن ناحية السند صح بقوته ، ومن ناحية المتن صح بعدم رفعه بل من أخبار كعب الاسرائيلية ، وقد أخرجه مع من ذكره ابن كثير آخرون كالحاكم وابن حبان ،وسأذكر خلاصة لرجال الاسناد المذكورين فى الحديث السابق .

وقبل أن أترجم لرجال الاسناد ،لا بدّ من ذكر الرموز التى استعملها الحافظ بن حجر فى تقريبه لأنّها ستستمر معنا الى آخر الرسالة - ان شاء الله تعالى - .

وهذه الرموز هى كالآتى : قال : فللبخارى فى صحيحه - خ - ، فان حديثه معلقا (خت) وللبخارى فى الأدب المفرد (بخ) وفى خلق أفعال العباد (عخ) ،وفى جزء القراءة (ز) ، وفى رفع اليدين (ى) ولمسلم(م) ،ولابن داود (د) وفى المراسيل له (مد) ،وفى فضائل الأنصار (صد) ،وفى الناسخ (خد) ، وفى القدر(قد) ،وفى التفرد (ف) ،

---

(١) تفسيره٣/ ١٠٥ ،وفتح البارى٦/ ٣٨١ و١٣/ ١٠٦ وكتاب المناقب٦/ ٦١١ .

وفى المسائل (ل) وفى مسند مالك (كد) ،وللترمذى (ت) ،وفى الشمائل له (تم) ،وللنسائى (س) ،وفى مسند على له (عسى) ،وفى مسند مالك (كن) ،ولابن ماجة (ق) ،وفى التفسير له (فق) .

قال الحافظ: فان كان حديث الرجل فى أحد الأصول الستة اكتفى برقمه ،ولو أخرج له فى غيرها ،واذا اجتمعت فالرقم ع ،وأمّا علامة كم فهى لهم سوى الشيخين ،ومن ليست له عندهم رواية مرقوم عليه تمييز ،اشارة الى أنّه ذكر ليتميز عن غيره ،ومن ليست عليه علامه نبه عليه ،وترجم قبل أو بعد ـ ا ـ هـ . من التقريب ١ / ٧ .

أوّلا : رجال أحمد : ـ (١)

الأوّل : الاسناد . الأوّل : روح بن عبادة ابن العلاء بن حسان أبو محمد القيسى البصرى .

قال الخطيب: كان ثقة ،وبمثله فى التقريب. (٢)

قال الذهبى : حديثه فى أصول الاسلام كلها مات سنة خمس ومائتين (٣) .

أبو رافع: نفيع الصائغ المدنى نزيل البصرة ،ثقة ثبت ،مشهور بكنيته من الثانية /ع (٤)

سعيد بن أبى عروبة واسم أبى عروبة مهران اليشكرى مولاهم ،أبو

---

(١) مسند أحمد ٢ / ٥١٠ / ٥١١ ط/ المكتب الاسلامى .

(٢) التقريب ١ / ٢٥٣ ،والتهذيب ٣ / ٢٩٣ ـ ٢٩٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبى ١ / ٣٤٩ / ٣٥٠ ط/ دار احياء التراث العربى .

(٤) التقريب ٢ / ٣٠٦ ،والتهذيب ١٠ / ٤٧٢ .

النظر البصرى ثقة حافظ لكنه تغيّر بآخره وكثير التدليس. قال ابن عدى: سعيد من الثقات وله مصنفات كثيرة.. وقال ابن معين: اختلط. ورماه أحمد بالتدليس،(١) وقال ابن حجر: كان من أثبت النّاس فى قتادة.(٢)

٣ ـ قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسى، ثقة ثبت،... وهو رأس الطبقة الرابعة/ع(٣)

الثانى: رجال الاسناد الثانى //

حسن بن موسى الأشيب، أبو على البغدادى، ثقة من التاسعة/ع.(٤)

شيبان بن عبد الرحمن التميمى مولاهم النحوى أبو معاوية البصرى، ثقة صاحب كتاب... من السابعة، مات سنة أربع وستين / ع /.(٥)

فهذان اسنادان فى مسند أحمد رجالهما ثقات فالحديث صحيح الاسناد. والله أعلم.

ثانيا ـ رجال ابن ماجة.(٦)

أزهر بن مروان الرقاشى ـ بتخفيف القاف والشين المعجمة، النواء بنون وواو مثقلة، لقبه فريخ ـ بالخاء المعجمة صدوق من العاشرة مات

---

(١) الضعفاء الصغير للبخارى ص١٥ ط/ دار الوعى بحلب.

(٢) التقريب١/ ٣٠٢، والتهذيب ٤/ ٦٣ - ٦٦.

(٣) التقريب٢/ ١٢٣، وفى التهذيب٨/ ٣٥١-٣٥٦.

(٤) التقريب ١/ ١٧١، وفى التهذيب ٢/ ٣٢٣.

(٥) التقريب١/ ٣٥٦، وفى التهذيب ٤/ ٣٧٣- ٣٧٤.

(٦) سنن ابن ماجة ـ كتاب الفتن ـ باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج ١٣٦٤/ ١٣٦٥، ط/ دار احياء الكتب العربية.

سنة ثلاث وأربعين / ت ق .[1]

عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصرى الساسى بالمهملة أبو محمد ... ثقة من الثامنة ، مات سنة تسع وثمانين / ع .[2]

وبقية رجال الاسناد تقدموا فى رجال اسناد أحمد وهم ثقات.

فعليه الحديث حسن الاسناد لوجود أزهر بن مروان وهو صدوق . والعلم عند اللـــــــــه .

ثالثـــا : اسناد الترمذى :[3]

محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى أبو بكر بندار - بضـــم الباء وفتحها وسكون النون ، ثقة من العاشرة ، مات سنة اثنتين وخمسين ... /ع .[4]

هشام بن عبد الملك مولاهم أبو الوليد الطيالسى البصرى ثقة ثبـــت من التاسعة مات سنة سبع وعشرين ، وله أربع وتسعون . / ع .[5]

أبو عوانة - هو وضاح - بتشديد المعجمة ثم مهملة - ابن عبد اللـــه اليشكرى - بالمعجمة - الواسطى البزاز ... مشهور بكنيته ثقة ثبت ، مـــن السابعة مات سنة خمسين أو ستّ وسبعين / ع .[6]

---

(١) التقريب ١ / ٥٢ ، والتهذيب ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) التقريب ١ / ٤٦٥ ، والتهذيب ٦ / ٩٦ .

(٣) صحيح الترمذى بشرح الامام ابن العربى ، كتاب التفسير - تفسيـــر سورة الكهف ٤ / ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٤) التقريب ٢ / ١٤٧ - والتهذيب ٩ / ٧٠ - ٧٣ .

(٥) التقريب ٢ / ٣١٩ ، والتهذيب ١١ / ٤٥ - ٤٧ .

(٦) التقريب ٢ / ٣٣١ ، والتهذيب ١١ / ١١٦ - ١٢٠ .

وبقية رجال السند تقدموا فى اسناد أحمد . وعليه فرجال الاسناد ثقات اثبات فالحديث صحيح الاسناد، والعلم عند الله .

رابعا - اسناد الحاكم (١) :

محمد بن صالح بن هانئ أبو جعفر الوراق النيسابورى سمع الكثير بنيسابور ولم يسمع بغيرها ، وكان صبورا على الفقر لا يأكل الا من كسب يده سمع السرى بن خزيمة وغيره . روى عنه أبو بكر بن اسحاق وغيره ، مات فى سلخ ربيع الأول سنة أربعين وثلاثمائة ، وصلى عليه أبو عبد الله الأخرم الحافظ ، ولما دفن وقف على قبره وترحم عليه ، وحكى أنه صاحبه سنة سبعين ومائتين الى حينئذ فما رآه يأتى شيئا لا يرضاه الله عز وجل ولا سمع منه شيئا يسأل عنه . ا - هـ . (٢)

يحيى بن محمد بن يحيى الذهلى النيسابورى ، لقبه حيكان - بمهملة ثم تحتانية - ثقة حافظ من الحادية عشرة ، مات شهيدا سنة سبع وستين . /ق/ع. (٣)

وأبو الوليد الطيالسى ، وأبو عوانة ، وقتادة ، وأبو رافع : تقدموا قريبا فى الاسناد المتقدم قبل هذا .

وعلى ضوء ذلك الرجال جميعا ثقات ، ماعدا محمد بن صالح بن هانئ ، فلم يتضح لى من كلام السبكى جرحا ولا تعديلا . فالاسناد حسن فيما يبدو . والعلم عند الله .

خامسا : ترجمة رجال ابن حبان / (٤)

أحمد بن يحيى بن زهير قال عنه الذهبى : الحافظ الحجة العلامة

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤ / ٤٨٨ط/ دار الكتاب العربى - بيروت.

(٢) طبقات الشافعية للسبكى ٢ / ١٦٤-١٦٥ط/ عيسى الحلبى .

(٣) التقريب ٢ / ٣٥٧ ، والتهذيب ١١ / ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٤) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين الهيثمى ص ٤٧٠ ط/ دار الكتب العربية بيروت .

الزاهد ، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن زهير أحد الأعلام ، سمع أبا كريب ، ومحمد بن حرب النشائي . . . فأكثر وجود وصنف وبرع في هذا الشأن . حدث عنه أبو حاتم بن حبان وأبو اسحاق بن حمزة وأبو القاسم الطبراني . . . مات سنة عشر وثلاثمائة ا ـ هـ .(١)

أحمد بن المقدام أبو الأشعث العجلي البصري ، صدوق ، صاحب حديث طعن أبو داود في مروءته (٢) من العاشرة ، مات سنة ثلاث وخمسين وله بضع وتسعون / خ ت س ق .(٣)

معتمر بن سليمان التيمي ، أبو محمد البصري ، يلقب بالطفيل ، ثقه من كبار التاسعة ، مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين / ع .(٤)

أبوه سليمان بن طرخان التيمي ، أبو المعتمر البصري ، نزل في التيم فنسب اليهم ، ثقة عابد ، من الرابعة ، مات سنة ثلاث وأربعين ، وهو ابن سبع وتسعين . / ع .(٥)

وقتادة وأبو رافع تقدما في اسناد أحمد .

أنا ـ في هذا الاسناد أحمد بن المقدام وهو صدوق ، وبقية رجاله ثقات . فالأثر حسن .

وبالجملة فهذه ستة أسانيد لهذا الحديث ، عند أحمد باسنادين

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٥٧ ـ وما بعدها .

(٢) في هامش التقريب ان المراد به : أنه كان ماجن كثير المزاح .

(٣) التقريب ١ / ٢٦ ، والتهذيب ١ / ٨١ ـ ٨٢ .

(٤) التقريب ٢ / ٢٣ ، والتهذيب ١٠ / ٢٢٧ .

(٥) التقريب ١ / ٣٢٦ ، والتهذيب ٤ / ٢٠١ ـ ٢٠٣ .

رجالهما ثقات عند ابن ماجة باسناد حسن ،وعند الترمذى باسنـــاد صحيح ،وعند الحاكم برجال ثقات ماخلا محمد بن صالح ابن هانى حيث ترجمه السبكى بما يدل على أنّه ثقـــة . وعند ابن حبان باسنـاد حســـــــن .

ومع ماتقدم ـ أى قوة الاسناد ـ كما صرح ابن كثير لكن فى المتـــن نكارة كما بينه الحافظ ابن كثيـــر .

لهذا جنح الدكتور أبو شهبة ـ رحمه الله ـ ورجح أنّ هذا الحديث من الاسرائيليات حيث يقول : (ومهما كان سند مثل هذا فهو مـــن الاسرائيليات عن كعب وأمثاله ، وقد يكون رفعها الى النّبى صلى اللـه عليه وسلـــم غلطا وخطأً من بعض الرواة ،أو كيد يكيده الزنادقة اليهـود للاسلام واظهار رسوله صلى الله عليه وسلم بمظهر من يروى مايخالـــف القرآن ، فالقرآن الكريم نص بما لا يحتمل الشك على أنّهم لم يستطيعـــوا أن يعلو السد ،ولا أن ينقبوه . قال تعالى : " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبـــا " .(١)

المطلب الثالـــث : عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهمـــا .

هو أبو محمد وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشى السهمى العالم الربانى . أسلم قبل والده ، وهاجـــر مع والده قبل الفتح ، وأبوه أسن منه باحد عشر عاما فقط. وكان النّبـــى

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٤٦ ،والآية : ٩٧ من سورة الكهـــــف .

صلى الله عليه وسلم يفضله على والـــــده .[1]

نبوغـــه في العلـــم/

كان من أيام النّبي صلى الله عليه وسلم صواما قواما تاليا لكتـــاب الله تعالى طالبا للعلم، وكان عالما بكتب أهل الكتاب كثير القراءة فيها وكان يعرف السريانيـــة[2] . كتب عن النّبي صلى الله عليه وسلـــم علما كثيرا ، وكان يعترف له أبو هريرة رضى الله عنه بالاكثار من العلـــم ، وفى هذا يروى الأئمة ـ البخارى وأحمد والدارمى عنه رضى الله عنـــه : (ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثا عنـــه منّى الاّ ماكان من عبد الله بن عمرو ، فانّه كان يكتب ولا أكتب.[3]

وعنه ـ ابن عمرو ـ يقول ابن سعد فى طبقاته : استأذنت النّبـــىّ صلى الله عليه وسلـــم فى كتابة ماسمعته منه ، قال : فأذن لى فكتبتـــه ، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك بالصادقة[4] وكان عالما بكتاب أهـــل الكتاب كثير القراءة فيها ، وكان يعرف السريانية فقد روى ابن سعد ٧/ ٢/ ١٨٩ عن عمرو بن عاصم الكلابى عن همام عن قتادة عن الحسن عن شريـك ابن خليفة قال : رأيت عبد الله بن عمرو يقرأ بالسريانيـــــــه .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٤١ .

(٢) مسند الامام أحمد ٩ / ١٨٧ .

(٣) سبق تخريج الحديث انظر ص ١٨٨ من هذا البحث.

(٤) طبقات ابن سعد ٤ / ٢٦٢ .

حمل عنه المصريون علما كثيرا ، وتوفى سنة خمس وستين [1] وقيل : ٦٨ ، وقيل : ٧٣ ، وقيل : ٧٧. وقيل : مات بمكة ، وقيل : بالطائف ، وقيل : بالشام ، وقيل : بمصر. والمعتمد على ما رجحه أحمد شاكر سنة ٦٥ بمصر

روى عنه ابن المسيب وعكرمة ، وأبو عبد الرحمن الحبلى ، وعروة وآخرون. [2]

وقصارى القول : هو أكبر من أن يعرف. [3]

نموذج لنقد ابن كثير للاسرائيليات التى نسبت الى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما :

تسربت روايات فى التفسير وعزيت الى عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وكانت ترجع فيما ترجع الى أمرين اثنين :

الأوّل : كونها مما تحمله من أهل الكتاب الذين أسلموا .

الثانى : يروى أنّه جمع يوم اليرموك [4] مجموعة ضخمة من كتب القوم ، وبلغت فيما زعموا - زاملتين - أى حمل بعيرين . وبالتالى ما يعزا اليه يكون راجعا الى أحد الأمرين السابقين ، مع الأخذ فى الاعتبار أنّ تلك الأخبار لا تعدوا أن تكون فى أمر يتعلق بالقصص وأخبار السابقين وغير ذلك ممّا ليس فيه شىء عن العقيدة أو التشريع . وانّما رويت - والله أعلم - ليعرف المسلمون قيمة ما بأيديهم من تشريع سماوى عظيم وبالتالى يدركوا

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٤١ ، والبداية والنهاية ٨/ ٢٦٣- ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٣) انظر: ترجمته فى طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦١ وأسد الغابة ٣/ ٣٤٩- ٣٥١. والاستيعاب ٣/ ٩٥٦-٩٥٩ ، الاصابة ٤/ ١٩٢-١٩٤.

(٤) غزوة كبيرة وقعت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

حقيقة علم القوم - أهل الكتاب وما اعتمدوا عليه . وقد نقد العلماء أكثر ذلك وبينوا الصحيح من الدليل والمقبول من المردود ، ومن أولئك العلماء الربانيين الامام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - . لنقده للاسرائيليات التي نسبت الى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : -

١ - قول الحقّ تبارك وتعالى : " انّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " . (١)

عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا : (بعث الله جبريل عليه السلام الى آدم وحواء عليهما السلام فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ثمّ أمر بالطواف به ، وقيل له : أنت أوّل الناس ، وهذا أوّل بيت وضع للنّاس . (٢)

علق ابن كثير عليه قائلا : فانّه كما ترى من مفردات ابن لهيعة وهو ضعيف . والأشبه - والله أعلم - أن يكون هذا موقوفا على عبد الله ابن عمرو بن العاص، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب . (٣)

وقد مال ابن كثير - رحمه الله - الى أنّ أوّل من بناه هو : خليل الله - ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وذلك بناء على ما أخرجه

---

(١) آل عمران ، آية : ٩٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٣ - حلبي ، دلائل النبوة للبيهقي ١ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٣ - حلبي .

ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحسن بن الربيع عن أبي الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل الى علي رضي الله عنه فقال : ألا تحدثني عن البيت أهو أوّل بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكن أوّل بيت وضع فيه البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، وان شئت أنبأتك كيف بني ، ان الله أوحى الى ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن ابن لي بيتا في الأرض . . . (١)

الباحث :

لم يجيء خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله : " مكان البيت " فليس بناهض ولا ظاهر ، لأنّ مراده : مكانه المقدر في علم الله تعالى المقدر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه . . . (١))

وعلى أيّة حال فبمجموع الأقاويل في ذلك - كما سيظهر بعد ان شاء الله نرى أنّ أوّل من بناه الملائكة ، ثم جدده آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم خليل الله ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام . والعلم عند الله .

= = = = = = = =
******

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ١٧٨ / حلبي وبنحوه في الطبري ٧ / ١٩ - ط/ ابن شاكر .

(٢)

الطعن على عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما /

لقد تعرض ابن العاص رضى الله عنهما للطعن فى مروياته قديما وحديثا وذلك لأسباب سياسية - فيما يبدو - وللقول بأنّه أصاب زاملتين من كتب القوم ، فعبد الله بن عمرو العابد الناسك كان لا يرضى أن يرى باطلا ويسكت عنه فهو جرىء فى الحقّ ،وكثيرا ماسمعنا وشاهدنا أناسا يغضبون من كلمة الحقّ . (والحقّ أحقّ أن يتبع) .

يروى الامام الهمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عن حنظلة بن خويلد العنزى قال : بينما أنا عند معاوية رضى الله عنه ،اذ جاءه رجلان يختصمان فى رأس عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول كلّ منهما : أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو ليطب أحدكما نفسا لصاحبه . فانّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تقتله الفئة الباغية .) (١)

فقال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما : ألا تغنى عنا مجنونك ياعمرو ؟ فما بالك معنا ؟ قال : انّ أبى شكانى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطع أباك مادام حيّا ولا تعصه . (٢) فأنا معكم ولست أقاتل . (٣)

حياة عبد الله بن عمرو فى العصر الأموى وهو من عرفنا جملت مروياته - فيما يظهر - قليلة مع أنّه أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا كما مر معنا - (٤) ولعلّ الحديث التالى يوضح ذلك عن شهر

---

(١) مسند أحمد ٥/٦٦

(٢) الاستيعاب ٢/٣٤٧ ط/ السعادة.

(٣) مسند أحمد ١١/١٠٦ - ١٥٧ .

(٤) انظر ص ٢١٢ من هذا البحث .

ابن حوشب قال : أتى عبد الله بن عمرو على نوف البكالى وهو يحدث فقال حدث ،فإنا قد نهينا عن الحديث. (١) واتهم عبد الله بن عمرو من قبل أناس آخرين - كبشر المريسى ،وصاحب كتاب أضواء على السنة ، وآخرون ، اذ ادعى بشر فيما ادعى أن عبد الله بن عمرو كان يروى أخبارا من الزاملتين للناس عن النّبى صلى الله عليه وسلم ... (٢)

وهذا اتهام خطير فى جانب عبد الله اذ هو أجل من أن ينسب أحاديث أهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى عنه أنّه قال : يارسول الله أكتب ماأسمع فى الرضا والغضب؟ ... قال صلى الله عليه وسلم : اكتب ،فوالذى نفسى بيده ماخرج منه فيه الاّ الحقّ . (٣)

وكذا الحال بالنسبة لمحمود - رية الذى ينسب عبد الله بن عمرو الى الغفلة والسذاجة وأنّه خدع لدهاء اليهود فكسبوا ثقته ومثل .. رية بمثال توهم أنّه يستقيم له ،وفاته أن تلك الرواية صحيحة لاكلام لأحد عليها . (٤)

وذلك المثال هو ماجاء فى صحيح الامام البخارى - أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى : أن عطاء بن يسار لقى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقال له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسند أحمد ١١ / ١٧٢ .

(٢) رد الدارمى على بشر المريسى ص١٣٦ .

(٣) سنن الدارمى ١ / ٢٥ ،ومسند أحمد ١٠ / ٢١ - ٢٢ .

(٤) انظرالاتهام فى أضواء ص ١٥١ ومابعدها .

فى التّوراة قال : أجل ،والله انّه لموصوف فى التوراة ببعض[1] صفته فى القرآن : " ياأيّها النّبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأمّيين ،أنت عبدى ورسولى ،سميتك المتوكل ،ليس[2] بفظ ولا غليظ ولاسخاب فى الأسواق ،ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، لن يقبضه الله حتّى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الاّ الله ،ويفتح به أعينا عميا ،وآذانا صما ، وقلوبا غلفا "[3] .

فزعم أبورية : أنّ أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة حديث خرافة وانّها اسرائيلية وصلت الى عبد الله بن عمرو عن طريق كعب الأحبار .

لا أدرى أين غاب فكر وعقل أبو رية عن قول الحقّ تعالى : " الذين يتبعون الرسول النّبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل "[4] ؟

وعن قوله تعالى : " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ... "[5] .

وعن قوله تعالى : " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وانّ فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهو يعلمون "[6] .

---

(١) لفظ البخارى ،ولفظ الامام أحمد : بصفته .

(٢) " " " " : لست .

(٣) فتح البارى ،كتاب البيوع - باب كراهية السخب فى الأسواق ٤/ ٣٤٢ - ٣٤٣ ، وفى كتاب التفسير ٨/ ٥٨٥/ ٥٨٦ .

(٤) سورة الأعراف ،آية ١٥٧ .

(٥) سورة البقرة ،آية ٨٩ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

أم كيف ينفى حديثا صحيحا ورد فى أصحّ كتاب فى السنة ورد فى أكثر من موضـــــع ؟ اللهم لا يفعل ذلك الاّ من فى نفسه حاجة . . . (١) اللهمّ غفـــرا ، وقد تحدث عن هذا الموضوع باستفاضة الشيخ عبد الرحمن المعلمى فى كتابه دفاع عن أبى هريرة ، فليرجع اليه ففيه خير جـــم (٢)

المطلب الرابـــع : عبد الله بن سلام رضى الله عنـــه :

أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الأنصارى . أسلم على يـــدى النّبى صلى الله عليه وسلم عند قدوم النّبى صلى الله عليه وسلم المدينـــة (٣) وعن قصة إسلامه يحدثنا الامام محمد بن اسماعيل فيروى بسنده عـــــن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . فلما جاء نبى الله صلى الله عليـــه وسلـــــم ، جاء عبد الله بن سلام ، فقال : أشهد أنّك رسول الله ، وانّـك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابـــــن أعلمهم ، فادعهم فسألهم عنى قبل أن يعلموا انى قد أسلمت ، فانّهـــــم ان يعلموا انى قد أسلمت قالوا فى ماليس فى ، فأرسل نبى الله صلـــــى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلـــــم : يامعشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذى لا اله الاّ هـــو انكم لتعلمون انّى رسول الله حقّا وأنى جئتكم بحق فأسلموا قالوا : ما نعلمه .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : الحديث والمحدثون ص١٤٤ . ، الاسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٦٧ - ٧٢ . ، الاسرائيليات وأثرها من كتب التفسير ص ١٤٣ / ١٥٩ .

(٢) ص ٢٥٤ وما بعدها .

(٣) الاستيعاب ٣ / ٩٢١ ، وتهذيب التهذيب ٥ / ٢٤٩ ، وأسد الغابة ٣ / ١٧٦ - ١٧٧ . ، وتقريب التهذيب ١ / ٤٢٢ ، والاصابة ٤ / ٨٠ ، الطبقات لابن سعد ٢ / ٢ / ١١١ ، والتاريخ الكبير ٣ / ١ / ١٨ .

قالوا : للنّبى صلى الله عليه وسلم . قالها ثلاث مرات. قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذلك سيد نا وابن سيد نا ،وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم ، قال : أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم ، قال : أفرأيتم ان أسلم قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم. قال : ابن سلام . أخرج عليهم فخرج ، فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله فوالله الذى لا اله الاّ هو ، انكم لتعلمون أنّه رسول الله وأنّه جاء بحقّ ، فقالوا كذبت فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

من خلال هذا الخبر يتبين لنا عدة أمور فيها :

١ ـ أنّه صادق النية فى دخوله الاسلام .

٢ ـ أنّه عالم من علمائهم .

٣ ـ أن اليهود يعرفون سمات رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّ المعرفة ومع ذلك ينكرون ويجحدون .

٤ ـ أنّه فور اسلامه قام بالدعوة الى الاسلام ، الأمر الذى يدلّ دلالة لا تأرجح فيها أنّه انقاد مخلصا للحنفية السمحة.

مكانته العلميّة :

من خلال رواية الامام البخارى السابقة اتضحت مكانته العلميّة ،وازدادت بعد ذلك، فروى عن النّبى صلى الله عليه وسلم أحاديث عدّة . كما

---

(١)

روى عنه ابناه يوسف ومحمد ،كما روى عنه أيضا بعض الصحابة كابى هريـــــرة رضى الله عنه ،وروى عنه أيضا بعض التابعين كعطاء بن يسار.

قال تعالى : " ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتـــاب " .(١)

ذكر القرطبى عند هذه الآية أن المراد بـ" من عنده علم الكتاب " فى أحد الأقوال / عبد الله بن سلام وتميم النجاشى ،وآخرون ، وهو قول قتـــادة وسعيد بن جبيـــــر .(٢)

ثمّ روى عن الترمذى عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال : لمـــا أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام ، فقال له عثمان : ماجاء بـــك ؟ قال : جئت فى نصرتك ، قال :أخرج الى الناس فاطردهم عنـــــى فانّك خارج خير لى من داخل قال : فخرج عبد الله بن سلام الى الناس فقال : ياأيّها النّاس انّه كان اسمى فى الجاهلية حصين ، فسمانـــــى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ،ونزلت فيّ آيات من كتابـــــه ، فنزلت فيّ " وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم. . . "(٣) ونزلت فيّ " قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتـــاب" الحديث.(٤)

---

(١) الرعد ، آية : ٤٣ .

(٢) وفى ابن كثير كان سعيد بن جبير ينكر أن يكون المراد بها عبد الله ابن سلام ،ويقول : هى مكية ٢١/٥٢١ ج .

(٣) الأحقاف ،آية : ١٠ . ولباب النقول ١٩١ .

(٤) تفسير القرطبى ٩/٣٣٥- ٣٣٦ .

قال القرطبـــى : قال الترمذى : حسن غريب.

ثمّ أورد القرطبى سؤالا وهو : كيف يكون المراد عبد الله ، والسورة مكيّة؟ وابن سلام ما أسلم الّا بالمدينة ؟ .(١)

ثمّ أجاب القرطبى عن هذا بقوله : يجوز أن تكون الآية نزلت بالمدينة وتوضع فى سورة مكية ، فان الآية كانت تنزل فيقول النّبى صلى الله عليه وسلم : ضعوها فى سورة كـــــذا .

والآية فى محاجة المشركين ، ووجه الحجة : أنّهم كانوا يراجعـــون اليهود فى اشياء . . .(٢) أخلص من هذا أنّه علم من أعلام بنـــــى اسرائيـــل وبعد اسلامه اكتسب الثقافة الاسلاميّـة ، وبذلك ازداد رسوخا فى العلم وقوة ايمان وصدق يقيـــــن .

وبعد أن توفر ذلك لديه فلا غرو أن يأخذ المسلمون عنه . بعـــض مايعن لهم فهو كفرد منهم وليس بغريب أو لقيط حتّى يتحفظ عن كلامـــه ، فهو صحابى ،وكفى له بذلك شرفـــا . فضلا عن ذلك أنّه علم ـ بلا شكّ ـ

---

(١) تفسير القرطبى ٩ / ٣٣٥ ،ومثله ابن كثير ٢ / ٥١١ / حلبى ،وأضاف والأظهر: هم من اليهود والنصارى وبعد ذكره لأقوال المفسرين فى المراد ب : " ومن عنده علم الكتاب" يقول : والصحيح فى هذا أن " ومن عنده علم الكتاب " اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء كما قال تعالى : " ورحمتى وسعت كلّ شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النّبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل " الآية . وقال تعالى: " أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل " الآية وأمثال ذلك ممّا فيه الأخبار عن علماء بنى اسرائيل أنّهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة .
(تفسيره ٢/ ٥٢١ / حلبى .

(٢) تفسير القرطبى ١٦ / ١٨٨ .

مايجوز روايته من علمه السابق ـ الاسرائيليات ـ فما علينا اذا فى بـــاب الرواية الاّ أن نعرض مروياته على مقياس الصحة كما صنفها علم الروايـــة أسوة باخوانه الصحابة رضى الله عنهم أجمعين. فما استبانت لنا صحته قبلناه وأخذنا به ، وما وضح لنا زيفه لفظناه ـ[1] على أنّه دسيسة دسـت على ذلك الصحابى رضى الله عنه . والله أعلم الذى شهد له رســول الله صلى الله عليه وسلم أنّه من أهل الجنّة .

وفاتـــــــه /

توفى بالمدينة سنة ٤٣ هـ وقيل غير ذلك .

=======
*****
***

(١) انظر : التفسير والمفسرون ١ / ١٨٦ مع التصرف.

المطلب الخامس- تميم الدارى رضى الله عنه . :

هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة [1] بن دراع بن عدى بن الدار بن هانى بن حبيب بن نمازه بن لخم بن عدى . ينسب الى الدار - وهو بطن من لخم - وقيل هو بالألف منسوب الى داريا مكان عند البحرين كان محط السفن تجلب اليه العطور من الهند [2] .

ويكنى أبا رقية . كان نصرانيا ، وكان اسلامه فى سنة تسع من الهجرة ،وكان يسكن المدينة ، ثم انتقل منها الى الشام بعد قتل عثمان رضى الله عنه [3] .

روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس أنّها سمعت النّبى صلى الله عليه وسلم يذكر الدجال فى خطبته ، وقال فيها : "حدثنى تميم الدارى ،وذكر خبر الجساسة [4] وقصة الدجال ."

وهذا أولى مما يخرجه المحدثون فى رواية الأكابر عن الصغار [5] وهى - بلاشكّ - منقبة له رضى الله عنه كما روى عنه عبد الله بن موهب ، وسليم بن عامر ،وشرحبيل بن مسلم ،وآخرون . [6] وكان أوّل من قص ،

---

(١) فى أسد الغابة ١ / ٢٥٦ (خزيمة) واثبت مافى الاستيعاب لقول المحقّق ابن خزيمة تحريف.
(٢) الكامل ١ / ١٦٧ .
(٣) الاستيعاب ١ / ١٩٣ ،وأسد الغابة ١ / ٢٥٦ .
(٤) الدابة التى رآها فى جزيرة البحر ،وسميت بذلك لأنّها تحبس الأخبار للدجال ،كما فى النهاية.
(٥) الاستيعاب ١ / ١٩٤ .
(٦) المصدر السابق ١ / ١٩٤ .

استأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى ذلك فأذن له ، وهو أوّل من أسرج السراج فى المسجـــــد ...

وكان من حفظة القرآن الكريم ومن العباد كثير التهجد ، قام ليلـة حتّى أصبح بآية من القرآن فيركع ويسجد ويبكى وهى : " أم حسب الذين اجترحوا السيئات ..." الآية .(١)

عن أنس رضى الله عنه أنّه قال : اشترى حلة بألف ليخرج فيهـا الى الصـــلاة .(٢)

وفى أسد الغابة: كان له هيئة ولباس .(٣)

روى أحمد فى مسنده عن شرحبيل بن مسلم الخولانى أن روح بن زنباع زار تميما الدارى ،فوجده ينقى شعيرا لفرسه ،وحوله أهله فقال لـه روح : أما كان فى هؤلاء من يكفيك ؟ قال : بلى ،ولكن سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مامن امرئ مسلم ينقى لفرسه شعيـــرا ثمّ يعلقه الاّ كتب الله له بكلّ حبة حسنـــة .(٤)

سكن بيت المقدس وتوفى فيها سنة ٤٠هـ .

---

(١) الجاشية ، آية: ٢١ .

(٢) الكاشف ١ / ١٦٧- ١٦٨ .

(٣) انظر: أسد الغابة ١ / ٢٤٦ ، - ١ / ٢٥٧ .

(٤) انظر: أسد الغابة ١ / ٢٥٦ ،وانظر السنـــد

الطعـــن على تميم رضى الله عنه /

عقد الكاتب المصرى محمود ريه مبحثا طعن فى شخص تميم رضـــى الله عنه - من ضمن الطعنات التى وجهها على الأشخاص ومروياتهـــم - .

يقول محمود ريّه : كان للمسيحيات نصيب فى تشويه الدين الاسلامىّ - حسب زعمه - وأوّل من تولى كبر هذه المسيحيات - تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه . . . وملأ الرضى بروايات عن قصص الجساسة والدجال . . . كما فعل زميلاه من قبل كعب، ووهب رحمهما الله . . . ومما بثه تميـــم من مسيحياته ماذكره للنّبى صلى الله عليه وسلم من قصة الجساسة . . . وهو مروى فى مسلم من طرق يخالف بعضها بعضـا . . .

ثمّ ساق كلاما لمحمد رشيد رضا مفاده : أنّ الحديث روى بطـــرق مختلفة متونها ، وأنّه لا يحمل على تعداد القصة وهناك شكّ فى سندهـــا ، ثمّ هل تجعل ملحقا بما حدث به النّبى صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه . . . (١)

ثمّ أخذ يطعن فى المتن ،كقوله : لعل علماء الجغرافيا يبحثـــون عن هذه الجزيرة ويعرفون أين مكانها من البحر؟ ثم يخبروننا حتّى نرى مافيها من الغرائب . . . وذلك تعليقا على قول تميم رضى الله عنه علـى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : وحدثنى أنّه ركب فى سفينة بحرية . . . ثمّ أرفأوا إلى جزيرة فى البحـــــــر .

---

(١) أ. أضواء على السنة المحمدية ١٨١ - ١٨٤ .

كما تهكم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : انى أنى المسيح وانى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج . تهكم على قوله : . . . أوشك . بقوله : هذا الوشك كان حوالى سنة ٩ ونحن الآن فى ١٣٨٦ ولم نر لهذا المسيح وجها ولا لمسنا له أثرا . (١)

الردّ عليه : -

أوّلا : حديث تميم رضى الله عنه رواه عدد من أئمة الاسلام كمسلم فى الصحيح (٢) ورجاله ثقات عدول ،لا مطعن فى واحد منهم .

كما رواه من الصحابة غير فاطمة بنت قيس رضى الله عنها ، فقد رواه عائشة وأبو هريرة ،وجابر رضى الله عنهم .

ثانيا : لم يكن النّبى صلى الله عليه وسلم يعلم من الغيب مالم يعلمه الله تعالى به ، ولم يكن-(فداه أبى وأمّى ونفسى) - مغفلا حتّى تنطلى عليه هذه الرواية ان كانت غير صادقة فى نفس الأمر.

ثالثا- (لم يثبت أنّ النّبى صلى الله عليه وسلم صدق كاذبا ، وانّما كان اذا احتمل عنده خبر انسان أن يكون صدقا وأن يكون كذبا يبنى على احتمال صدقه مالا يرى ببنائه عليه بأسا . والفرق بين القضايا - كقصة المرنيين ، لم يتحقق منهم كذب ،فلعلهم كانوا صادقين فى اسلامهم وانّما بدا لهم أن يرتدوا لما وجدوا أنفسهم منفردين بالابل والراعى

---

(١) المصدر السابق ١٨٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ / ٧٨-٨٣ .

بعيـــــداً عن المدينة - وبين خبر الجساسة عظيم جدّا .

والأحاديث الثابتة فى شأن الدجال كثيرة ، ويعلم منها أنّ كثيرا من شأنه خارج عن العـــــادة.

وكما أن الملائكة قد يأذن الله - سبحانه - لهم فيتمثلون بشرا يراهم من حضر ؛ ثبت ذلك بالقرآن فى قصة الملائكة مع ابراهيم ولوط على نبينـــا وعليهما الصلاة والسلام ، وثبت فى السنة فى عدة أحاديث.

فكذلك قد يأذن الله تعالى للشياطين لحكمة خاصة فيتمثلون فى صور رآهـــــا من حضر .

فأمّا الجساسة فشيطان وعلى هذا فلا اشكال . كشف الله تعالـــى - لتميم وأصحابه فرأوا الدجال والجساسة ، وخاطبوهما ثم عاد حالهمـــــا الى طبيعة الشياطين من الاستتـــــار .

والحكمة فى كشف الله تعالى لتميم وأصحابه عما كشف لهم عنه : أن يخبروا بذلك ، فيكون موافقا لما كان النّبى صلى الله عليه وسلم يخبر بـــه فيزداد المسلمون وثوقا به ، وهذا بين فى الحديث اذ قال النّبى صلـــى الله عليه وسلم - بعد ذكره لتميم : وحدثنى حديثا وافق الذى كنـــــت أحدثكم عن مسيح الدجـــال ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ألا هـــــل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال النّاس: نعـــــــم . فقال : فانّه أعجبنـــى حديث تميم انّه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينـــــة ومكـــة.(١)

رابعـــا لو كان ماحدث به تميم كذبا - لا سمح الله - لما سكـــــت

---

(١) انظر: الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلـــــل والتضليل والمجازفة ص١٣٤ مع التصرف.

الوحى عن بيان الحقّ فيما أخبر به ، كما حدث فى كثير من الأحيان حينما كان المنافقون وأضرابهم يقولون خلاف ما يبطنون فينزل الوحى فاضحا لهم ومبينا كذبهم (١) .

بهذا يبهت محمود رية ومن نحا منحاه ، فلا يستطيعون أن يتفوهوا بكلمة ـ والحمد لله .

****

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين ص٨٩ - ٩٩ - بتصرف يسير.
وانظر: فصل وسائل جديدة لهدم السنة ، فى كتاب السنة المفترى عليها لسالم البهنساوى ص ٢٦٧/ ط/ الثانية ـ الكويت .

المبحث الثاني

أشهر رواتها من التابعين وتابعيهم ورأي علماء التفسير
والجرح والتعديل فيهم مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير لها.

المبحث الثاني :

(أشهر رواتها من التابعين وتابعيهم ورأى علماء التفسير ، والجرح والتعديل فيهم مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير لها)

أ - اشهر رواتها من التابعين /

سبق وأن بينا موقف التابعين من الاسرائيليات بشيء من البيان ، وقد لاحظنا عدة أمور منها :

١ - التوسع في العصر في الأخذ عن مسلمة أهل الكتاب.

٢ - يرجع سبب ذلك فيما يرجع الى تعطش نفوس الداخلين في الاسلام الى سماع مزيد من الأخبار والقصص التي تتحدث عن الأمم السابقة للاسلام ، والتي أضرب القرآن الكريم عنها صفحا ، أو تحدث عنها بصورة مقتضبة ، الى غير ذلك ممّا هو بين بنوع من التفصيل فيما تقدم.(١)

ولما اشتهر رجال بكثرة مروياتهم من الأخبار الاسرائيلية ، نود أن نعطي القارى لمحة عن أبرز أولئك الأعلام ، حتّى نعرف وجه الحقّ عنهم .

فمنهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ - كعب الأحبار - رحمه الله . وهو كعب بن ماتع الحميري من يهود اليمن ، ومن أوعية العلم ، ومن كبار علماء أهل الكتاب .

اختلف في وقت اسلامه ، فقيل : أسلم في زمن أبي بكر الصديق

---

(١) انظر ص ١٤٠ من هذا البحث.

رضى الله عنـــــه .[1]

وقيل : فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وقيل غير ذلك ،[2] ولعـــلّ اسلامه فى عهد أبى بكر هو الأرجح - والله أعلم .

وبعـــد اسلامه قدم من اليمن فى دولة أمير المؤمنين عمر رضـــى الله عنه ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وأخذ هو من الكتاب والسنة عـــن الصحابة ، وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه عام ٣٢ هـ .

وروى عنه جماعة من التابعين مرسلا وله شيء فى الصحيح وغيره .[3]

مكانته العلميّـــة :

تتفق كتب التراجم وغيرها على أنّ كعب الأحبار كان على درجة عاليـة من التحصيل العلمى فكان حبرا من أحبار اليهود ،ولعل رجوع الصحابة اليه والاستماع اليه والرواية عنه من أكبر الأدلة على سعة علم الرجـــل وخصوصا اذا ماعلمنا أن خيرة الصحابة فى عصره كانوا يتناقشون معـــه فى أمور علمية كأبى هريرة ، وابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم ، ناهيك عن كبار التابعين أمثال سعيد بن المسيب،وعطاء بن أبى رباح ،وآخرون رحمهم الله . هذا مع شهادة حبر آخر له بالتفوق العلمى ، فقد روى عـــن

---

(١) مال الى ذلك الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ ١ / ٥٢ .

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ ١ / ٥٢ ،وحلية الأولياء ، ٥ / ٣٦٤ ،والمعارف لابن قتيبة ص ١٨٩ ،والطبقات لابن سعد ،وتهذيب التهذيب،والنجوم الزاهرة ١ / ٩٠ ، والجرح والتعديل .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ٥٢ .

وهب بن منبه رحمه الله أنّه قال : (. . . وكعب الأحبار أعلم أهـــل زمانه .)[1] اضافة الى شهادة النخبة السابقين ببروزه فى ميـــدان العلم ، فقد نقل عنه فى التفسير ،والحديث وغيرهما الشيء الكثيـــر الأمر الذى يدل على علمه الواسع،وكثرة تلاميذه .

توثيق كعب الأحبـــار :

بادىء ذى بدء أحبّ أن أضع الحقيقة التالية فى ذهن القـــارىء الكريم وهـــــى :

أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين قد وثقوه ،وثانيـــا بعض علماء الحديث روى عنه فقد ثبت أن بعض الصحابة أخذ عنه وروى لـه كحبر الأمّة وترجمان القرآن الكريم ابن عباس رضى الله عنهما .

وثبت أيضا روايات له فى أبرز الكتب الستـة . وأظن ـ بل أعتقـد ـ أنّ تلك حقائق مسلمة ، وفى الوقت نفسه كافية لعدالة الرجل وحسن اسلامه ، وخلو ساحته عن تلك الاسرائيليات التى كادت أن تشوه جمال القـــرآن الكريم ، فكلّ مافى الأمر أنّهما نسبت روايته لها ، أمّا المضمـــون فهـــو برىء منها ـ والله أعلـــم ـ .

والآن نعود الى أراء العلماء فى توثيق كعب من عدمه . فنقـــول : لقد فهمت من خلال تتبعى لسيرة كعب الأحبار أنّه حظى بثقة كبيـــرة لدى جماهير العلماء فهو عدل موثوق به ،ولا يعد فى الضعفاء والمجروحين ،

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون بتصرف كبير ١ / ١٨٨ - ١٨٩ .

وما اخراج مسلـــم له فى صحيحه الاّ شهادة كافية له ، وكذا الحال بالنسبة لأصحاب السنن مثل أبو داود ،والنسائى ، والترمذى فهذه الثقـــة تجعله فى عداد العلماء الثقات .

كما لاحظت أنّ بعض العلماء كابن قتيبه الدينارى لا يروى عنـــه ، وليس فى هذا غضاضة اذ ليس هناك ثمة شـــرط فى توثيق الرجـــل أن يروى عنه كلّ أرباب العلم والمعرفـــة .

وقد أثرت بعض الروايات عن الصحابة ظاهرها نقد كعب،أمّـــا الباطن - فالله أعلم بها . وبالتالى أصبحت تلك الروايات سندا قويـــا لمن يسحب الثقة التى حظى بها كعب، فهو يخفض من عدالته ، ويرفـــع أصبع الاتهام والكذب،فى وجه كعب الأحبار .

ومن أنصار هذا الرأى المعاصرين لنا من المشايخ كصاحـــب تفسير المنار، ومن حملة الأقلام ممّن برعوا فى فن الكتابة فقط كمحمـــود أبو رية ،وآخرون .

ومن أدلتهم - فى سحب الثقة عن كعب - وبالتالى حذف واسقـــاط كلّ مروياته وتلك طريقة دنيئة فى ميدان النّقد العلمى البناء - مـــن أدلتهـــم : تلك الكثرة الهائلة من الروايات والأخبار- التى تبدو غريبة - والتى أثرت عن كعب الأحبار وغيره كوهب بن منبه ، مما كان له أثر سـيء .

وحتّـــى نعطى فكرة صادقة عن أراء المعاصرين السالفى الذكـــر ننقل بعض فقرات ممّا هو سطر فى كتبهـــم : ثمّ نحاول - بتوفيق اللـــه وحده - الردّ عليهم ماأمكن .

الأوّل : رشيـــد رضـــا :

أ ـ يقول فى تفسيره : قال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه اللـــه تعالى ـ : والاختلاف فى التفسير على نوعين : منه ما مستنده النّقـــل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك ،والمنقول امّا عن المعصوم أو غيره ، ومنـــه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لم يمكن ذلك ،وهذا القسم ـ الذى لا يمكن معرفة صحيحة من ضعيفه ـ عامته مطّ لا فائدة فيه ولا حاجة بنا الى معرفته ، وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه ... ونحـــو ذلك . فهذه الأمور طريقة العلم بها النّقل ، فماكان منهـــا منقولا نقلا صحيحا من النّبى صلى الله عليه وسلم قبل ومالا ـ بأن نقـــل عن أهل الكتاب ككعب ،ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى اللـه عليه وسلم : اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم. . . (١)

يعلق رشيد على النّص المتقدم بقوله : فأنت ترى أنّ هذا الامـام المحقّق جزم بالوقف عن تصديق جميع ماعرف أنّه من رواة الاسرائيليـــات، وهذا فى غير مايقول الدليل على بطلانه فى نفسه ،وصرح فى هذا المقام بروايات كعب الأحبار ،ووهب. . . مع أن قد ماء رجال الجرح والتعديـل راعتبروا بهما وعدّلوهمـــا . . . (٢)

وقال فى موضع آخر: وقد علم أنّ بعض علماء الصحابة رووا عـــن أهل الكتاب حتّى عن كعب الأحبار ،الذى روى البخارى عن معاويـــة رضى الله عنه أنّه قال : " ان كنا لنبلو عليه الكذب" ومنهم أبو هريـــرة

---

(١) تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ـ تأليف محمد رشيد رضا ١/ ٩ ط/ ١٩٧٢م .

(٢) تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار ـ تأليف محمد رشيد رضا ١/ ٩ - ١٠ .

وابن عباس رضى الله عنهمـــــــــــا . (١)

الرد على صاحب تفسير المنـــــار :

١ ـ هناك حذف فى نص كلام ابن تيمية ـ رحمه الله ، فقد ذكـــــر عقب وهب ، ومحمد بن اسحاق وغيره . (٢) ولا أدرى أسقط سهوا أو عمـــدا فى نسخة رشيـــد رضـــا ؟ .

٢ ـ يقول ابن تيمية بعد بيان القسم الذى أشار اليه رشيد يقـــول : فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه الاّ بحجّـــــــــــة . ؟

٣ ـ أنّ نص شيخ الاسلام لا يفهم منها القدح على كعب ـ كمـــــا فهمهـــا رشيد ـ لأنّه لو كان كذلك، لا نطبق الأمر على محمد بن اسحـق ، الذى يعتبر اماما فى السيرة وصدوقا فى الحديـــــث .

قال عنه ابن معين : هو ثقة وليس بحجّة .

قال عنه ابن حنبل : حسن الحديث .

قال عنه ابن المدينى : حديثه عندى صحيح .

قال عنه شعبة : أمير المؤمنين فى الحديث .

قال عنه النسائى : ليس بالقوى . (٣)

٤ ـ أن عبارة ابن تيمية جاءت فى فصل آخر موضحة للنص الذى معنا ، فقد جاء فى فصل (تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيره بالسنة ، وأقوال الصحابة)

---

(١) المصدر نفسه الموضع نفسه .
(٢) مقدمة فى أصول التفسير ص ٢٩ .
(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٢ / ١٧٤ .

وغالب ما يرويه اسماعيل السدى الكبير فى تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعود ،وابن عباس رضى الله عنهم. ولكن فى بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التى أباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : بلغوا عنّى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ... رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما . ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن فى ذلك .

ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانّها على ثلاثة أقسام :

الأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث ما هو مسكوت عنه . لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ،فلا نؤمن به ولا نكذبه ،وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك ممّا لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى .

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون فى مثل هذا أسماء أصحاب الكهف - الى غير ذلك ممّا أبهمه الله فى القرآن ممّا لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم ،ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز. . . (١)

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص ١٤-١٥ .

فبمجموع العبارتين يفهم منها وجهة نظر شيخ الاسلام فى حكم الرواية الاسرائيلية فقط وليس فيها أدنى لمز لكعب الأحبار.

وهذا مافهمه تلميذه البار وأخلص محبيه الامام ابن كثير حيث ذكر فى تفسيره هذا المعنى بعبارة تكاد تكون طبق الأصل عن شيخه الامام ابن تيمية كما هى مثبته فى مقدمة تفسيره . ولم يفهم فهما آخر كالذى فهمه رشيد ،ولا أدرى كيف استنبط ذلك رشيد ؟ مع تأخره الكبير عن عصر الشيخ ابن تيميه . ؟؟

ب - أمّا زعم رشيد بأن قدماء الجرح والتعديل قد اغتروا بهما وعدّلوهما - كعب ووهب ؟ فأمر فى غاية المجازفة.

اذ أوّل من عدلهما - كعب ووهب - الصحابة ،وكذا الحال بالنسبة لكبار التابعين . وهو ماقام به أئمة الجرح والتعديل وجهابذة فن الرجال كابن معين وابن حنبل ، والنسائى ،وغيرهم فاذا كان كلّ أولئك من الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم والتابعون رحمهم الله قد انخدعوا - وما أحسب ذلك - فى شخص كعب ويأتى آخر فى القرن الرابع عشر الهجرى وينال من كعب الأحبار ،ويسقط عدالته اذا كان الأمر كذلك - وهو غير ذلك - فما أظنّه رشيد [1] والله أعلم .

جـ - رواية بعض علماء الصحابة عن مسلمة أهل الكتاب ليس فيه أىّ جرح طالما أصبحوا فى عداد المسلمين وهم - الصحابة - أعقل من أن يأخذوا أى كلام ،ويسلموا له ، دون استعمال وجه الحقّ فيه فالمتتبع لسيرتهم لا يستطيع أن يلمس فيهم السذاجة والغفلة ،حتّى ينخرطوا فى أىّ تيار فكرى وتجرف بهم أيّة ريح .

---

[1] التفسير والمفسرون ١/١٩١-١٩٤ والاسرائيليات والوضع فى كتب التفسير ص ١٦٩-١٨٢

اذا علم ذلك فلا حرج فى رجوع ابن عباس رضى الله عنهما وغيره الى مسلمة أهل الكتاب بمن فيهم كعب والتدارس فيما بينهم باسم الأخوّة الاسلاميّة - رغم أنف رشيد .

أمّا رواية الامام البخارى عن معاوية رضى الله عنه " ان كنّا لنبلو عليه الكذب " فسأترك الاجابة للامام العلامة ابن كثير رحمه الله .

يجيب رحمه الله تعالى عن ذلك عند قوله تعالى : " ويسألونك عن ذى القرنين " [1] قال ابن لهيعة : حدثنى سالم بن غيلان عن سعد بن أبى هلال أنّ معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال لكعب الأحبار: أنت تقول ان ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا ؟ فقال كعب : ان كنت قلت ذلك فانّ الله قال : " وآتيناه من كلّ شىء سببا ".[2]

وعلق ابن كثير على هذا الخبر الذى ذكره كعب شرحا لآيات الله وأنكره معاوية رضى الله عنه بقوله :

والحقّ مع معاوية فى الانكار، فانّ معاوية كان يقول عن كعب: " ان كنّا لنبلو عليه الكذب" يعنى فيما ينقله لا أنّه كان يعتمد نقل ماليس فى صحفه ، ولكن الشأن فى صحفه أنّها من الاسرائيليات، التى غالبها مبدل مصحف محرف ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الى شىء منها بالكلية ،فانّه دخل منها على الناس شر كبير وفساد عريض .

---

(١) الكهف، آية ٨٣.

(٢) الكهف ، آية ٨٤ .

ثم يفسر الآية تفسيرا مناسبا بقوله : وتأويل كعب قوله تعالى : " وآتيناه من كلّ شيء سببـــا "[1] واستشهاده في ذلك على مايجـــده في صحفه . . . غير صحيح ولا مطابق ، فانّه لا سبيل الى شيء من ذلك ، ولا الى الترقي في أسباب السموات ، وقد قال الله تعالى في حـــقّ بلقيس " وأوتيت من كلّ شيء "[2] أي مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكـــذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل الى فتح الأقاليـــم والرساتيـــق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء ، وكبت ملوك الأرض ، واذلال أهل الشرك ، قد أوتي من كلّ شيء ممّا يحتاج الى مثله سببا . والله أعلم.[3]

فنلحظ أن ابن كثير ينفي عن كعب تعمد الكذب والافتراء ، وهـــو في هذا يلتقي مع الموثقين لكعب ، مع ملحوظة أخرى وهي : أن يـــرى أنّ هذه النقول عن تلك الكتب المحرفة المبدلة أدخلت على التفسيـــر بالمأثور شر كبير وفساد عريـــض .

تنبيـــه : أريد أن أشير هنا الى أنّ ماروا كعب عن النّبـــي صلى الله عليه وسلـــم قليل جدّا ، وهو مرسل ، لأنّه لم يدركه ، والمرسل ليس بحجة ، وقد كان الصحابة ربما توقف بعضهم عن قبول خبر بعض اخوانه من الصحابة فما بالك بما يرسله كعب ؟ .

وأمّا ماروا عن بعض الصحابة أو التابعين ، فانّ أهل العلم نقدوه كما نقدوا رواية سائر التّابعيـــن . *

---

(١) سورة الكهف ، آية ٨٤ .

(٢) سورة النّمل ، آية : ٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ١٠١ / حلبي ، وقارن بالشعبي ٥ / ١٨٦ .

الثانـــى : محمود ريـــة :

يقول محمود رية : وقد روى أن قوما من الفـــرس واليهود مثـــل كعب الأحبار وغيره ، لما رأوا الاسلام قد ظهر وعمّ ودوّخ ، وأذل جميـــع الأمم ، ورأوا أنّه لا سبيل الى مناصبته ، رجعوا الى الحيلة والمكيـــــدة ، فأظهروا الاسلام من غير رغبة فيه وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتقشـــــف. فلما حمد النّاس طريقهم ولدوا الأحاديث والمقالات ، وفرقوا النّـــــاس فـــــرقا ... (١)

الردّ عليـــــه :

بادى ذى بدء ، تلك فرية باطلة ودعوى تفتقر الى دليل ، ألا وهى الزعم بأنّ كعب الأحبار كان أحد أولئك الذين دسوا فى الاسلام أشيـــاء وأشياء ... لقد عاش كعب الأحبار فى الدولة العمرية رضى الله عنـــه ، وعاش حتّـــى توفى فى خلافة ذى النورين رضى الله عنه . فاذا كـــــان قد أظهر الاسلام خداعا - وحاشاه - فهلا اكتشفه أحد من الصحابـــــة - وخاصة الذين رووا عنه كمعاوية ، وأبى هريرة ، وابن عباس رضى اللـــه عنهـــم - أو من التابعين ، أو من جاء بعدهم. حتّى القرن الرابـــع عشر ويأتى المبقرى ... أبو رية ، ويأتى برأيه الفاسد تجاه كعـــــب. وبالتّالى يجعل أولئك الأعلام والنبلاء الفضلاء من الصحابة ومن بعدهم سذج - اذ لم يفلحوا فى فضح نوايا كعب ، وانطلت عليهم أفكار كعـــــب سبحانك هذا بهتان كبير فى حقّ أولئك الصفوة البررة من الصحب الكرام

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٩٩ .

ومن جهابذة التابعين ومن جاء بعدهم من النقداء الأبصار.

كما يزعم أبو رية الزعم الآتي - من ضمن سلسلة كبيرة من الزعم البارد والفهم الساقط - : لقد انخدع بعض الصحابة - رضى الله عنهم بكعب الأحبار. وكان أكثرهم انخداعا وثقة فيه ورواية عنه : أبو هريرة رضى الله عنه ، ومما يدلك على أنّ هذا الحبر الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتّى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنّص، ويجعله حديثا - رفوعا الى النّبى صلى الله عليه وسلم ، ما نورد لك شيئا منه :

روى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ النّبى صلى الله عليه وسلم قال : انّ الشمس والقمر ثوران فى النّار يوم القيامة .

فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله وتقول ما ذنبهما ؟ . وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، . . . (١)

الردّ عليه : هذا الحديث رواه الامام البخارى فى صحيحه ، كما أفاد الحافظ ابن حجر بأنّ البزار والاسماعيلى والخطابى أخرجوه من طريق يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار . . . (٢) فضلا عن ذلك . فقد أجاب ابن قتيبة عن هذا - أى أنّ هذا الحديث قد سبق أبارية الطعن فيه مطموسى البصائر - فقال - رحمه الله - : انّ الشمس والقمر لم يعذبا بالنار حين أدخلاها ، فيقال ما ذنبهما ، ولكنّهما خلقا منها ، ثمّ ردّا اليها .

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) فتح البارى - كتاب بدء الخلق - باب صفة الشمس والقمر ٦ / ٢٩٦-٣٠٠

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس - حين غربت - في نار الله الحامية - لولا مايزعها من أمر الله تعالى ، لأهلكت ماعلى الأرض، وقال : ماترتفع في السماء قصعة الّا فتح لها باب من أبواب النّار ، فاذا قامت الظهيرة ، فتحت الأبواب كلّها .

وهذا يدلك على أنّ شدة حرها من فوح جهنّم ، ولذلك قال : أبردوا بالصلاة فانّ شدّة الحرّ من فوح جهنّم . فماكان من النّار ثمّ رد الى النّار لم يقل : انّه يعذب .

ويستمر ابن قتيبة في رده فيقول : وماثل هذا الّا مثل رجل سمع بقول الله تعالى : "فاتقوا النّار التي وقودها النّاس والحجارة" [1] فقال : ماذنب الحجارة ؟ [2] .

قلت : هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم أفهم الدافع الحقيقي من وراء الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه من قبل أبو رية ؟؟ .

ب - وسنده متين كما في فتح الباري .

ينقل الحافظ ابن حجر عن الاسماعيلي العبارة الآتية : لا يلزم من جعلهما في النّار تعذيبهما ، فانّ لله في النّار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٤ .

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ ، ١٠٠ - ١٠٢ ط / دار الجيل .

لأهـــل النّار عذابا وآلة من آلات العذاب وما شاء الله من ذلك فـــلا تكـون هى معذبة، وقال الخطابى : ليس المراد بكونهما فى النّـــار تعذيبهما بذلك ، ولكن تبكيت لمن كان يعبدهما فى الدنيا ليعلمـوا أنّ عبادتهم لهما كانت باطلا ، وقيل : انّهما خلقا من النار فأعيدا فيها(١)...

جـ ـ هذا الخبر عبارة عمّا سيكون يوم القيامة ـ ان شاء الله ـ وأحوال يوم القيامة لا تقاس بحال من الأحوال على الفانية ـ الدنيا ـ يقول تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ."(٢)

أظن ـ بل ـ أعتقد ان هذا الرد شبيه كاف لأبى رية ومن نحا منحاه . والله أعلم

نمـــاذج من الاسرائيليات التى نسبت الى كعب الأحبار ونقد ابـــن كثير لهـــــا .

كعب الأحبار وأمثاله ـ وان كان حسن النّية خالص السريرة ـ الاّ أنّه جرّ على الاسلام مفسدة كبيرة بتلك الروايات التى رواها عن أهل الكتـاب ، أو التى نسبت وعزيت اليه ، فبالتّالى التبس على كثير من النّاس أمر دينهم.

لقد كان من الخير لنا ولديننا أن يصمت كعب ـ رحمه الله ـ عـــن هذه الاسرائيليات فلا ينطق بهـــا ، وأن تغمض كلتا عينيه فلا تشيـــــر اليها ، وأن تكف كلتا يديه فلا تنقلها .

فانّ من الخطورة بمكان أن يسمع أحد الصحابة أو غيرهم شيئـــــا

---

(١) فتح البارى ٦/ ٣٠٠.

(٢) ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ٤٨.

انظر دفاع عن أبى هريرة رضى الله عنه لعبد الرحمن المعلمى ص٢٥٦.

من الرّسول صلى الله عليه وسلم وشيئا عن كعب، فيخلط بين الحديثين ويمزج بين الروايتين .

فقد روى مسلم بن الحجاج في صحيحة عن بشر بن سعيد قال : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رايتنا نجالس أبا هريرة رضى الله عنه فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . (١) وهذه بعض النماذج التي أثرت عن كعب الأحبار والتي انتقدها الامام ابن كثير .

١ ـ قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " . قال ابن كثير عن هذه الآية : روى عبد الرزاق عن كعب الأحبار أنه قال : ان الله كلم موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام كلمه بالألسنة كلّها سوى كلامه ،

وفي رواية ابن جرير : بالألسنة كلها قبل كلامه ـ يعني كلام موسى ـ فقال له موسى : يارب هذا كلامك ؟ قال الله ـ سبحانه ـ : لا ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له . قال ـ موسى ـ يارب فهل من خلقك شيء يشبه كلامك ؟ قال ـ الله تبارك وتعالى ـ : لا ، وأشد خلقي شبها بكلامي أشدّ ماتسمعون من الصواعق . (٢)

علق ابن كثير على هذا بقوله : هذا موقوف على كعب، وهو يحكي عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني اسرائيل وفيها الغثّ والسمين . (٣)

---

(١) صحيح مسلم والشعب ٢/ ٤٢٧ ،ومابعدها .
(٢-٣) تفسير ابن كثير ١ / ٥٨٨ / حلبي ، والطبري ٩ / ٤٠٤-١٠٥ طبعة ابن شاكر .

٢ ـ قوله عزّ ذكره : " واذكر في الكتاب ادريس . . . الى قوله سبحانه " ورفعناه مكانا عليـــــا " . (١) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

روى ابن جرير ـ غفر الله له ـ في تفسير قوله تعالى " واذكر في الكتـــاب ادريس . . . " أثرا غريبا عجيبا عن هلال بن يساف قال : يسأل ابـــن عباس رضي الله عنهما كعبا وأنا حاضر ـ فقال له : ماقول الله ـ عزّ وجـل في ادريس : " ورفعناه مكانا عليـــا " فقال كعب: أمّا ادريس فـــانّ الله ـ سبحانه ـ أوحى اليه أني أرفع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن يزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له : انّ الله ـ سبحانه أوحى اليّ كذا وكذا ، فكلم لي ملك الموت فلا يؤخرني حتّى ازداد عملا ، فحمله بين جناحيه حتّى صعد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعـــة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس، فقـال وأين ادريس، فقال هو ذا على ظهري ، قال ملك الموت : العجب بعثت وقيل لي : أقبض روح ادريس في السماء الرابعة . فجعلت أقول : كيـف أقبض روحه في السماء الرابعة ، وهو في الأرض، ؟ فقبض روحه هنـــاك ، فذلك قوله : " ورفعناه مكانا عليـــا " . (٢)

علّـــق ابن كثير عقب ذلك بقوله : هذا من أخبار كعب الاسرائيليات وفي بعضه نكارة . والله أعلم . (٣)

---

(١) سورة مريم ، آية ٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ١٢٦ / حلبي .

(٣) المصدر نفسه ٣ / ١٢٦ ـ حلبي .

٢ - وهـــب بن منبـــه :

التعريف بـــه : هو الحافظ أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامـــل ابن سيج بن ذى كناز اليمانـــى الصنعانى الذمارى ، عالم أهل اليمـــن ولـــد ٣٤ ، روى عن أبى سعيد وجابر بن عبد الله وأبى هريـــــرة وابن عمر وابن عباس وعن غيرهـــم رضى الله عنهـــم . وعنه ابناه عبـــد الله وعبد الرحمن ، وابنا أخيه عبد الصمد وعقيل . . . وعمر بن دينـــار واسرائيل أبو موسى ، وسماك بن الفضل . له ترجمة طويلة فى تاريـــخ دمشق . توفى ١١٤ رحمه الله تعالى . (١)

مكانته العلميّة :

يعتبر وهب بن منبه أحد جهابذة العلم فى عصره ، قال الحافظ الذهبـــى : (٢) وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الأحبار فى زمانه .

ولعلّ عبارة الامام ابن كثير التالية توضح ثقافته ، يقول - رحمـــه الله - . . . له معرفة بكتب الأوائل ، (٣) فمن خلال هذه الكلمة يتبين أنّه كثيـــر الاطلاع على الكتب السابقة للاسلام فضلا عن ثقافته الاسلاميّة الواسعـــة ، والتى اكتسبها بروايته عن عدد لا بأس به من الصحابة .

روى عنه أنّه قال : عبد الله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلـــم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما ؟ - يريد نفسه . (٤)

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٠ - ١٠١ ، وتهذيب التهذيب ١١ / ١٦٦ - ١٦٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠١ ،

(٣) البداية والنهاية ٩ / ٢٧٦ .

(٤) التفسير والمفسرون ١ / ١٩٦ .

توثيق العلمـــاء له : المتتبع لأقوال جهابذة العلماء وخصـــوصا رجال الجرح والتعديل يجد أنّ جلهم قد عدلوه وبالتالى لا التفات الى مجروحين له - وهم فيما علمت نفر يكادون يعدون بعدد الأصابـــع .

وذى بعـــض أقوال النّقـــاد :

قال العجلى : كان ثقة تابعيا ، وكان على قضاء صنعـــاء . (١)

وقال أبو زرعة والنسائى : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات. (٢)

ولعلّ اخراج البخارى له فى الصحيح من أبرز الأدلة على ثقـــة الرجـــل وعدالته . ويقول الحافظ ابن حجر : قلت : وقال عمرو بـــن الفلاس : كان ضعيفـــا .. فمن خلال ماتقدم ظهر لى - والله أعلم - أنّه ثقة رغم قول الفلاس وذلك لكثرة الموثقين له ، وبعبارات لا يفهم منهـــا طـــرح الثقـــة .

وهب بن منبه فى منظار آخـــر :

ظهر جليا من الكلمة المقتضبة فى مسألة * مكانته العلميّة * أنّـــه ذائع الصيت كثير الشهرة وبالتالى ساعدت تلك الشهره وذالك الصيت فى الصاق أخبار وروايات هابطة الى ذلك العلم ، وما ذاك الاّ مكر ، مكـــر به أعداء الاسلام .

وتجدر الاشارة الى أنّ هناك روايات قد تكون حقيقة فى نسبتهـــا الى وهب لكن ليس بتلك الكثره من الروايات السقيمـــة والتى فيها اســـاءة

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١٠١ .

(٢) تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٧ .

الى ذات الله أو التعرض لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فلا ريب أنّه قرأ الأخبار والقصص من كتب الأقدمين فربما حدث بها لكن ليس على سبيل أنّها حقّ ، ولكن فى حدود الاباحة الشرعية ، والله أعلم .

ومن هنا رأينا بعض النّاس يشككون فى صحة اسلامه ، بل يرمونه بالكهانة والدجل ، والمكر ، وأنّه بقى على دين قومه ، وتظاهر بالاسلام ليبث سمومه . ولعلّ أبرز أولئك النّاس محمود ريّه :

واليك بعض أقواله من خلال كتابه : اتبع هؤلاء الأحبار - عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه - بدهائهم العجيب طرقا غريبة لكى يستحوذوا بها على عقول المسلمين ويكونوا محلّ ثقتهم ، وموضع احترامهم واليك طرفا من هذه الأساليب العجيبة :

روى القاضى عياض فى الشفاء أنّ وهب بن منبه قال : قرأت فى أحد وسبعين كتابا ، فوجدت فى جميعها أنّ النّبى صلى الله عليه وسلم أرجح النّاس عقلا وأفضلهم رأيا ، وفى رواية أخرى فوجدت فى جميعها أنّ الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدّنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الاّ كحبة رمل من رمال الدّنيا . (١)

ويقول - محمود ريّه - فى موضع آخر : ولما كان أشد النّاس عداوة للذين امنوا اليهود . . . لأنّهم يزعمهم شعب الله المختار ، فلا يعترفون

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ١٤٩ - ١٥٢ .

لأحد غيرهم بفضل . . . فان رهبانهم وأحبارهم لم يجدوا بدّا من أن يستعينوا بالمكر، ويتوسلوا بالدهاء، لكي يصلوا الى مايبتغون فهداهم المكر اليهودي الى أن يتظاهروا بالاسلام ويطووا نفوسهم على دينهم حتّى يخفى كيدهم ويجوز على المسلمين مكرهم، وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدهم مكرا، كعب الأحبار، ووهب بن منبه. (١)

الردّ عليه :

بالنّسبة لرجاحة عقل الرّسول صلى الله عليه وسلم وفضله عقلا وذاتا ومنزلة على كافة البشر أمر مفروغ منه، ولا يجادل فى ذلك أو يشكّ فيه الا أحمق غافل فاقد البصيرة - نسأل الله سلامتها - فسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام وبعده تشير وتنطق على رزانة عقله، وليس أدل على ذلك من حادثة وضعه صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود بيديه الشريفة وذلك حين نزاع مشركى مكة حول من يضع الحجر الأسود ؟ ونزولهم لتحكيم سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام، مع وجود سادات مكة . أين غرب عقل أبو رية عن ذلك - وهذا ان كان له عقل - ؟؟ .

فلا غبار ولا مرية فى أثر وهب بن منبه الذى أورده القاضى عياض فى الشفاء يشهد لصحته حال المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية والاسلام، بل تشهد الدنيا على ذلك، أعداء الاسلام قبل أبناء الاسلام.

. وما أوصافه صلى الله عليه وسلم التى ذكرها القرآن الكريم المهيمن على الكتب السابقة الا ناطقة على سمو عقله ورفعة شأنه وتبوئه المكانة

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٥ .

المالية من الدرجة الرفيعـــــــة .. قال تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكـــم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"(١) ، "وانّك لعلى خلق عظيـــــــم"(٢) فداه نفسي وأبي وأمّـــي .

وبالنّسبة لاتهامه وهبا بأنّه داعية كفر ، وتشككه في صحة اسلامـــه ، فهو هراء سقيم ،لا جديد فيه ، اذ عادة أبورية أن يطعن في مسلمـــة أهل الكتاب بل في بعض الصحابة ، ولعل تأليفه كتاب * شيخ المضيرة * للطعن في صحابي جليل حفظ لنا من السنة الشيء الكثير والكبير هو / أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه أكبر مثل حي لاستخفافة بأولئك الأبطـــال الرجـــــــال .

فاذا ماتوادى في الصاق التهم بمن جاء بعدهم فأمر ليس بغريـــب ، لشخص يجازف بكل حماس واصرار للنيل من الجيل الأوّل والرعيل الأمثل .

نقول ذلك لأنّ وهبا قد أسلم وأصبح في عداد المسلمين وتتلمـــذ على عدد من الصحابة وتفقه في دين الله ،وتبين له وجه الحقّ ، فلايعقـل أن يزيغ ، أو أن ينحرف ـ لاسمح الله ـ فلا ينبغي للمسلم أن يسيء الظـــنّ بأخيه المسلم ، واذا مارأى منه خطاء أو زلة ،استيقن من تلك الزلـــة أو الخطيئة قبل رميه كيف مااتفق ،فعليه لا ينبغي أن يتهم تابعا كبيـــرا كوهب ، وأمّا مانسب اليه من روايات باطلة وأساطير عاتقة . . . فقـــد تكون رويت ـ ان صحت عنه ـ ليعلم المسلمون قيمة ماأبديهم ، وليفهموا أنّ

---

(١) سورة التّوبة ،آية : ١٢٨ .

(٢) القلم ،آية : ٤ .

أهل الكتاب بدلوا وحرفوا وغيـــــروا . . . أو نحو ذلك - والعلم عنـــد اللـــــــــه . - (١)

نمـــوذج لنقد ابن كثير للاسرائيليات التى أثرت عن وهب بـــــن منبـــه - رحمه الله - :

قوله تعالى : " وانّ اليـــــاس لمن المرسليـــــن " (٢)

نقل عن وهب بن منبه أثرا ، مفاده : (ان الياس على نبينـــــا وعليه الصلاة والسلام بعثه الله تعالى فى بنى اسرائيل بعد (حزقيـــل) عليه السلام ، وكانوا قد عبدوا صنما يقال له (بعل) فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة سواه . . . فأمر الياس أن يذهب الى مكـــــان كذا وكذا ، فمهما جاءه فليركبه ، ولا يهبه ، فجاءته فرس من نار ، فركب ، والبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة طكا انسيـــــا سماويا وأرضيـــــــا . (٣)

علق أبو الفداء على ذلك بقوله : (هكذا حكاه وهب بن منبـــــه عن أهل الكتـــــاب - والله أعلم بصحتـــه . (٤)

****

---

(١) لمزيد من قراءة فكر محمود ربّة والتعمق فى ذلك أو للاطلاع ينظـــر الصفحات الآتية من كتابه * أضواء على السنة المحمدية * ٢٢ - ٧٢ - ٩٩ - ١٣١ / ١٤٥ ، ١٤٨ - ١٦٤ - ١٨٥ - ٢٠٧ - ١٧١ - ٣٩٥ . وغيرها من الصفحات المظلمة .

(٢) الصافات آية : ١٢٣ .

(٣-٤) تفسيره ٧ / ٣١ ط / الشعـــب

٣ ـ ابن جريج الامام الحافظ :

فقيه الحرم أبو الوليد ويقال : أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج الروى الأموى ، مولاهم المكى الفقيه ، صاحب التصانيف ، أحد الأعلام [(١)] ، كان من علماء مكّة ومحدثيهم ، وهو أوّل من صنف الكتب بالحجاز ، وهو قطب الاسرائيليات فى عهد التابعين . . [(٢)]

حدث عن أبيه ، ومجاهد يسيرا ، وعطاء بن أبى رباح فأكثر ، وميمون ابن مهران وآخرون .

أدرك صغار الصحابة ، ولكن لم يحفظ عنهم . روى عنه السفيانان ، ومسلم بن خالد ، وابن علية ، وحجاج بن محمد ، وخلق . مات سنة خمسين ومائة . [(٣)]

مكانته العلميّة :

يعدّ ابن جريج من كبار علماء التابعين ، فقد برّز فى علوم شتّى أبرزها : علم التفسير ، قال السيوطى : (وقد رويت عن ابن جريج أجزاء كثيرة فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فمنها الصحيح ، ومنها ماليس بصحيح ، وذلك لأنّه لم يقصد الصحة فيما جمع ، بل روى ماذكر فى كلّ آية من الصحيح والسقيم . [(٤)]

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٩ - ١٢٠ .

(٢) التفسير والمفسرون ١ / ١٩٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٠ .

(٤) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى المتوفى ٩١١ ، ٢ / ٢٤١ ط/ الحلبى وشركاه .

وقال الامام أحمد بن حنبل : كان من أوعية العلم وهو وابن أبي عروبة أوّل من صنف الكتب .(١)

وقال ابن المديني : لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جريج (٢)

وقال ابن عيينة : سمعت أخي عبد الرزاق بن همام عن ابن جريج يقول : ما دوّن العلم تدويني أحد .(٣)

توثيقه :

تعددت وجهة نظر علماء الجرح والتعديل وغيرهم في توثيقه وعدالته .

ومن ثم نجد من يوثقه مطلقا ، ومن يضعفه مطلقا ، ومن يكون بين بين .

وهذه لمحة سريعة عن وجهات النّظر تلك في شخص أبو الوليد عبد الملك بن جريج :

أ ـ من وثقه :

قال العجلي : مكيّ ثقة .

وقال طلحة بن عمر المكي : قلت لعطاء : من نسأل بعدك؟ قال : هذا الفتى ان عاش ، .

قال الحافظ ابن حجر: ثقة كثير الحديث .(٤)

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٣-٤٠٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ / ١٧٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٤ .

(٤) التهذيب ٦/ ٤٠٤-٤٠٦ .

من ضعفـــــــه :

قال الدار قطنـــي : تجنب تدليس ابن جريج ،فانّه قبيح التدليـس لا يدلـــس الاّ فيما سمعه من مجروح ... (١)

وقال المخراقـــي عن مالك : كان ابن جريج حاطب ليل . (٢)

المحايدون :

قال يحيـى بن سعيد القطان : ابن جريج أثبت في نافع من مالك .

وقال الامام أحمد : أثبت النّاس في عطاء ابن جريج .

وقال يحيـى بن سعيد أيضا : كان ابن جريج صدوقا، فاذا قال : حدثنـي فهو سماع ،واذا قال : أخبرني فهو قراءة ، واذا قال : قـال : فهو شبه الرّيـــــح .

وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان من فقهاء أهل الحجـاز وقرائهـم ومتقنيهم ، وكان يدلـــس . (٣)

وقال الذهبـــي : كان ابن جريج ثبتـا ،لكنّه يدلس. (٤)

قلـــــــت : الرأي المختار: هو ماذهب اليه الامام أحمد بقوله : اذا قال ابن جريج قال فلان ، وقال فلان ، وأخبرت، جاء بمناكيـــر. واذا قال : أخبرني ،وسمعت فحسبك به . (٥) والله أعلم.

(١-٢) التهذيب ٦/ ٤٠٥.

(٣) التهذيب ٦/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٠.

(٥) التهذيب٦/ ٤٠٤.

طعن بعض المعاصرين - لنا - في ابن جريـــــج .

زعم أبوريّه - حسب العادة - أنّ ابن جريج كان منافقـــا ، وبالتّالـــي بث مسيحيات في الدّين الاسلامي ، وذلك لأنّه نصراني الأصـــل . . . (١)

الردّ عليـــــه :

هذا الزّعم ساقط ، ويحتاج الى برهان ساطع ، لصحة الادعاء - ولا يصحّ - وذلك لما تقدم ترجمته آنفا ، فما توثيق علماء نقد الرجـــال وغيرهم لـــه ، الاّ شـــاهدا من شواهد كثيرة على صلاح الرجل وحسن اسلامه .

ومن الشواهد أيضا على حسن حاله روايته عن عطاء بن أبي ربـــــاح والزهري وغيرهمـــا ، ورواية السفيانان وعبد الرزاق وغيرهم عنه .

كلّ تلك العوامل وغيرها تدحض مازعمه محمود ريّة وان لم نقل بذلك . فقـــد انتقصنا - لاسمح الله - من قدر علماء الرجال كيحيـــى القطـــان ، والعجلي ، والامام أحمد ، وابن حجر وغيرهم . ان لم نقل بذلك فقد اتهمنـــا بطريق غير مباشـــر أولئك الموثقون له وبالتّالي فهم سذج وبسطاء ، اذ لـــم يكتشفوا أمره .

نعـــــم أثرت بعض المرويات عن ابن جريج وهو لا تقوم لها قائمة ، ومع ذلك فلا يصح بحال من الأحوال أن نجرده من اسلامه ، سواء قالهـــــا فعلا ، أو نسبت اليه ، والعلم عند الله تعالى .

نموذج لنقد ابن كثير للاسرائيليات التي أثرت عن ابن جريج . قوله تعالى : " أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من ءاياتنا عجـــــــبا " (٢)

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٨٩ .

(٢) سورة الكهـــف ، آية : ٩

(٢)

ذكر الحافظ ابن كثير عن ابن جريج ... أنّه قال : اسم جبل الكهف/ بنجلوس، واسم الكهف/ حيزم، والكلب / حمران.(١)

علق الحافظ ابن كثير على ذلك بقوله : وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته - والله أعلم - فان غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب.(٢)

وبعد : فما تقدم ذكرهم في هذا المبحث يعتبرون من أقطاب الرواية الاسرائيليّة. وقد ذكرناهم على سبيل المثال، وأغفلنا كثيرا منهم أمثال السدى الكبير المتوفى سنة ١٢٧.(٣)

وأمثال محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة(٤)

وأضرابهؤلاء ...

وسلكنا ذلك قصدا للاختصار من ناحية وخشية الاطالة من ناحية أخرى. والله من وراء القصد.

****

(١) تفسيره ٥/ ١٣٥ ط/ الشعب. وانظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٩٩ ط/ الثالثة.
(٢) تفسيره ٥/ ١٤٤ ط/ الشعب.
(٣) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير، وثقه غير واحد كأحمد والعجلي.. انظر ترجمته في التاريخ الكبير ١/ ١/ ٣٦١ والتاريخ الصغير ١٤١-١٤٢ وكلاهما للبخاري رحمه الله. والجرح والتعديل ١/ ١/ ١٨٤، والتقريب ١/ ٧١-٧٢ وغيره.
(٤) هو محمد بن السائب الكلبي وهو ضعيف، بل يكاد الجمهور من علماء الرجال والتفسير يجمعون على كذبه، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/ ١٧٨ وما بعدها وغيره.

الباب الثالث

موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات في ضوء تفسيره

الفصل الأول

رأيي في موقف ابن كثير من الإسرائيليات

الفصل الأول :- رأيي في موقف ابن كثير من الاسرائيليات.

تمهيد :-

علم مما سبق أن موضوع الاسرائيليات في التفسير موضوع كبير الخطورة ؛ لأنه يتعلق بكثير من الكتب السماوية.

وعلم أيضا أن الناظر في كتب التفسير وخاصة التفسير بالمأثور ، يجد مسالكها بالنسبة للاسرائيليات متعددة ، فمن هذه الكتب كتب كثرت فيها الاسرائيليات ولم يعلق أصحابها على هذه الاسرائيليات الا النادر ، كتفسير الخازن مثلا.

وهناك كتب غلبت فيها ذكر الاسرائيليات ، نظرا لأن هذه الكتب كتبا أصحابها بشيء من الاختصار كتفسير البيضاوي مثلا.

وظهر جليا أن الامام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أحد المفسرين النوادر الذين وقفوا بشكل كبير موقفا حاسما من الاسرائيليات الى حد كبير.

يظهر ذلك لمن قرأ تفسيره بدقة وتؤدة ووعاه، فموقفه معتمد على أساس علمي رزين ، ونقد واع متين.

المبحث الاول

كلمات ابن كثير في شأن الإسرائيليات

المبحث الأول:- كلمات ابن كثير في شأن الاسرائيليات.

ولعل كلماته في شأنها - الاسرائيليـــات- اكبر دليل علي صحة ذلك ومن تلك الكلمات الآتي:-

١- أثناء شرحه لقول الباري جل ذكره :(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ...) أورد عدة آثار منها ماروواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فلما تغشاها) آدم (علي نبينـــا وعليه الصلاة والسلام) (حملت) فأتاهما ابليس لعنه الله فقال اني صاحبكمـــا الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني ايل ... الخ ذلك الأثر

عقبه قال ابن كثير: وقد تلقي هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهمـــا جماعة من اصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانيه قتاده والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخريـــن جماعات لايحصون كثره.

وكانه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فان ابن عباس (رضي الله عنهما) رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم في أثر مثله ، وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم) ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام فمنها ماعلمنا صحته بما دل عليه الدليل مـــن كتاب الله أو سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها ماعلمنا كذبه بمـــا دل علي خلافه من الكتاب والسنه ايضا ، ومنها ماهو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه الصلاة والسلام :(حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج) وهـــو الذي لايصدق ولا يكذب ، لقوله :(فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم) وهذا الأثر هو مـــن القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فانه يراه من القسم الثالث.

واختار ابن كثير رحمه الله رأي الحسن البصري في هذه الآية وأن المراد من هذا السياق المشركون من ذرية آدم وحواء عليهما السلام ...)[٢]

٢- عند قوله تعالي:(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ...)[٣] ، عندما نقل عدة اقوال في قوله (كان مـــن الجن) ثم قال عقبها : وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها مـــن الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ماقد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ماعـــداه

١- الأعراف الآيات (١٨٩- ١٩١). ٢- تفسير ٢٧٥/٢ ج بتصرف.

٣- الكهف (٥٠).

من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجهاد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجانب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الفردوس مأواهم ، وقد فعل[٣]

٣ ـ عند قوله عز ذكره (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ...)[٤].

قال: وقد ورد في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ، لأن منها ما هو موضوع ، من وضع بعض زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ونحن في غنية عنها ولله الحمد.

وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله اليهم.[٦]

٤ ـ وعند قوله جل شأنه (ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)[٧]

قال الامام ابن كثير: وما يذكر من الاخبار عنه في ادخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام فنظر الى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فمأخذها أحاديث بني اسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم (صلى الله عليه وسلم) قبلناه لموافقته الصحيح ، وما خالف شيئا من ذلك رددناه ، ومالم نعلم فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل

٤ـ تفسيره ٣/٨٩ح

٥ـ الاسراء (٤) .

٦ـ تفسيره ٣/٢٥ح

٧ـ الأنبياء (٥١) .

نجعله وقفا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لافائدة فيه ولاحاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود علي المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة ، والذى نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضيع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير من الكتب المروج عليهم ، فانهم لاتفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها ، كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة .)[٨].

فهذه الكلمات حق ويراد بها حق ، ما أقل الصدق في الاسرائيليات الوافدة من أولئك الذين حرفوا وبدلوا وغيروا .

فديننا والحمد لله قد كمل كمالا لايحتاج الي الالتفات الي شئ مما بأيدى أولئك .

يقول الحق تبارك وتعالي: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)[٩].

٨ـ تفسيره ٣/١٨١ ـ ١٨٢ح.

٩ـ المائدة (٣).

المبحث الثاني

موقف الإمام ابن كثير على سبيل الإيجاز

وينقسم إلى قسمين

* القسم الأول : موقفه العام وينقسم إلى أمور ثلاثة :
١- ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح
٢- ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه
٣- ما هو مسكوت عنه لا مصدقه ولا مكذبه فهذا القبيل ولا مصدقه فهذا القبيل

* القسم الثاني : موقفه الخاص وينقسم إلى أمور أربعة
١- ذكر الإسرائيليات منسوبة إلى بعض المفسرين عقداً لها
٢- " " " قائلها مع مناقشتها وبيان بطلانها
٣- الإشارة إليها والإعراض عنها
٤- إيرادها دون التنبيه عليها

المبحث الثاني:- موقف الامام ابن كثير علي سبيل الايجاز.

والآن نلخص موقف الامام الحافظ اسماعيل ابن كثير من الاسرائيليات ثم نعرض فيما بعد ان شاء الله لبيان موقفه منها من خلال تفسيره للقرآن الكريم، بصوره أعمق وأوسع.

موقفه منها:

ان المتتبع لتفسير ابن كثير يلحظ أن موقفه لآثار الاسرائيلية موقف مثالي وعجبا لو سار عليه كل المفسرين، فموقفه يعتبر قاعدة جليلة لو اتبعها أولئك الأعلام لوفروا علي هذه الأمة جهودا ضيعت، وأوقاتا بددت، ولكفيت الأمة شرفتن كثيرة.

وموقفه ذا جوانب متعددة، ويمكن تقسيمه لقسمين:-

القسم الأول: عام

تعرض الحافظ ابن كثير للاسرائيليات جملة في مواضع كثيرة من تفسيره، والذى اتضح لي من خلال كلامه السابق وغيره أنه يرفضها رفضا لا تأرجح فيها، اذ ليس هناك ثمة حاجة اليها، وأن فيما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة غنية لنا عنها.

وأنه أيضا سيعرض عن ذكر كثير منها لعدم الفائدة، ولما فيها من تضييع الزمان ولما فيها من الكذب والبهتان، ولما فيها من التعرض للأساءة الي ذات الله والي ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ذكرها للاستشهاد لا للاعتقاد.

وقد قسم ابن كثير الاسرائيليات الي أقسام ثلاثة:-

أحدها: ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح

الثاني: ماعلمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

الثالث: ماهو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولامن هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه.

ويجوز حكايته لحديث (بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وغالب ذلك مما لافائدة فيه تعود الي أمر ديني.[1]

وهذا التقسيم من ابن كثير مطابق لتقسيم شيخه شيخ الاسلام ابن تيميه[2] وقد تحدث ابن كثير عن الأقسام الثلاثة في عدة مواضع من تفسيره.

وسنمثل للأقسام الثلاثة من تفسيره بالآتي:-

١- ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ... مثل قوله المولي جل ذكره :(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)[3].

فقدذكر رحمه الله عند هذه الآية حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وقد سبق أن ذكرناه[4].

٢- ماعلمنا كذبه مما عندنا مما يخالفة مثل قوله تعالي:(قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ..)[5].

ذكر ابن كثير أن النووى قد حكى عن كعب أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك[6].

علق ابن كثير علي هذا القول بقوله: فعلي هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء ، وهذا قول غريب جدا ، ثم لادليل عليه لامن عقل ولامن نقل ، ولا يجوز الاعتماد ههنا علي مايحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم[7].

٣- ماهو مسكوت عنه لامن هذا القبيل ولامن هذا القبيل ، فلا نؤ من به ولانكذبه ، ومثاله :-

قوله تعالي:(وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين.)[8].

---

(١) تفسيره ١/٤ و ٢/٢٧٥ حلبي. (٣) الاعراف (١٥٧)

(٢) مقدمة في اصول التفسير ص٤٤ ـ ٤٥. (٤) انظر ص١٥٥ من هذا البحث.

٥) الكهف ٩٤

٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٢٢

٧) تفسيره ٢/١٠٢ حلبي ويوسف ٥/١٩٠ والصديقية

٨) يوسف ٥٨ ـ ٥٩

أثار ابن كثير-رحمه الله-عند هذا السياق الكريم الى أن اخوة يوسف (علي نبينا وعليه الصلاة والسلام) قدموا الى مصر ، وكان يوسف قد تولي الوزارة ، وان البلاد قد عمها القحط - بعد مضي سني الخصب والجدب - حتي وصل الي أرض كنعان مسقط رأس يوسف ، وكان قد احتاط للناس في غلاتهم ، وجمعها أحسن جمع وورد عليه الناس من سائر الأقاليم ... يمتارون لأنفسهم ، وكان رحمة من الله علي أهل مصر.

ثم ذكر ابن كثير أن المفسرين ذكروا أن يوسف تصرف في تلك السنين بغير ما فسره ، حيث ذكروا المفسرون - أن يوسف باعهم في السنة الأولي بالأموال والثانية بالمتاع والثالثة ...[1]

علق عقبة ابن كثير بقوله :(الله أعلم بصحة ذلك وهو من الاسرائيليات التي لاتصدق ولاتكذب[2].)

القسم الثاني:- موقفه الخاص:

هنا نجد ابن كثير يتخذ عدة مسالك لنقده للاسرائيليات بيانها علي النحو التالي:-

الأول : ذكر الاسرائيليات منسوبه الي بعض المفسرين مفندا لها .

الثاني: ذكرها منسوبة الي قائلها مع مناقشة لها وبيان بطلانها .

الثالث :الاشارة اليها والاعراض عنها .

الرابع :ايرادها دون التنبيه عليها!!

وتفصيل ذلك كالآتي:-

الأول :-

ذكر الاسرائيليات منسوبة الي بعض المفسرين مفندا لها .

ذكر ابن كثير في تفسيره اسرائليات عن بعض المفسرين ، ذاكراً اسمائهم تارة وتارة من دون تحديد لاسمائهم وتارة كتبهم ، ناقدا لها ، محذرا منها ، مدركا خطورة الأمر ومدى تضخم تلك الكتب

١- تفسيره ٢/٤٨٣ وقارن بتفسيره ٤/٣٢٢ الشعب بتصرف .

٢- المصدر السابق نفس الموضع .

بأحاديث أهل الكتاب المختلفة وروايا تها الباطله.

الأمر الذى جعله لايألو جهدا فى تزييفها وكذبها ، واعرائها للملأ. ويرى ابن كثير أن بعض أهل الكتاب كان غايتهم من ادخال الاسرائيليات في ديننا الباس الحق بالباطل ليلتبس علي الناس أمر دينهم ، قال تعالي :(وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب ، وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون)[1].

كما وضعت أحاديث عن النبي صلي الله عليه وسلم في أمتنا مع حداثة العهد ، وجلالة قدر علمائها ، فكيف بأمة بني اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ والنقاد وعدم حفظ الكتب الذى أنزل اليهم من قبل الله)[2]

وحتي يتضح جليا للقارى هذا المسلك لابن كثير نذكر مثالا واحدا لأشهر الاسرائيليات الواردة في هذا المقام.

١ ـ قول الله عزوجل :(واذ قلتم يا موسي لن نؤمن لك حتي نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون)[3].

قال ابن كثير عند هذه الآية: وقد اغرب الرازى في تفسيره حين حكى قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد احيائهم ، قالوا يا موسي انك لاتطلب من الله شيئا الا أعطاك ، فأدعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فأجاب الله دعوته[4].

عقب ابن كثير علي هذا بقوله: وهذا غريب جدا اذ لايعرف في زمان موسي نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون[5].

١ـ آل عمران (٧٨). ٢ـ تفسير ابن كثير ٢٢١/٤ حلبى.

٣ـ البقرة (٥٥). ٤ـ تفسير الرازى ٨٤/٣

٥ـ تفسير ابن كثير ٩٤/١ حلبى.

فنلاحظ هنا نقد ابن كثير للمتن

وقد يبهم بعض المفسرين الذين ينقل عنهم ابن كثير صاحب الرواية الاسرائيلية فيمحصها ويبين ما فيها من مغامز ومطاعن.

قال ابن كثير عند قوله تعالى:(قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الي حين)[1].

قال: ذكر كثير من المفسرين الأماكن التي هبط فيها آدم وحواء والحيطان.

والتي مجملها :- أن آدم (علي نبينا وعليه الصلاة والسلام) هبط بسرنديب في الهند بجبل يقال له بوذ ، واهبطت حواء بجدة وابليس بالأبلة ...)[2].

ولم يذكر ابن كثير أي من تلك الأقوال بيد أنه أعلن رفضه للأقوال السابقة تلك ، لأنها من الاخبار التي يرجع حاصلها الي الاسرائيليات ، والله أعلم بصحتها ، وأضاف قائلا :-

ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود علي المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها تعالي في كتابه أو رسوله صلي الله عليه وسلم[3].

والنقد هنا للمتن أيضا.

١- الأعراف (٢٤).

٢- تفسير القرطبي ١/٣١٩/٣٢٠

٣- تفسير ابن كثير ٣/٣٩٥ الشعب.

الثاني :-

ذكرها منسوبة الي قائلها مع مناقشة لها وبيان بطلانها .

قام الذين اسلموا من أهل الكتاب وغيرهم بدور ما في نقل كثير من الاسرائيليات في التفسير وغيره ، ونقلت عنهم علي تفاوت ونسبت الي بعضهم زورا وبهتانا ، وقد تسرب ذلك الي كتب التفسير ، لدرجة أنك لاتكاد تفتح كتابا من التفسير بالمأثور الا وجدت روايات كثيرة مزعجة ، وتراهات وآباطيل هابطة واسرائيليات ساقطة ، لايقبلها العقل ولا يقرها الشرع وأكثر أولئك الذين تنسب اليهم هذه السفاهات الأسرائيلية كعب الأحبار ووهب بن منبه رحمهما الله والسدى ، وابن جريج ويعرفون بأقطاب الرواية الاسرائيلية .

وفي الأمثلة الآتية نرى موقف ابن كثير من الاسرائيليات التي عزيت اليهم :-

أولا :- كعب الأحبار .

قال تعالي:(واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا)[1]
قال ابن كثير - غفر الله له - عند تفسير هذه الآية وقد روى ابن جرير[2] هاهنا أثرا غريبا عجيبا ، فقال حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ... أن ابن عباس رضى الله عنهما سأل كعبا عن قوله تعالي:(ورفعناه مكانا عليا)[3].

فقال كعب : أما ادريس فان الله أوحي اليه اني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن تزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال له : ان الله أوحي الي كذا

١- مريم (٥٦). ٣- مريم (٥٧).

٢- تفسير ابن جرير ٩٦/١٦ الطبعة الثالثة حلبى .

وكذا ، فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به الي السماء ، فلما كان في السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرا ، فكلم ملك الموت في الذى كلمه فيه ادريس ، فقال : وأين ادريس ؟ فقال : هو ذا علي ظهرى ، قال ملك الموت : فالعجب بعثت ، وقيل لى اقبض روح ادريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول كيف اقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض !! فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكانا عليا)[1].

علق ابن كثير علي هذه الرواية بقوله : هذا من أخبار كعب الأحبار الاسرائيليات ، وفي بعضه نكاره ، والله أعلم[2].

وهذا نقد للمتن أيضا ، وقد ذكر الخبر السابق عدد من المفسرين أشرنا الي بعضهم[3] ، ومنهم أيضا القرطبى الذى زاد خبرين أخرين نحوه عن السدى ووهب بن منبه[4].

وذكره الرازى[5] ، وعقبه قال (وأعلم أن الله تعالي انما مدحه بأن رفعه الي السماء لأنه جرت العادة أن لايرفع اليها الا من كان عظيم القدر والمنزلة ، ولذلك قال ـ سبحانه في حق الملائكة (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته)[6].

ثانيا :ـ وهب بن منبه.

قول البارى جل ذكره :(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ...)[7].

عند هذه الأية الكريمة نقل ابن كثير عن وهب بن منبه انه

١ـ تفسير ابن كثير ٥/٢٣٦ الشعب. ٣ـ أنظر تعليق ص

٢ـ المصدر السابق الموضح نفسه وأنظر الدر المنثور للحافظ السيوطي ت ٩١١ ٤/٢٧٤ـ٢٧٧ ط/دار المعرفه بيروت ، وروح المعانى لأبي الفضل شهاب الدين محمود شكرى الألوسى المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ١٦/٩٧ـ٩٨هـ مطبعة المنيرية بمصر.

٤ـ تفسير القرطبى ١١/١١٨ـ ١١٩. ٥ـ التفسير الكبير ٢١/٢٣٣.

٦ـ "الانبياء" "١٩" ٧ـ النحل (٨).

قال :(ان الله خلق الخيل من ريح الجنوب)[1].

قال ابن كثير عقبه : هكذا ذكره وهب في اسرائيلياته والله أعلم[2].

ثالثا :- السدى.

قوله عز اسمه :(واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبي واستكبر وكان من الكافرين)[3].

قال ابن كثير - رحمه الله : وقال السدى في تفسيره :(لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى علي العرش ، فجعل ابليس علي ملك السماء الدنيا ، وكان من قبيلة الملائكة ، يقال لهم الجن ، وانما سموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره كبر ...)[4].

علق الامام ابن كثير علي ذلك بقوله :(فهذا الاسناد مشهور فى تفسير السدى ويقع فيه اسرائيليات كثيرة ، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة والله أعلم)[5].

رابعا :- ابن جريج.

قال تعالي :(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[6].

قال الامام ابن كثير : وقد ذكر ابن جرير في تفسيرها خبرا عجيبا فقال حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله (ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال بلغنى أن بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر

١- ٢ / تفسيره / ٤٧٨ الشعب. ٣- البقره (٣٤).

٤- تفسيره ١/ ١٠٩ الشعب وانظر ١/ ٧٦ - ٧٧ الحلبى.

٥- المصدر السابق نفس الموضع. ٦- الأعراف (١٥٩).

سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين يستقبلون قبلتنا! قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما فذلك قوله :(وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا) ووعد الآخرة عيسى بن مريم ، علي نبينا وعليه الصلاة والسلام...[1]

ولما اكتفى ابن كثير على هذه الرواية بقوله خبرا عجيبا أردت اعطاء لمحة عن رجال الاسناد ، ومن ثم يتبين للناظر رأيه في هذه الرواية.

رجال الاسناد:-

١- القاسم:هو بن الحسن بن زيد ابو محمد الصائغ المتوفى ٢٧٢ه ثقة[2]

٢- الحسين بن داود ، اسمه الحسين ولقبه سنيد ، واشتهر بهذا اللقب ، المصيصي ذكره الذهبي في المغني ونقل عن ائمة الجرح والتعديل الأقوال التالية:-

أبو داود : لم يكن بذاك.

أبو حاتم: ضعيف.

النسائي : لم يكن ثقه أو ليس بثقة.

ثم قال الذهبي : صدوق[3].

وقال عنه صاحب التقريب: ضعيف مع امامته ومعرفته ، لكونه كان يلقن شيخه حجاج بن محمد[4] ، (والتلقين الذي لقنه شيخه انما كان من باب التدليس ، حيث أشار عليه أن يبدل اسناد ابن جريج .(أخبرت عن فلان) بأن يقول جريج عن فلان ، وهذا دليل على انه كان يتعاطى التدليس ، فيضاف هذا الى قول الذهبي صدوق)[5].

١- تفسيره ٢/٢٥٦ حلبي . ٢- المغني في الضعفاء لشمس الدين الذهبي

٢- تاريخ بغداد ١٢/٤٤٢ ، ١/١٧١- ٢٨٦ ، مطبعة البلاغة بسوريا.

٤- تهذيب التهذيب ٤/٢٤٤/٢٤٥ ٥- المغني في الضعفاء ١/١٧١

٣ـ حجاج بن محمد الأعور الحافظ أبو محمد الترمـــذى الأصل ... ثقة ، ثبت لكنه اختلط في آخر عمره لما قدم بغداد وقبل موته ، مات سنة ٢٠٦[1].

٤ـ ابن جريج : هو أبو خالد أو الوليد عبدالملك بـــن عبدالعزيز بن جريج الأموى مولاهم سبق وأن ترجم له باستفاضة[2].

وحاصل أقول المعدلين والمجرحين له : أنه أحـــد الأعلام الثقات يدلس ، مات سنة ١٥٠[3].

وقال عنه الدار قطن : شر التدليس تدليس ابن جريج فانه قبيح التدليس لايدلس الا فيما سمعه من مجروح[4]

الباحث : وعليه فعلى المفسر أن يكون حذرا فيما روى عن ابن جريج في التفسير ، فهو أحد اقطـــاب الرواية الاسرائيليـــة[5] ، والله أعلم.

تنبيـــه :ـ

ولم يعنى هذا الكلام أن كل كلام أقطاب الروايـــة الاسرائيلية ، اسرائيلي ، والله أعلـم.

الثالث :ـ إشارة إليها وعرض نقدي.

هذا الموقف من ابن كثير ـ رحمه الله ـ يعتبر أفضل موقف له اذ يذكر أنه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنا عنها صفحا ، وودت لو اتبع هذا النهج في كامل تفسيره ، حتى يسلم لنا تفســـيرا خاليا من ادني اشارة الي تلك الاسرائيليات ولكن ... !

١ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبى ٢٠٧/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٠٥/٢، ٢٠٦ ٢ـ أنظر ص٥٥ من هذا البحث

٣ـ تهذيب التهذيـــب ٤٠٢/٦

٤ـ طبقات التدليس (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس). للحافظ الكبير أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصرى الشافعى ا متوفي ٨٥٢هـ ص١٠ ٥ـ التفسير والمفسرون ١٩٨/١

هذا وقد علل الامام ابن كثير موقفه هذا بعدة تعليلات قويـــة أبرزها الآتي :-

١- أن فيها اختلاف وافتراء .

٢- ان الانسان يستحي من ذكرها .

٣- أنها عديمة الفائـدة .

الى غير ذلك من التعليلات التى ذكرها الامام في تفسيره والتى أشرت الى بعضها من خلال نقلى لبعض كلماته في شـــأن الاسرائيليات .

وحرى بي أن أعطي القراء بعض النماذج التى أشار الامـام ابن كثير اليهـا - الاسرائيليات - وطبعـا لم يذكرهـا :-

١- قوله تعالي:(.. قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين)[1] قال ابن كثير عند شرحها ، وقد ذكر ابن جرير[2] فى تفسيره هاهنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحـــاق وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلـــم[3].

٢- وقوله جل شأنه (وقضينا الي بنى اسرائيل في الكتـــاب لتفسدن في الأرض مـــرتين)[4].

أفاد ابن كثير أن ابن جرير الطبرى قد روى في هذا المكـان حديثا أسنده عن حذيفه (رضى الله عنه) مرفوعا مطـــولا[5] وهو حديث موضوع لامحالة لايستريب في ذلك من عنده أدنـــى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مـــع جلالة قدره وإمامته .اهـ

١- الأعراف (١٤٣). ٢- تفسير الطبرى ١٣/٩١- ٩٦ تحقيق الأخوين

٣- تفسير ابن كثير ١/٢٤٥ حلبى ٤- الاســـراء (٤).

٥- تفسير الطبرى ١٥/٢٢/ ٢٤

واستدل ابن كثير على صحة كلامه بما صرح به شيخه الامام العلامة المزي بأن الخبر المروي عن الطبري موضوع مكذوب ..[1]

ثم أضاف ابن كثير قائلا : وقد وردت في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها ..[2]

٣- وقوله تعالى :(حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا)[3]

أشار الامام ابن كثير عند هذه الآية الي أن الامام الطبري قد ذكر ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا في سيرذي القرنين وبنائه السد ... وفيه غرابة ونكارة ...

كما روى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لاتصح أسانيدها والله أعلم[4].

٤- وقوله جل جلاله :(فخسفنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين)[5].

فسر الآية تفسيرا جماليا رائعا ثم ذكر أن هناك اسرائيليات غريبة أضرب عنها صفحا[6].

٥- وقول الباري جل جلاله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه ..)[7]

وردت عند هذه الآية آثارا اسرائيلية كثيرة وبالتالي تورط فيها بعض المفسرين الا ما رحم ربك ، وقد نجى ابن كثير مما تورط فيه أولئك المفسرون .

اذ يذكر الحافظ ابن كثير عند الآية السابقة العبارة الآتيه :(وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير[8] ههنا أثارا عن

١-٢/ تفسيره ٣/٢٥ حلبي. ٣- الكهف (٩٣)

٤- تفسيره ٣/١٠٤ ٥- القصص (٨١).

٦- تفسيره ٣/٤٠١ وقارن بالشعب ٦/٢٦٧

٧- الأحزاب (٣٧). ٨- تفسير الطبري ٢٢/١٢- ١٣

بعض السلف ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها[1] ..

وهذه الآثار والأخبار الاسرائيلية التي تورط فيها الطبري وغيره من الأقدمين والمحدثين الكتاب المعاصرين - تتعلق بقصة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها .

وواضح من السياق القرآني الكريم والسنة المطهرة أن الغرض الأساسي والأوحد في هذا الزواج هو ابطال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبني ، حتى تضمحل تلك العادة السائدة عند العرب والتي تأنف من ذلك الزواج !

قال تعالى:(.. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ، ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا)[2].

اذا علم ذلك فلا يلتفت الى الأقوال الباردة والقصص الفاجرة التي تحاك حول المصطفى صلى الله عليه وسلم وما نسب اليه افكا من اعجابه بزينب بنت جحش رضي الله عنها .

وكانت هذه الدعاوى المبيتة سائدة وسعى لها مروجوها في العصور الاسلامية الأولى وقد تولى الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نسب اليه كذبا وزورا عدد من العلماء الافاضل كابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد يقول :(وأما مازعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلي به - العشق - في شأن زينب بنت جحش ، وأنه رآها ، فقال سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبه ، وبعضهم يقول لزيد بن حارثه ، امسكها حتى أنزل الله عليه :(واذ

١- تفسير ابن كثير ٤٩١/٣ وانظر الشعب ٤١٩/٦- ٤٢١ ٢- الأحزاب ٣٧- ٣٨

تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ..)[1] فظن هذا الزعم أن ذلك في شأن العشق وصنف بعضهم كتابا في العشق ، .. وذكر فيه هذه الواقعة ، وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله ونسبته رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما برأه الله منه ..[2]

فحاصل كلام ابن قيم الجوزيه أن الخبر باطل لان فيه محمد بن عمر الواقدي وهو متروك وبعضهم اتهمه بالوضع ..[3]

ومن المعاصرين الذين ساهموا برد هذه الأباطيل - الغير لاحقة بخاتم الرسل صلى الله عليه وسلم - الدكتور مصطفى زيد ، ومما قاله :(ولسنا ندري كيف تبلغ بهم الجرأة الى حد الدفاع عن الاسرائيليات لفقت قبل الطبري!! ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزمخشري ، لم يعرف بالحفظ والرواية في أمر يحتاج اليهما ، ويغفلون مفسرا حافظا هو الحافظ ابن كثير ...)[4].

٦- قول الباري جل ذكره وعظم شأنه (وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب ..)[5].

قال الامام ابن كثير عند هذه الآية الشريفة :(قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم (صلى الله عليه وسلم) حديث يجب اتباعه ، ولكن

---

(١) الاحزاب "٣٧"

(٢) زاد المعاد ٣٦٦/٤ تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط ، مؤسسة الرساله الطبعة الثانية ٤٠٥ .

٣- راجع احكام القران لابن العربي لابي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ١٥٣٠/٣ وما بعدها ط الحلبي وشركاه.
وفتح الباري ٤٠٤/٨ ، وزاد المعاد ٣٦٦/٤

٤- سورة الأحزاب عرض وتفسير ص ١٥١ - ١٥٢ للدكتور مصطفى زيد الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ مطبعة دار الفكر العربي. ٥- ص (٢١).

روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لايصح سنده لأنه من رواية الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ، ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأمة ، فالأولى أن يقتصر على مجرد التلاوة ، وأن يرد علم القصة الي الله عز وجل ، فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا[1].

وقد شارك عدد كبير من المفسرين ابن كثير في الدفاع عن النبي داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومنهم الآتي:-

١- ذكر الزمخشري في تفسيره الأثر الذي فيه تلك القصة الا أنه عقبه بقوله:(فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء ، ثم روى خبرا عن علي رضي الله عنه أنه قال :(من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين ...)[2].

٢- وفي مفاتيح الغيب كلام نفيس وحاصله ، أن الفخر الرازي ذكر أقوال الناس في هذه القصة وأنها على ثلاثة أقوال :

ا - أنها دالة على صدور كبيرة عنه عليه السلام.

ب - أنها دالة على صدور صغيرة عنه عليه السلام.

جـ - أنها لاتدل على الكبيرة ولا على الصغيرة.

ثم حاول وأجاد دفع الأقوال الثلاثة ، اذ دحض القول الأول بقوله:(والذي آدين الله به وأنصب اليه أن ذلك باطل) ، ثم ساق وجوها كثيرة لبيان وجه البطلان بلغت عشرة أوجه قال في ختامها :(فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أن القصة التي ذكروها فاسدة باطله ، فان قال

١- تفسيره ٣١/٤ وقارن بالشعب ٥١/٧

٢- تفسير الكشاف ٣٧٠/٣

قائل : ان كثيرا من أكابر المحدثين أو المفسرين ذكروا هذه القصة فكيف العمل فيها ؟

فالجواب الحقيقي: أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع الى الدلائل القاطعة أولى ، وأيضا فالأصل براءة الذمة ،وأيضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى ، وأيضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا وايضا فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لايقول الله سبحانه لنا يوم القيامة لم لم تسعوا فى تشهير هذه الواقعة ؟

وأما بتقدير كونها باطلة فان علينا فى ذكرها أعظم العقاب .. الخ كلامه[1].

٣- وعقد الخازن فصلا سماه (تنزيه داود عليه السلام عما لايليق به وما ينسب اليه) وظهر من هذا الفصل أن الخازن دافع عن داود دفاعا حسنا[2].

٤- وفى البحر لأبى حيان:(.. فما حكى الله- تعالى - فى كتابه يمر على ما أراده تعالى ، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر:-

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة
اذا آثر الاخبار جالس قصاص[3].

١- تفسيره ٢٦/١٨٩- ١٩٨ ٢- تفسير الخازن (الباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على محمد بن ابراهيم الخازن المتوفى سنة ٧٢٥ ، ٦/ ٤١ - ٤٢ ط الحلبى بمصر.

٣- البحر المحيط لأثير الدين أبى عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٥٤ ، ٧٠/٣٩١ - ٣٩٣ ، مطبعة السعادة بمصر.

٥ـ وقال الألوسي:(والمقبول من هذه الأقوال ما بعد عن الاخلال بمنصب النبوة.

وللقصاص كلام مشهور لايكاد يصح لنا فيهمن مزيد الاخلال بمنصبه عليه السلام ثم نقل كلام أبي حيان وتبناه وقال أخيرا : وعندي أن ترك الأخبار بالكلية في القصة مما لايكاد يقبله المنصف ، نعم لايقبل منها ما فيه اخلال بمنصب النبوة ، ولايقبل تأويلا يندفع معه ذلك. ولا بد من القول بأنه لم يكن منه على نبينا وعليه الصلاة والسلام الا تراك ماهو الأولى بعلى شأنه ، والاستغفار منه وهو لايخل بالعصمة[1]

٦ـ وفي محاسن التأويل:(... وما ورد من أخبار مطولة بروايات مختلفه تشبه ماذكر في التوارة المتداولة الان أما المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم فيها فلم يأت من طريق صحيح ، وأما الموقوف من ذلك على الصحب والاتباع رضي الله عنهم فمعولهم في ذلك ماذكر في التوراه من هذا النبأ ، أو الثقة بمن حكى عنها ،...[2] ثم نقل كلاما لابن حزم وحاصله:(ماحكاه تعالى عن داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام قول صادق صحيح ، لايدل على شيء ، مما قاله المستهزئون الكاذبون المتملقون بخرافات ولدها اليهود ...[3]

كما نقل القاسمي عن القاضي عياض ، ماملخصه :(.. وأما

١ـ روح المعاني ١٦٧/٢٣

٢ـ تفسير القاسمي (محاسن التأويل) لمحمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ ، ٥٠٨٨/١٤ ـ ٥٠٩٣ ط ، الحلبي وشركاه.

٣ـ المصدر السابق ٥٠٨٩/١٤

قصة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلا يجب أن يلتفت الى ماسطره فيها الاخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح ..)[1].

٧- وفى الانصاف على الكشاف:(وقد التزم المحققون من أئمتنا أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع فى صغائر الذنوب مبرءون من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لامثال هذه القصة ، وهذا هو الحق الأبلج والسبيل الأنهج ان شاء الله تعالى...)[2].

٨- ونختم هذه النقول بقول صاحب أضواء البيان:(وأعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين فى تفسير هذه الآية الكريمة مما لايليق بمنصب داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام كله راجع الى الاسرائيليات ، فلا ثقة به ، ولا معول عليه ، وما جاء منه مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم لايصح منه شئ)[3].

هذه نماذج من الاسرائيليات التى أعرض عنها الامام الحافظ ابن كثير ولم يذكرها فى تفسيره مع اشارته - كما مر معنا - الى من ذكرها وتنبيهه على عدم صحتها.

وقد لاحظنا فى المثال الأخير - قصة داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أن جمهرة المفسرين - رحمهم الله - قد أدلوا بدلوهم فى الدفاع عن نبى الله داود ووفقوا ولله الحمد ، وهم بذلك يماطرون الأثر مع ابن كثير لكن

١- المصدر السابق ١٤/٥٠٩١

٢- تفسير الكشاف ٣/٣٧٠

٣- أضواء البيان ٧/٢٤

ابن كثير يتفوق عليهم وذلك لأنهم ذكروها - الا ما كان من صاحبي البحر المحيط وأضواء البيان - فانهم سلكوا مسلك ابن كثير - ومن ثم دحضوها ، وما ملت اليه الا لقول القائل بأن الخبر اذا ما روى بطريق غير مباشر ساعد على انتشاره ، والله اعلم.

هذا وقد ساعد الامام ابن كثير في مواقفه السابقة من الاسرائيليات قراءته للتوراة ، يقول ابن كثير في تفسيره عند شرحه لقوله تعالى:(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا..)[1].

يقول : وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني اسرائيل وأسماء مخالفه لما ذكره ابن اسحق والله أعلم[2].

ويقول الاستاذ مصطفى عبدالواحد (كان ابن كثير يقرأ التوراه ويرى ما فيها من تحريف وقد نبه الي ذلك في مواضع من البداية والنهاية عند قصة هابيل وقابيل :(والذى رأيته في الكتاب الذى بأيدى أهل الكتاب الذى يزعمون أنه التوراه أن الله عز وجل أجله وأنظره وأنه سكن في أرض نور شرقي عدن).

وعند قصة عوج بن عنق يذكر- ابن كثير - العبارة الآتيه : (فكيف يترك هذا وينقل عنه ويصار الى أقوال الكذبة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله وحرفوها وأولوها ووضعوها على غير مواضعها.

وبذلك وضع ابن كثير أخبار أهل الكتاب في موضعها الصحيح يستأنس بها حين تطابق الحق الذى بأيدينا وينبه على تحريفها

١- المائده (١٢).

٢- تفسيره ٦٠/٣ ط الشعب.

وكذبها حين تخالف، فان لم يكن لها دليل في أخبارنا واحتملت الصدق والكذب اوردها متوقفا ...

ومن هنا فقد نجا ابن كثير مما تورط فيه المفسرون من قبله من الاسراف في رواية الاسرائيليات والتعويل عليها واحتفظ بصورته الاسلامية المشرقة وجعل قارئه يطمئن الى مصادره ويتبين قيمتها[1].

رابعا :- ايرادها دون التنبيه عليها.

هنا يظهر جليا أنه خالف ما ذهب اليه وسار عليه وأيده بحجج كثيرة حيث ظهر لنا منعه الشديد ورفضه للاسرائيليات وصب جام غضبه على أكثر المفسرين الذين رووا اسرائيليات في كتبهم دون تنبيه.

وقد عقدت مبحثا خاصا تحت عنوان (تتبع ما فات ابن كثير من اسرائيليات).

لذا فلا داعي هنا أن أمثل لهذا الموقف من الامام الحافظ ابن كثير - رحمه الله.

١- قصص ابن كثير عن الانبياء تحقيق مصطفى عبدالواحد ١/م-ن بتصرف.

الفصل الثاني

موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات

الفصل (الثانى) موقف ابن كثير من الأسرائيليات

تمهيد ـ

يعتبر موضوع الاسرائيليات فى التفسير أمر بالغ الخطورة ، لأنه يتعلق بأقدس كتاب وهو القرآن الكريم والكثير من التفاسير وبخاصة المأثورة منها قد ذكرت الاسرائيليات على تفاوت بينها ، قلة وكثرة ، وتقد الها وسكوتا عنها ...

وقد أشار شيخ الاسلام ـ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ إلى هذا فقال (فى التفسير من هذه الموضوعات قطعة كثيرة) (١) ودلالة هذا أننا نحتاج إلى دارسة عميقة متأنية للتفاسير والروايات المأثورة ، بحيث نجد أمامنا هذا الحشد الهائل من التفاسير التى اكتظت بالاسرائيليات قد نقيت وخلت منها تماما ، وهو عمل يحتاج إلى موسسة قرآنية ، أو جماعة متخصصة تتظافر جهودها على الكشف على هذه الاسرائيليات ونقدها وابطالها ، وبخاصة فى عصرنا هذا الذى أصبح التقدم العلمى والتكنولوجى من أكبر الحوافز التى تجعل الدراسين للتراث الاسلامى يشعر بحمل ثقيل على كواهله ، طالما كانت هذه الاسرائيليات فى كتب التفسير .

ولن نهنأ حتى نقدم للمسلمين تراثا يغزوا القلوب بدون تردد ، وفكرا تستسيغه النفوس بدون تشكك ، وتفسيرا تفهمه العقول بغير تناقضات لابسط الأسس العلمية وابن كثير ـ رحمه الله ـ أحد المفسرين القلائل الذين هاجموا بشدة هذه الخرافات الاسرائيلية وحذر منها كثيرا فى تفسيره ، ولقد كان هجومه على هذه الاسرائيليات قائما على أساس علمى سليم ، وتفنيدها من حيث السند والمتن ، وكدا أن غالب هذه الروايات كذب واضح مبين .

---

(١) مقدمة فى اصول التفسير / ص / ٣٢ .

موقف الامام ابن كثير من الاسرائيليات

سبق وأن أشرنا فيما مضى(١) أننا سنقوم بتفصيل مواقف الشيخ العلامة الامام ابن كثير من الاسرائيليات ، وها نحن ننجز ما وعدنا ، وبالله التوفيق وعليه وحده الاعتماد .

لكي يحكم الإنسان حكما دقيقا صحيحا أو قريبا من الصحة على موقفه من الإسرائيليات يتحتم عليه أن يقرأ تفسيره قراءة مستوعبة ، مستفيضة ، متعمقة .

وقد وفقت - بفضل الله وعونه - أن أقرأ هذا التفسير - بطبعتيه الحلبية ودار الشعب - قراءة متأنية بطيئة إلى حد ما ، ومشتملة على حسن التفكير والتأمل والعبرة في هذا التفسير العظيم .

وقد خلصت من تلك القراءة العميقة لهذا التفسير أن موقف الإمام الحافظ ابن كثير يقوم على أسس كثيرة تربو على أكثر من عشرين أسلوبا ، فنجده تارة يصرح بأن هذا الخبر إسرائيلي ، أو إسرائيلي منكر ، أو هكذا روى عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول ، أو يتردد في الحكم ... الخ تلك المواقف التي ستظهر جليا - بإذن الله - في المباحث التالية -

---

(١) أنظر ص ٢٦٨ من هذا البحث .

المبحث الأول

تصريحه بأن هذه الآثار منقولة عن الإسرائيليات

المبحث الأول –

تصريحه بأن هذه الآثار منقوله عن الاسرائيليات

نرى ابن كثير – رحمه الله – يسوق عند تفسيره لبعض الآيات آثارا إسرائيلية ثم يعقب عليها بأنها من الإسرائيليات ،أو يقول في بداية الأثر ذكروا في الإسرائيليات أو يعبر بقوله إسرائيلي – الخبر – منكر ،أو فيه نكارة توجب رده ،وينقل عن من أخذ من بعض أهل العلم بالكتاب الأول .

وحبذا لو سلك في كتابه هذا المسلك في شأن الاسرائيليات لكان أسلم وأولى ولسلم كتابه من شوائب الإسرائيليات التي ما دخلت كتابا إلا شانته وغضت من قدره ،وللوقوف على هذا الضرب من مسلك ابن كثير نذكر الأخبار الآتية –

سورة " البقرة "

رقم الخبر ١ –

قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ... الآية) (١)

عند تفسيره لهذه الآية قال ابن كثير ; قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وساق سنده عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي يقول: السجل (٢) ملك ،وكان هاروت وماروت من أعوانه ،وكان له في كل يوم ثلاث لحظات في أم الكتاب فنظر نظرة لم

---

(١) البقرة " ٣٠ "

(٢) السجل قيل حجر كان يكتب فيه ثم سمي كل ما يكتب فيه سجلا كما في المفردات ص ٢٢٤ – ٢٢٥ ،وقيل الصحيفة ،وقيل ملك وهو الذي يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل غير ذلك انظر الجامع لاحكام القرآن ١١/ ٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠٠ حلبي ،والراجح أنه الصحيفة لأنه المعروف في اللغة . – والله أعلم – .

تكن له فأبصر فيها خلق آدم (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) وما كان فيه من الأمور ،فأسر ذلك إلى هاروت وماروت ... فلما قال تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة ،قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) قالا ذلك إستطالة على الملائكة .

قال ابن كثير : وهذا أثر غريب ،وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده . واللهأعلم ومقتضاه أن الذين قالوا ذلك إنما كانوا مئتين فقط ،وهو خلاف السياق وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتم أيضا حيث قال : حدثنا أبي حدثنا هشام الرازي .. قال سمعت أبي يقول : إن الملائكة الذين قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) كانوا عشرة آلاف ، فخرجت نار من عند الله - سبحانه فأحرقتهم . (١) علق عليه الأمام ابن كثير بقوله: "وهذا أيضا إسرائيلي منكر كالذي قبله" والله اعلم . (٢)

قلت :

ويؤيد ما ذهب إليه الشيخ العلامة ابن كثير في الخبر المنسوب إلى ابي جعفر الباقر ما قاله الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ،والذي حاصله الآتي : (والأستفهام المحكي من كلام الملائكة محمول على حقيقته ضمن التعجب والأستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك ،فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق الكناية مع تطلب ما يزيل إنكارهم وأستبعادهم فلذلك تعين بقاء الأستفهام على حقيقته ،خلافا لمن توهم الأستفهام هنا لمجرد التعجب ... وفي هذا ما يغنيك عما تكلف له بعض المفسرين من وجه أطلاع الملائكة على صفات الأنسان قبل بدوها منه من توقيف واطلاع

---

(١) أنظر مفاتيح الغيب ١٦٧/٢ / للامام الفخر الرازي ،الطبعة الأولى ، المطبعة البهية المصرية .

(٢) تفسيره ٧١/١ حلبي .

(ـــ)

على ما فى اللوح ،أى علم الله ،أو قيام على أمة انقرضت أو تقدمت ... كما فى سفر التكوين من التوراة (ـ ١)

٢ـ قول البارى جل ذكره: (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...) (٢) عند تفسيره للآية الكريمة ذكر عدة سياقات عن عبيدة السلمانى وأبو العالية والسدى ،ومجملها يتلخص فى من الذى قتل ؟ وما سبب ذلك ؟ وهل هو عدم الزواج من ابنة المقتول أو طمعا فى الميراث ،أو غير ذلك ،ثم قصة البقرة ،وعند من وجدت ،وعن ثمنها (٣) ... إلى غير ذلك ،ثم قال ابن كثير بعد تلك السياقات الملخصة آنفا وهذه السياقات فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى إسرائيل ، وهى مما يجوز نقلها (٤)

ثانيا: وهذه بعض أقوال المفسرين فى هذا المعنى

يقول الرازى فى تفسيره: (روى أن صاحب بقرة بنى إسرائيل طلبها أربعين سنة حتى وجدها ،ثم ذبحت ،إلا أن هذه الرواية على خلاف ظاهر القرآن الكريم

(ـ) مثل الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١/ ٢٧٤ .

(١) تفسير التحرير والتنوير للإستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١/ ٣٨٠

(٢) البقرة "٦٧"

(٣) انظر مثلا الجامع لاحكام القرآن ١/ ٤٥٦ـ ٤٦٢ .

(٤) تفسيره ١/ ١٥٧ـ ١٦٠ ط الشعب ،وانظر تفسير الطبرى ٢/ ١٨٢ـ ١٨٨ تحقيق محمود وأحمد شاكر ،والدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطى ١/ ٧٦ـ ٨٠ ط دار المعرفة بيروت .

، لأن الفاء في قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها ، (١) للتعقيب وذلك يدل على أن قوله : " اضربوه ببعضها " حصل عقيب قوله تعالى "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة " وأيضا في هذه الرواية إبطال للحكمة في ذبح البقرة وضرب القتيل ببعضها ليظهر القاتل ، لأنه في الأربعين سنة تكون الجثة قد أنتفت وتغيرت وتلاشت ، والقوم قد فني منهم ناس ، وهذا خلاف لمعجزة موسى ، إذ الشأن في المعجزة أن تظهر شهرتها عن قرب ... (٢)

ويقول أبو حيان : وتأول المفسرون في هذه الحكاية بما يوقف عليه في كتبهم (٣) .

وفي محاسن التأويل : وقد ذكر أكثر المفسرين قصة البقرة ، وصاحبها بروايات مختلفة لم نورد شيئا منها ، لأنه لم يرد بسند صحيح إلى ـ النبي صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتعلق به كبير فائدة ... فنحن نبهمه كما أبهمه الله تعالى إذ ليس في تعيينه لنا فائدة دينية ولا دنيوية ... (٤)

وأخيراً يقول أحمد شاكر : الروايات المطولة التي ساقها ابن كثير لا تصلح للرواية وليست موضع الثقة (٥)

٣) قول الباري جل ذكره : (فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ...) (٦)

---

(١) البقرة " ٧٣ "

(٢) تفسير ٣/١٢٢ ـ ١٢٤ . بتصرف .

(٣) البحر المحيط لابي حيان ١/ ٢٤٩ مطبعة السعادة الطبعة الاولى .

(٤) تفسير القاسمي ٢/ ١٥٨ لمحمد جمال الدين القاسمي الطبعة الاولى مطبعة دار احياء الكتب العربية للحلبي وشركاه .

(٥) عمدة التفسير ١/ ١٦٣ .

(٦) البقرة " ٢٥١ " .

قال الامام ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية الكريمة : (ذكروا في الاسرائيليات أنه قتله بمقلاع (١) كان في يده رماه به فأصابه فقتله ، وكان طالوت قد وعده ان قتل جالوت أن يزوجه ابنته ، ويشاطره نعمته ، ويشاركه في أمره ففعل له الخ) (٢)

أنا : ذكر عدد من المفسرين هذا الخبر (٣) ولم أر تعليقا لهم اللهم الا ما كان من ابن عطية وأبي حيان وصاحب فتح البيان وها هي بعض اقوالهم المؤيدة لرأي ابن كثير .

قال صاحب المحرر الوجيز بعد أن ساق الآثار ـ الاثر السابق وما شاكله ـ ولكن بصيغة روى ـ بالبناء للمجهول ـ (والله أعلم أي ذلك كان ... وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية ، وذلك كله لين الاسناد ، فلذلك انتفيت منها تنفك به الآية وتعلم به مناقل النازلة واختصرت سائر ذلك .) (٤)

---

(١) الذي يرمى به ، كما في اللسان . ٨/ ٢٩٤ .

(٢) تفسيره ١ / ٤٤٧ الشعب .

(٣) انظر الطبري ٥/ ٣٥٥ المحقق ، والدر المنثور ١/ ٣١٨ ـ ٣١٩ وزاد المسير لابي الفرج ابن الجوزي ١/ ٣٠٠ الطبعة الاولى وروح المعاني للالوسي ١/ ١٤٩ والبغوي ١/ ٢٦٠ ومراح لبيد ١/ ٧٢ طبعة الحلبي وشركاه

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي ابن عطية الاندلسي ٢/ ٢٦٦ ٢٦٨ الطبعة المغربية .

وقال صاحب البحر المحيط : (طول المفسرون فى قصة كيفية قتل داود لجالوت ولم ينص الله ـ تعالى على شيء من الكيفية اهـ) (١)

وأما صاحب فتح البيان فقد روى أثرا عن مجاهد وغيره وهو شبيه بالآثار السابقة ثم قال فى نهايته :

(وقد ذكر المفسرون أقاصيص كثيرة من هذا الجنس فالله أعلم) (٢)

٤ـ قول الحق تبارك وتعالى : (... لا تأخذه سنة ولا نوم) (٣)

ذكر ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الجملة من الآية الكريمة : أثرا ملخصه " أن موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ سأل الملائكة هل ينام الله عزوجل ؟ فأوحى الله سبحانه ـ الى الملائكة أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ... الخ)

قال ابن كثير عقيب ذكره لذلك الأثر : (وهو من أخبار بنى اسرائيل وهو مما يعلم أن موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عزوجل وأنه منزه عنه ...) (٤)

وقال ابن كثير : أيضا تعقيبا لأثر آخر والذى حاصله ما فى الأثر السابق الا أنه ورد بصيغة المرفوع قال : (وهذا حديث غريب والأظهر أنه اسرائيلى لا مرفوع والله أعلم (٥)

الباحث : هذا الأثر مخالف لما جبل عليه الأنبياء من أدب مع الله تعالى ومن علم بصفاته الجليله

قال القرطبى : والناس يذكرون فى هذا الباب عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ مرفوعا : " وقع فى نفس موسى هل ينام الله عزوجل ؟ ولا يصح هذا الحديث ضعفه غير واحد منهم البيهقى . (٦)

---

(١) البحر المحيط ٢/ ٢٦٨ .

(٢) فتح البيان فى مقاصد القرآن للسيد حسن صديق خان ٢/ ٤١٤ـ٤١٥ .

(٣) البقرة " ٢٥٥ "

(٤) تفسيره ١/ ٤٥٥ الشعب .

(٥) المصدر السابق ١/ ٤٥٦ .

(٦) تفسيره ٣/ ٢٧٣ .

ويقول أبو حيان : تعقيبا على الاثر نفسه قال بعض معاصرينا هذا حديث ونحوه موضوع ومستحيل ان سأل موسى ذلك عن نفسه أو عن قومه ، لأن المؤمن لا يشك في أن الله ينام أو لا ينام ، فكيف الرسل ؟) (١)

وقال الخازن ـ بعد أن ساق الاثر السابق ـ قال : قال بعض العلماء ان صحح هذا الحديث فيحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى ، كطلب الرؤية من موسى لأن الانبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا السؤال والله تعالى أعلم (٢)

ومما يؤيد ما ذهب اليه الامام ابن كثير ـ من أن موسى لا يخفى عليه مثل هذا ـ ما جاء في الدار المنثور : (وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وغيرهما مرفوعا : ان بني اسرائيل قالوا ياموسى هل ينام ربك ؟ قال : اتقوا الله ، فناداه ربه ياموسى سألوك هل ينام ربك ؟ فخذ زجاجتين في يدك فقم الليل ، ففعل موسى ، فلما ذهب من الليل ثلث ، نعس فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما ، حتى اذا كان آخر الليل نعس فسقطت الزجاجتان فانكسرتا ، فقال : ياموسى لو كنت أنام لسقطت السموات والارض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يدك ، وأنزل الله تعالى على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية الكرسي) (٣)

كما يؤيد ما ذهب اليه الحافظ ابن كثير قول محقق الطبري ، فبعد أن ذكر الطبري الاثر نفسه ، قال المحققان : وقد علق ابن كثير على هذا بقوله : (وهو من اخبار بني اسرائيل ... الخ وأصاب ابن كثير الحق ، فان أهل الكتاب ينسبون الى أنبياء الله ما لو تركوه لكان خيرا لهم) (٤)

---

(١) تفسيره ٢ / ٢٧٨ .

(٢) تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين الخازن "

١ / ٢٦٩ الطبعة الثانية الحلبي وشركاه .

(٣) الدار المنثور ١ / ٣٢٧ .

(٤) تفسير الطبري بتحقيق الاخوين ٥ / ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

وبالنسبة لرجال الاسناد ـ في الحديث الذي ورد بصيغة المرفوع حكم عليه الامام ابن كثير بأن الظاهر عليه أنه من الاسرائيليات فأحوالهم كالآتي : ـ

١ـ إسحق بن أبي إسرائيل واسمه إبراهيم بن كامجرا المروزي نزيل بغداد .

قال عنه ابن معين : من ثقات المسلمين .

وقال عنه أبو زرعة : عندي إنه لا يكذب ، وحدث بحديث منكر .

وقال عنه ابن حجر : صدوق ... وروى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي مات سنة خمس وأربعين ، وقيل ست ، من أكابر العاشرة (٢٤٥ـ٢٤٦) (١)

٢ـ هشام بن يوسف الصنعاني ، أبو عبد الرحمن القاضي ، ثقة من التاسعة مات سنة سبع وتسعين (١٩٧) روى له البخاري والأربعة .(٢)

٣ـ أمية بن شبل الصنعاني ، سمع الحكم بن أبان وغيره ، روى عنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق (٣)

وقال عنه الحافظ في اللسان : " له حديث منكر رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال : (وقع في نفس موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام هل ينام الله ؟ الحديث رواه عنه هشام بن يوسف ، وخالفه معمر عن الحكم عن عكرمة فوقفه وهو أقرب .

---

(١) تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ . ج / ١ / ٥٥ ط دار المعرفة بيروت . وتهذيب التهذيب لخاتمة الحفاظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ج / ١ / ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ط دار المعرفة بيروت .

(٢) التقريب : ٢/ ٣٢٠ .

(٣) التاريخ الكبير لشيخ الأسلام جبل الحفاظ ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦ ، ١/ ٢ ق مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ .

ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وانما روى أن بني اسرائيل سألوا موسى عن ذلك . (١)

٤ـ الحكم بن أبان العدني ،وثقه ابن معين ، وقال ابن المبارك ارم به وفي المغني : صدوق عابد وله أوهام ... روى له الاربعة (٢)

٥ـ عكرمة الحبر العالم أبو عبد الله بن عبد الله البربري الهاشمي مولى ابن عباس رضي الله عنهما .

روى عن مولاه وعائشة رضي الله عنها وأبي هريرة وعقبة بن عامر وأبي سعيد وعدة ،حدث عنه خلائق منهم أيوب وأبو بشر وعاصم الاحول وآخرون ،وأفتى في حياة ابن عباس رضي الله عنهما ،روى مغيره عن سعيد بن جبير وقيل له : تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال : نعم : عكرمة .

وقال الشعبي : ما بقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة .

وقال الذهبي :لا ريب ان هذا الامام من بحور العلم ... (٣)

وقال الحافظ ابن حجر : ثقة ثبت عالم بالتفسير ...لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر رضي الله عنهما ،ولا يثبت عنه بدعة ،مات سنة بضع ومائة وقيل بعد ذلك .. (٤)

---

(١) لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني ١/٤٦٧ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

(٢) المغني في الضعفاء للحافظ شمس الدين الذهبي ١/١٨٢ ط البلاغة الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٩٥ـ٩٦ وقد أوعب الذهبي وأوجزنا .

(٤) التقريب ٢/٣٠ ،التهذيب ٧/٢٦٣ .

يظهر لى من حال رجال الاسناد أنهم ثقات ، وان كان بعضهم وصفوا بـ (صدوق) ومع هذا يبقى الأثر دون المرفوع بل هو منكر والله أعلم ويؤيد هذا الرأى ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى مسلم الأشعرى رضى الله عنه قال : (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) بأربع كلمات فقال : (ان الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه .) (١)

قال النووى فى صحيح مسلم : (السبحات بضم السين والباء ورفع التاء فى آخره وهى جمع سبحة قال صاحب العين والهروى وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى (سبحات وجهه) نوره وجلاله وبهاؤه ، والحجاب لغة المنع والستر وحقيقته تكون للاجسام المحدودة ، والله سبحانه وتعالى ـ منزه عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رويته ... والمراد بوجه الذات ... والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ، ولفظة " من " لبيان الجنس لا للتبعيض ، والتقدير لو أزال المانع من رويته وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته . والله أعلم . (٢)

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب قوله عليه الصلاة والسلام : (ان الله لا ينام) ١/١٦١ ـ ١٦٢ وعمدة التفسير ٢/١٦١ تعليق "١"

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٣/١٣ ـ ١٤ .

وأخرج الحديث أيضا ابن ماجة في سننه

وقال محققه : قال البغوي في شرح السنة كل ما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل في صفاته تعالى كالنفس والوجه واليد ... والنزول الى السماء ... فهذه ونظائرها صفات لله عزوجل ـ ورد بها السمع ، فيجب الايمان بها وابقاؤها على ظاهرها ونفي فيها عن التأويل ، مجتنبا عن التشبيه ، معتقدا أن الباري ـ سبحانه ـ لا تشبه صفاته صفات الخلق ، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق ، قال تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) ...

قال سفيان بن عيينه : كل ما وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته ، والسكوت عليه ، ليس لاحد أن يفسره الا الله عزوجل ورسله . (٢)

---

(١) الشورى " ١١ "

(٢) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب فيما انكرت الجهمية ١/ ٧٠ـ ٧٣

" سورة المائدة "

٥ـ قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين) (١)

روى الامام ابن كثير عند هذه الآية عن محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول " أن آدم على نبينا وعليه السلام أمر ابنه قابيل (٢) أن ينكح أخته توأمة هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل ، فسلم لذلك هابيل ورضى (٣) وأبى ذلك قابيل وكره تكرما عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل ، وقال : نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختى ويضيف ابن كثير نقله عن ابن اسحق قائلا : ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس فظن بها على أخيه وأرادها لنفسه ، والله أعلم أى ذلك كان ...) (٤)

---

(١) المائدة " ٢٧ "

(٢) يقول الشيخ أحمد شاكر : تسميته وأخوه هابيل بهذا من نقل العلماء عن أهل الكتاب لم يرد به القرآن ولا جاء فى سنة ثابتة فلا علينا أن لا نجزم به ولا نرجحه وانما هو قول قيل . أنظر عمدة التفسير ٤/ ١٢٣

(٣) تفسير البغوى المسمى " معالم التنزيل " لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوى على هامش ابن كثير ٣/ ١٢٣ـ١٢٤ مطبعة المنار الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ

(٤) تفسيره ٢/ ٤٢ـ٤٣ حلبى وقارن ٢/ ٧٨ الشعب وأنظر الطبرى ١٠/ ٢٠٥ـ ٢٠٦ المحقق .

الباحث : خبر اسرائيلي اكتفى الحافظ أبو الفداء ـ غفر الله لـــه ـ بعزوه الى ابن اسحق ،وافادته أن ابن اسحق حكاه عن أهل الكتاب فالله أعلم بذلك .

أما قول هابيل ـ كما في الخبر ـ : " نحن من ولادة الجنة ؟" فلـــن نتجشم كبير عناء في ابطالها ،فقد عبدنا فيها الطريق أثير الديـــن أبي عبدالله محمد بن حيان حين قال : (خلق حواء كان غـــد الجنة ،وأما التغشي والحمل فكان في الارض اهـ (١)

فكيف يستقيم قوله : نحن من ولادة الجنـة ؟

ومثله او قريب منه قول صاحب فتح البيان (وجعل منها زوجها ليسكن اليها) (٢) وكان هذا في الجنة كما وردت بذلك الاخبار ،ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخرى كانت بينهما في الدنيا بعد هبوطهمـــا فقال ـ سبحانه ـ (فلما تغشاها ...) (٣)

---

(١) البحـــر المحيـــط " ٤/ ٤٣٩ .

(٢) الأعـــراف " ١٨٩ "

(٣) فتـح البيان ٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ .

٦ـ قوله تعالى : (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه ...) (١) نقل الامام ابن كثير عند هذه الآية قولا غريبا عن الضحاك (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما وحاصله : أنه ـ قابيل ـ مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين ...) (٣)

ثم نقل عن مجاهد : (أنه كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا لا يدري ما يصنع به ...) (٤)

واستمر في نقله للآثار الغريبة حتى نقل عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول مانصه : (لما قتله سقط في يده ولم يدر كيف يواريه ، وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل في بني آدم ، وأول ميت (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ...) قال : وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه هابيل قال له الله ، ـ عزوجل ـ يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدرى ما كنت عليه رقيبا ، فقال الله سبحانه ـ ان

---

(١) المائدة (٣١)

(٢) انظر جامع البيان عن تاويل آى القرآن ١٠/ ٢٢٥ المحقق والدار المنثور ٢/ ٢٧٦ .

(٣) تفسيره ٣/ ٨٤ وانظر النسفى " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " للعلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد النسفى ١٠/ ٤٠٦ ط المكتبة الأموية بدمشق .

(٤) تفسيره ٣/ ٨٤ الشعب ، والطبرى ١٠/ ٢٢٧ .

صوت دم أخيك لينادينى من الارض ،الآن أنت ملعون من الارض التى فتحت فاها فتلقت دم أخيك ...الخ) (١)

الباحث : بالنسبة لحمل قابيل لجثة اخيه فى المدة المذكورة فى النفس منها شىء ،ولا أظن بل لا أعتقد أن أثر الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما صحيح أو حسن ،وذلك لما قيل فى رجاله من قبل رجال الجرح والتعديل .

وهو باختصار : الحسين بن الفرج الخياط البغدادى ،قال فيه ابن معين : كذاب . (٢)

٢ـ أبو معاذ : هو الفضل بن خالد المروزى ترجمه ابن ابى حاتم فى الجرح والتعديل ،ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا . (٣)

٣ـ عبيد بن سليمان الباهلى ،مولاهم كوفى ،سكن مرو لا بأس به من السابعة . (٤)

٤ـ الضحاك بن مزاحم الهلالى ،صدوق كثير الارسال من الخامسة (٥)

---

(١) تفسيره ٣ / ٨٤ ط الشعب .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب

(٣) الجرح والتعديل لشيخ الاسلام أبى محمد عبدالرحمن بن الامام الكبير أبى حاتم محمد التميمى ٧/ ٦١ ط الهند .

(٤) التقريب ١/ ٤٣٥ والتهذيب ٧/ ٦٧ .

(٥) المصدرين السابقين ١/ ٣٧٣ و ٤/ ٤٥٣ والمغنى ١ /٣١٢ .

وقال صاحب التفسير والمفسرون : طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما غير مرضية ، لانه وإن وثقه نفر فطريقه الى ابن عباس منقطعة و لانه روى عنه ولم يلقه . (١)

إذا علم هذا مع ما تقدم فى رجال الأسناد نرى أن الاثر ساقط لأن فيه كذاب ، ومعلوم أن رواية الكذاب تسقط بالمرة وعلى كلا ممكن للقارى أن يحكم عقله فى هذا الاثر بعد كل ما ذكر . والله أعلم .

وبالنسبة لاثر مجاهد فهو أغرب من أثر الضحاك .

وذكر ابن كثير أن ليث بن أبى سليم نقله عن مجاهد (٢)

وأما ليث فحاله كالآتى : ـ

قال الامام أحمد : مضطرب الحديث ، ولكن حدث عنه الناس .

وقال النسائى : ضعيف .

وقال الامام يحى بن معين : لا بأس به .

وقال الامام ابن حبان : اختلط فى آخر عمره (٣)

ومع ذلك يبقى الاثر غريبا من هذا الوجه والله أعلم .

---

(١) التفسير والمفسرون ١/ ٨٠ .

(٢) تفسيره ٣/ ١٨٤ الشعب وقارن بتفسيره ٢/ ٤٥ ط الحلبى .

(٣) الضعفاء والمتروكين للنسائى ملحق بالضعفاء الصغير للبخارى ص/ ٩٠ ـ ٩١ ط الأولى .

وأما أثر ابن اسحق المنقول عن أهل الكتاب فقد ذكره غير واحد من المفسرين ولكن باختلاف في السند والمتن .

فيذكر البغوى : "أن المطلب بن عبدالله بن حنطب يقول : لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ... فناداه آدم أبن أخوك ياقابيل(١؟)

فمتن هذا الخبر يخالف متن ابن كثير الذى ساقه بعض الشيء ففي خبر ابن كثير (... لما قتل قابيل أخاه هابيل قال الله له ياقابيل ... ؟

ولا أدرى متى كان الله ـ سبحانه ـ يخاطب غير انبياءه ورسله وملائكته ؟؟

وفى الكشاف ومفاتيح الغيب والخازن وغيرهم أن الذى ناداه هو آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام (٢)

واخيرا يقول الاستاذ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ هذا الأثر الذى رواه ابن اسحق من قول اهل التوراة نجده فى كتاب القوم فى سفر التكوين فى الاصحاح الرابع ... (٣)

---

(١) تفسير البغوى على هامش ابن كثير ٣/ ١١٢ وقال صاحب البحر المحيط : "وحكى المفسرون عجائب مما جرى بقتل هابيل من رجفان الأرض سبعة أيام وشرب الأرض دمه ... والله أعلم بصحة ذلك" ٣/ ٤٦٧ .

(٢) تفسير الكشاف ١/ ٦٠٨ ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٠٨ والخازن ٢/ ٤١ والنسفى ١/ ٤٠٦ وارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابى السعود ٢/ ٤٢ مطبعة السعادة .

(٣) تفسير الطبرى ١٠/ ٢٢٨ .

الأعـــــراف

٧) قوله تعالى : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ،فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) (١)

قال الامام ابن كثير عند قوله تعالى : (لنكونن من الشاكرين) : ذكر المفسرون ههنا آثارا وأحاديث سأوردها ،وأبين ما فيها ،ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح فى ذلك ان شاء الله وبه الثقة .

ومن تلك الاحاديث التى ساقها الحديث الاتى :-

قال الامام أحمد فى مسنده :(حدثنا عبد الصمد ،حدثنا عمر بن ابراهيم ... عن الحسن عن سمرة -رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : (لما ولدت حواء طاف بها ابليس ،وكان لا يعيش لها ولد ، فقال : سمى عبد الحارث فانه يعيش ،فسمته فعاش ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره (٢)

وهكذا رواه الامام ابن جرير - رحمه الله - عن محمد بن بشار ... عن عبد الصمد به ، (٣) ورواه الترمذى فى تفسيره (٤) عن محمد بن المثنى عن

---

(١) الاعراف ١٨٩ - ١٩١)

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٤ ط الشعب وانظر مسند الامام أحمد ٥/ ١١ ط المكتب الاسلامى .

(٣) تفسير الطبرى ١٣ / ٣٠٧ ط المحققه .

(٤) عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذى لابى بكر بن العربى ١١/ ٢٠٠-٢٠١ طبعة دار العلم للجميع بسوريا ،كما رواه الترمذى أيضا بسنده عن زيد ابن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا نحوه ، وأفاد الالبانى الى أنه ضعيف أنظر سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء فى الأمة ١/ ٣٤٨-٣٤٩ ط المكتب الاسلامى .

عبد الصمد به ، وقال : هذا حديث حسن غريب (١) لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ،وراه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ، ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٢) .

ورواه بن أبي حاتم في تفسيره به مرفوعا .

ورواه ابن مردوية في تفسيره من حديث شاذ بن فياض مرفوعا .

وأخيرا يقول ابن كثير : والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه : —

أحدها : أن عمر بن ابراهيم هذا هو البصري ،وقد وثقه ابن معين ،ولكن قال أبو حاتم الرازي ، لا يحتج به ،ولكن رواه ابن مردوية من هذا الطريق عن المعتمر عن الحسن مرفوعا . فالله أعلم .

قلت: قال الذهبي :(صدوق حسن الحديث ،له غلط يسير)

وقال أبو حاتم :(لا يحتج به) وقال ابن عدي :(يروى عن قتادة مالا يوافق عليه) وقد ذكر الذهبي الحديث الذي معنا ثم قال : وهو حديث منكر كما ترى (٣) .

الثاني : انه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا ، كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر ... عن سمرة بن جندب ، قال سمى آدم ابنه عبد الحارث . (٤)

---

(١) مراده " حسن لذاته " وقد يراد غرابة السند لا المتن ،أنظر علوم الحديث، لابن الصلاح .

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٥٤٥ ط دار الكتاب العربي .

(٣) ميزان الاعتدال في الجرح والتعديل للذهبي ٣/ ١٧٩ — ١٧٨ — ١٧٩ ط دار احياء الكتب .

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٣٠٥ ط المحققه . وانظر الدار المنثور ٣/ ١٥١ — ١٥٢ .

الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه (قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع .. عن الحسن " جعلا له شركاء فيما آتاهما ") قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم .

وحدثنا - ابن جرير - بشر ... قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا (١)

واختم حديثه قائلا : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية .

ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه وورعه .

فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب ، أو وهب بن منبه ، أو غيرهما ، الا أننا برئنا من عهدة المرفوع . والله أعلم (٢)

وفي البداية والنهاية يقول : والظاهر أنه تلقاه من الاسرائيليات ، وهكذا روى موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والظاهر أن هذا متلقى عن كعب وذويه والله أعلم ..

وأيضا فالله تعالى انما خلق آدم وحواء عليهما السلام ليكونا أصل البشر ، وليبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، فكيف كانت حواء لا يعيش لها ولد كما ذكر في هذا الحديث ان كان محفوظا ؟ اهـ (٣)

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٣١٤ - ٣١٥ ط المحققه .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٢٩ - ٥٣٠ ط الشعب .

(٣) البداية والنهاية ١/ ٨٩ - ٩٠ دار الكتب العلمية .

وبعد هذا الحديث ـ من ضمن الأحاديث الكثيرة ـ والأفاضة من التعليلات القويمة من الإمام الحافظ ابن كثير ،بعد هذا أخذ الحافظ الامام في سرد آثاراً بهذا المعنى .

ومنها ما نقله عن ابن إسحق عن داود بن الحصين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت حواء تلد لآدم (على نبينا وعليه الصلاة والسلام) اولادا فيعبدهم لله ،ويسميهم عبدالله وعبيد الله ،ونحو ذلك ،فيصيبهم الموت ، فاتاهما إبليس فقال : انكما لو سميتما ،بغير الذى تسمينانه به لعاش!! قال : فولدت له رجلا فسماه عبدالحارث،ففيه أنزل الله يقول : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة ... الى قوله ـ جعلا له شركاء فيما آتاهما ؟ (١)

ثم نقل عن ابن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه . (٢)

قال الامام ابن كثير عقب ذلك وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس رضي الله عنهما جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير ... ومن الطبقة الثانية قتادة والسدى .. وغير واحد من السلف ،وجماعة من الخلف ،ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة .

وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب ،فان ابن عباس رضي الله عنهما رواه عن أبى بن كعب كما رواه ابن أبى حاتم . (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٠ ط الشعب . وانظر اسباب النزول للواحدى أبى الحسن على بن أحمد المتوفى ٤٦٨ هـ ص ١٣١ ط دار الكتب العلمية ببيروت ،الطبعة الاولى .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣٠ ـ ٥٣١ ـ ط الشعب .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣١ ـ ط الشعب .

واختتم تعليقه على تلك الآثار بقوله ـ رحمه الله ـ :(وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب)

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ... الحديث)

ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا بصحته ...

وهذا الأثر من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر .

فأما من حدث به من صحابي أو تابعي ،فانه يراه من القسم الثالث .

وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري ،في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء عليهما السلام ،وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ،ولهذا قال الله تعالى : ((فتعالى الله عما يشركون)) (١)

(فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ،وهو كالاستطراد من ذكر الشخص الى الجنس كقوله (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) (٢)

ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وانما هذا إستطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم . (٣) ويقول ابن قيم في التبيان في أقسام القرآن :

ويقول كاتبه ـ عفا الله عنه ـ هذه المسألة خطيرة جدا لأنها تتعلق بأبي البشر وزوجه ونبي من أنبياء الله ،وبالطبع أدلى المفسرون والمحدثون كل بدلوه وأفاضوا في ذلك وسأنقل بعض وجهات نظرهم تلك . ومن ثم نختار ما هو أولى

---

(١) تفسيره ٣ / ٥٣١ ط ـ الشعب .

(٢) الملك (٥)

(٣) تفسيره ٢ / ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ـ ط ـ حلبي .

واليق بنبى الله آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ،وأسلم لى من القول بلا علم والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

وهذه بعض عبارات العلماء السالفى الذكر :

الأول: شيخ المفسرين الامام محمد بن جرير الطبرى ،ساق رحمه الله وجهات نظر متعددة فى هذا المعنى ، ثم ذكر أخيراً وجهة نظره ،وهاكم قوله بالنص " وأولى الأقوال بالصواب : قول من قال عنى بقوله:(فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء" فى الاسم لا فى العبادة وأن المعنى بذلك آدم وحواء ، لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك . (١)

فانت تراه أنه رجح بأن المعنى آدم وحواء عليهما السلام !!

يقول أحمد شاكر معقبا على كلام الطبرى : وإجماع أهل التاويل فى مثل هذا مما لا يقوم .

الأول: لأن الآية مشكلة ،ففيها نسبة الشرك إلى آدم الذى اصطفاه ربه (٢) بنص كتاب الله (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)

وأراد ابو جعفر أن يخرج من ذلك فزعم أن القول عن آدم وحواء عليهما السلام انقضى عند قوله : (جعلا له شركاء فيما آتاهما) ثم استأنف قوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون ،يعنى عما يشرك به مشركوا العرب عبدة الأوثان ، (٣)

---

(١) تفسير الطبرى جامع البيان ... ١٣ / ٣٠٩ ـ ٣١٥ ـ ط. المحققه .

(٢) آل عمران (٣٣) .

(٣) وهذا الزعم الذى نطق به أحمد شاكر هو قول الطبرى : حدثنى محمد بن الحسين .... عن السدى فى قوله تعالى : (فتعالى الله عما يشركون) يقول :(هذه فصل من آية آدم ،خاصة فى آلهة العرب) تفسيره ١٣/ ٣١٥ .

وهذا مخرج ضعيف جدا .

قلت : ولو فرض أن الوقف صحيحا لكان هذا القدر كاف فى نسبة الشرك لآدم وزوجه وحاشا ذلك لأبى البشر وزوجه عليهم الصلاة والسلام مخرج الطبرى وإياه .

الثانى ـ والكلام لأحمد شاكر أن مثل هذا المشكل فى أمر آدم وحواء ، ونسبة الشرك اليهما ، مما لا يقنى به الا بحجة يجب التسليم لها من نص كتاب أو خبر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا خبر بذلك الا هذا الخبر الضعيف الذى بينا ضعفه .. (١)

الثانى : وقد نحا منحى الطبرى العلامة البغوى ، الذى نقل آثار جمة عن الكلبى وابن زيد وابن عباس رضى الله عنهما ، والتى حاصلها وجهة نظر الطبرى .....

ثم قال البغوى : وفى الآية قول آخر : وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم ، وهو قول الحسن وعكرمة ، ومعناه " جعل أولادهما له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم ، كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء فى تعييرهم بفعل الآباء فقال ـ سبحانه ـ : (ثم اتخذ تم العجل) (٢) (وإذ قتلتم نفسا ..) (٣)

خاطب به اليهود الذين كانوا فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم . ـ وكان ذلك الفعل من آبائهم ... وهو قول حسن لولا قول السلف مثل ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وابن المسيب . وجماعة من المفسرين أنه فى

---

(١) تفسير الطبرى ٨/ ١٣/ ٣٠٩ ط ـ المحققة .

(٢) البقرة (٥٢) .

(٣) البقرة (٧٢) .

آدم وحواء عليهما السلام ١٠ هـ (١)

الثالث : والرابع ما ذهب إليه كل من الخازن والألوسي ووجهة نظرهما تتفقان مع شيخ المفسرين إذ يقول الخازن في تفسيره : (ثم والأصح قول السلف ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن المسيب .. وغيرهم من المفسرين ولأنه ورد في المرفوع اهـ (٢) .

ويقول الألوسي في تفسيره : (.. إذا صح الحديث فهو مذهبي وإراه ـ حديث الباب ـ قد صح ١٤٠٠ ـ هـ (٣)

الخامس : أبو بكر الرازي نقل خبر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الذي فيه قصة عبد الحارث ثم بعد تمام الخبر قال : (واعلم ان هذا التأويل فاسد يدل عليه وجوه كثيره وساقها ... وبعد ذلك قال : إذا عرفت هذا فنقول في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد ... ثم ذكرها وقد أجاد فيها . (٤)

السادس : ونجد ابن العربي ينقل جزء من ذلك الخبر الذي فيه محاورة بين الشيطان وحواء ـ على حد قولهم ـ نجده يقول : وذلك مذكور ونحوه في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي الإسرائيليات كثير ليس لها ثبات ولا يعول عليها من له قلب فان آدم وحواء عليهما السلام وإن كان غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وما كان بعد ذلك ليقبلا له نصحا ولا ليسمعا

---

(١) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٣/٦١٣ ـ ٦١٤ .

(٢) تفسير الخازن ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٣) تفسير الالوسي روح المعاني ـ ٩ / ١٢٣ ـ ١٢٦ .

(٤) مفاتيح الغيب ١٥/٨٥ ـ ٩٠ .

منه قولا . (١)

ثم رجح أبو بكر بن العربي ـ رحمه الله ـ أن المراد بهذا الجنس من الآدميين وهذا القول أشبه بالحق ، وأقرب الى الصدق . وهو ظاهر الآية وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها ، ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذى لا يليق بجهال البشر ، فكيف بسادات البشر وأنبيائهم؟ اهـ (٢)

السابع ـ نقل نص كلام ابن العربي الامام أبو عبدالله القرطبي في تفسيره ثم أردف قائلا : وقال قوم : إن هذا راجع إلى جنس الآدميين والتبيين عن جهال المشركين من ذرية آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وهو الذى يعول عليه .... (٣) .

الثامن : أبو حيان : إذ يقول : ذكروا في ذلك محاورة جرت بين ابليس وآدم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح فأطرحت ذكرها . (٤)

التاسع : ابن جزى ذكر في معنى الآية الكريمة قولين اثنين :

الأول : جعل اولادهما له شركاء ... (٥)

وأفاد بأن هذا القول أصح وعلل ذلك بالآتي :

١ ـ انه يقتضى براءة آدم وحواء من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) أحكام القرآن ٢/ ٨٠٨ ـ ٨٠٩ .

(٢) المصدر السابق نفس الموضع .

(٣) تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .

(٤) البحر المحيط ٤/ ٤٤٠ .

(٥) كما تقدم ذكره في ص ٢١٢ من هذا البحث .

٢ــ انه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) بضمير الجمع .

٣ــ أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر الى نقل بسند صحيح وهو غير موجود فى تلك القصة .. (١)

العاشر : والبيضاوى فى تفسيره يقول : (لما حملت حواء أتاهما ابليس فى صورة رجل ... فسمياه عبد الحارث .. وأمثال ذلك لا تليق بالأنبياء (٢)

الحادى عشر : ويقول أبو السعود : (وأما ما قيل من أنه لما حملت حواء أتاهما ابليس ... فلا تعويل عليه ، كيف لا ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان علما فى علم الأسماء والمسميات ، فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه إياه فى مثل هذا الشأن الخطير أمر قريب من المحال ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (٣)

الثانى عشر : قول القاسمى (وقد ذكر المفسرون ههنا أحاديث وآثارا تفهم أن المراد بهذا السياق آدم وحواء عليهما السلام ، ولا حاجة بنا الى روايتها لأنها واهية الاسناد ، معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير فى تفسيره ، وتقبل جملة من السلف لها وتلقيها لا يجدى فى صحتها شيئا إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مسلمة أهل الكتاب ، كما برهن عليه الامام ابن كثير وتهويل بعضهم بأنها مقتبسة من مشكاة النبوة (٤) إذ أخرجها فلان وفلان ، من تنميق الألفاظ لتمزيق المعانى ، فان المشكاة النبوية أجل من أن يقبس منها الا كل ما عرفت جودته ...

---

(١) تفسير ابن جزى ٢/ ١٠٣ــ ١٠٤ .

(٢) تفسير البيضاوى ١/ ٣٨١ .

(٣) تفسير ابو السعود ٢/ ٤٥ .

(٤) كما مر معك فى ص ١٠٩ من هذا البحث .

والذى نميل اليه ونرجحه ويعين سياق الآية ومنطوقها عليه : أن معنى الآية الكريمة أنه لما أتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما.

فهذا المذهب متعين تبعا للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله .

وما وجهة نظر المفسرين القائلين بهذا الا حق ويراد بها حقو الله تعالى أعلم .

وظهر من خلال الحديث عن هذه الآية الكريمة أن ابن كثير ناقد فطن له دراية كبيرة بالرجال واحوال السند ،فانظر كيف فصل القول هنا تفصيلا دقيقا .

سورة هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام

٨ ـ قوله تعالى : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) (١)

ذكر ابن كثير عند هذه الآية خبرا عن ابن اسحق ، مكتفيا أن ابن اسحاق استقاه عن التوراة ،وحاصل ذلك الخبر : أن الله تعالى ـ أمر نوحا أن يصنع السفينه من خشب الساج (٢) وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا ،وعرضها خمسين ذراعا ...) (٣)

قلت : وقد ذكر عدد لا بأس به من المفسرين قصة السفينة والله أعلم بحال تلك الأخبار.

ثم يقول الفخر الرازي بعد أن ساق جزء من تلك الاقصوصات : (وأعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا ،وكأن الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يدل على الجانب الصحيح ،والذي نعلمه أنه كان نجارا بحيث يتسع للموضين من قومه ولما يحتاجون اليه .. لأن هذا القدر مذكور في القرآن الكريم ،فأما غير ذلك القدر فغير مذكور اهـ (٤) .

---

(١) هود (٣٧)

(٢) الطيلسان الضخم الغليظ كما في اللسان ٢/ ٣٠٢ وقيل شجر ضخم يكثر في الهند

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٢ ط الشعب وتفسير الطبري ١٢/ ٣٧ ط الثالثة والبغوي على هامش ابن كثير ٤/ ٣٦١ وروى مثله عن السدي وقتادة وعكرمة صاحب البحر المحيط ٤/ ٢٢١ ،وانظر روح المعاني ١٢/ ٤٥ .

(٤) مفاتيح الغيب ١٧/ ٢٢٤ .

وأما الالوسى فيقول : (وسفينة الأخبار فى تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها ، إذ هى غير سالمة عن عيب ، فالحرى بحال من لا يميل إلى الفضول أن يومن بأنه عليه السلام صنع الفلك حسبما فصل الله تعالى فى كتابه ، ولا يخوض فى مقدار طولها وعرضها ، وارتفاعها ، ومن أى خشب صنعها ... إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة . (١)

٩ـ قوله تعالى : (ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) (٢) يستمر الامام ابن كثير فى شرح قصة نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فيذكر عند الآية الكريمة السابقة أن نوحا نادى ابنه وقد كان كافرا ، فناداه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ، ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون ، فرد الابن : (... سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ...) (٣)

فيفيدنا ابن كثير أن الاسرائيليات قالت ـ وبئس ما قالت ـ : (إتخذ له مركب من زجاج ، فيعلق الحافظ بقوله (وهو من الإسرائيليات والله أعلم) ثم يخبر الامام ابن كثير ان الذى نص عليه القرآن الكريم أنه قال : ساوى الى جبل ... أى أعتقد بجهلة أن الطوفان ـ لا يبلغ إلى رؤوس الجبال ، وأنه لو تعلق فى رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق (٤) .

---

(١) روح المعانى ١٢/ ٤٥ .

(٢) هود (٤٢) .

(٣) هود (٤٣) .

(٤) تفسيره ٤/ ٢٥٦ ط الشعب .

• ١ـ قول الحق تبارك وتعالى : (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) (١)

يبين الحافظ ابن كثير في هذه الآية أن المولى جل ذكره ـ يخبرنا عما قيل لنوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين رست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته البشر يوم القيامه •• (٢)

ثم ينقل خبرا عن ابن اسحق موكدا أن ابن إسحق نقله من أهل الكتاب •

وهذا الخبر هو :(لما أراد الله أن يكف الطوفان أرسل ريحا على وجه الأرض فسكن الماء ،وانسدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر ••• وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه •••) (٣)

---

(١) هود (٤٨) •

(٢) تفسيره ٤/ ٢٦ •

(٣) المصدر السابق وانظر تفسيره ٢ / ٤٤٦ ط الحلبي •

"سورة الحجر"

١١ـ قوله تعالى : (واذ قال ربك للملئكة إني خالق بشراً من صلصل من حمإ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملئكة كلهم أجمعون ، الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين) (١)

ذكر ابن كثير عند شرحه لهذه الآيات الكريمات أثراً عن ابن جرير ، وصفه بأنه أثر غريب عجيب ، وذلك أن ابن جرير ـ رحمه الله ـ روى بسنده ، من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (لما خلق الملائكة قال : (إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، قالوا لا نفعل ، فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ، ثم خلق ملائكة أخرى ، فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم ... !!

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في نهاية الأثر المتقدم ، وفي ثبوت هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه بعد ، والظاهر أنه إسرائيلي ، والله أعلم (٢)

ويقول كاتبه : عقب العلامة ابن عطية على الاثر المتقدم بقوله : (والاسناد في في مثل هذا غير وثيق) (٣)

---

(١) الحجر (٢٨ ـ ٣١) .

(٢) تفسيره ٤/ ٤٥٢ ط الشعب وانظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٤/ ٣١ ط الثالثة الحلبية .

(٣) المحرر الوجيز ١/ ١٨١ ط المغربية .

"سورة الكهف"

١٢ـ قول البارى جل ذكره : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) (١)

نقل الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره للآية الشريفة السابقة أقوال بعض المفسرين عن معنى (الكهف والرقيم) .. إلى غير ذلك .

ثم قال : قال ابن جريج أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران (٢)

يعلق ابن كثير فى موضع آخر من تفسيره لهذه السورة الكريمة بقوله :

(وفى تسميتهم بهذه الأسماء وأسم كلبهم نظر فى صحته ـ والله أعلم فان غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب) (٣)

ويقول كاتبه : أخرج هذا الأثر الطبرى فى تفسيره (٤)

ورجال إسناده حالهم على الوجه التالى :

١) ابن جريج سبق وان بينت حاله وهو باختصار ثقة ولكنه كثير التدليس (٥)

٢) وأما وهب فهو بن سليمان الجندى ـ بفتح الجيم والنون ـ اليمانى ترجمه البخارى فى التاريخ الكبير (٦) وقال : (روى عنه ابن جريج) ولا أنه لم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ..

---

(١) الكهف (٩) .

(٢) تفسيره ٥/ ١٣٥ ط الشعب .

(٣) تفسيره ٥/ ١٤٤ ط الشعب .

(٤) تفسير الطبرى " جامع البيان " ١٥/ ١٩٩ ط الثانية .

(٥) انظر ص ٢٥٥ من هذا البحث .

(٦) التاريخ الكبير ٨/ ١٦٩ .

٣) وشعيب الجبائي : هو بن الأسود الجبائي بفتح الجيم والياء الموحدة المخففه من أقران طاوس ، أخذ عنه محمد بن اسحق وسلمة بن وهران ، له تراجم في عدة كتب منها التاريخ الكبير (١) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل الذي قال فيه :(شعيب الجبائي يماني ـ يروى عن الكتب أي الكتب المنسوبة لأهل الكتاب)(٢) .

وقال ـ صاحب لسان الميزان : اخباري متروك (٣) .

ومن خلال الترجمة يتضح ضعف هذا الخبر وأنه ـ مع ضعفه ـ منقول من أخبار القوم فلا حاجة لنا فيه البتة .

ويؤيد ما رجحناه قول صاحب البحر الاتي : (وأما أسماء فتية أهل الكهف فأعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط ، والسند في معرفتها ضعيف ، والرواة مختلفون في قصصهم ....

ولم يأت في الحديث الصحيح كيفية ذلك ولا في القرآن الكريم إلا ما قص تعالى علينا من قصصهم .. . (٤)

ويقول القرطبي : (وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسند في معرفتها واه) (٥)

---

(١) التاريخ الكبير ٤/ ٢١٨ .

(٢) الجرح والتعديل ٤/ ٣٥٣.

(٣) لسان الميزان ٣٠ / ١٥٠ .

(٤) تفسير البحر المحيط ٦/ ١٠١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٦٠ .

كما يؤيد ما قلنا به وتبنيناه قول صاحب أضواء البيان : ونصه : (واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسمائهم ، وفي أي محل من الأرض كانوا : كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيء زائد على ما في القرآن ، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها . (١)

١٣ـ قول المولى جل ذكره : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ...) (٢)

بعد أن فسر الأمام ابن كثير الآية السابقة تفسيرا مفيدا ، ومما جاء فيه أن الله تبارك وتعالى ـ يخبرنا عند اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال ، فدل على أنه لا قائل برابع ... الخ (٣)

ـ بعد ذلك ساق خبرا عن ابن اسحق عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق . قال ابن عباس رضي الله عنهما فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله يبكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر ، مكسلمينا وكان أكبرهم ، ويمليخا ... (٤)

علق عليه الحافظ بقوله : هكذا وقع في هذه الرواية ، ويحتمل أن هذا من كلام ابن اسحق ومن بينه وبينه ، فان الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية ... وفي تسميتهم بهذه الأسماء نظر في صحته والله أعلم (٥)

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٢٠ ط المدني .

(٢) الكهف (٢٢)

(٣) تفسيره ٥/ ١٤٤ ط الشعب .

(٤) المصدر السابق نفس الموضع .

(٥) تفسيره ٣/ ٧٨ ط الحلبي .

فان غالب ذلك متلقى عن أهل الكتاب وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) أى سهلا لينا ، فان الامر فى معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائده (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أى فانهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب ، أى من غير استناد إلى كلام عن معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق لا شك فيه ولا مرية فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والاقوال .

الباحث : عبدالله بن أبى نجيح ـ أحد رجال الإسناد ـ الثقفى ولاء أبو يسار المكى المفسر ، وثقه أحمد . (١)

قال يحى بن قطان : لم يسمع التفسير كله من مجاهد ، بل كله من القاسم عن أبى بزة ، روى عنه خلائق : منهم ابن اسحق ، وعبد الحميد بن جعفر وزكريا ابن إسحق . (٢) وقال الذهبى : (قال البخارى : فيه نظر) (٣)

وقال عنه الحافظ ابن حجر : ثقة رمى بالقدر وربما دلس من السادسة (٤) فضلا عن أن هناك راوى مجهول وهو قول مجاهد : (حدثت ...) ، وان ابن اسحق صدوق يدلس وقد روى هنا بالصنعة .

ونسبة العدد فى هذا الخبر وأنه من قول ابن عباس ، نسبة ذلك مخالف لما أخرجه الطبرى عنه فى اكثر من حديث ، فقد أفادت تلك الأحاديث أن ابن

---

(١) الكاشف ٢/ ١٣٢ .

(٢) المغنى فى الضعفاء ١/ ٣٦٠ .

(٣) الكاشف ٢/ ١٣٢ .

(٤) التقريب ١/ ٤٥٦ .

عباس رضي الله عنهما كان يقول : "إنهم - أصحاب الكهف - كانوا سبعة وثامنهم كلبهم" (١) .

يقول القاسمي في تفسيره عند هذه المناسبة : (ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله : (أنا من القليل الذي استثنى الله عزوجل كانوا سبعة) فهو من الموقوف عليه ، ولو رفع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وصح سنده لقلنا به ، على أنه اختلف على ابن عباس في عدتهم فروى عنه أنهم ثمانية حكاه ابن اسحق عن مجاهد عنه .

وروى عنه سبعة وهو حكاية قتادة وعكرمة عنه . (٢)

أنا : ومع ذلك يبقى قول ابن كثير هو الفيصل في هذا المتمثل في قوله (وفي تسميتهم بهذه الأسماء نظر في صحته ...) (٣) .

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ١٥/٢٢٦=٢٢٧ ط الثالثة .

(٢) تفسير القاسمي ١١/٤٠٤١ .

(٣) انظر ص من هذا البحث .

١٤ـ قوله تعالي:(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)[١].

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية الكريمة أثرا عن ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم ذلك هدد بن بدد ، وأضاف قائلا ... وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن اسحق ، وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراه. والله أعلم[٢].

١٥ـ قوله تعالي:(ويسئلونك عن ذى القرنين ، قل سأتلوا عليكم منه ذكرا)[٣].

عند شرحه لهذه الآية الكريمة ذكر ابن كثير سبب النزول ، وأنه بعث مشركي مكة إلي أهل الكتاب يسألون منهم ما يمتحون به النبي صلي الله عليه وسلم ، ثم ساق ابن كثير بعد ذلك أثرا ذكر أن الطبرى وغيره أوردوه وهو ضعيف.

والأثر هو عن عقبة بن عامر أن نفرًا من اليهود جاؤا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين ، فأخبرهم بما جاؤا له ابتداء ، فكان فيما أخبرهم به أنه كان شابا من الروم وأنه بنى الاسكندريه ، وآنه علا به ملك الي السماء ، ونهب به الي السد . ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب ، وفيه طول ونكاره ، ورفعة لايصح ، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى اسرائيل ، والعجب أن أبا

١ـ الكهف (٧٩).

٢ـ تفسيره ١٨١/٥ط الشعب وأنظر جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٢/١٦ط الثالثه ، وآلألوسي ٩/١٦ وزاد مع هدد ، مفواد بن الجلندى بن سعد الأزدى وكان بجزيرة الأندلس وجلندى كركر.

٣ـ الكهف (٨٣).

زرعة الرازى مع جلالة قدره ، ساقه بتمامه في كتاب دلائل النبوه وذلك غريب منه ـ اهـ (١).

قلت : آخرج هذا الأثر الطبرى كما ذكر الامام ابن كثير حيث قال : حدثنا أبو كريب عن زيد بن حباب ، عن ابن لهيعة ، عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب ، وساق الأثر[٢] ورجال الاسناد حالهم على النحو التالي :ـ

أبو كريب : محمد بن العلاء بن كريب الهمداني ، مشهور بكنيته ثقة حافظ ، من العاشرة ٠/ع[٣].

زيد بن الحباب : بضم المهملة وموحدتين ـ أبو الحسين العكلى بضم المهملة ، وسكون الكاف أصله من خرسان وكان بالكوفة ، ورحل في طلب الحديث وأكثر منه ، وهو صدوق يخطيء من التاسعة مات سنة ثلاث ومائتين ...[٤]

عبدالله بن لهيعة : الامام الكبير قاضى الديار المصريه ، وعالمها ومحدثها أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة بن عقبة ، حدث عن عطاء بن أبى رباح وغيره ، وحدث عنه ابن المبارك وغيره .

قال فيه الامام أحمد: من كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه واتقانه .

وقال فيه المحدث الكبير يحي القطان: ضعيف .

وقال فيه المحدث الكبير ابن معين : ليس بذاك القوى .

١ـ تفسيره ١٨٥/٥ط الشعب .

٢ـ تفسير الطبرى ٨/١٦ط الثالثة .

٣ـ التقريب : ١٩٧/٢ والتهذيب ٣٨٥/٩

٤ـ التهذيب ٤٠٢/٣

وقال فيه الحافظ الذهبي :- يروى حديثه في المتابعات ولا يحتج به[1] وفي التهذيب صدوق من السابعه ...[2]

قلت وبالجمله اختلفت أقوال المحدثين بشانه الا أنهم يكادون يجمعون على ضعفه وخاصة بعد احتراق كتبه ، وسمعت عن بعض المعاصرين من المعنين بهذا الشأن يحسنونه ، والله أعلم.

عبدالرحمن بن زياد أبو أيوب عبدالرحمن بن زياد بن أنعم المعافري قاضي أفريقيه ، ومن رواة البخاري في الأدب ، وأبي داود والترمذي والنسائي.

روى عن عبدالله بن يزيد وغيره ، وعنه الثوري وخلق ، وثقه يحي القطان ، وقال يعقوب ابن شيبه " رجل صالح من الأمريين بالمعروف " وضعفه ابن معين وابن المديني والنسائي والترمذي وقال أحمد: لا أكتب حديثه ، وقال مره: منكر الحديث ، وقال ابن مهدى : ما ينبغي أن يروى عنه الحديث ، وقال ابن حجر: ضعيف في حفظه[3].

شيخين من تجيب : لم أقف عليهما.

وعلي ضوء ما تقدم يظهر ضعف هذا الأثر ، لضعف رجاله جمله ولجهالة بعضهم وهو الراوى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، ولعل تعليق ابن كثير - رحمه الله - كاف - والله تعالي أعلم.

هذا وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - جزا من الأثر ثم قال (وهو حديث واهي السند) نقلا عن ابن عطيه[4].

١- ترجمته في المصادر التاليه : الميزان ٤٧٥/٢ ، والتاريخ الكبير ١٨٢/٥ وتذكرة الحفاظ ٢٣٧/١ - ٢٣٩ ، والكاشف ٢٨٥/١ ، والمغنى ٣٥٢/١

٢- التهذيب ٢٧٣/٥ - ٢٧٩

٣- ترجمة البخاري في الكبير ٢٨٣/١/٣ والصغير ١٨٠ والضعفاء ٢١٠ والنسائي في الضعفاء ١٩ وابن أبي حاتم في الجرح ٢٣٤/٢/٢ والخطيب في التاريخ ٢١٤/١٠ ، وابن حجر في التهذيب ١٧٣/٦ - ١٧٦.

٤- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٤٧/١١.

كما ذكره كلا من الشوكاني في فتح القدير[1] والألوسي في روح المعاني[2] والعلامه السيوطي في درة[3].

١٦- قوله تعالي :(وءاتينله من كل شيء سببا)[4].

عند هذه الآيه الشريفه ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - أقوال المفسرين في معنى الآية ، ومنها قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره - يعني علما[5]، ومنها أيضا قول قتاده : منازل الأرض وأعلامها[6] وهو حسن الاسناد ، ومنها أيضا قول عبدالرحمن بن زيد بن اسلم تعليم الألسنة.

قال :(كان لايغزو قوما الا كلمهم بلسانهم[7] واسناده صحيح لأن رجاله ثقات

ثم نقل - ابن كثير - أخيرا قول لابن لهيعة ... أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال لكعب الأحبار - رحمه الله - أنت تقول ان ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا[8]؟ فقال له كعب : ان كنت قلت : ذلك ، فان الله - سبحانه - قال :(وءاتينله من كل شيء سببا)[9].

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للقاضي الحافظ المحدث محمد بن علي الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ ٣١٠/٣. مطبعة الحلبي وأولاده بمصر.

٢- روح المعاني ٢٤/١٦ .

٣- الدر المنثور ٢٤١/٤ . (٤) - الكهف ٨٤

٥- أنظر تفسير الطبري ٩/١٦ ، وزاد المسير ١٨٥/٥، وتفسير القرطبي ٤٨/١١ والدر المنثور ٢٤٧/٤، ورجال الاسناد فيهم ضعف ، والله أعلم. اذا أخرجه الطبري عن عبدالله عن معاويه عن علي ، فعبد الله بن صالح بن محمد الجهني أبو صالح المصري ، صدوق كثير الغلط كما في التقريب ٤٢٣/١، ومعاوية بن صالح بن حدير صدوق له أوهام ، كما في التهذيب ٢٠٩/١٠ وعلي بن أبي طلحه سالم مولى بن العباس صدوق قد يخطئ كما في التهذيب ٣٣٩/٧ .

٦- الدر ٢٤٧/٤ .

٧- المصدر السابق نفس الموضع. ٨-

٩- تفسير ابن كثير ١٠١/٣ ط حلبي وأنظر تفسيره ١٨٦/٥ ط الشعب

ويعلق الامام الحافظ ابن كثير على فهم كعب للآية بقوله: وهذا الذي أنكره معاوية علي كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية رضى الله عنه في ذلك الانكار، فان معاوية كان يقول عن كعب: (ان كنا لنبلو عليه الكذب)، يعني فيما ينقله لأنه كان يتعمد نقل ماليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه أنها من الاسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف، مختلق ولاحاجة لنا مع خبر الله - تعالي - ورسوله صلى الله عليه وسلم الي شيء منها بالكلية[1].

ويردف قائلا: وتأويل كعب قول الله تعالي: (وءاتينه من كل شيء سببا، واستشهاده في ذلك علي ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق، فانه لاسبيل للبشر الي شيء من ذلك ...

وقد قال تعالي في حق بلقيس (وأوتيت من كل شيء)[2] أي مما يؤتى مثلها من الملوك .. وهكذا ذو القرنين، يسر الله له الأسباب، أي الطرق والوسائل الي فتح الأقاليم ... والبلاد والأراضي وكسر الأعداء ... قد أوتي من كل شيء مما يحتاج اليه مثله سببا والله أعلم[3].

قلت: قد يقول قائل: ان الرواية التي ذكرها ابن لهيعة عن كعب قد تكون من اختلاقه لانه ضعيف؟ وأجيب عن هذا التساؤل المحتمل بأن ابن كثير قد صرح في تفسيره بأن روايات ابن لهيعة تقبل في حالة تصريحه بالسماع، وعلي ضوء ذلك فان الرواية التي معنا من اسرائيليات كعب، والله أعلم.

١٧- قول الباري جل ذكره: (ثم أتبع سببا، حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)[4].

١- تفسيره ١٠١/٣ط حلبي وقارن بالكعب ١٨٦/٥

٢- النمل (٢٣).

٣- تفسيره ١٠١/٣ط حلبي.

٤- الكهف ٨٩ - ٩٠.

قال الامام ابن كثير: يقول تعالى : ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس الي مطلعها وكان كلما مر بأمة قهرهم وغلبهم ودعاهم الى الله عز وجل....

الى أن قال الامام ابن كثير : وذكر في أخبار بني اسرائيل أنه عاش الفا وستمائة سنة[1] يجوب الأرض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغارب...[2]

قال أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي في تفسيره (والذي عليه الكثير أن المسمى بالأسكندر بين الملوك السالفة اثنان بينهما نحو الفي سنة ، وأن أولهما هو المراد بذي القرنين ، ويسميه بعضهم الرومي ، وبعضهم اليوناني وهو الذي عمر دهرا طويلا فقبل الفا وستمائة سنه وقيل ألفي سنة ، وقيل ثلاثة آلاف سنة ، ولايصح في ذلك شئ[3].

١- ومثله في البحر المحيط لكن عن الحسن رحمه الله ١٥٨/٦ .

٢- تفسيره ١٩٠/٥ ط النصب .

٣- تفسير الألوسي ٢٥/١٦ - ٢٧ .

(سورة طـه)

١٨ـ قول الحق تبارك وتعالى :(قال فانا قد فتنا قومك من بعـدك وأضلهم السامرى)[١].

قال الحافظ ابن كثير: أخبر تعالى موسي عليه وعلى نبينـا الصلاة والسلام ـ بما كان بعده من الحدث فى بنى اسرائيـل وعبادتهم العجل الذى عمله لهم ذلك السامرى ، وفي الكتـب الاسرائيلية آن اسمه هـارون [٢].

قلت وقد ذكر أبو حيان عدة أسماء في ذلك ، اذ قال : قيـل موسي بن ظفر ، وقيل منجا وهو ابن خالة موسي أو ابن عمه أو عظيم من بنى اسرائيل أو ... الخ [٣].

وقريب منه القرطبى في تفسيره[٤] ، فيبقى الحكم الفيصـل للامام ابن كثير ، الذى اطلع علي كتب القوم ، وأفـاد بمـا يقطع الأقايل وليس في معرفة ذلك أى فائدة والحمد لله.

١ـ طـه (٨٥).

٢ـ تفسيره ٣٠٣/٥ ط الشعب.

٣ـ البحر المحيط ٢٦٨/٦ .

٤ـ الجامع لأحكـام القرآن الكريـم ٢٨٤/٧ ط دار الكتب.

١٩ـ قال تعالي :(فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما اتـلـن الله خير مما اتـاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون)[١].

قال ابن كثير:(ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت اليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك وقال بعضهم[٢] : أرسلت بلبنة[٣] من ذهب.

قال ابن كثير: والصحيح أنها أرسلت اليه بآنية من ذهب[٤].

ثم نقل عن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أن بلقيس أرسلت جواري في زي غلمان وغلمان في زي الجواري ...[٥]

وذكر بعضهم: أنها أرسلت اليه بقدح ليملأه ماء رواء لا من السماء ولا من الأرض ، فاجرى الخيل حتى عرقت ثم ملأه من ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ؟ وأكثره مأخوذ من الاسرائيليات والظاهر أن سليمان علي نبينا وعليه الصلاة والسلام لم ينظر الى ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكرا عليهم (أتمدونن بمال) أى أتمانعونني بمال لاثرككم علي شرككم وملككم ....)[٧].

١ـ النمل (٣٦).

٢ـ أنظر الطبرى ١٥٦/١٩ط الثالثه ، وفيه حدثنا عبد الأعلى ثنا مروان بن معاوية ، ثنا اسماعيل عن أبى صالح :(أرسلت بلبنة من ذهب..).

٣ـ اللبنة بفتح فكسر ، واحدة اللبن وهى التى يبنى بها الجدار.

٤ـ وبنحوه في الطبرى ١٥٥/١٩ط الثالثة .

٥ـ انظر الطبرى ١٥٥/١٩ ، والبغوى علي هامش الخازن ١٤٥/٥ ، وتفسير الخازن ١٤٥/٥ ـ ١٤٨ ط الثانية.

٦ـ انظر الجامع لأحكام القرأن (تفسير القرطبي ١٩٨/١٣ .

٧ـ تفسير ابن كثير ٢٠٠/٦ ـ ٢٠١ .

٢٠ـ قوله تعالى :(قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ...)[١].

قال ابن كثير في أثناء شرحه للآية الكريمة ما ملخصه :ـ ان سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام أمر الشياطين ، فبنوا لها قصرا عظيما من زجاج ، وأجرى تحته الماء[٢] ، فالذي لايعرف أمره يحسب أنه ماء ونقل ابن كثير ذلك عن مجاهد وعكرمه والقرظي والسدي وابن جريج وغيرهم ، ثم تابع نقله عمن سبقه كابن اسحٰق صاحب السيره بنحو ما تقدم.

ثم نقل أثرا آخر عن ابن أبي شيبه وصفه بأنه أثر غريب ، ومجمله ، كان سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام يجلس على سريره ، ثم توضع كراسي حوله فيجلس عليها الأنبياء[٣] ، ثم يجلس الجن ثم الشياطين ، ثم تأتي الريح فترفعهم ، ثم تظلهم الطير...

(قال نكروا لها عرشها ، فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) ؟ (قالت كأنه هو) قال : فسألته حين جاءته عن أمرين ، قالت لسليمان : أريد ماء ليس من أرض ولا سماء ، وكان سليمان اذا سئل عن شيء سأل الأنس ، ثم سأل الجن ... فقالت الشياطين : هذا هين ، أجر الخيل ثم خذ عرقها ، ثم املأ منه الأنية ... ، قال : وسألت عن لون الله عز وجل ، ؟ ؟

قال : فوثب سليمان عن سريره فخر ساجدا ، فقال : يارب لقد سألتني عن أمر انه ليتعاظم في قلبي أن أذكره لك ، فقال إ(ارجع فقد كفيتكم ، قال : فرجع الى سريره ، قال : ماسألت عنه قالت : ماسألتك الا عن الماء فقال لجنوده ماسألت عنه قالوا : ماسألتك الا عن الماء ، قال : فنسوه كلهم)[٤]

١ـ النمل (٤٤) .

٢ـ انظر تفسير الطبري ١٦٨/١٩(عن ابن حميد ثنا سلمه عن ابن اسحٰق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ...) وانظر البغوي والخازن ١٥٠/٥ـ ١٥١ط الثانيه .

٣ـ وقريب من هذا في البغوي والخازن ١٤٦/٥ وما بعدها ، وفي الرازي ٢٠٠/٢٤

٤ـ تفسيره ٣٦٥/٣ـ ٣٦٦ط حلبي .

قال الحافظ ابن كثير فى نهاية الأثر : هو منكر غريب جدا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس رضى الله عنهما - والله أعلم.

ويضيف الامام ابن كثير معلقا : والأقرب فى مثل هذه السياقات أنها متلقاه عن أهل الكتاب ، مما وجد فى صحفهم ، كروايات كعب ووهب ، سامحهما الله - فيما نقلاه الى هذه الأمة ، من أخبار بنى أسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان ومالم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ ، وقد أغنانا الله سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنه[1].

وبعد هذا التعليق من ابن كثير فسر الآية الكريمه تفسيرا مفيدا بقوله: أصل الصرح فى كلام العرب : هو القصر ، وكل بناء مرتفع ... ٢ وأردف قائلا : والغرض أن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكه ليريها عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأت ماآتاه الله - تعالى - وجلالة ماهو فيه ، وتبصرت فى أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبى كريم وملك عظيم فأسلمت لله عزوجل وقالت : (رب إنى ظلمت نفسى ...)[3].

وفى الطبرى :(قالت المرأة صاحبة سبأ (انى ظلمت نفسى ، فى عبادتى الشمس وسجودى لما دونك ، (وأسلمت مع سليمان لله ، تقول : (وانقدت مع سليمان مذعنه لله بالتوحيد مفردة له بالألوهية والربوبيه دون كل ماسواه)[4].

١- المصدر السابق نفس الموضع وانظر تفسيره ٢٠٤/٦- ٢٠٦ط الشعب.

٢- ونسبه القرطبى فى تفسيره الى أبى عبيده فى غريبه ٢٠٩/١٣ .

٣- تفسيره ٢٠٦/٦ط الشعب والآية ٤٤ سورة النمل

٤- تفسير الطبرى ١٧٠/١٩ .

٢١ـ قوله تعالى:(فجآءته احداهما تمشي علي استيحاء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ...)[١].

بعد ان شرح ابن كثير رحمه الله ـ الآية الكريمة السابقة ، ذكر اختلاف العلماء في ذلك الرجل من هو؟

وهل هو نبي الله شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدى وآخرون[٢] ، أو ابن أخي شعيب ، وهو قول وهب بن منبه وسعيد بن جبير[٣] ، أو رجل مؤمن من قوم شعيب ... أو ... الخ.

ثم رجح الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير: أن ذلك الرجل ليس بشعيب نبي الله .

وقوى كلامه بما يفيد ذلك ، ومما قاله:.. ولو كان المراد اياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا ، ثم أشار في معرض ايراده الأدلة على صحة ما نحب اليه أشار الى أن الموجود في كتب بني اسرائيل أن هذا الرجل اسمه ثيرون[٤].

قلت: وقد ساق الطبري أسماء عدة ، تفرعت من اختلاف المفسرين في ذلك الرجل ، ثم قال أخيرا: ان هذا لايدرك علمه الا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب[٥].

كما أن القرطبي ذكر الخلاف في ذلك ورجح أن والد الفتاتين هو نبي الله شعيب[٦].

١ـ القصص (٢٥).

٢ـ انظر تفسير البغوي على هامش الخازن ١٦٩/٥ .

٣ـ المصدر السابق نفس الموضع.

٤ـ تفسير ابن كثير ٣٣٧/٦ـ ٣٣٨ط الشعب وانظر حلبي ٣٨٤/٣ـ ٣٨٥ .

٥ـ تفسير الطبري ٦٢/٢٠ـ ٦٣ .

٦ـ تفسير القرطبي ٢٧٠/١٣ .

أنا : لعل الراجح هو أن ذلك الرجل غير شعيب نبى الله ، لما ساقه ابن كثير من الحجج ، واضيف اذا ماكان هو نبى الله شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام فهلا خدمه قومه !! بدل من نهاب ابنتيه لسقى الأغنام؟

٢٢- قوله تعالى:(فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين)[١].

نقل ابن كثير عن اسحق عن بعض من لايتهم عن وهب بن منبه قال: شجرة من العليق[٢] ، وبعض أهل الكتاب يقول أنها من الموسج[٣].

١- القصص (٣٠) .

٢- بضم العين وفتح اللام مشدده وياء ساكنه ، نبت يتعلق بالشجرة ويلتوى عليه ، كما فى اللسان ٢٦٥/١٠ .

٣- تفسيره ٢٤٤/٦ط الشعب ، والموسج شجرة كبيره كثيرة الشوك ، قال القرطبى : الموسج ، اذا عظم يقال له الفرقد ، وفي الحديث :(انه شجرة اليهود ، فاذا نزل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وقتل اليهود الذين مع الدجال فلا يختفى أحد منهم خلف شجرة الا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله الا الفرقد فانه شجر اليهود فلا ينطق . أخرجه مسلم ، أنظر القرطبى ٢٨٢/١٣ . والطبرى ٧١/٢٠ . وفى اللسان : شجر من شجر الشوك وله ثمر أحمر مدور ..... ١٤٨/٣ .

(سورة فاطر)

٢٣ـ قوله تعالى:(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا)[1].

قال أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ رحمه الله ـ يخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره ، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما ... ثم بعد ذلك نبه على حديث أورده ابن أبي حاتم ، قال في بدايته : حديث غريب بل منكر ، وعلق عليه في النهاية بقوله : والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الاسرائيليات المنكرة ، فان موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أجلّ من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم ... ثم أخذ يستدل على صحة ما ذهب اليه بآيات وأحاديث وآثار جمة على ما ارتضاه ...

فمن الآيات التي ساقها الحافظ ما وصف المولى نفسه بانه الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم ...) ، ونصها :(الله لا اله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم ...) البقرة. ٢٥٥

ومن الأحاديث ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ان الله لاينام ولاينبغي له أن ينام...)[2].

ومن الآثار: ما نقله عن الطبري[3] رحمه الله ... عن أبي وائل قال : جاء رجل الى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال : من لقيت ؟ قال : لقيت كعبا ، قال : ما حدثك كعبا ؟ قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك قال : أقصدقته أو كذبته ؟ قال : ما صدقته ولا كذبته ، قال : وددت أنك افتديت من رحلتك اليه براحتك ورحلها كذب كعب : ان الله تعالى يقول :(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) قال ابن كثير: وهذا اسناد صحيح الى كعب والى ابن مسعود[4].

١ـ فاطر (٤١) .

٢ـ تفسير ابن كثير ٥٤٣/٦ط الشعب

٣ـ تفسير الطبري ١٤٤/٢٢ .

٤ـ تفسير ابن كثير ٥٤٤/٦ط الشعب .

ويقول كاتبه ـ عفا الله عنه ـ: خلاصة الأثر الذى حكم عليه الحافظ ابن كثير بأنه اسرائيلى غريب منكر هو: ما قيل ان موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقع فى نفسه هل ينام الله ؟

ورجال اسناد هذا الخبر قد مضوا[1] فى البقرة ، وعرفت حالهم.

وأما الخبر نفسه فقد ذكر السيوطى أنه قد روى من غير طريق أبى هريره رضى الله عنه ، اذ قد روى عن عبدالله بن سلام وعن عكرمة[2].

وبالنسبة لأثر ابن مسعود رضى الله عنه ، فقد روى مثله عن ابن عباس رضى الله عنه[3] ، وعن قتادة رحمة الله[4] ، وروى عن مالك رحمه الله أنه قال : السماء لاتدور واحتج بهذه الآية...[5]

وجاء فى الدر المنثور أن أبا الشيخ فى العظمة والبيهقى قد أخرجا عن سعد بن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنه: أن موسى عليه السلام ، قال له قومه: أينام ربك ؟ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، فأوحى الله الى موسى أن خذ قارورتين فاملأهما ماء ففعل ، فنعس فنام فسقطتا من يده ، فانكسرتا ، فاوحى الله سبحانه الى موسى انى أمسك السموات والأرض أن تزولا ولو نمت لزالتا ، قال البيهقى ـ رحمه الله ـ هذا أشبه أن يكون هو المحفوظ[6].

وعلق صاحب البحر على أثر ابن مسعود رضى الله عنه السابق ، علق بقوله: ان السماء لاتدور وانما تجرى فيها الكواكب ، وكفى بها زوالا أن تدور ، ولو دارت لكانت قد زالت[7].

١ـ أنظر صـ٩٩ من هذا البحث

٢ـ الدر المنثور ٢٥٤/٥ .

٣ـ الكشاف ٣١٢/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٧/١٤ ، والبحر المحيط ٣١٨/٧

٤ـ الدر المنثور ٢٥٥/٥ .

٥ـ تفسير ابن كثير ٥٦١/٣ط حلبى.

٦ـ الدر المنثور ٢٥٥/٥ .

٧ـ البحر المحيط ٣١٨/٧ .

وفى نهاية المطاف نذكر مقاله صاحب أضواء البيان والذى عقد مبحثا بعنوان تنبيه: ومما جاء فيه: قوله تعالى :(ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ...)[1].

هذه الآية وامثالها فى القرأن الكريم كقوله تعالى:(ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) ، وقوله تعالى:(ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء)[2] ، وقوله تعالى:(وجعلنا السماء سقفا محفوظا)[3] ، ونحو ذلك من الآيات ، يدل دلاله واضحة على أن ما يزعمه ملاحدة الكفر ومن قلدهم من مطموس البصائر ممن يدعون الاسلام أن السماء فضاء لاجرم مبنى ، أنه كفر والحاد وزندقة ، وتكذيب لنصوص القرأن العظيم ، والعلم عند الله تعالى.

وقوله سبحانه:(إن الله بالناس لرءوف رحيم)[4] ، أى ومن رأفته ورحمته بخلقه أنه أمسك السماء عنهم ولم يسقطها عليهم ١ـ هـ)[5].

١ـ الحج (٦٥) .

٢ـ سبأ (٩)

٣ـ الأنبياء (٣٢)

٤ـ الحج (٦٥) .

٥ـ أضواء البيان ٧٤٣/٥ ـ ٧٤٤ .

والعجب أن صاحب فتح البيان قد ذكر الخبر الذى استنكره الحافظ ابن كثير ، العجب لأنه ـ كما قال ـ تفسير سلفى خالى من الاسرائيليات ٥٠٥/٧

(سورة ص)

٢٤ـ قول الحق تبارك وتعالى:(ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب)[1].

نقل ابن كثير عن ابن جرير ان اسم ذلك الشيطان المفهوم من " جسدا " صخرا وقيل ان اسمه آصف ، وقيل صروا و فيل[2].

ثم ذكر الى أن القصة ذكرت مبسوطة ومختصره فى أقوال المفسرين ، وتدور حول الخاتم ، وأن سليمان قد سلمه لآمن نسائه والتى تدعى فيما زعموا " جراده " ... ثم ذهاب ملك سليمان حتى انه يطلب الطعام فلا يطعم[3] !!.

قال ابن كثير عقب ذلك وهذه كلها من الاسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن ، ثنا محمد بن العلاء ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى :(والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، قال : أراد سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه ، وكانت الجرادة امرأته ، وكانت أحب نسائه .... الخ .

قال ابن كثير معلقا عليه : اسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ولكن الظاهر أنه انما تلقاه ان صح عنه من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لايعتقدون نبوة سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من ائمة السلف أن ذالك الجنى لم يسلط على نسائه بل عصمهن الله عز وجل تشريفا وتكريما لنبيه[4].

١ـ ص (٣٤) .

٢ـ أنظر تفسير الطبرى ١٥٦/٢٣ .

٣ـ المصدر السابق ١٥٧/٢٣ ـ ١٥٨ .

٤ـ تفسير ابن كثير ٥٧/٧ ـ ٦٠ط الشعب .

ويضيف ابن كثير معقبا ومعلقا : وقد رويت هذه القصه مطوله عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ، وجماعة آخرين ، وكلها متلقاه من قص أهل الكتاب ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب أ ـ هـ[1] .

ويقول مقيده : الحق ان المراجع التى رجعنا اليها من كتب التفسير تكاد تجمع على هذا الموقف الذى وقفه ابن كثير وهو موقف متحتم ، وذلك صيانة للجانب النبوى فجزاهم الله خيرا .

ولمشاركة القراء معى فى الوصول الى هذه النتيجة ننقل بعض أقوالهم :ـ يقول الزمخشرى : وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان ، وعبادة الوثن فى بيت سليمان فالله أعلم بصحته ، ثم قال : حكوا ... وساق قدرا من القصة وعقبها قال : ولقد أبى الملماء المتقون قبوله ـ الخبر ـ وقالوا :هذا من أباطيل اليهود ، والشيطين لايتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقموا فى تغيير الأحكام ، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح ... ا ـ هـ[2] .

ويقول النسفى : وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام فمن أباطيل اليهود[3] .

ونجد الخازن يعقد فصلا فى تنزيه داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام عما لايليق به وماينسب اليه ، حيث يقول : اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه ، وجعله

١ـ تفسير ابن كثير ٥٧/٧ ـ ٦٠ط الشعب .

٢ـ تفسير الزمخشرى (الكشاف) ٣٧٤/٣ ـ ٣٧٥ .

٣ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٢٩٧/٤ .

واسطة بينه وبين خلقه لايليق أن ينسب اليه مالو نسب الى آحد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب الى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك ...[1] ؟

وأما أبو حيان فيقول : فى هذه الفتنة والقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها ، يوقف عليها فى كتبهم ، وهى مما لا يحل نقلها واما هى من أوضاع اليهود والزنادقة ، ولم يبين الله الفتنة ماهى ولا الجسد الذى الذى القاه على كرسى سليمان ...[2]

وفى روح المعانى : ... ولا ينبغى لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها ، وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبى حتى يلتبس أمره عند الناس ، ويعتقدوا أن ذلك المتصور هو النبى ؟ ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبى نسأل الله تعالى سلامة ديننا وعقولنا ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض ، الله أكبر هذا بهتان عظيم وخطب جسيم .

ونسبت الخبر الى ابن عباس رضى الله عنهما لاتسلم صحتها ، وكذا لا تسلم دعوى قوة سنده اليه ... ثم ان أمر الخاتم فى غاية الشهرة بين الخواص والعوام ويستبعد جدا أن يكون الله تعالى قد ربط ما أعطى نبيه من الملك بذلك الخاتم !! وعندى أنه لوكان فى ذلك الخاتم السر الذى يقولون لذكره الله عز وجل فى كتابه ، والله أعلم بحقيقة الحال[3].

ويقول الشنقيطى فى تفسيره : وما يذكره المفسرون فى هذه الآية من الروايات لا يخفى سقوطها وأنها لاتليق بمنصب النبوة ، وما روى عن السلف

١ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل ٦/٤١ ـ ٤٢ ، وقد أجاد وأفاد ... وله فى غير هذا كبوات ... والحق هو الميزان .

٢ـ البحر المحيط ٧/٢٩٧ .

٣ـ روح المعانى ٢٣/١٨١ .

من أن الشيطان أخذ خاتم سليمان ... يوضح بطلانه قوله تعالى :(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)[١].

واعتراف الشيطان بذلك فى قوله :(الا عبادك منهم المخلصين)[٢]. ويقول كاتب البحث : وأقرب ما فى الفتنة أن المراد بها كونه لم يستثنى فى الحديث الذى قال :(لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ...). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(والذى نفسى بيده لوقال : ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون) فالمراد بقوله (ولقد فتنا سليمان) هو هذا والمراد بـ(والقينا على كرسيه جسدا) المولود شق رجل ، والله أعلم[٣].

١- الحجر (٤٢).

٢- أضواء البيان ٣٤/٧ - ٣٥ والآية ٤٠ سورة الحجر

٣- أنظر فتح البارى كتاب الأنبياء باب قوله تعالى :(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد أنه أواب ...) ٤٥٧/٦ - ٤٥٨ .

(سورة ق)

٢٥ـ قول الحق تبارك وتعالى :(ق والقرآن المجيد)[١].

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: (ق) حرف من حروف الهجاء المذكور في أوائل السور ، كقوله تعالى: (ص) و (ن) و (الم) ونحو ذلك ، قاله مجاهد وغيره...

ثم يخبرنا الحافظ ابن كثير بأنه قد روى عن بعض السلف أنهم قالوا : (ق) جبل محيط بجميع الأرض[٢] يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني اسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب.

وأضاف ابن كثير ناقدا لهذه الرواية وماشاكلها بقوله: وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاف بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم كما أفترى في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وائمتها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما بالعهد من قدم تكيف بأمة بني اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشريهم الخمور ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه...[٣]

قلت: لكن قد يعترض سائل فيقول : ما توجيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه :(حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج[٤]).؟

١ـ ق (١).

٢ـ أنظر تفسير الطبري ١٤٢/٢٦ ، والدر المنثور ١٠١/٨ ـ ١٠٢ .

٣ـ تفسير ابن كثير ٣٧٢/٧ ط الشعب ، وقارن بتفسيره ٢٢١/٤ حلبي.

٤ـ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن اسرائيل ٤٩٦/٦ ، وأخرجه الامام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ٤٦/٣ ط المكتب الاسلامي ، وأخرجه الترمذي أيضا ، أنظر تحفة الأحوذي في كتاب العلم ، باب ماجاء في الحديث عن بني اسرائيل ٤٣١/٧/٢٨٠٦ ـ ٤٣٢

يجيب الامام ابن كثير بقوله: وانما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله: (وحدثو عن بنى اسرائيل ولا حرج) فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه البطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل - والله أعلم.

ثم يبين الحافظ ابن كثير أن كثيرا من المفسرين قد ساهموا فى اشاعة حكايات أهل الكتاب فيقول: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب فى تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج الى أخبارهم ولله الحمد والمنة ، حتى ان الامام أبا محمد بن عبدالرحمن بن أبى حاتم الرازى - رحمه الله - أورد ههنا أثرا غريبا لايصح سنده عن ابن عباس رضى الله عنهما.

قلت وملخصه: أن الله تبارك وتعالى - خلق من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بالأرض ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعه عليه ...[1]

وبعد ذلك أورد ابن كثير أثر آخر ينقض ما رواه ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما الملخص آنفا ، وذلك الأثر هو: ما روى عن بن أبى طلحه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: (ق) هو اسم من اسماء الله تعالى[2].

يعقب عليه الحافظ بقوله: فهذا يبعد ماتقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما[3] ويقول الألوسى: (والذى أنهب اليه ، مانهب اليه القرافى من أنه لا وجود لهذا الجبل لشهادة الحس ، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك ...)[4].

ويقول الباحث - عفا الله عنه: - ذكر أبو الفداء أقوال المفسرين فى الحروف المقطعة فى سورة البقرة ، ثم ذكر قولا مال اليه وهو: (ان هذه الحروف ذكرت فى أوائل السور التى ذكرت فيها بيانا لاعجاز القرآن الكريم

١- تفسيره ٣٧٢/٧ - ٣٧٣ ط الشعب.

٢- ٣ - المصدر السابق نفس المكان.

٤- روح المعانى ١٥٦/٢٦.

وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها ، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره[1] عن المبرد وجمع من المحققين[2] ، وحكى القرطبي[3] ، عن الفراء وقطرب نحو هذا ، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر[4] واليه ذهب شيخ الاسلام العلامه الامام أبو العباس ابن تيمية ، وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي ، وحكاه لي عن ابن تيمية اهـ[5].

فهذا القول : الذي جنح اليه ابن كثير موافقة لشيخ الاسلام وشيخه المزي ، وللجمع العظيم من المحققين ، هذا القول : يدل عليه استقراء القرآن العظيم ، ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول : هو ما ذكره ابن كثير من أن السور التي افتتحت بالحروف لابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ، وبيان اعجازه وعظمته[6].

قال الشنقيطي :(وذكر ذلك ـ لفظ الكتاب ـ بعدها ـ الحروف المقطعة دائما دليل استقرائي ، على أن الحروف المقطعة قصد بها اظهار اعجاز القرآن وأنه حق)[7].

١ـ ٦/٢ ، وهو عنده الوجه العاشر من احدى وعشرين وجها لكن المختار عنده : أن معناها : تنبيه قدم على القرآن الكريم ، ليبقى السامع مقبلا على استماع ما يرد عليه ، فلا يفوته شيء من الكلام الرائع والمعنى الفائق اهـ بتصرف انظر تفسيره (التفسير الكبير) ١٤٥/٢٨ ـ ١٤٦ .

٢ـ في الرازي : وجمع عظيم من المحققين .

٣ـ الجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١ .

٤ـ الكشاف ٩٣/١ ـ ١٠٨ .

٥ـ تفسير ابن كثير ٣٨/١ط حلبي .

٦ـ المصدر السابق نفس الموضع.

٧ـ أضواء البيان ٥/١ .

وهـذا القول قد يكـون راجحا ، لولا ما روى عن أبى بكـر وعمـر وعثمان وعلى فـى روايـة وابن مسعود رضى الله عنهم وكبار التابعين وتابعيهـم كالشعبى عامر بن شراحيل وسفيـان الثورى وجماعة من المحدثين :(هى سـر الله فى القرآن ، وهى من المتشابه الذى انفرد الله بعلمه ، ولا يجوز أن يتكلـم فيهـا ، ولكـن يؤ من بهـا وتمـر كما جاءت[1].

فعليه يكـون هو الراجـح عنـدى والله تعالـى أعلـم.

١ـ انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطيـه ١٣٨/١ ـ ١٤٠ط مصر ، وأنظر الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١ ـ ١٥٧ . وتفسير البحر المحيط ٣٤/١ ـ ٣٥ ، وتفسير ابن كثير ٣٥/١ـ ٣٩ط حلبى.

" سورة الفجر "

٢٦ـ قوله تعالى : " إرم ذات العماد " (١)

فسر عماد الدين الاية الكريمة السابقة بقوله : (إن المراد (إرم) عاد الأولى وهم أولاد عاد بن عوص بن سام بن نوح وعلى ما قاله ابن اسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا على نبينا وعليه الصلاة والسلام فكذبوه وخالفوه ...) (٢)

ثم بعد ذلك قال الحافظ ابن كثير : (ومن زعم أن المراد بقوله تعالى : " إرم ذات العماد " مدينة دمشق كما روى سعيد ابن المسيب وغيره أو مدينة الإسكندرية كما روى محمد القرظي وغيره أو غيرهما ففيه نظر) (٣)

ثم يعلل الحافظ ذلك النظر بقوله : (كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان فانه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم إن المراد إنما هو الإخبار عن اهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو اقليم) (٤)

وأضاف ابن كثير قائلا : (وانما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الاية الكريمة من ذكر مدينة يقال لها : " إرم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها ، وبساتينها ، وأن حصباءها اللآلئ وجواهر وترابها بنادق المسك ..... وانها تنتقل ، فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ... فان هذا كله من خرافات الاسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس من أن تصدقهم في جميع ذلك) (٥)

---

(١) "الفجر" "٧"

(٢) تفسيره ٨/ ٤١٨ الشعب.

(٣) المصدر السابق الموضع نفسه.

(٤) المصدر السابق الموضع نفسه.

(٥) المصدر السابق الموضع نفسه.

حتى ان العلامة ابن العربي قال :(وتحقيق المسألة : انها دمشق ،لانها ليس في البلاد مثلها ،وقد ذكرت صفتها وخبرها في كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة ٠٠٠٠ وإن في الاسكندرية لعجائب لولم يكن الا المنار فانها مبنية الظاهر والباطن على العمد ، ولكن لها مثال ،فأما دمشق فلا مثال لها ٠٠٠٠) (١)

وابن حيان في بحره يرجح كونها مدينة فقط ، ويعلل ذلك بقوله : (لقوله تعالى : " لم يخلق مثلها في البلاد ") (٢)

وتنبيه الحافظ اليابق ، والمتعلق بنفي تلك المدينة المزعومة في محله ٠

وذلك لورود اثار تفيد باكتشافها في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

ومن تلك الاثار : ماروي عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج ذات يوم لطلب ابل له ٠٠٠٠ وخلاصته أنه وقف على تلك المدينة ،أوقريب منها ،فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه ، فأرسل اليه ،فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما رأى ،فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار ،فلما أتاه ،قال : ياأبا اسحاق ، " هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال :نعم هي إرم ذات العماد ،بناها شداد ٠٠٠٠ ثم قال معاوية : حدثني حديثها ،فحدثه) (٣)

يعلق الحافظ ابن كثير ـ غفر الله لي ولمـ على خبر وقصة عبد الله بن قلابة بقوله : " فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ،ولو صح ذلك إلى ذلك الأعرابي فقد اختلق ذلك ، أوأنه أصابه نوع من الهوس والخبال ،فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ٠

ويضيف معقبا : " وهذا مما يقطع بعدم صحته ،وهذا قريب مما يخبر به كثير

---

(١) احكام القران " ٤/ ١٩٣١ـ١٩٣٢ ٠

(٢) "البحر المحيط" ٨/ ٤٦١ ٠

(٣) " الكشاف" ٤/ ٢٥٠ ٠ و" مفاتيح الغيب" ٣١/ ١٦٧ ٠ وتفسير النسفي " ٥/ ٣٦٠ ٠ و" تفسير الخازن " ٧/ (وتفسير ابوالسعود ٥/ ٢١ ٠

من الجهلة والطامعين ،والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض ،فيها قناطير الذهب والفضة ،والوان الجواهر واليواقيت،واللآلئ ... لكن عليها موانع تمنع من وصول إليها والأخذ منها ،فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ...ونحو ذلك من الهذيان .... والذى يجزم به أن فى الأرض دفائن جاهلية واسلامية، وكنوز كثيرة من ظفر بشىء منه أمكنه تحويله ،فأما على الصفة التى زعموا ،فكذب وافتراء ...ولم يصح فى ذلك شىء مما يقولونه الاعن نقلهم ،أونقل من أخذ عنهم ،والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب) (١)

والشوكانى ـ ايضا ـ يرد تلك المزاعم التى ذكرت قصة مدينة الذهب بقوله :((وهذا كذب بحت لاينفق على من له أدنى تمييز ... ،وقد أصيب الاسلام وأهله بداهية دهياء وفاقرة عظمى ،ورزية كبرى من أمثال الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بنى اسرائيل ،وتارة على الانبياء ،وتارة على الصالحين ،وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لاعلم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها ،للتصنيف والتفسير لكتاب الله العزيز ، فأدخلوا هذا الكذب وهذه الخرافات المختلقة ،والأقاصيص المنحولة ،والأساطير المفتعلة فى تفسير كتاب الله سبحانه ،فحرفوا وبدلوا .....)) (٢)

والألوسى يذكر تلك الأقاويل ـ قصة مدينة الذهب ـ ثم يعقب فيقول : (هذا فيه ضعف ،بل لم تصح روايته ،كما ذكره ابن حجر ،فهو موضوع ...) (٣)

ونختم هذه النقول القيمة والدفاع المستميت ،وكلمات الحق بقول القاسمى : ((يقول العلامة ابن خلدون : وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شىء من بقاع الأرض وصحارى عدن التى زعموا أنها بنيت فيها وسط اليمن ، وما زالوا عمرانه متعاقبا والأدلاء تقص أطرافه من كل وجه ،ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولاذكرها أحد من الإخباريين ،ولامن الأمم ولو قالوا : انها درست فيما درس من الآثار لكان أشبه ،الا أن ظاهر كلامهم انها موجودة ، وبعضهم يقول : انها دمشق ،بناء على ان قوم عاد ملكوها ،وقد انتهى الهذيان ببعضهم الى أنها غائبة وانما يعثر عليها أهل الرياضة والسحر ،مزاعم كلها أشبه بالخرافات .... ثم وقفوا ـ أى المفسرون ـ على تلك الحكايات التى هى أشبه بالأقاصيص الموضوعة ،التى هى أقرب الى الكذب المتقولة فى عداد المضحكات ... وأى ضرورة الى هذا المحمل البعيد الذى تحملت لتوجيهه لامثال هذه الحكاية الواهية التى ينزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (٤)

(١) تفسيره ٨/ ٤١٨ الشعب.
(٢) روح المعانى ٣٠/ ١٢٣.
(١) تفسيره ٨/ ٤١٨ الشعب.
(٢) فتح القدير ٥/ ٢٢٥ ـ ٥٢٣.
(٤) محاسن التاويل ١٧٠٠/ ٦١٤٨.

المبحث الثاني

تصريحه بأن هذه الآثار لم يقم عليها دليل صحيح وأنها مخالفة للنقل الصحيح أو العقل السليم

المبحث الثانى:- تصريحه بأن هذه الآثار غريبة ، ولم يقم عليها دليل صحيـــح .

يذكر العلامة ابن كثير عند تفسيره لبعض آى القرآن الكريم أثـــارا متنـــوعة ، وعندما لا يجد ما يعضدها من الآثار الصحيحة يجزم بأنه لم يرد ما يؤيد ذلك ، وأحيانا تكون تلك الآثار مخالفة للعقل السليم والنقـــل الصحيـــح .

(سورة الفاتحة)

٢٧- قوله تعالى:(الحمد لله رب العلمين)[١] .

نقل ابن كثير عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى الآية السابقة أنه قال :(الأنس عالم ، والجن عالم ، وما سوى ذلـــك ثمانية عشر ألفا أو أربعة عشر ألف عالم - هو يعلم - الملائكة على الأرض وللأرض أربع زوايا ... الخ)[٢].

علق على ذلك الحافظ بن كثير بقوله :(وهذا الكلام غريب يحتاج مثله الى دليل صحيح)[٣].

قلت: أخرج هذا الأثر ابن جرير الطبرى فى تفسيره[٤] وعلق الاستـــاذ أحمد شاكر على كلام ابن كثير ، بأنه حق[٥] ، وذكر الأثر السيوطى فى الدر[٦].

وبالنسبة لرجـــال الاسنـــاد حالهـــم على النحو التالـــى :-

١- رجال ابن كثير:-

١ - أبو جعفر الرازى :-

عيسى بن أبى عيسى عبدالله بن ماهان ، وأصله من مرو ، .... صدوق سيء الحفظ ... ، من كبار السابعة /بـخ [٧].

١- الفاتحة (١) . ٢/٢- تفســـيره ٢٣/١ - ٢٤ .

٥/٤- تفسير الطبرى ١٤٦/١، المحققة للأخـوين .

٦- الدر المنثور ١٣/١ .

٧- تقريب التهذيب ، ٤٠٦/٢ وتاريخ بغداد ١٤٣/١١ - ١٤٧ .

ب- الربيع بن أنس :-

هو الربيع بن أنس البكرى ، أو الحنفى ، بصرى ، صدوق ، له أوهام ، رمى بالتشيع من الخامسة ، عم ، مات سنة أربعين أو قبلها[١] .

جـ - أبو المالية :-

رفيع - بالتصغير - ابن مهران ، أبو المالية ، البصرى ، الفقيه المقرى ،... رأى أبا بكر وقرأ القرأن الكريم على أبى وغيره ، وسمع من عمروا بن مسعود وعائشة رضى الله عنهم ، وطائفة .

وعنه قتادة وخالد الحذاء ، والربيع بن أنس وطائفة ، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما[٢].

قال الحافظ ابن حجر : ثقة كثير الارسال ، من الثانية ، مات سنة تسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وقيل بعد ذلك ٠/ع [٣].

٢- رجال الطبرى :-

ا - أحمد بن حازم الغفارى :-

هو أحمد بن حازم بن محمد بن يونس ... الغفارى ، ترجم له الحافظ ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ولم يذكر من خلال الترجمه فيه جرحا ولا تعديلا[٤].

١- التقريب ٢٤٣/١ .

٢- تذكرة الحفاظ ٦١/١ - ٦٢ .

٣- التقريب ٢٥٢/١ .

٤- الجرح والتعديل ٤٨/٢ .

ب ـ عبيدالله بن موسى :ـ

عبيدالله بن موسى بن أبى المختار ، باذام ـ بموحدة واعجام الذال ـ العبسى ، الكوفى ، وأبو محمد ، ثقه ، كان يتشيع ، من التاسعة ، قال أبو حاتم : كان أثبت فى اسرائيل من أبى نعيم واستصفر فى سفيان الثورى ، مات سنة ثلاث عشرة على الصحيح / ع [1] .

أنا :ـ

يلاحظ أن رجال الاسناد فى هذا الأثر نصفهم ثقات ، ونصفهم وصفوا بـ(صدوق)واحد بين بين لذلك يصعب الحكم الجازم على هذا الأثر ، ويبقى كما نبه ابن كثير ـ أثرا غريبا والغريب فى اصطلاح ابن كثير مرادفا للضعف واحيانا يراد به الموضوع واذا قال : غريب جدا فهو موضوع دون أى نزاع ، والله أعلم .

١ـ التقريب ٥٣٩/١ ـ ٥٤٠ .

(سورة البقره)

٢٨ـ قول الباري جل ذكره :(واذ قلتم يٰموسى لن نؤ من لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصٰعقة وأنتم تنظرون)[١].

قال ابن كثير :ـ وقد أغرب الرازى فى تفسيره حين حكى قصة هؤلاء السبعين أنهم بعد احيائهم ، قالوا يا موسى: انك لاتسأل من الله شيئا الا أعطاك ، فأمره أن يجعلنا أنبياء فدعاه بذلك ، فأجاب الله دعوته[٢]!!.

ويضيف ابن كثير معقبا على هذا بقوله: وهذا غريب جدا ، اذ لا يعرف فى زمن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ نبى سوى هارون ثم يوشع بن نون عليهما السلام.

وقد غلط أهل الكتاب ـ أيضا ـ فى دعواهم أن هؤلاء رأو الله سبحانه فان موسى الكليم عليه السلام ، قد سأل ذلك فمنع منه ، فكيف يتسالله هؤلاء السبعون[٣] ؟

والتعليق الأخير من أبى الفداء اقتبسه القاسمى فى تفسيره وأردف قائلا :(وقد رأيت دعواهم المذكورة فى الفصل الرابع والعشرين فى سفر الخروج وهذا من المواضع المحقق تحريفها ، ويدل عليه ما فى الفصل الثالث والثلاثين من السفر المذكور ، أنه تعالى قال لموسى :(لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الأنسان لايرانى ويعيش اـ هـ)[٤].

١ـ البقره (٥٥) .

٢ـ تفسير ابن كثير ٩٤/١ط حلبى ، وأنظر مفاتيح الغيب ٨٤/٣ ، ونسبه الفخر الى السدى

٣ـ تفسيره ٩٤/١ط حلبى .

٤ـ تفسيره " القاسمى" ١٢٨/١ .

٢٩ـ قوله تعالى :(... وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت .)[١]

" ما " في قوله تعالى :(وما أنزل على الملكين ، موصولة ، وهي معطوفة على السحر في قوله تعالى :(يعلمون الناس السحر) أي يعلمون الناس السحر ، ويعلمونهم الذي أنزل على الملكين .

والذي أنزل عليهما هو وصف السحر ، وما هيئته ، وكيفية الاحتيال به ليعرفه الناس فيجتنبوه ، على حد قول الشاعر :ـ

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

فالشياطين عرفوه فعملوا به ، وعلموه للناس ، ليستعملوه في الشر والمآثم بينما المؤمنون عرفوه واستفادوا من الاطلاع عليه فتجنبوه[٢] .

واللام في "الملكين" مفتوحة في القراءات العشر المتواترة ، وقرئ شاذا " الملكين " بكسر اللام .

قال بعض المفسرين : المراد بالملكين " بفتح اللام " رجلان صالحان اطلعا على اسرار السحر التي كانت تفعلها السحرة ، فعلماها للناس ، ليحذراهم من الانقياد لتلبيسات الشياطين ، وسميا ملكين مع أنهما من البشر لصلاحهما وتقواهما ، واستشهد ا ـ أصحاب هذا الرأي ـ بقراءة الملكين ـ بكسر اللام مع شذونها . !!

١ـ البقرة (١٠٢) .

٢ـ هذا وفي اعراب " ما " في قوله تعالى :(وما أنزل على الملكين) أراء عده اكتفيت عنها بما ذكرت لوفائه بالغرض ، انظر مثلا تفسير القرطبي ٢/٥٠ ـ ٥١ ، وقد رجح القرطبي أن " ما " نافية ومعطوفة على قوله " وما كفر سليمان " وما رجحناه أورده بصيغة التمريض ، والعلم عند الله .

وقال جمهور المفسرين انهما ملكان على الحقيقة أنزلهما الله ـ تعالى ـ ليعلما الناس السحر ابتلاء لهم، ليفضحا مزاعم السحرة الذين كانوا يدعون النبوة كذبا ، ويسخرون العامة لهم ، ويخرجونهم الى عبادة غير الله ـ تعالى ـ و (هاروت وماروت) اسمان للملكين الذين أنزل عليهما السحر وهما بدل أو عطف بيان للملكين .

قال الامام ابن كثير بعد أن ذكر معنى ما ذكرناه ، وزاد ذكر الحديث الذى أخرجه الامام أحمد فى مسنده ، وتكلم على هذا الحديث ، بعد ذلك قال : وقد ورد فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى ومما قاله أيضا : فدار الحديث ورجع الى نقل كعب الأحبار عن كتب بنى اسرائيل ، والله أعلم[1].

وروى عن الحسن وقتاده وأبى العاليه وغيرهم مثله وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها الى أخبار بنى اسرائيل ، اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح ، متصل الاسناد ، الى الصادق المصدوق المعصوم الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

وفى البداية والنهاية يقول : ومن الملائكة المنصوص على اسمائهم فى القرآن الكريم هاروت وماروت فى قول جماعة كثيرة من السلف ، وقد ورد فى قصتهما وما كان من أمرهما أثار كثيره غالبها اسرائيليات...[3]

قلت: وقد تصدى لهذه القصه الاسرائيلية عدد من المفسرين ، والمحدثين ، منهم القرطبى ، والذى قال بعد أن ساقه الخبر :ـ هذا كله ضعيف ، ويبعد عن ابن عمر وغيره ، لايصح منه شئ ، فانه قول يرفعه الأصول فى الملائكة ، الذين هم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه الى رسله " لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون "...[4]

١ـ تفسيره ١٩٩/١ط الشعب .

٢ـ = ١٠٣/١ط الشعب .

٣ـ البداية والنهاية ٤٣/١ .

٤ـ التحريم (٦) .

" بل عباد مكرمون ، لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون "[1] ... وقد نزّهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون ، سبحان ربك رب العزه عما يصفون[2] .

ولبعض المعاصرين تحقيقات جيده ، أحببت الاشارة اليها فمنهم ، الألبانى الذى أفاد فى سلسلة الأحاديث الضعيفة أن الحديث باطل ، وأضاف قائلا : وقد استنكر الحديث جماعة من الأئمة المتقدمين ، فقد روى حنبل الحديث من طريق أحمد ، ثم قال : قال أبو عبدالله (يعنى الامام أحمد):"هذا منكر ، وانما يروى عن كعب " ...[3]

وقال ابن أبى حاتم : سألت أبى عن هذا الحديث ؟ فقال: هذا حديث منكر ...[4] ، ويقول أبو شهبة : وكل هذا من خرافات بنى اسرائيل ، وأكاذيبهم التى لايشهد لها عقل ولا نقل ، ولا شرع ، ولم يقف بعض رواة هذا القصص الخرافى الباطل عند روايته عن بعض الصحابة والتابعين ، ولكنهم أوغلوا باب الاثم ، والتجنى الفاضح ، فالصقوا هذا الزور الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ورفعوه اليه ...[5].

ويضيف أبو شهبة قائلا : ولا ينبغى أن يشك مسلم عاقل فى أن هذا الحديث موضوع على النبى صلى الله عليه وسلم ...[6].

ومما جاء فى ذلك الخبر ، رفع تلك المرأة الى السماء وتعرف بالزهرة ... الخ ، فى ذلك بهتان بين فى زيف الخبر ، اذ كيف ترفع الفاجرة الى السماء ، وتصبح كوكبا مضيئا ...

١ـ الانبياء " ٢٦ـ ٢٧ " .

٢ـ تفسير القرطبى ٥٢/٢ ، وأنظر مفاتيح الغيب ٢١٩/٣ .

٣ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة ٢٠/١ـ ٢٠٧ و ٣١٤/٢ـ ٣١٥ .

٥ـ أنظر تفسير ابن جرير ٣٦٤/٢ ، وتاريخ بغداد ٤٢/٨ـ ٤٣ ، والدر المنثور ٩٧/١ ، ٩٨ .

٦ـ الاسرائيليات والموضوعيات ... ص ٢٢٤ ـ ٢٣٣ بتصرف .

ورحم الله ابن كثير حين قال : وظاهر سياق القرآن اجمال القصه من غير بسط ولا اطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ماأراد الله - تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال[1] ، فهذا الكلام حق ، وجميع تلك الأخبار من خرافات اليهود ، والعلم عند الله تعالى .

١- تفسيره ٢٠٣/١ ط الشعب وقارن بالطبري ١٤١/١ .

(سورة المائـــده)

٣٠ قوله تعالى :(قالوا يٰموسى ان فيها قوما جبٰـرين)[١] .

فسر ابن كثير ـ رحمه الله ـ معنى (جبارين) بقوله : انهم ذوى خلق هائله ، وقوى شديده ...

ثم ساق بعد ذلك أثرين نقلا عن ابن جرير ـ رحمه الله ـ وابن أبـــى حاتم غفر الله له ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ومفادهـــما أن الأثنى عشر رجلا الذين بعثهم موسى ليأتوه بخبر القوم رأوا أمرا عظيما من هيئتهم ـ الجبارين ـ وجثتهم وعظمهم وأنهم دخلوا حائطا لبعضهم ، فجاء صاحب الحائط ليجني الثمار من حائطه ، فجعل يجني الثمار ، وينظر الـــى آثارهم ، فتتبعهم ، فكلما أصاب واحدا منهم أخذه ، فجعله فى كمه مـــع الفاكهة ، حتى التقط الاثنى عشر كلهم ، !! فجعلهم فى كمه مع الفاكهـــة ، وذهب الى ملكهم ، فنثرهم بين يديه ، فقال الملك : قد رأيتم شأننـــا ، وأمرنا ، فانهبوا ، فاخبروا صاحبكم ... علق الحافظ ابن كثير على هـــذا بقوله : وفى اسناده نظر[٢] ، ثم بعد ذلك قال : وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بنى اسرائيل فى عظمة هؤلاء الجبارين ، وأنه كان فيهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائـــة وثلاثون ذراعا ، وثلث ذراع ... ، الى أن قال الحافظ : وهذا شئ يستحـــى ذكـــره ، ثم هو مخالف لما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال :(ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حـــتى الآن ...)[٣] .

١ـ المائـــده (٢٢) .

٢ـ تفسيره ٣٨/٢ حلبى وأنظر الرازى ١٩٧/١١ ، والدر المنثور ٢٦٧/٢ .

٣ـ تفسيره ٧٠/٣ ـ ٧١ الشعـــب .

الباحث : صرح الحافظ ابن كثير: بأن هذا الخبر فى اسناده نظر ، وأنه من وضع بنى اسرائيل ، وأنه مخالف للسنة الصحيحة ، وقد ذهب الى هذا الاتجاه عدد من المفسرين ، ونكتفى ببعض منهم :-

يقول صاحب البحر المحيط :(وذكروا من خلق هؤلاء الجبارين وعظم أجسامهم ... مالم يثبت بوجه)[1].

ويقول الشوكانى :(وقد روى نحو هذا - الخبر السابق - مما يتضمن المبالغة فى وصف هؤلاء وعظم أجسامهم ، ولا فائدة فى بسط ذلك ، فغالبه من أكاذيب القصاص ... ولم يأت فى خبر وأمر هذا الرجل " عوج " ما يقتضى تطويل الكلام فى شأنه ، وما هذا بأول كذبة اشتهرت فى الناس ولسنا بملزومين بدفع الأكاذيب التى وضعها القصاص ، ووقفت عند من لايميز بين الصحيح والسقيم ، فكم فى بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا ، وأقاصيص كلها حديث وخرافة ...)[2] .

وفى فتح البيان :(وقيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين لقيهم عوج بن عنق ، وكان كذا وكذا ...

وهذه القصة التى ذكرها كثير من المفسرين[3] ، والمحققين من أهل الحديث على أنها لأصل لها ولا عوج ولا عنق[4] .

والألوسى يقول :(... قد شاع أمر عوج عند العامة ، ونقلوا فيه حكايات سخيفة ، وفى فتاوى العلامة ابن حجر ، قال الحافظ العماد بن كثير: قصة عوج وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له ، وهو من مختلقات أهل الكتاب ، ولم يكن قط على عهد نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ولم يسلم

١- البحر المحيط ٤٤٤/٣ .

٢- فتح القدير ٢٧/٢ - ٢٩ .

٣- أنظر مثلا مفاتيح الغيب ١٩٧/١١ والبغوى على هامش الخازن ٢٥/٢ - ٢٦

٤- فتح البيان ٤٦٤/٣ .

من الكفار أحد ، وقال ابن القيم: من الأمور التى يعرف بها كون الحديث موضوعا أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج الطويل ، وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله تعالى ، انما العجب ممن يدخل هذا الحديث فى كتب التفسير وغيره ولا يبين أمره ، ثم قال : ولا ريب فى أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام واتباعهم ...).

وأستمر الألوسى - رحمة الله - فى نقل أقوال العلماء التى مفادها نفى تلك القصة وتبين زيفها وتخريفها[1].

وقد أخرج الطبرى الأثر الذى معنا وعلق عليه الشيخ/ أحمد شاكر بقوله:(وسبحان الله !! كيف كان يبالغ هؤلاء الرواة من أصحاب الاسرائيليات ؟)[2].

١- روح المعانى ٦/٧٧ - ٧٨ .

٢- تفسير الطبرى ١٠/١٧٢ - ١٧٣ ، بتحقيق محمود وأحمد شاكر.

(سورة مريم)

٣١ـ قوله تعالى :(يـأخت هـرون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيـا)[1].

ذكر أبو الفداء عند هذه الآية الكريمة اختلاف العلماء في قوله سبحانه " ياأخت هـرون " .

فالسدى مثلا يروى عنه أن المراد بذلك :(يا من كنتم من نسل هارون أخي موسى كما يقال للتميمى ، ياأخا تميم).

وقيل : بأنها نسبت الى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون .... الخ تلك الأقوال وفى بعضها غرابة[2] ، وأغرب من هذا كله ماروا ه ابن أبى حاتم ... عن القرظى أنه قال فى قول الله تعالى:"ياأخت هارون" قال هى أخت هارون لأبيه وأمه ، وهى أخت موسى أخى هارون التى قصت أثر موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام :(فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون)[3].

علق الحافظ اسماعيل بن كثير على هذا بقوله :(وهذا القول خطأ محض فان الله ـ تعالى ـ قد ذكر فى كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل ، فدل على أنه آخر الأنبياء بعثا ، وليس بعده الا محمد صلوات الله وسلامه عليهما ، ولهذا ثبت فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بينى وبينه نبى)[4] ، ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظى لم يكن متأخر عن الرسل سوى محمد ، ولكان قبل سليمان وداود ، فان الله ـ تعالى ـ قد ذكر أن داود بعد موسى فى قوله تعالى:(ألم

١ـ مريم (٢٨) .

٢ـ أنظر مثلا " جامع البيان عن تأويل آى القرآن ١٦/٧٧ ـ ٧٨ ، ومفاتيح الغيب ٢١/٢٠٧ ـ ٢٠٨ ، وتفسير النسفى ٣/١٦١ .

٣ـ القصص (١١) .

٤ـ فتح البارى ٦/٤٧٧ وما بعدها .

تر الى الملإ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله)[1] ، وذكر القصة الى أن قال سبحانه - (وقتل داود جالوت)[2] .

ويخيف الحافظ قائلا :(والذى جرى القرطبى على هذه المقاله ما فى التوراة بعد خروج موسى وبنى اسرائيل من البحر واغراق فرعون وقومه قال : وقامت مريم[3] ، بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هى والنساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بنى اسرائيل ، فاعتقد أن هذه هى أم عيسى ، !! وهذه هفوة وغلطة عديدة ، بل هى باسم هذه ، وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم ، ثم أخذ يستدل على صحة ما ذهب اليه بقوله صلى الله عليه وسلم:(ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم)[4].

الباحث : هذا الحديث أخرجه ابن أبى شيبة والامام أحمد وعبد بن حميد وشيخ الاسلام مسلم والترمذى والنسائى والبيهقى فى الدلائل وغيرهم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال :(بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نجران ، فقالوا : أرأيت ما تقرءون " يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال : فرجعت ، فذكرت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :(ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم)[5] .

١- البقرة (٢٤٦) .

٢- البقرة (٢٥١) .

٣- قال صاحب أضواء البيان : والمؤرخون يقولون: ان أخت موسى المذكورة فى قوله تعالى (اذ تمشى أختك ..) اسمها مريم ٤٠٩/٤ .

٤- تفسيره ٢٢٢/٥ ، والحديث رواه الامام مسلم والامام احمد وغيرهما ، أنظر صحيح مسلم على النووى كتاب الآداب باب بيان ما يستحب من الاسماء ١١٦/١٤- ١١٧ ، ومسند الامام أحمد ٢٥٢/٤ ، وذكر نحوه الطبرى فى تفسيره ٧٧/١٦ - ٧٨ .

٥- تفسير ابن كثير ١١٩/٣ط حلبى ، وانظر الدر المنثور ٢٧٠/٤ .

ويقول العلامة الشنقيطي في تفسيره :(ليس المراد به هارون بن عمران أخا موسى كما يظنه بعض الجهلة ، وانما هو رجل صالح من بني اسرائيل يسمى هارون ، والدليل على أنه ليس هارون أخا موسى ما رواه مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه : حدثنا المغيره ـ بنحو ما تقدم آنفا ...

ويضيف قائلا : ومعلوم أن هارون أخا موسى قبل مريم بزمن طويل ، وقال ابن حجر في الكافي الشافي لتخريج أحاديث الكشاف في قول الزمخشري : ا عنوا هارون النبي ما نصه : لم أجده هكذا الا عند الثعلبي بغير سند ... ورواه الطبري[1] ، من طريق ابن سيرين نبئت أن كعبا قال : ان قوله تعالى:(يا أخت هارون) ليس بهارون أخي موسى ، فقالت عائشة رضي الله عنها : " كذبت " فقال لها : يا أم المؤمنين ان كان النبي صلى الله عليه وسلم قال : فهوا أعلم ، والا فأني أجد بينهما ستمائة سنة ، قال : فسكتت رضي الله عنها وأرضاها أ ـ هـ كلام ابن حجر ، الى أن يقول الشنقيطي : بما تقدم تعلم أن قول من قال : ان المراد هارون أخو موسى باطل سواء قيل انها أخته ، أو أن المراد بأنها أخته من ذريته كما يقال للرجل يا أخا تميم ، والمراد يا أخا بني تميم لأنه من ذرية تميم ، واذا حققت أن المراد بهارون في الآية غير هارون أخي موسى ، فاعلم أن بعض العلماء ، قال : ان لها أخا اسمه هارون وبعضهم يقول : ان هارون المذكور رجل من قومها مشهور بالصلاح ، وعلى هذا فالمراد بكونها أخته ، أنها تشبه في العبادة والتقوى ، واطلاق اسم الأخ على النظير المشابه معروف في القرآن الكريم وفي كلام العرب ، فمن القرآن قوله تعالى :(وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها الآية)[2] ، ومنه في كلام

١ـ أنظر الطبري في تفسيره ٧٧/١٦ .

٢ـ الزخرف (٤٨) .

العرب فى قوله :

وكل أخ يفارقه أخوه لعمر أبيك الا الفرقدان[1].

فجعل الفرقدين أخوين ...)[2].

قلت : ولعل مختار القول هو أنها سميت باسم رجل صالح ونسبت اليه ، والعلم عند الله ويؤيد ما اخترناه قول شيخ المفسرين ، وامام التفسير بالمأثور أبى جعفر الطبرى : والصواب من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه[3] ، وأنها نسبت الى رجل من قومها[4].

٣٢ـ قوله تعالى :(فاختلف الاحزاب من بينهم ...)[5].

قال الحافظ ابن كثير : أى وأختلف قول أهل الكتاب فى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله ... فصمت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد ...[6] وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة اخرى : انما تكلم الله ، وقال آخرون : بل هو ابن الله ... الخ أقوالهم[7] ، ثم نقل أثرا عن

١ـ الفرقد: شجر عظام أوهى الموسج ـ شجر من شجر الشوك ـ اذا عظم واحدة غرقده ، أنظر ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة للاستاذ الطاهر الزاوى ، ٣٨٧/٣ط الحلبى وشركاه .

٢ـ أضواء البيان ٢٧١/٤ ـ ٢٧٣ بتصرف .

٣ـ تفسير الطبرى ٧٨/١٦ .

٤ـ تفسير ابن كثير ٢٢٢/٥ط الشعب .

٥ـ مريم (٣٧) .

٦ـ تفسيره ٢٢٢/٥ط الشعب .

٧ـ المصدر السابق الموضع عينه .

قتـــاده ـ رحمه الله ـ بمعنى الأقوال السابقـــه[1] .

الباحث : ساق الألوسى جزءا من هذا الخبر وعقبه قال : وهذه جملة الأقاويل وما لهؤلاء الكفرة من الأباطيل ، وهى مع مخالفتها للمقول ومزاحمتها للأصول مما لا مستند لها ولا معول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم والأخذ بظواهر الفاظ لايحيطون بها علما ...[2]

١ـ المصدر السابق الموضع عينه ، وانظر تفسير الطبرى ٨٥/١٦ ـ ط٨٦ الثالثه ، والجامع لأحكام القرآن ٢٣/٦ ـ ٢٥ .

٢ـ روح المعانى ٢٤/٦ ـ ٣٤ .

المبحث الثالث

تصريحه بأن رواة هذه الآثار من أقطاب الرواية الإسرائيلية

المبحث الثالث :-

تصريحه بأن رواة هذه الآثار من أقطاب الروايـــة الاسرائيليـة.

يشير ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لبعض الآيات الى أقـوال من جهات مختلفه ، فمن تلك الجهات ، جهة اشتهرت بالنقل عن الاسرائيليات حتى عرفت بأنها أحد أقطاب الرواية الاسرائيلية ، فيوضح ابن كثـــير باشارته تلك الكلام على الآثار وبيان حقيقتها ، حتى يترك القارئ على بصيرة من أمره راجع الأمثلة الآتيـة:-

(سورة البقرة)

٣٣- قول الحق تبارك وتعالى :(هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعـا ، ثم استوى الى السماء ، فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شئ عليم)[١]

ذكر الحافظ ابن كثير عند هذه الآية الكريمة أثرا عن أبى هريرة رضى الله عنه ونصه :(أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ... الخ).

قال ابن كثير عقب ذلك : وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم[٢] .

وقد تكلم عليه ابن المدينى والبخارى ، وغير واحد من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب ، وأن أبا هريرة انما سمعه من كلام كعب الأحبار ، وانمـا اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا ، وقد حرر ذلك البيهقى)[٣].

١- البقرة (٢٩) .

٢- صحيح مسلم للامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج التيـابورى المتوفـى ٢٦١هـ ، ٣٤٠/٢ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ط دار احياء الكتب العربيه .

٣- انظر مثلا السنن الكبرى للحافظ المحدث الكبير أبى أحمد بن الحســين البيهقى المتوفى سنة ثمان وخمسين واربعمائة- كتاب السير ، باب مبتدأ الخلق ٩/٣ط مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن بالهند وانظر تفسير ابـن كثير ٩٩/١ط الشعب ، وقال محققوه : وهذه الأقوال اشبه بكلام أهل الكتاب والله أعلم ، وعمدة التفسـير ١٢٨/١ .

الباحث : هذا الحديث اختلف فيه العلماء من قديم الزمان ، فمنهم من يصححه ومنهم من يجعله موقوفا على كعب الأحبار.

وقد قرأت لبعض العلماء المعاصرين [1] مقالين اثنين عن هذا الحديث [2] ، فقد أجاد فيهما وأفاد ، اذ تكلم عن تخريج الحديث ، فأشار الى من خرجه كالامام مسلم فى صحيحه ، والامام أحمد فى مسنده وابن جرير فى تفسيره ، وآخرون [3] ، وتكلم أيضا عن اسناده ، وأن اسناده من أسانيد مسلم فى الصحيح ، وهو على شرطه [4] ، .. كما تكلم عن معناه ، وأن معناه واضح ، يظهر ذلك من ترجمة الباب التى عقدها الامام النووى - رحمه الله تعالى - اذ قال : باب ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام ، أى أنه قصد رحمه الله تعالى من هذه الترجمة ان ابتداء الخلق كان يوم السبت كما فى هذا الحديث ، لاقى يوم الأحد ، كما زعمه من زعمه من بعض أهل التفسير والتاريخ ... [5]

ثم تكلم أخيراً عن شواهده ، ورجح بما استشهد بأن الحديث صحيح سندا ومتنا ومع ذلك فالعلم عند الله [6].

١- هو فضيلة الشيخ/ عبدالقادر السندى ، المحاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٢- انظر مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة المجلدين ٤٩ ص ٢٩ - ٣٩ ، و ٥٠ ص ٤٧ - ٦١ .

٣- انظر مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة المدد ٤٩ ص ٣١ - ٣٣

٤- انظر مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة المدد ٤٩ ص ٣٤ - ٣٩

٥- مجلة الجامعة الاسلامية ٥٠/٥١ ص ٤٧ .

٦- مجلة الجامعة الاسلامية ٥٠/٥١ ص ٥٤ - ٦١ .

ويقول كاتبه : من خلال قراءتى لما قيل فى هذا الحديث تبين لى أمور عدة من أبرزها الآتى :-

١- أن الخلاف فى هذا الحديث قديم وقد تكلم عليه أئمة الحديث ونقدوه كابن المدينى والبخارى والبيهقى وحققه بعض العلماء كالنووى وغيره حتى ان الألبانى صححه فى صحيح الجامع الصغير. (١)

٢- أن هناك بعض الكتاب المعاصرين كأبى ريه طعن فى هذا الحديث وفى وفى راويه أبى هريرة رضى الله عنه[٢] - ومن ثم رد عليه بعض العلماء ردا مفحما كصاحب الانوار الكاشفة ، وظلمات ابى ريه للشيخ/ محمد عبد الرزاق[٣].

٣- ظهر من خلال التخريج أن عددا كبيرا قد خرجه ، وأن اسناده قوى .. الخ

٤- لم اكن بحال من الأحوال - وأنا من علمتم - أن أبلغ من البصيرة فى العلم مثل اولئك الاعلام حتى أدلى بدولى فى هذا الميدان .

وكل ما فى الأمر أننى قرأت تلك الأقوال وذلك الكلام فى هذا الحديث وخلصت منها الى أنه متوقف بالنسبة للصحة وعدمها فالله أعلم .

اذا المجازفة فى مثل هذا خطير ، ولعل عذرى فيما قلته وضعف حيلتى كافية فى التوقف .

١- صحيح الجامع الصغير ٣/١١٣ .

٢- أضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٩ و ص ٢١٩ .

٣- الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ، للشيخ/ يحى المعلمى ظلمات أبى ريه للشيخ/ محمد عبد الرزاق حمزة ، والكتابان مطبوعان والحمد لله .

هذا وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية الكلمة التالية فى هذا المعنى ، قال رحمه الله ـ ... وفى أول الأيام يقال يوم الأحد ، فان فيه على أصح القولين ابتدأ الله خلق السموات والأرض وما بينهما كما دل عليه القرآن والآحاديث الصحيحة ، فان القرآن أخبر فى غير موضع أنه خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وقد ثبت فى الحديث الصحيح المتفق على صحته ان آخر المخلوقات كان آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة ، واذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على ان أوله كان يوم الأحد لانها ستة ، وأما الحديث الذى رواه مسلم فى قوله خلق الله التربة يوم السبت فهو حديث معلول قدح فيه ائمة الحديث ، كالبخارى وغيره ، قال البخارى الصحيح انه موقوف على كعب ...[1].

١ـ تفسير سورة الأخلاص لشيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ص ١٥ ط مكتبة المنار الاسلامية.

(سورة النساء)

٣٤ـ قوله تعالى :(وكلم الله موسى تكليما)[١].

عند تفسيره للآية السابقة يذكر الحافظ اسماعيل بن كثير يذكر فيه خبرا عن عبدالرزاق ـ عن كعب الأحبار أنه قال :(ان الله ـ تعالى ـ لما كلم موسى كلمه بالألسنة كلها سوى كلامه ، فقال له موسى : يارب هذا كلامك ؟ (قال : لا ، ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له) قال : يارب فهل من خلقك شئ يشبه كلامك ؟ (قال : لا ، وأشد خلقي شبها بكلامي أشد ما تسمعون من الصواعق) !!

يعلق الامام ابن كثير على الأثر المتقدم بقوله :(هذا موقوف على كعب الأحبار ، وهو يحكى عن الكتب المتقدمة المشتملة على أخبار بني اسرائيل وفيها الغث والسمين)[٢].

الباحث :ـ

أخرج هذا الأثر الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الأحبار[٣] وذكر نحوه صاحب المحرر الوجيز الذي يقول تعقيبا له :(وما روي عن كعب الأحبار وعن محمد بن كعب القرظي ونحوهما من أن الذي سمع موسى كان كأشد ما يسمع من الصواعق وفي رواية أخرى كالرعد الساكن فذلك كله غير مرضي عند الأصوليين[٤].

كما أن الأثر نفسه مذكور في البحر المحيط[٥] وفي تفسير الخازن[٦].

١ـ النساء (١٦٤) .

٢ـ تفسيره ٥٨٨/١ حلبي وقارن بالنصب ٤٢٧/٢ .

٣ـ تفسير الطبري ٤٠٤/٩ ـ ٤٠٧ بتحقيق الأخوان .

٤ـ المحرر الوجيز ٣١٢/٤ .

٥ـ البحر المحيط ٣٩٨/٣ .

٦ـ تفسير الخازن ٦٢٤/١ .

وقد علق الأستاذ أحمد شاكر على هذا الأثر بقوله :

(ومهما يكن من أمر هذا الخبر ، فان صفة ربنا تعالى ذكره ، وتقدست أسماؤه ، مما لا يؤخذ عن كعب الأحبار وأشباهه ، بل الأمر فيها لله وحده ، ... هو كما يثني على نفسه ، وكما بلغ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كعب الأحبار ومن لف لفه[1].

قلت: فهذه الكلمة وما قبلها حق يراد بها حق فقد قال تعالى :(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[2].

١ـ تفسير الطبري ٤٠٧/٩ .

٢ـ الشورى (١١) .

(سورة الأعراف)

٣٥ـ قول الحق تبارك وتعالى :(إن ربكم الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش)[١] .

فسر ابن كثير الآية بقوله : ان الله يخبرنا أنه سبحانه ـ خلق العالم سماواته وأرضه ، وما بين ذلك فى ستة أيام ، كما أخبرنا بذلك فى غير ما آية من القرآن الكريم ، والستة الأيام هى الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، وفيه اجتمع الخلق لله ، وفيه خلق آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ... ثم قطع ابن كثير أن يوم السبت لم يقع فيه خلق .

وعلل ذلك بقوله :(لأنه اليوم السابع ، ومنه سمى السبت وهو القطع)[٢] بعد ذلك أورد الحديث الذى رواه الامام مسلم فى صحيحه ، والذى سبق الكلام عليه[٣] ، وقال عقبه :(هكذا رواه مسلم[٤] ، فى صحيحه والنسائى من غير وجه عن محمد بن الأعور عن ابن جريج به ، وفيه استيعاب الأيام السبعة ، والله تعالى قد قال فى ستة أيام ؟ ولهذا تكلم البخارى ، وغير واحد من الحفاظ فى هذا الحديث وجعلوه من رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار[٥] .

يعقب احمد شاكر على هذا بقوله :(والتعليل بأنه مما أخذه أبو هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار ، ليس بجيد ولا مستقيم مع السياق لقوله فى أوله :(أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى) وانما الخطأ من بعض الرواة)[٦] .

١ـ الأعراف (٥٤) .

٢ـ تفسيره ٢٢٨/٣ ط الشعب وقارن بالحلبى ٢٢٠/٢ .

٣ـ أنظر ص ٤٦٤ من هذا البحث .

٤ـ صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ١٣٣/١٧ـ ١٣٤ .

٥ـ تفسير ابن كثير ٤٢٢/٣ ط الشعب .

٦ـ عمدة التفسير ١٨٠ .

الباحـــث :ـ

عفا الله عنه ـ هذا الحديث سبق وأن اشرت اليه ، وعن الكلام حـوله وفصلت بعض التفصيل ، وهنا أحاول ذكر بعض الشئ حوله أيضا ، والله المستعـــان .

يقول محمد بن جرير الطبرى :(يقول تعالى ذكره ـ ان سيدكم ومصلـح أموركم أيها الناس هو المعبود الذى له العبادة من كل شئ ، الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء ... كما حدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ... عن مجاهـــد قال : بدء الخلق العرش والماء والهواء ... وكان بدء الخلق يوم الأحـــد ...[1] ، ويقول الواحدى فى تفسيره :(وكان الخلق فى ستة أيام من الأحـــد الى السبت ، واجتمع الخلق فى يوم الجمعة)[2].

وبين الخازن اختلاف العلماء فى اليوم الذى ابتدأ الله عزوجل بخلـق الأشياء فيه ، وأنها تنقسم لقسمين :ـ

١ـ يوم السبت ، وهو قول : محمد بن اسحق وغيره[3] ، ودليلهم على صحة هذا المذهب ما رواه فى مسلم وغيره ـ حديث التربة.

ثم يضيف الخازن قائلا :(وهذا الحديث وان كان فى صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة ، لأن اللـه

١ـ جامع البيان عن تأويل آى القـرآن ٨٢/١٢ط الثالثـة.

٢ـ الوجيز فى تفسير القرآن العزيز للامام أبى الحسن على بن أحمـــد الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ ، ٢٨٢/١ . بهامش مراح لبيد ـ تفسير النووى ط الحلبى وشركاه ، وأنظر تفسير النسفى ١٠٤/٢ .

٣ـ أنظر زاد المسير ٩٤/١ .

تعالى يقول : خلق السمٰوات والأرض فى ستة أيام ، وقال فى آية أخرى :(ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام)[١].

فدل بهذين النصين على أن جميع الخلق تم وكمل فى ستة أيام ، والذى فى الحديث ان بعض الخلق وقع فى سبعة أيام ، وذلك مجموع أيام الأسبوع ، فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء ...

وقيل : ان ابتداء الخلق يوم الأحد ، وهو قول ابن سلام وكعب والضحاك ومجاهد واختاره الطبرى ... ويعضد هذا القول ماحكاه صاحب المحكم ابن سيده قال :(وسمى سابع الأسبوع سبتا ، لأن ابتداء الخلق كان من يوم الأحد الى يوم الجمعة ولم يكن فى السبت خلق ...)[٢].

وأما أبو حيان فيقول :(والظاهر أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ، وعلى هذا الظاهر فسر معظم الناس ، وبدأ الخلق يوم الأحد...)[٣] وقد علق الألوسى على الخبر الذى ورد فى صحيح مسلم وغيره ـ حديث التربة ـ علق عليه بقوله :(ولا يخفى ان هذا الخبر مخالف للآية الكريمة ، فهو اما غير صحيح ، وان رواه مسلم ، واما مؤول ، وأنا أرى أن أول يوم وقع فيه الخلق يقال له الأحد وثانى يوم الاثنين وهكذا ، ويوم جمع فيه الخلق فافهم ...)[٤].

١ـ تفسير الخازن ٣٣٦/٣ ـ ٣٣٧ .

٢ـ المصدر السابق الموضح عينه .

٣ـ البحر المحيط ٣٠٧/٤ ، وفتح البيان ٣٤٢/٣ .

٤ـ روح المعانى ١١٥/٨ ـ ١١٦ .

" سورة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام "

٣٦ــ قوله عز اسمه : " وتولى عنهم وقال يـاأسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم " (١)

قال الحافظ ابن كثير : (قال يعقوب ــ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ــ : متذكرا حزن يوسف القديم الاول " يـاأسفى على يوسف . . . . "

وبعد ذلك روى الحافظ عن ابن أبي حاتم عن أبيه عن حماد بن سلمة . . . . . .

عن الأحنف بن قيس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن داود عليه السلام قال : يارب إن بنى اسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فاجعلنى رابعا .

فاوحى الله ــ تعالى ــ إليه أن ياداود إن إبراهيم القى فى النار بسببى فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وان إسحاق بذل مهجة دمه بسببى فصبر ، وتلك بلية لم تنلك ، وان يعقوب أخذت منه حبيبه ، فابيضت عيناه من الحزن ، فصبر ، وتلك بلية لم تنلك " (٢)

علق الحافظ على هذا بقوله : " وهذا مرسل وفيه نكارة ، فان الصحيح أن اسماعيل هو الذبيح ، ولكن على بن زيد بن جدعان ــ أحد رجال السند ــ له مناكير وغرائب كثيرة ، والله اعلم " (٣)

وأضاف ابن كثير قائلا : (وأقرب ما فى هذا أن الأحنف بن قيس (٤) ــ أحد رجال السند ــ حكاه عن بعض بنى إسرائيل ككعب ووهب ونحوهما ، والله اعلم " (٥)

---

(١) يوسف " ٨٤ " .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢٩ ط الشعب . وسيأتى الخلاف فى أى ولد ابراهيم عليه السلام الذبيح فى محله مستقبلا ان شاء الله .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٣٣٠ ط الشعب ، وقال الذهبى فى الميزان ٣/ ١٣٨ : على ابن زيد ، قال البخارى وأبو حاتم : لايحتج به ، وقال ابن خزيمة : " لاأحتج به لسوء حفظه "

(٤) هو الأحنف بن قيس السعدى التميمى ، يكنى أبا بحر واسمه الضحاك ، وقيل : صخر كان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد الحلماء الدهاة ، الحكماء المقلاء ، أسلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يره ، يعد فى كبار التابعين بالبصرة ، توفى بالكوفة فى إمارة مصعب بن الزبير ــ رحمهما الله ــ سنة سبع وستين كما فى الاستيعاب ١/ ١٤٤ ــ ١٤٦ .

(٥) " تفسيره " ٨٤ ، ٣٣٠ ط الشعب .

واختتم الحافظ معللا ذلك بقوله : (فان الاسرائيليين ينقلون أن يعقوب كتب الى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة . يتلطف له فى رده ، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء . (١) فابراهيم ابتلى بالنار واسحاق بالذبح ، ويعقوب بفراق يوسف فى حديث طويل لايصح " (٢)

الباحث: ذكر نحوه الألبانى فى ضعيف الحديث وقال : (ضعيف جدا) واستشهد بكلام ابن كثير فى رجال الاسناد الأنف الذكر ، ويقول ابن كثير فى موضع آخر ، وهو قوله : (روى هذا الخبر على بن زيد ، والحسن بن دينار فالأول منكر الحديث والثانى متروك (٣)

كما استشهد الألبانى بقول ابن تيمية الآتى : (.. انه من الاسرائيليات) واختتم الالبانى تعليقه بقوله : (وهو الأشبه بالصواب) (٤) أى كما ذهب كلا من الحافظ ابن كثير وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمهما الله ـ .

---

(١) ذكر هذا البغوى ـ أيضا ـ فى تفسيره عند قوله تعالى : (إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله) ٤/ ٤٧٠ على هامش ابن كثير .

(٢) تفسير ابن كيثير ٤/ ٣٣٠ الشعب وانظر الطبعة الحلبية ٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ١٧ الحلبى بتصرف .

(٤) سلسلة الاحاديث الضعيفة ١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣

" سورة النحل "

(٣٧)ـ قوله تعالى : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون " ١

ذكر الامام ابن كثير عند هذه الاية اثرا اسرائيليا عن وهب بن منبه ،
حيث يقول الحافظ : "(وذكر وهب بن منبه في إسرائيليا ته أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب ،فالله اعلم . (٢)

---

(١) النحل "٨"

(٢) "تفسيره" ٤/ ٤٧٨ الشعب

" سورة الكهف"

٣٨ـ قوله تعالى : "فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا " (١)

بين ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الأية الكريمة أن الله تعالى يخبرنا أن يأجوج ومأجوج ماقدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولاقدروا على نقبه من أسفله ... وأن في الاية دليل على أنهم لم يقدروا على نقبه ولا على شيء منه (٢)

ثم أشار أشارة الى أن هناك حديثا رواه الامام أحمد عن روح عن سعيد ابن ابى عروبة عن قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا وفيه " ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : إرجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشد ماكان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا ... واستثنوا ان شاء الله ... الخ " (٣)

قال ابن كثير عقبه : (وكذا رواه ابن ماجة عن قتادة (٤)

وأخرجه الترمذى عن قتادة أيضا ثم قال : غريب لايعرف الا من هذا الوجه (٥)

ويضيف ابن كثير مطلقا :واسناده جيد قوى ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الأية يقتضى أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولامن نقبه لاحكام بنائه

---

(١) الكهف (٩٧)

(٢) "تفسيره" ٥/١٢٩٣ الشعب.

(٣) المصدر السابق الموضح نفسه ، وأخرجه الامام احمد في مسنده ٢/٥١٠ ـ ٥١١

(٤) وأخرجه الطبرى في ١٦/٢١ ، وذكره القرطبى في تفسيره ١١/٦٢ـ٦٣ والسيوطى في الدر ٤/٢٥١ـ ٣٥٢

(٤) ا أخرجه الحافظ أبى عبد الله بن يزيد ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج وماجوج "٢/١٣٦٤.

(٥) سنن الترمذى "الجامع الصحيح " ٤/٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، وعارضة الأحوذى أبواب التفسير سورة الكهف ١٢/١٠ ـ ١١ .

وصلابته ... ولكن هذا روى عن كعب الأحبار : أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لايبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه ....

وهذا متجه ولعل أبا هريرة رضى الله عنه تلقاه عن كعب فانه كان كثيراً ماكان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة ، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع والله أعلم .

وأخيرا ذكر ابن كثير ـ غفر الله لى وله ـ مايؤيد نكارة هذا المرفوع ويؤكد ما قاله من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولاثقب شيء منه الحديث الآتى : (روى الأئمة البخارى (١) ومسلم وأحمد عن زوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها قالت: " استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه ، وهو يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا ، وحلق " (٢)

الباحث: بالنسبة لاثر أبى هريرة رضى الله عنه لم أجد من ذكره من المفسرين المشهورين حتى ولا السيوطى فى دره وغم أنه يسرد كثيرا من الأحاديث والآثار ، ويسندها الى أصحابها .

ولعل الامام ابن كثير ذكره من تفسير ابن أبى حاتم أو من غيره ، وتفسير ابن أبى حاتم يوجد بعض أجزائه فى مخطوطات الجامعة الاسلامية ، ولكن لاتوجد فيه سورة الكهف.

وبالنسبة لسد يأجوج ومأجوج وهل هو موجود الآن أولا ؟ وتحديد مكانه خلاف بين علماء التفسير ، وهذه بعض أقوالهم :ـ

قال القاسمى فى تفسيره : (وقال بعض المحققين : اعلم أنه كثيرا مايحدث فى الثورات البركانية أن تنخسف بعض البلاد ، أو ترتفع بعض الأرض ، حتى تصير كالجبال

---

(١) فتح البارى كتاب الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ٦/ ٣٨١ ، وكتاب المناقب باب علامات النبوة ٦/ ٦١١ ، وكتاب الفتن باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : (ويل للعرب من شر قد اقترب) ١٣/ ١١ ، وكتاب الفتن ـ أيضا ـ باب يأجوج ومأجوج ١٣/ ١٠٦ .
وأخرجه مسلم باب اقتراب الفتن ٨/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ، وأخرجه أحمد ٦/ ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) "تفسيره ٥/ ١٩٣ ـ ١٩٤ الشعب .

وهذا مشاهد في زماننا هذا ،فاذا سلم أن سد ذى القرنين المذكور فى الأية الكريمة غير موجود الآن ،فربما كان ذلك ناشئا من ثورة بركانية خسفت به وأزلت اثاره ولايوجد فى القران الكريم مايدل على بقائه إلى يوم القيامة !! أما قول الله جل جلاله : هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء (١) فمعناه أن هذا السد رحمة من الله بالأمم القريبة منه لمنع غارات يأجوج ومأجوج عنهم ، ولكن يجب أن يفهموا أنه مهما تانته وصلابته لايمكن أن يقاوم مشيئة الله عنهم ، فان بقاءه إنما هو بفضل الله .... ،فمراد ذى القرنين بهذا القول :تنبيه تلك الامم على عدم الاغترار بمناعة هذا السد أو الاعجاب والغرور بقوتهم ،فانها لاشيء يذكر بجانب قوة الله ، فلايصح أن يستنتج من ذلك أن هذا السد يبقى إلى يوم القيامة !!! بل صريحه انه اذا قامت القيامة فى أى وقت كان وكان هذا السد موجودا دكه الله دكاء

واما إذا تاخرت فيجوز أن يدك قبلها بأسباب أخرى كالزلازل اذا قدم عهده وكان الثورات البركانية . كما قلنا — وليس فى الاية ماينافى ذلك) (٢ (

كما رجح القاسمى عدم وجود السد الآن حدد مكانه أيضا ،فنراه يقول : والراجح أن السد كان موجودا باقليم دلغستان التابع الآن لروسيا بين مدينتى دربند وباكو ،فانه يوجد بينهما مضيق مشهور منذ القدم يسمى بـ(السد) ....) (٣)

ومن القائلين بعدم وجود السد الان ايضا . سيد قطب ،حيث قال : وبعد فمن يأجوج ومأجوج : وأين هم الآن ؟ وماذا كان من أمرهم ؟ وماذا سيكون ؟ كل هذه الاسئلة تصعب الاجابة عليها على وجه التحقيق ،فنحن لانعرف عنهم الا ماورد فى القران ،وفى بعض الاثر الصحيح ،

والقران الكريم يذكر فى هذا الموضع ماحكاه من قول ذى القرنين ، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا ، وهذا النص لايحدد زمانا ، ووعد الله بعضه وعده بدك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار وعاثوا فى الأرض ،ودمروا المماليك تدميرا ، وفى موضع آخر فى سورة الأنبياء (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق " (٤)

وهذا النص كذلك لايحدد زمانا معينا لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب

---

(١) الكهف " ٩٨ "

(٢) " تفسير القاسمى " " ١١/٤١١٣ — ٤١١٤ .

(٣) المصدر السابق ١١/٤١١٤ .

(٤) الانبياء " ٩٦ " .

فاقتراب الوعد الحق بمعنى اقتراب الساعة ،وقد وقع منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم "اقتربت الساعة وانشق القمر" (١) ٠٠٠٠ واذا فمن الجائز أن يكون السد قد فتح فى الفترة مابين اقتراب الساعة ووضا هذا ،وتكون غارات المغول والتتار التى اجتاحت الشرق هى انسياج يأجوج ومأجوج " (٢)

وقال سيد قطب ــ أيضا ــ فى هامش الظلال : (كشف سد بمقربة مدينة ترمذ ،وعرف بباب الحديد ،وقد مر به فى أوائل القرن الخامس الميلادى العالم الالمانى (سيلد برجر) وسجله فى كتابه ، وذكره المؤرخ الأسبانى (كيلافيجو) فى رحلته سنة ١٤٠٢ وقال : إن سد مدينة باب الحديد على طريق سمرقند والهند ، وقد يكون هو السد الذى بناه ذو القرنين " (٣)

وكان بعض العلماء قد قالوا قولا معارضا للقول السابق ــ أى الذى مال إليه كل من القاسمى وسيد قطب واخرون ٠٠٠ ،

ومن هؤلاء الامام ابن حزم الظاهرى الذى قال : (فان قيل ذكر فى القران سد يأجوج ومأجوج ،ولايدرى مكانه ولامكانهم ، قلنا مكانه معروف فى أقصى الشمال فى أخر المعمورة منه ،وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج فى كتب اليهود التى يؤمنون بها ،ويؤمن بها النصارى ٠٠٠٠ وحتى لو خفى مكانه لما فى يأجوج ومأجوج ــ وماكان السد فلم يعرف شىء من الأرض مكانه لما ضر ذلك خبرنا شيئا ،لأنه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء ،حيث يكون ميل الشمس ورجوعها ٠٠٠٠ واعلموا أن كل ما فى عنصر الامكان فأدخله مدخل فى عنصر الامتناع بالبرهان فهو كاذب مبطل ،جاهل ،أومتجاهل ،لاسيما اذا أخبر به من قدم قام البرهان على صدق خبره ، وأنها الشان فى المحال الممتنع الذى تكذب به الحواس والعيان ٠٠٠٠ فمن جاء بهذا فانما جاء ببرهان قاطع على أنه كاذب مفتر ،ونعوذ بالله من البلاء) (٤)

وقال المراغى فى تفسيره : (كانت البلاد التى فى شرقى البحر الاسود يسكنها قوم من الصقالبة (السلاف) وكان هناك سد منيع بالقرب من مدينة (باب الأبواب) أو (دربت) ٠٠٠٠ وهو غير السد الشهير الذى بناه ذو القرنين ،فان هذا وراء جيحون فى عمالة (بلخ) واسمه (باب الحديد) بمقربة من مدينة (ترمذ) وقد

---

(١) القمر (١)

(٢) " تفسيره فى ظلال القران ٤/٢٢٩٣ــ ٢٢٩٤ ٠

(٣) المصدر السابق ٤/٢٢٩٣ ٠

(٤) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم الظاهرى ١/١٢٠ طدار المعرفة الطبعة الثانية ٠

اجتازه تيمور لنك بجيشه ،ومر به ـ أيضا ـ (شاه روخ) وذكره العالم الالمانى (سيلد برجر) فى كتابه ،وكان ذلك فى أوائل القرن الخامس عشر ،وكذلك ذكره المؤرخ الاسبانى (كيلا فيجو) فى رحلة سنة ١٤٠٣ م ،وقال : ان سد مدينة (باب الحديد) على الطريق الموصل بين سمرقند والهند ،اهـ ملخصا من مقتطفات سنة ١٨٨٨م ،

ويضيف المراغى القول : وبذلك تعلم ان السد موجود فعلا ،وان هذا معجزة للقران الكريم حقا ،وهى إحدى المعجزات التى أيدها التاريخ ،وعلم تقويم البلدان (١) .

ومن أشد المنكرين على القائلين بأن السد قد أندك وأن خروج التتار واجتياحهم لكثير من بلاد المسلمين ،يدل على ماذهبوا إليه الشيخ محمد الأمين الشنقيطى ،فقد قال فى كتابه " أضواء البيان .. " مايلى : (اعلم أولا ـ أنا قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أنه ان كان لبعض الآيات بيان من القرآن لايفى بإيضاح المقصود وقد بينه النبى صلى الله عليه وسلم ،فإنانتم بيان بذكر السنة المبينة له ، وقدمنا أمثلة متعددة لذلك ،فاذا علمت ذلك فاعلم أن هاتين الأيتين الكريمتين لهما بيان من كتاب الله أوضحته السنة ،فصار بضميمة السنة إلى القران الكريم بياناً وافياً بالمقصود والله جل وعلا قال فى كتابه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ((وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون)) (٢)

فاذا علمت ذلك فاعلم أن هذه الأية الكريمة وأية الانبياء (٣) قد دلتا فى الجملة على أن السد الذى بناه ذو القرنين دون يأجوج ومأجوج لهما يجعله الله دكا عند مجيء الوقت الموعود بذلك فيه ، وقد دلتا على أنه يقرب

---

(١) "تفسيره" "١٦/ ١٥" .

(٢) "النحل" "٤٤" .

(٣) ونصها : " حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون " "٩٦" .

يوم القيامة، لانهم قال: هنا (فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم، يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا " (١)

وأخذ الأمين الشنقيطى يستدل لصحة ماذهب اليه بسياق الأيتين السابقتين من حيث الاعراب وغيره ،وبحديث" ويل للعرب من شر قد اقترب ... " (٢) وغيره من الأحاديث، ثم فى معرض استشهاده استشهد بكلام الزمخشرى فى سورة الكهف،ثم ذكر أخيراً أن ماتقدم ذكره فيه دلالة تامة على بطلان قول من قال : انهم روسية ،وأن السد قد فتح منذ زمان طويل ... كما أن من قال بذلك مخالف لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مخالفة صريحة لاوجه لها ،

ولاشك أن كل خبر ناقض خبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فهو باطل ... وفى ختام بيانه الشافى قال : (ومن المعلوم أن ما يروى عن بنى اسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات ..... وبهذا التحقيق تعلم أن القصص المخالفة للقران الكريم والسنة الصحيحة التى توجد بأيدى بعضهم زاعمين أنها فى الكتب المنزلة يجب تكذيبهم فيها لمخالفتها نصوص الوحى الصحيح ... والعلم عند الله.) (٣)

الباحث : ماتقدم نموذج وأمثلة مما كتب فى هذا الموضوع ، ومن أراد المزيد من الايضاح فعليه بالكتب التى عنيت بهذا الموضوع ،وأوسعته دراسة وتحليلا ،والتى نقلت منها بعض الامثلة لهذا البحث،مثل تفسير القاسمى ،وتفسير

---

(١) الكهف" ٩٨ــ ٩٩"

(٢) سبق وان قد منا تخريجه؛

(٣) تفسيره ٤/ ١٨١ ــ ١٨٢.

وتفسير المراغي ،وكتاب أضواء البيان ،وغيرها مما لم يرد ذكرها في هذا البحث.

وبعد العرض والامعان في أدلة الفريقين النقلية والعقلية تتجلى للمنصف الحقيقة واضحة،وترجيح أدلة أحد الفريقين على الآخر.

والذي يبدو لي أن ما كتبه الشيخ الأمين الشنقيطي ،و سبقه اليه الإمام ابن حزم الظاهري ـ رحمهما الله ـ هو الذي تميل إليه النفس،وتطمئن إليه قلوب الناس وذلك ،لأن الله ـ سبحانه ـ يقول : " قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا " فالسد موجود الآن بنص هذه الآية الشريفة،أما عن مكانه فالعلم عند الله وحده.

ويؤيد ما ملت إليه ورجحته قول المصطفى صلى الله عليه و سلم : "....فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم ،فحرز عبادي إلى الطور ،ويبعث الله يأجوج ومأجوج ...) (١)

كما يؤيده ما روته أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها ، "استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ،وهو محمر وجهه وهو يقول : " لا إله إلا الله ،ويل للعرب من شر قد اقترب،فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا (وحلق) "

والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم ٨/ ١٩٦ ـ ١٩٨.

" سورة مريم "

٣٩ ـ قوله تعالى : " واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً " [١]

قال الحافظ ابن كثير عند هذه الآية : (وقد روى ابن جرير [٢] ههنا أثراً غريباً عجيباً فقال : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب أن ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعباً عن قوله تعالى : " ورفعناه مكاناً علياً " ؟ ـ فقال كعب : أما إدريس : فإن الله أوحى إليه أني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم ، فأحب أن يزداد عملاً ، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له : إن أوحى إلي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى ازداد عملاً ، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء ، فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدراً ، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس ، فقال وأين إدريس ؟ فقال هو ذا على ظهري .

قال ملك الموت : فالعجب ! بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك . فذلك قول الله تعالى : " ورفعناه مكاناً علياً " .

علق الامام ابن كثير على هذه الرواية بقوله : (هذا من أخبار كعب الأحبار الإسرائيليات ، وفي بعضه نكارة ، والله أعلم) (٣)

الباحث : نفس الخبر في تفسير الرازي ، وعقب عليه الامام الفخر الرازي بقوله : (وأعلم إن الله تعالى : إنما مدحه بان رفعه إلى السماء ، لأنه جرت العادة أن لا يرفع اليها إلا من كان عظيم القدر والمنزلة ، ولذلك قال سبحانه في حق الملائكة : "ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته" (٤)

كما أن الخبر نفسه مذكور في القرطبي وغيره [٥] وزاد القرطبي خبرين عن السدي ووهب بن منبه بنحوه" (٦)

وعلق الألوسي بعد أن ساق الخبر ذاته ، وآخرنحوه ، علق عليه بقوله :) والله أعلم بصحة ذلك) (٧)

وعليه يبقى الخبر كما نبه الحافظ ابن كثير خبراً عجيباً ، وعلمه عند الله .

---

(١) مريم " ٥٦ ـ ٥٧ "
(٢) "تفسير الطبري" "١٦/ ٩٦ .
(٣) " تفسيره " ٥/ ٢٣٦ الشعب .
(٤) "مفاتيح الغيب" ٢١/ ٢٣٣ .
(٥) الدر المنثور ٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٧ .
(٦) الجامع لاحكام القران ١١/ ١١٨ ـ ١١٩ .
(٧) "روح المعاني" "١٦/ ٩٧ ـ ٩٨ .

(سورة الشعراء)

٤٠ـ قوله تعالى :(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ، ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين ، فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين)[١].

أفاد الامام ابن كثير عند هذه الآيات ان المولى جل ذكره يخبرنا عن جواب قوم هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ له بعد ما نذرهم وأنذرهم ، فقالوا :(سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا نرجع عما نحن فيه[٢].

ثم تابع شرحه للآيات فقال :" وقوله تعالى :" فكذبوه فاهلكناهم " أى فاستمروا على تكذيب نبى الله هود ، ومخالفته وعناده ، فاهلكهم الله ـ سبحانه ـ وقد بين سبب اهلاكه اياهم فى غير موضع من القرآن الكريم ، بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا[٣] عاتية[٤]...

وهم عاد الأولى كما قال تعالى:" وأنه أهلك عادا الأولى "[٥] وهم من نسل ارم بن سام بن نوح " ذات العماد "[٦] الذين كانوا يسكنون الحمد "[٧].

ثم قال الامام ابن كثير :" ومن زعم أن ارم مدينة ، فانما أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب ووهب ، وليس لذلك أصل أصيل ، ولهذا قال :

١ـ الشعراء " الآيات ١٣٦ ـ ١٣٩ " .

٢ـ تفسيره ١٣/٦ط الشعب .

٣ـ لفظه من الصِّرّ ، وهو البرد ، كما فى المفردات ص ٢٧٩ .

٤ـ أى شديدة الهبوب ، أنظر تفسير ابن كثير ٤١٢/٤ حلبى .

٥ـ النجم (٥٠) .

٦ـ الفجر (٧) .

٧ـ تفسير ابن كثير ١٦٣/٦ ـ ١٦٤ط الشعب .

(التى لم يخلق مثلها فى البلاد)[1].

أى لم يخلق مثل هذه القبيلة فى قوتهم وشدتهم ... ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التى لم يبن مثلها فى البلاد[2].

الباحث :-

ذكر كثير من المفسرين أقوال السلف فى المراد بارم ، وهل هى اسم بلدة أولا ؟ واذا كانت فما اسمها ؟ وهل هى الاسكندرية أو دمشق ؟ ثم أوردوا اشكالا اذا كانت الاسكندرية أو دمشق ، وذلك لأن منازل عاد كانت بين عمان وحضرموت ، وهى بلاد الرمال والأحقاف ، كما قال تعالى : (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف[3] ، وأما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال .

ذكروا ذلك عن السلف أمثال سعد بن المسيب ، ومحمد القرظى ، ومجاهد وقتاده وخلق[4] .

ولكن لم أجد بين المراجع التى وقفت عليها أن تسمية " ارم " بمدينة ماخوذ من الاسرائيليات وقد يكون ابن كثير - رحمه الله - فى قوله هذا مصيبا ، لكن تعليله لم أفهمه ، والعلم عند الله ، وعلى آية حال ليس فى العلم بذلك أداء فرض ، ولا فى الجهل به تضييع واجب .

١- الفجر (٨) .

٢- تفسيره (١٦٤/٦ ط الشعب) .

٣- أنظر فى كل ماذكرناه المصادر التاليه : تفسير الطبرى ٢٢/٢٦- ٢٤ . و ١٧٥/٣٠ ط الثالثه ، والتفسير الكبير ١٦٧/٣١ ، وتفسير القرطبى ٢٠٣/١٦ - ٢٠٤ و ٤٦/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٦ / ١٦٤ حلبى ، وانظر ٢٦٨/٧ - ٢٦٩ ط الشعب ، و الدر المنثور ٣٤٧/٦ ، وتفسير الخازن ١٥٦/٥ - ١٥٧ .

(سورة النمـــل)

١ـ قوله تعالى:(وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دآبة مـــن الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنـون)[١].

فسر الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ الآية الشريفة بقوله:(ان الدابة ستخرج في آخر الزمان ، عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهـــم الحـــق)[٢].

ثم ذكر أنه ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة ، ذكر منها ما تيسر وقبل انتهائه من شرح الآية الكريمة ، أورد اختلاف العلماء في المكان الذي تخرج منه الدآبة ، فمنهم من يقول :(انها تخرج من موضع بالبادية قـــرب مكـــة)[٣] ، وقيل :(من بعض أودية تهامـــة)[٤] ، وقيل :(من أجيـــــاد)[٥] وقيل :(من صدع بالصفـا)[٦] ، الى آخر تلك الأقوال .

وفي ختام حديثه عن الآية الشريفة ، ذكر أن وهب بن منبه قال:(حكى من كلام عزيز عليه السلام ، أنه قال : وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم النـــاس كـــل يـــسمهـــا ...)[٧].

١ـ النمـــل (٨٢) .

٢ـ تفسيره ٦/٢٢٠ط الشعـــب .

٣ـ تفسير الطبري ٢٠/١٤ .

٤ـ وهو قول قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، تفسير القرطبي ١٣/٢٣٧ وتفسير ابن كثير ٣/٣٧٦ حلبي .

٥ـ وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٧٦ حلـــبي .

٦ـ وهو قول عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، انظر تفسير القرطـــبي ١٣/٢٣٦ .

٧ـ تفسير ابن كثير ٦/٢٢٣ط الشعـــب .

قلت : ولعل الصواب من تلك الأقوال ، هو قول " ابن عمر رضى الله عنهما ، والذى مفاده " أنها تخرج من صدع بالصفا بمكة " والله أعلم.

وذلك لما أخرجه الطبرى عن عصام بن رواد بن الجراح ... وفيه " أنها تخرج من أعظم المساجد حرمة على الله ، بينما عيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - يطوف بالبيت ومعه المسلمون ، اذ تضطرب الأرض من تحتهم تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلى المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا ...)[1].

وذكر ابن كثير نحوه وعلق عليه بأنه موقوف على حذيفه[2].

١- تفسير الطبرى ١٥/٢٠ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣٣٧/١٣ .

٢- تفسيره ٣٧٥/٣ حلبى .

(سورة السجده)

٤٢ـ قول الحق تبارك وتعالى :(الله الذى خلق السموات والأرض ومـــا بينهمـا فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولـى ولا شفيـع أفـلا تتـذكـرون)[١].

قال الامام ابن كثير عند هذه الآية الكريمة :(يخبر ـ تعالى ـ أنـــه الخالق للأشيـاء فخلق السماوات والأرض ومـا بينهمـا فى ...)[٢].

ثم أورد حديثا عن النسائى وفيه (ان الله خلق السماوات والأرض ومـا بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع ، فخلـق التربة يوم السبت ، والجبـال يوم الأحـد ...)[٣].

ثم قال : وقد أخرج مسلم والنسائى أيضا من حديث الحجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبدالله بن رافع ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ مرفوعا بنحو من هذا السياق[٤].

واختتم الحافظ تعليقه بقوله :(وقد علله البخارى ـ رحمه الله فـــى كتاب " التاريخ الكبير" فقال : " وقال بعضهم : أبو هريرة عن كعـــب الأحبـار ، وهو أصح[٥] ، وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلـم[٦].

١ـ السجـدة (٤) .

٢ـ تفســيره (٦/٣٦٢ ط الشعب) .

٣ـ ٤ـ المصدر السابق الموضح عينه .

٥ـ ذكر هذا البخارى فى تاريخه الكبير فى ترجمة أيوب بن خالد ، ومما قاله :" وروى اسماعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد الأنصارى ، عـــن عبدالله بن رافع عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله التربة يوم السبت ، وقال بعضهم عن ابى هريرة عن كعـــب وهو أصح " أنظر تاريخه ١/١/٤١٣ ـ ٤١٤ .

٦ـ تفسير ابن كثير ٦/٣٦٢ ط الشعب .

قلت :ـ

هذا الحديث مر معنا في أكثر من موضع ، حيث مر في الأثرين السابقين ٣٢ و ٣٤ ، ومضى التفصيل فيهما ونزيد هنا بعض الشيء .

رجال الاسناد

الحجاج بن محمد الأعور الحافظ : قال عنه الذهبي في " الكاشف " قال أحمد: ما كان أضبطه ، وأشد تعاهده للحروف ورفع من أمره جدا [1] .

وقال عنه أبو داود: " بلغني أن ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين ألف حديث "[2] ، مات سنة ٢٠٦ هـ[3] .

وقال عنه صاحب التهذيب :(ثقة ثبت ، لكنه اختلط في آخر عمره ... من التاسعة ٥/ع)[4] .

ابن جريج ، تقدمت ترجمته[5] .

اسماعيل ابن أمية ، قال عنه في المغني :" تركه الدار قطني "[6] .

أيوب بن خالد بن صفوان الأنصاري .... فيه لين ، من الرابعة ع تس[7] .

من خلال ما تقدم ذكره في رجال الاسناد ، تبين أن " الاسناد حسن " فيما يبدو ، فالحجاج ثقه ، وكونه مختلط في آخر عمره هو أحد الأسباب التي أدت الى قولي حسن كما أن اسماعيل بن أمية ، لم يبين الحافظ الذهبي سبب ترك الدار قطني له ومع ذلك فلا يحتج بهذا الحديث .

١ـ الكاشف ٢٠٧/١ .

٢ـ المصدر السابق الموضح عينه .

٣ـ المصدر السابق الموضح عينه .

٤ـ تهذيب التهذيب ٢٠٥/٢ ـ ٢٠٦ ، وتقريب التهذيب ١٥٤/١ .

٥ـ انظر صـ٥٥ـ من هذا البحث .

٦ـ المغني ٧٩/١ .

٧ـ التقريب ٨٩/١ .

(سورة الصافات)

٤٣ـ قول الحق ـ تبارك وتعالى :(وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصلحين ، فبشرناه بغلم حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يبنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصبرين)[1].

لقد تركت الاسرائيليات أثرا سيئا فى فهم نصوص الكتاب الكريم واضطرابا فكريا حجب الرؤية الواضحه عن بعض العقول ، ومن هذه المسائل : من ذلك (أن جماعة من أهل العلم ذهبوا الى أن الذبيح هو اسحاق عليه السلام ، وحكى هذا طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة[2] وليس ذلك فى كتاب ولا سنة " حسب ماظهر لى " وما أظن أن ذلك تلقى الا عن أخبار أهل الكتاب ، وأخذه مسلما من غير حجة ... وهذا كتاب الله شاهد ومرشد الى أنه اسماعيل)[3].

ثم قال الامام ابن كثير عند شرحه لهذه الآيات (وهذا الغلام هو اسماعيل ، فانه أول ولد بشر به ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهو أكبر من اسحق باتفاق المسلمين[4] وأهل الكتاب ، بل فى نص كتابهم أن اسماعيل ولد ولابراهيم ست وثمانون سنة ، وولد اسحق ولابراهيم تسع وتسعون سنة .

وعندهم ـ أهل الكتاب ـ أن الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيده ... فأقحموا ههنا كذبا وبهتانا اسحق ، ولايجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم ...)[5] .

١ـ الصافات ٩٩ ـ ١٠٢ .

٢ـ أوصلهم القرطبى الى سبعة ، أنظر تفسيره ١٥/٩٩ ـ ١٠٠ .

٣ـ تفسيره ٧/٢٣ الشعب " بتصرف " .

٤ـ فى هذا القول : نظر ، اذ يذكر القرطبى أن اسحاق أكبر من اسماعيل وأقام أدلة على ذلك ، ينظر تفسيره ١٥/١١٣ .

٥ـ تفسيره ٧/٢٣ ـ ٢٧ الشعب .

وقد ذكر ابن كثير الأدلة على صحة وجهة نظره والتي استنبطها من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والتي تؤيد أن الذبيح هو اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام[1] .

كما ذكر بعض الأخبار والتي فيها ندوة عليه بين أبي هريرة وكعب الأحبار ، اذ جعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعل كعب الأحبار يحدث عن الكتب ...)[2].

وفي ختام شرحه للآيات عقد فصلين أحداهما : في ذكر من قال : هو اسحق على نبينا وعليه الصلاة والسلام[3] .

والثاني في ذكر الآثار الواردة بأنه اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام[4] ، وعلق الامام ابن كثير أثناء ذكره للأقوال بأنه اسحاق بقوله :(وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار ، فانه لما أسلم في الدولة العمرية ، جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما ، فربما استمع له عمر رضي الله عنه ، فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها ، وليس لهذه الأمة - والله أعلم - حاجة الى حرف واحد مما عنده)[5].

الباحث :-

اختلف العلماء في المأمور بذبحه على قولين :-

القول الأول :-

أن المأمور بذبحه هو اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهو قول بعض الصحابة كأبي هريرة وابن عمر وأبي الطفيل عامر

١- المصدر السابق الموضع عينه .

٢- المصدر السابق ٢٥/٧ الشعب ، وبنحوه في النسفي ٢٧٣/٤ - ٢٧٤ .

٣- تفسير ابن كثير ٢٧/٧ - ٢٨ الشعب .

٤- المصدر السابق ٢٨/٧ - ٣٠ الشعب .

٥- المصدر السابق ٢٨/٧ الشعب .

بن واثله[1] .... ومن التابعين سعيد بن المسيب ، والشعبي ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي ... ومن جاء بعدهم بقرون كشيخ الاسلام ابن تيمية ، وبالجملة رجحه - هذا القول - جماعة خصوصا غالب المحدثين ، وقال : أبو حاتم " هو الصحيح "[2].

القول الثاني :-

ان المأمور بذبحه هو اسحق على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقال به عدد من الصحابة أوصلهم القرطبي الى سبعة ، وقال به من التابعين خلق كقتادة والحسن وعكرمة وكعب الأحبار والزهري وعدد من المفسرين كالطبري والقرطبي[3] ، وبالنظر الى أقوالهم نجد أن كلا من الفريقين أتيا بأدلة وحجج ، وسنعرض - في ايجاز - الى أبرز أدلة الفريقين ثم نختار ماهو راجح عندنا - والله المستعان :-

أولا - أدلة القائلين بأن اسماعيل عليه السلام.

أ - ماروى عن محمد بن كعب القرظي ، أنه ذكر أمر الذبيح ... لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة اذ كان معه في الشام ، فقال له عمر: ان هذا الشيء ماكنت أنظر فيه ، واني لأراه كما هو ، ثم أرسل الى رجل عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه ، فسأل عمر ذلك اليهودي

١- أبو الطفيل عامر " أو عمرو " بن واثله بن عبدالله الكناني الليثي المكي ولد عام أحد ، وأثبت مسلم وابن عدي صحبته وعده العجلي في كبار التابعين ، روى عن ابي بكر وعمر وحذيفة وجماعة ، وعنه قتاده والقاسم بن أبي بزه ، مات سنة مائة وقيل سنة عشر ، له في البخاري حديث ومسلم حديثان ، وهو آخر من مات من الصحابة على الأطلاق ، له تراجم في عدة كتب منها خلاصة تهذيب تهذيب الكمال للخزرجي ٢٥/٢ - ٢٦ والطبقات ٣٣٨/٥ .

٢- انظر تفسير القرطبي ١٠٠/١٥ والدر المنثور ٢٧٩/٥ - ٢٨٣ ، وروح المعاني ١٢١/٢٣ - ١٢٤ ، بتصرف كبير .

٣- انظر تفسير القرطبي ١٠٠/١٥ ، وتفسير الطبري ٨١/٢٣- ٨٩ بتصرف .

فقال : ان يهودا لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه ، والفضل الذى ذكره الله منه لصبره ، ...[1]

ب ـ أن الله تعالى ـ وصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق فى قوله :(واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين)[2] ، وهو صبره على الذبح ، ووصفه اياه بصدق الوعد فى قوله تعالى :(انه كان صادق الوعد)[3] ، لأنه وعد أباه من نفسه بالصبر على الذبح فوفى به[4].

جـ ـ قوله تعالى :(فبشرناها باسحٰق ومن وراء اسحٰق يعقوب)[5] ، لو كان الذبيح اسحاق لكان الأمر بذبحه اما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك ، الأول باطل لمخالفته (ومن وراء اسحٰق يعقوب) والثانى باطل لمخالفته (فلما بلغ معه السعى ...) .

د ـ قوله تعالى :(رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) قال بعد ذلك عاطفا على البشارة الأولى :(وبشرناه باسحٰق نبيا من الصٰلحين)[6] فدل ذلك على أن البشارة الأولى شئ غير المبشر به فى الثانية ، لأنه لايجوز حمل كتاب الله ـ تعالى ـ على أن معناه : فبشرناه باسحاق ، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضا :(وبشرناه باسحاق) فهو تكرار لافائده فيه ، ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح فى أن الغلام المبشر به أولا الذى فدى بالذبح العظيم هو اسماعيل ، وأن البشارة باسحاق نص الله عليها مستقله بعد ذلك ، والمقرر فى الأصول أن النص من كتاب الله

١ـ أنظر تفسير الطبرى ٨٥/٢٣ ، وتفسير البحر المحيط ٣٧١/٧ـ٣٧٢ بتصرف

٢ـ الأنبياء (٨٥) .

٣ـ مريم (٥٤) .

٤ـ مفاتيح الغيب ١٥٣/٢٦ ـ ١٥٥ .

٥ـ هود (٧١) .

٦ـ الصافات (١١٢) .

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اذا احتمل التأسيس والتأكيد معا : وجب حمله على التأسيس ، ولايجوز حمله على التأكيد ، الا لدليل يجب الرجوع اليه (لأن التأسيس أولى من التأكيد) ، ومعلوم فى اللغة العربية أن العطف يقتضى المغايرة ، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق .

ويستأنس لهذا بان المواضع التى ذكر فيها اسحاق يقينا عبر عنه - سبحانه - فى كلها بالعلم لا الحلم ، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم[1].

ثانيا - أدلة القائلين بأنه اسحاق عليه السلام.

أ - أول الآية وآخرها يدل على ذلك :-

أول الآية - (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين) واجمعوا أن المراد مهاجرته عليه السلام الى الشام (فبشرناه بغلام حليم) فوجب أن يكون هذا الغلام ليس الا اسحاق ... " فلما بلغ معه السعى " يقتضى أن المراد من هذا الغلام هو ذلك الغلام الذى حمل فى الشام وآخر الآية " وبشرناه باسحاق" ومعناه : أنه بشره بكونه نبيا من الصالحين ، وذكر هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدل على أنه تعالى انما بشره بهذه النبوة لأجل أنه تحمل هذه الشدائد فى قصة الذبيح ، فجاءته البشارة بالنبوة بعد أن فدى تكرمة من الله على صبره لامر الله فيما امتحنه به من الذبح[2] .

١- أضواء البيان ٦٩١/٦ - ٦٩٣ " بتصرف " وأنظر التمهيد فى تخريج الفروع على الأصول للامام جمال الدين الاسنوى ت ٧٧٢هـ ص ١٦٧ ط (٢) .

٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٥٣/٢٦ - ١٥٥ ، ومثله فى الكشاف ٣٥٠/٣ ، وبنحوه فى تفسير الطبرى ٨١/٢٣- ٨٦ ، وتفسير القرطبى ١٩١/١٥ - ١١٣ مع التصرف .

ب- " ماشتهر من كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام :-
من يعقوب اسرائيل نبى الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله)[1].

جـ- (ان الله أخبر فى هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته اياه أن يهب له من الصالحين ، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك الا فى حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين ، لأنه لم يكن له من ابنية الامام الصالحين ، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه فى هبة ماقد كان أعطاه ووهبه له ، فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذى ذكر - تعالى ذكره - فى هذا الموضع هو الذى ذكره فى سائر القرآن أنه بشره به ، وذلك لاشك أنه اسحاق عليه السلام اذ كان المفدى هو المبشر به)[2].

هذا جملة الكلام فى هذه المسألة.

مختار القول :-

وبعد استعراض أبرز أدلة الفريقين فى من هو الذبيح ، استعراضا وافيا - فيما يظهر - وان لم نبلغ به حد الاستقصاء ، نرى أن أولى القولين هو القول بأنه اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بناء على أن ظاهر الآية تقتضيه ، ولم اتيقن صحة حديث مرفوع يقتضى خلافه ، وحال أهل الكتاب لايخفى على من له أدنى مسكة من لب ، والعلم عند الله.

وهذا الترجيح هو الذى ارتضاه غالب المحدثين وقال به ابن عمر ومعاوية وأبى هريرة وغيرهم رضى الله عنهم ، وتبناه عدد من العلماء كابن المسيب والشعبى ومن المتأخرين الفخر الرازى واثير الدين محمد بن يوسف بن حيان[3]

١- مفاتيح الغيب ١٥٣/٢٦ - ١٥٥ .
٢- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ٨١/٢٣ - ٨٦ .
٣- تفسير القرطبى ١٠٠/١٥ ، ومفاتيح الغيب ١٥٣/٢٦ وما بعدها والبحر المحيط ٣٧١/٧ .

وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية الذى قال :(وأما القول بأنه اسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول :(هذا القول انما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فان فيه : ان الله آمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفى لفظ : وحيده ، ولايشك أهل الكتاب مع المسلمين ان اسماعيل هو بكر أولاده ، والذى غر أصحاب هذا القول أن فى التوراة التى بأيديهم : اذبح ابنك اسحاق ، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بنى اسماعيل على هذا الشرف ...[1].

ومن المعاصرين العلامة محمد الأمين الجكنى حين قال - بعد أن ذكر بعض تلك الأدلة المرجحة لكونه اسماعيل - قال : لاينبغى للمنصف الخلاف فى ذلك بعد دلالة هذه الادلة القرآنية على ذلك ، والعلم عند الله[2].

فبعد هذا وذاك يتبين للمنصف وتتجلى الحقيقة بادية واضحة معالمها للناس ألا وهى القول بأنه اسماعيل ، لقوة الأدلة التى استعرضتها ، بعد طرح ماقد يعتل له ، وأظن - بل اعتقد - أن ذلك هو الحق مع احترامى لأصحاب الرأى الآخر فأنا لاأشك فى حسن نياتهم ، ولكن كما قال الامام مالك - رحمه الله - " كل يؤخذ من قوله ويرد ، الا صاحب هذا القبر " وأشار بيده الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا القدر كافى ، وبالله التوفيق وعليه التوكل وبه نستعين.

١- زاد المعاد فى هدى خير العباد ٧١/١ - ٧٥ .

٢- أضواء البيان ١٩٣/٦ .

٤ـ قوله تعالى :(وإن الياس لمن المرسلين)[١].

عند هذه الآية قال ابن كثير :(روى عن وهب بن منبه أنه قال : ان الياس ابن نسي[٢] ، بن فنحاص بن العيزار ... بعثه الله ـ تعالى ـ في بني اسرائيل بعد حزقيل[٣] ، عليهما السلام ، وكانوا قد عبدوا صنما يقال له " بعل " فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة سواه ... وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما السلام ، فأمر الياس أن يذهب الى مكان كذا وكذا ، فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه ، فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماويا أرضيا .

قال عقبه الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ هكذا حكاه وهب بن منبة عن أهل الكتاب ، والله أعلم بصحته[٤].

الباحث :ـ

أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره[٥] ، كما ذكره السيوطي في درة[٦] ، ويقول الرازي : وأكثر المفسرون على أنه النبي المرسل لبني اسرائيل[٧] ونفس الخبر ساقه القرطبي في تفسيره عن ابن اسحاق وغيره[٨].

وذكر الخبر البغوي[٩] ، والخازن[١٠] وفي بداية الكلام قالا : وقال محمد بن اسحاق و علماء الأحبار ، وساقا الخبر.

قلت : هذه مجمل أقوال المفسرين في هذا الخبر وهي تكاد تجمع أن الخبر رواية أخبار وردت عن أهل السير والأخبار فيما زعموا وعليه ينبغي أن لا يقرن مثل هذا الخبر مع آيات الله الا اذا ماورد في حديث صحيح أو حسن فعلى العين ، والعلم عند الله.

١ـ الصافات (١٢٣) .
٢ـ وفي النسفي ٢٧٦/٤ ، وقيل :"هو الياس بن ياسين"وفي البداية والنهاية ٣١٤/١ ، " قال علماء النسب هو الياس التشبي ويقال : ابن ياسين بن فنحاص ... وقيل : الياس بن العازرين العيزار. "
٣ـ أنظر تفسير الطبري ١٢٦/٢٣ .
٤ـ تفسيره ٣١/٧ الشعب .
٥ـ تفسير الطبري ٩١/٢٣ ـ ٩٤ ، وذكره بلفظ " فيزعمون " .
٦ـ الدر المنثور ٢٨٦/٥ .
٧ـ مفاتيح الغيب ١٦١/٢٦ .
٨ـ تفسير القرطبي ١١٥/١٥ .
٩ـ تفسير البغوي على هامش ابن كثير ١٥٨/٧ ـ ١٦٣ .
١٠ـ تفسير الخازن ٣١/٦ ـ ٣٦ .

(سورة الحديـــد)

٤٥ـ قوله تعالى :(يوم يقول المنـٰفقون والمنـٰفقـٰت للذين ءامنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهـــم بسور له باب باطنـــه فيـه الرحمة وظـٰهره من قبله العذاب)[١].

ذكر الحافظ ابن كثير عند هذه الآية الكريمة أقوال بعض العلماء في المراد بـ " السور " و " الباب " في الآية الشريفة السابقة.

فقـال ـ رحمه الله ـ " قال الحسن وقتادة : المراد بالسور حائط بين الجنة والنار " وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم :" هو الذى قال الله تعالـــى :" وبينهما حجاب[٢]" ، وهكذا روى عن مجاهد ـ رحمه الله ـ وهو الصحيح)[٣].

ثم قال الامام ابن كثير :" روى عن عبادة بن الصامت وعبدالله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار وعلى بن الحسن زين العابدين رضى الله عنهم أنهم قالوا :" ان السور الذى ذكره الله فى القرآن (فضرب بينهم بسور له بـــاب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقى باطنه المسجد وما يليه ، وظاهره وادى جهنـــم "[٤].

يعلق الحافظ على هذه الرواية بقوله :(وهذا محمول منهم على أنهـــم أرادوا بهذا تقريب المعنى ، ومثالا لذلك ، لا أن هذا هو الذى أريد مـــن القرآن ، هذا الجدار المعين ونفس المسجد ، وما وراءه من الوادى المعروف بواد جهنم ، فان الجنة فى السماوات فى أعلى عليين ، والنار فى الدركات

١ـ الحديـــد (١٣) .

٢ـ الأعـــراف (٤٦) .

٣ـ تفسيره ٤٣/٨ الشعب.

٤ـ تفسيره ٤٣/٨ ، وأنظر تفسير الطبرى ٢٢٥/٢٧ مع التصـــرف.

أسفل سافلين - نعوذ بالله منها)[1].

واختتم الامام تعليقه بقوله :" وقول كعب الأحبار ان الباب المذكور في القرأن الكريم هو باب الرحمة ، الذى هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من اسرائيلياته وترهاته ، وانما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ..."[2].

الباحث :-

اختار الحافظ ابن كثير أن المراد بـ (سور له باب) ، قول الحق تبارك وتعالى :" وبينهما حجاب " ثم قال بعده :" وهو الصحيح " ، لكن هذا مروى - فيمن روى - عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، وحاله على النحو التالى :-

١- قال البخارى : عبدالرحمن بن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن أبيه ، عن أبى حازم ، ضعفه على جدا ...)[3].

٢- وقال صاحب الميزان : " قال ابن معين : بنوا زيد ليس بشئ ، وقال النسائى : ضعيف .

وقال الامام أحمد: عبدالله ثقة ، والآخران ضعيفان[4].

٣- وقال الحاكم :" روى عن أبيه أحاديث موضوعة ، لايخفى على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه "[5].

٤- وقال الحافظ ابن حجر :" ... ضعيف من الثامنة ، مات سنة اثنتين وثمانين / ت ق[6].

١/٢- تفسيره ٨/٤٣ - ٤٤ط الشعب .

٣ - التاريخ الكبير للبخارى ١/٣/٢٨٤ - ٢٨٥ .

٤ - ميزان الاعتدال ٢/٥٦٤ وما بعدها .

٥ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث الشنيعة الموضوعة ١/٧٨ ، مطبعة عاطف بمصر .

٦ - تقريب التهذيب ١/٤٨٠ .

هذا هو حال ابن زيد ، ولكن يعضد قوله ماقاله مجاهد ، وبالنسبة لمن هو - السور - الحاجز والحائط والحائل بين شق الجنة وشق النار والعلم عند الله وهذا الترجيح الذى رجحته هو ما ارتضاه عدد من المفسرين كالنسفى واثير الدين بن حيان[1].

وأما الأثر المروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص وعبادة بن الصامت ، وكعب الأحبار وغيرهم فقد ذكره عدد من المفسرين واتخذوا منه مواقف متباينة ، فمنهم من ذكره دون تعليق كالبغوى - رحمه الله - وغيره[2] ، ومنهم من ذكره ثم نقده نقدا واعيا ومنهم :-

١- أبو حيان " صاحب البحر " حين قال :" ... ويبعد قول من قال : ان هذا السور هو الجدار الشرقى من مسجد بيت المقدس ، وهو مروى عن عبادة بن الصامت وابن عباس وعبدالله بن عمرو وكعب الأحبار ، ولعله لا يصح عنهم "[3].

وقال الشوكانى - بعد أن نقل الأثر السابق - قال :" ولا يخفاك ، أن تفسير السور المذكور فى القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الاشكال مالا يدفعه مقال ، ولاسيما بعد زيادة قوله : باطنه فيه الرحمة المسجد ، فان هذا غير ماسبقت له الآية ، وغير ما دلت عليه !

وأين يقع بيت المقدس أوسوره بالنسبة الى السور الحاجز بين فريقى المؤمنين والمنافقين ؟ وأى معنى لذكر مسجد بيت المقدس هاهنا ؟

فان كان المراد أن الله - سبحانه - ينزع سور بيت المقدس ويجعله فى الدار الآخرة سورا مضروبا بين المؤمنين والمنافقين فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد ؟ وان كان المراد أن الله

١- تفسير النسفى ١٥٣/٥ والبحر المحيط ٢٢١/٨ .

٢- تفسير البغوى على هامش الخازن ٣٠٠/٨ وانظر الدر المنثور ١٧٤/٦ .

٣- البحر المحيط ٢٢١/٨ مع بعض التصرف .

ـ سبحانه ـ يسوق فريقى المؤمنين والمنافقين الى بيت المقدس فيجعل المؤمنين داخل السور فى المسجد ، ويجعل المنافقين خارجه ، فهم اذ ذاك على الصراط وفى طريق الجنة وليسوا بيت المقدس "[1].

ويضيف الشوكانى القول " فان كان مثل التفسير ثابتا عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبلناه وآمنا به ، والا فلا كرامة ولا قبول "[2].

وجاء فى فتح البيان :(ولعله أخذه من الاسرائيليات)[3] .

ونختم هذه النقول بقول الألوسى :" ولا يخفى أن هذا ـ الخبر السابق ـ ونظائره ، أمور مبنية على اختلاف العالمين وتفاير النشأتين على وجه لاتصل العقول الى ادراك كيفيته والوقوف على تفاصيله ، فان صح الخبر لم يسعنا الا الايمان ...)[4].

فهذا البيان من هؤلاء المفسرون مفاده طرح الخبر السابق ، مالم يثبت دليل قاطع صحيح على صحته ، وعليه يبقى الخبر كما نبه الحافظ ابن كثير خبرا اسرائيليا ـ والله أعلم .

١ـ فتح القدير ١٦٧/٥ ـ ١٣٨ ، مع تصرف يسير.

٢ـ المصدر السابق نفس الموضع .

٣ـ فتح البيان ٢٩٨/٩ .

٤ـ روح المعانى للألوسى ١٥٣/٢٧ ـ ١٥٤ .

المبحث الرابع

تصريحه بأن رواة هذه الآثار مشهورون بالأخذ عن أهل الكتاب .

(البحث الرابع)

تصريحه بأن رواة هذه الاثار مشهورون بالاخذ من الاسرائيليات

نرى أبن كثير - رحمه الله - في تفسيره لآي القرآن يسلك مسلك فريدا ونقدا متينا في الأخبار التي تنقل الينا ، ومن تلك المسالك هذا البحث . حيث يصرح الحافظ في كثيرا من المواضع بأن رواة هذه الآثار مشهورون بالأخذ عن الاسرائيليات وذلك تحقيقا منه - رحمه الله - على الاثار الغريبه والتي تبدو أنها دخيله وفي الوقت نفسه تحتاج إلى دليل صحيح .

وهذه أمثله لهذا الضرب من مسالك ابن كثير المتعدده :-

(سورة البقره)

٤٦- قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكه اسجدوا لأدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (١) .

قال الامام ابن كثير : وقال السدى في تفسيره : عن أبي مالك وعن أبي صالح عن أبن عباس رضي الله عنهما ، وعن مره عن أبن مسعود رضي الله عنه . وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش ، فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكه يقال لهم الجن ، وأنما سموا الجن لأنهم خزان الجنه وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره كبر..(٢)..

عقب الامام عليه بقوله : (فهذا الأسناد الى هؤلاء الصحابه مشهور في تفسير السدى ، فيقع فيه إسرائيليات كثيره ، فلعل بعظها مدرج ، ليس من كلام الصحابه أو أنهم أخذوه من أهل الكتب المتقدمه . والله أعلم .

---

١) - البقره (٣٤)

٢) - تفسيره ١/١٠٩ الشعب .

والحاكم يروى في مستدركه "٤٠٥" بهذا الإسناد بعينه أشياء ، ويقول : على شرط البخارى (٣) .

الباحث :-

أخرج هذا الحديث الإمام الطبرى في تفسيره (٤) وذكره غير واحد من المفسرين (٥) .

وبعد تمامه ، قال أبو جعفر الطبرى : فهذا الخبر أوله مخالف معناه معنى الرواية التي رويت عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية الضحاك التي قد قدمنا ذكرها قبل (٦) وموافق معنى آخره معناها وذلك أنه ذكر في أوله أن الملائكه سألت ربها : ماذا الخليفه ؟ حين قال لها : إني جاعل في الأرض خليفه ، فأجابها أنه تكون له ذريه يفسدون في الارض ويتحاسدون .....

فقالت الملائكه حينئذ : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ فكان قول الملائكه ماقالت من ذلك لربها بعد إعلام الله إياها أن ذلك كائن من ذرية الخليفه الذى يجعله في الأرض فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذى ذكرناه .

---

٣) - تفسير ١ / ١٠٩ - ١١٠ . الشعب .

٤) - تفسير ١ / ٤٥٨ - ٤٦٣ . الطبعه المحققه .

٥) - انظر مثلا الدر المنثور ١ / ٤٥ وما بعدها . وفتح القدير ١ / ٥٠ .

٦) - وهي ماحدث به أبو كريب ...عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكه يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من خزانة الجنه ، قال : وخلقت الملائكه كلهم من نور غير هذا الحي قال : وخلقت الجن الذن ذكروا في القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذى يكون في طرفها إذا ألهبت ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا) أنظره بتمامه في تفسير الطبرى ١ / ٤٥٥ - ٤٥٨ - طبعة شاكر .

وأما موافقته إياه في آخره ،فهو قولهم في تأويل قوله: " أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين " أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ،وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك تبرّيا من علم الغيب : " سبحانك، لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم " (١)

واضاف الأمام ابن جرير قائلا: (وهذا اذا تدبّره ذو الفهم ،علم أن أوله يفسد آخره ،وأن آخره يبطل أوله ،وذلك أن الله جل شانه إن كان أخبر الملائكة أن ذرية الخليفة الذي يجعله في الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء ، فقالت الملائكة لربها : " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " فلا وجه لتوبيخها على أن أُخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد في الأرض و يسفك الدماء ،بمثل الذي أخبرها عنهم ربها . فيجوز أن يقال لها فيما طوى عنها من العلوم : إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور فأخبرتم به ،فأخبرونا بالذي قد طوى الله عنكم علمه ،كما قد أخبرتمونا بالذي قد اطلعكم الله عليه ،بل ذلك خلف من التأويل ،ودعوى على الله ما لايجوز أن يكون له صفة (٢) وأخشى أن يكون بعض نقلة هذا الخبر هو الذي غلط على من رواه عنه من الصحابة ،وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك: (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العلم بخبري إياكم أن بني آدم يفسدون في الارض ويسفكون الدماء ،حتى استجزتم أن تقولوا

---

(١) " تفسيره " ١/ ٤٦١ ـ ٥١٣ طبعة احمد شاكر .

(٢) يعلق الشيخ أحمد شاكر على نقد الطبري البناء بقوله: (نقد الطبري دال على ماسبق وأن أشرت اليه بان استدلاله بالآثار كاستدلاله بالشعر ،فأنت تراه ينقض هذا الخبر نقضا ،ويبين الخطاء في سياقه وتناقضه في معناه .... وفيه أيضا أن استدلال الطبري بالأخبار والآثار ليس معناه أنه ارتضاها ،بل معناه أنه أتى بها ليستدل على سياق تفسيره لآية مرة ، وعلى بيان فساد الأخبار أنفسها مرة اخرى ،وقد أخطا كثير ممن نقل عن الطبري في فهم مراده ،، وتحامل عليه اخرون لم يعرفوا مذهبه في هذا التفسير) ١٠/ ٤٦٢ .

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " فيكون التوبيخ حينئذ واقعا على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم : " أنه يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء " لا على إخبارهم بما أخبر الله به أنه كائن .

وذلك أن الله جل ثناؤه ، وان كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرية خليفته فى الأرض مما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء ، فقد كان طوى عنهم الخبر عما يكون من كثير منهم مما يكون من طاعتهم ربهم واصلاحهم فى أرضه وحقن الدماء ، وزفعة منازلهم ، وكرامتهم عليه ، فلم يخبرهم بذلك ...) (١)

وبالنسبة لأسناد هذا الحديث يقول الطبرى : " اذ كنت بإسناده مرتابا " ويعلق الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله على كلام الطبرى بقوله : (وحق لأبى جعفر أن يرتاب فى إسناده ، فان هذا الإسناد فيه تساهل كثير ، من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة فى سياق واحد ، تجمعه هذه الأسانيد) (٢)

وفى موضع آخر يقول الأستاذ أحمد شاكر - أيضا - : (ولم يبين الطبرى علة ارتيابه بالاسناد السابق ، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به ، ولكنه لم يجعلها حجة قط .

بيد أنى أراه إسناداً يحتاج إلى بحث دقيق ، ولأئمة الحديث كلام فيه وفى بعض رجاله ، وقد تتبعت ما قالوا : وما يدعوا إليه بحثه ما استطعت ، وبدا لى فيه رأى ، وأرجو أن يكون صوابا ان شاء الله ، وما توفيقى الا بالله .

أما شيخ الطبرى : فهو موسى بن هارون الهمدانى ، لم نعثر له على ترجمة .

(و عمرو بن حماد) .. ثقة ...

و " أسباط بن نصر الهمدانى " مختلف فيه ، ووضعفه أحمد ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وترجمه البخارى فى الكبير ، فلم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ...

و " اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة السدى الكبير ، فتابعى ، سمع أنسا وهو ثقة

---

(١) " تفسيره ١/ ٤٦٢ ، طبعة شاكر .

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٤ ، نفس الطبعة .

(٣) ======= ١/ ٣٤٨ ======= .

قال يحى بن معين : الكلبى ضعيف ... وفى الميزان والتهذيب : (أن الشعبى قيل له : إن السدى قد أعطى حظا من علم القران ، فقال : قد أعطى حظا من جهل بالقران ! ، وعندى ـ والكلام لأحمد شاكر ـ ان هذه الكلمة من الشعبى قد تكون أساسا لقول كل من تكلم فى السدى بغير حق ، ولذلك لم يعبأ البخارى بهذا القول من الشعبى ولم يروه ، بل روى فى الكبير عن مسدد عن يحى قال : (سمعت ابن أبى خالد يقول : السدى أعلم بالقران من الشعبى) ... .

وقال يحى القطان : (ما رأيت أحداً يذكر السدى إلا بخير ، وما تركناه أحد) (١) ..... وقد رجحنا توثيقه فى المسند ٨٠٧ وتوفى السدى سنة ١٢٧ اهـ أهـ

قلت : وفى التقريب : صدوق يهم ... رمى بالتشيع . (٢)

و " أبو مالك : هو الغفارى واسمه غزوان وهو تابعى كوفى ثقة ... .

و " أبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبى طالب واسمه باذام ، ويقال باذان وهو تابعى ثقة .

قال يحى بن معين : أبو صالح مولى أم هانئ ليس به بأس (٣) ، فاذا روى عنه الكلبى فليس بشئ ، واذا روى عنه غير الكلبى فليس به بأس لأن الكلبى يحدث به مرتين رأيه ، ومرة عن أبى صالح ، ومرة عن أبى صالح عن ابن عباس) يعنى بهذا ان الطعن فيما يروى عنه إنما هو فى رواية الكلبى ، كما هو الظاهر .) (٤)

قلت : وفى التقريب صدوق ... ص ٩٢٨

هذا عن القسم الاول من هذا الاسناد ، فان حقيقته إسنادان أو ثلاثة أولهما هذا المتصل بابن عباس رضى الله عنهما ،

والقسم الثانى ـ أو الاسناد الثانى (وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، والذى يروى عن مرة الهمدانى ، هو السدى نفسه .

ومرة هو شراحيل الهمدانى الكوفى ، وهو تابعى ثقة من كبار التابعين ....

والقسم الثالث ، او الأسناد الثالث ـ (وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) وهذا أيضا من رواية السدى نفسه عن ناس من الصحابة ،

فالسدى يروى ، هذه التفاسير لآيات من القران عن اثنين من التابعين عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن تابعى واحد عن ابن مسعود رضى الله عنه ، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة .

وللعلماء الائمة القدماء كلام فى هذا التفسير بهذه الأسانيد ، قد يوهم أنه من تاليف من دون السدى ، من الرواة عنه ، الا أنى أستيقنت بعد أنه كتاب ألفه السدى ..... (٥)

---

(١) التاريخ الكبير ١/٢/٣٦٢ . (٢) التقريب ١/٧١ ـ ٧٢ .

(٣) وهذا اصطلاح خاص بابن معين والمقصود به أنه ثقة ، وأمامون ، انظر أصول التخريج ودراسة الأسانيد للطحان ص ١٤١ .

(٤) تفسير الطبرى ١/١٥٦ ـ ١٥٨ .

((سورة آل عمران))

٤٧ - قوله تعالى : ((إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين))[1]

عند هذه الآية الكريمة يقول الامام ابن كثير : " فأما الحديث الذى رواه البيهقى فى بناء الكعبة فى كتابه دلائل النبوة[2] من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا " بعث الله جبريل الى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة ، فبناه آدم ثم أمر بالطواف به . . . " فانه كما ترى من مفردات ابن لهيعة ، وهو ضعيف"[3]

ويضيف معلقا : " والأشبه والله أعلم - أن يكون هذا موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص ، ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب "[4].

الباحث :

رجال الاسناد :-

ابن لهيعة - سبق وان ترجم له ، وهو قد احترقت كتبه ، وبعضهم يحسنونه مطلقا[5] وهو يدلس عن ضعفاء وكذابين[6].

يزيد بن أبى حبيب ، مولى شريك بن الطفيل الأزدى ، أبو رجاء المصرى ، كان عالما حليما عالما ، ثقة كثير الحديث ، مات سنة ١٢٨ هـ.[7]

---

(١) آل عمران : "٩٦".

(٢) دلائل النبوة ١ / ٣٢٠ - ٣٢١ ، وقال : " تفرد به ابن لهيعة".

(٣) و تفسيره ٢ / ٦٤ الشعب.

(٤) ٢٢١ ـــ ٢٢٢

(٥) أنظر : ص من هذا البحث.

(٦) أنظر : تنزيه الشريعة ١ / ٢٣١ .

(٧) الكاشف ٣ / ٢٧٥ .

أبو الخير : لم نعثر له على ترجمة

فالاسناد حسن فيما يبدو والله أعلم . .

وأما من جهة المتن فلم أجد من ذكرها غير ابن كثير والبيهقي رحمهما الله .

ولكن التفاسير التي بين يدي ، نقلت وجهات نظر مختلفة حول الباني له في الابتداء . .

فقيل : الملائكة ، وقيل : آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا في كيفية بنائه ، فقيل : بناه من خمسة أجبل : من حراء ، ومن طور سيناء ، ومن لبنان ، ومن الجودي ، ومن طور زيتا .

وقيل : نزل به آدم من الجنة .(١)

وقيل : انه شيث على نبينا وعليه الصلاة والسلام (٢)

وقيل : ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقيل غير ذلك .

قال العلامة ابن عطية : " ورويت في هذا أقاصيص من نزول آدم به من الجنة ومن تحديد ما بين خلقه ودحو الأرض ونحو ما قال الزجاج : من أنه البيت المعمور أسانيدها ضعاف فلذلك تركتها ، وعلى هذا القول يجيء رفع ابراهيم القواعد تجديدا . . "(٣)

ويقول الشوكاني : " ويجمع بين ذلك - الأقاويل السابقة - بأن أول من بناه الملائكة ، ثم جدده آدم ، ثم ابراهيم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام " (٤)

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ١٢٠-١٢٢ و٤ / ١٣٧-١٣٨ ، وتفسير ابن كثير ١ / ١٧٢-١٧٣ حلبية وزاد المسير ١ / ٤٢٥ ، وتفسير أبو السعود ١ / ٢٥٧-٢٥٨-٥١٧ . وتفسير البغوي على هامش ابن كثير ١/٢ ١٩-٢ ١٩ وتفسير الخازن ١ / ٣٨٣-٣٨٤ ، وتفسير الزمخشري ١ / ٤٤٦ ، ومفاتيح الغيب ٨ / ١٥٢ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٢٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٣ / ١٦٤ ، ط/ المغربية . (٤) فتح القدير ١ / ٣٣٠ .

ونجد القاسمي يعقد مسألة بعنوان تنبيه : ونصها : " ذكر بعض المفسرين أن المراد بالأولية كونه أولا في الوضع والبناء ، وروا في ذلك آثارا منها أنه - تعالى - خلق هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين ومنها أنه تعالى بعث ملائكة لبناء بيت في الأرض على مثال البيت المعمور ومنها . . . ومنها . . .(١) وليس في هذه الآثار خبر صحيح يعول عليه والمتعين أن المراد أول بيت وضع مسجدا . . . " .

وفصل القول :

ما ذكره الطبري في تفسيره ، قال - رحمه الله - : " والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه : " ان أول بيت مبارك وهدى وضع للناس ببكة ، ومعنى ذلك : " ان أول بيت وضع للناس " أي لعبادة الله فيه " مباركا وهدى " يعني ذلك وما بالنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله واجلالا له " للذي ببكة " لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : " المسجد الحرام " قلت : ثم أي ؟ قال : (المسجد الأقصى) قلت : كم كان بينهما ؟ قال : " أربعون سنة ، ثم أينما ادركتك الصلاة بعد فصله فان الفضل فيه " .(٢)

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا ، فأما وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع ، وفي بعضه في سورة البقرة ، وغيرها من سورة القرآن ، وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك " .(٣)

---

(١) تفسير القاسمي : ٤/٨٩٤-٨٩٥ ، وانظر أحكام القرآن للكيا الهرا ٢/٣٩ ، ط : دار الكتب بمصر .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٨٣

(٣) تفسيره ٧/٢٢ طبعة شاكر .

والصواب الذى أشار اليه الامام الطبرى هو ماذكره فى سورة البقرة حيث قال :" والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : ان الله تعالى -أخبر عن ابراهيم خليله أنه وابنه اسماعيل -على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - رفعا القواعد من البيت الحرام، وجائزأن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذى بمكة، وجائزأن يكون كان القبة التى ذكرها عطاء مما أنشاه الله من زبد الماء، وجائزأن يكون كان ياقوته أوردة أهبطا من السماء، وجائزأن يكون كان آدم بناه، ثم انهدم، حتى رفع قواعده ابراهيم واسماعيل على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، ولا علم عندنا بأى ذلك كان من أى .

لأن حقيقة ذلك لا ندرك الا بخبر عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك وتقوم به الحجة، فيجب التسليم لها، ولا هو اذ لم يكن به خبر على ماوصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس فيمثل بغيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول فى ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا . والله أعلم ".[1]

---

(١) تفسيره ٣/ ٦٤ .

٤٨ـ قول الحق تبارك وتعالى : ((حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدهـا تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قومـا . . .))[١]

عنـد تفسيره للآيـة السابقة قال الحافظ ابن كثير: " أى رأى الشمس فى منظره تغرب فى البحر المحيـط . . . "[٢].

ثـم استمر فى شرحه للآيـة الكريمةبقوله : " و"الحمئة" مشتقة علـى احدى القراءتين من الحمأة وهو الطين ، كما قال تعالى : ((انى خالـق بشرا من صلصـال من حمأ مسنـون))[٣]

أى طـين أملـس "[٤].

وبعـد ذلك نقل أثرا عن ابن جرير ـ رحمه الله ـ أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول : " فى عين حمئة" ثم فسرها ذات حمـأة" .

قـال نافـع : " وسئل عنها كعب الأحبار ؟ فقال : أنتم أعلم بالقرآن منى ، ولكنى أجدها فى الكتـاب[٥]" تغيب فى طينة سـوداء "[٦].

ثـم وضح ابن كثير أن هناك قراءتان ، السالفة الذكر ، والأخـرى "حـاميـة " .

وفسرهـا الحسن البصرى ، وابن عباس رضى الله عنهما بأنهـا " حـارة" .

---

(١) الكهـف : "٨٦ .

(٢) تفسـيره ٥/٨٧ الشعب.

(٣) الحجـر : " ٢٨" .

(٤) تفسيره ٥/٨٧ ١ - ١٨٨ و٣/١٠٢ حلبـى .

(٥) كتاب أهل الكتاب .

(٦) تفسيره ٥/١٨٨ الشعب والحلبى ٢/١٠٢

وأردف ابن كثير القول : " ولا منافاة بين معنييهما ، اذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها ، وملاقاتها الشعاع بلا حائل وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الأحبار وغيره" (١).

وقبيل انتهائه من شرح الآية ، أورد خبرا عن الطبري مفاده أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غابت ، فقال :

" في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض" (٢).

علق الحافظ عليه بقوله : ورواه الامام أحمد (٣) ، وفي صحة هذا ورفعه نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص من زاملتيه اللتين وجدهما يوم اليرموك " (٤).

الباحث :

أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره (٥) وأخرجه الامام احمد في مسنده أيضا ، وذكره السيوطي في درة (٦).

وعلق عليه الأستاذ أحمد شاكر على هذا الخبر بقوله : " اسناده ضعيف لجهالة مولى عبد الله بن عمرو بن العاص راويه . . . . كما استشهد بنقد ابن كثير الآنف الذكر وذكر أن الهيثمي أيضا ذكره (٧)

---

(١) تفسيره ٥/١٨٨ الشعب ، والكشاف ٢/٤٠١ ومفاتيح الغيب ٢١/١٦٧ .

(٢)

(٣) مسند الامام أحمد ٢/٢٠٧ ، ط المكتب الاسلامي ، وفيه قال عبد الله ابن عمرو : " رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت" .

(٤) تفسيره ٥/١٨٨ الشعب . وقارن بالحلبي ٣/١٠٢ .

(٥) تفسيره ١٦/١٠-١١ ط : الثالثة .

(٦) الدر المنثور ٤/٢٤٨ .

(٧) مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١١/١٥٩-١٦٠ .

((سورة طه))

٤١ ـ قوله تعالى : ((. . . وفتنـاك فتونـا)) .[1]

ذكر ابن كثير عند قوله تعالى : ((وفتناك فتونا)) حديث الفتون وفيه أن سعيد بن جبير سأل ترجمان القرآن ـ رضى الله عنهما ـ عن الفتون ، فحدثه ابن عباس رضى الله عنهما بذلك .

وملخصه على النحو التالى : " تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فتشاور القوم فى كيفية الخلاص من بنى اسرائيل . . . حتى اتفقوا أخيرا على قتل الذكور عاما وابقائهم عاما آخر . . . ثم ولد موسى عليه الصلاة والسلام فى العام الذى يقتل فيه الذكور ، ثم أوحى الله الى أمه بطريقة نجا فيها موسى . . . ثم امتناعه من الارتضاع من الأجانب ، ثم قصة أن موسى أخذ لحية فرعون ووضعه الجمرة فى فيه ، ثم قصة قتل القبطى . . . ثم هربه الى مدين وصيرورته أجيرا لوالد الفتاتين ، ثم عوده الى مصر . . . وأنه أخطأ الطريق فى الليلة المظلمة واستئناسه بالنار من الشجرة . . . وكان عند تمام كل واحدة منهما يقول ـ أى ابن عباس ـ : هذا من الفتون يا ابن جبير . . . الخ "[2]

قال عقبه : " هكذا رواه النسائى فى السنن الكبرى ، وأخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيره كلهم من حديث يزيد بن هارون به "[3]

---

(١) طـه : "٤٠" .

(٢) أنظر : تفسير ٥ / ٢٧٩ - ٢٨٦ ، بتصرف شديد ، ومفاتيح الغيب ٢٢ / ٥٥ ، والدر المنثور ٤ / ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، والقرطبى ١١ / ١٩٨ ، وروح المعانى ١٦ / ١٧٤ .

(٣) يزيد بن هارون السلمى ، ثقة ، حجة ، حافظ ، كما فى تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧-٣٢٠ وتهذيب التهذيب ١١ / ٣٦٦-٣٦٩ .

وهو موقوف من كلام ابن عباس رضى الله عنهما ، وليس فيه مرفوع الا قليل[1] منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما مما أبيح نقله من الاسرائيليات من كعب الأخبار أو غيره والله أعلم" [2].

ويضيف ابن كثير قائلا : " وسمعت شيخنا الحافظ المزى يقول ذلك أيضا" [3].

---

(١) ولعله يقصد تلك المحاورة التى حصلت بين معاوية وابن عباس رضى الله عنهم، وذلك أن ابن عباس حدث بالحديث السابق فاستنكر معاوية ،لأن فيه أن الفرعونى هو الذى أفشى على موسى أمر القتيل الذى قتل ،ثم احتكما الى سعيد بن مالك الزهرى، وكانت النتيجة لصالح ابن عباس رضى الله عنهم،أنظر: تفسيره ٥/٢٨٦ - الشعب والدر المنثور ٤/٣٠١.

(٢) تفسيره ٥/٢٨٦ الشعب.

((سـورة الفرقـان))

٥٠ ـ قوله تعالى : ((ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا))[١]

عند الآيـة الكريمة السابقة أورد الحافظ ابن كثير اثرا عن محمد بن جريـر الطبرى وفيه" يهبط الله ـ عز وجل ـ حين يهبط وبينه وبين خلقـه سبعون ألف حجاب ، منها النور والظلمة ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع منه القلـوب " [٢].

نقـده ابن كثـير بقوله : " وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو بـن العاص رضى الله عنهما من كلامه ، ولعله من الزاملتـين ".[٣]

الباحـث:

الحق ان المراجع التى رجعنا اليها من كتب التفسير[٤] لم تذكر هذا الخبر حتى ولا الدر المنثور الذى جمع فيه مصنفه الأخبار والآثـار والأحاديث باختلافها ، ماعدا ماذكره الامام ابن كثير ، والذى منه استقى ونقل هذا الخبر ألا وهو العلامة شيخ المفسرين ابن جرير ، فقد أخرجه فى تفسيره فقـال : حدثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبى حـازم ... وذكره .[٥]

---

(١) الفرقـان : "٢٥".

(٢) تفسيره ٦/١١٤ ـ ١١٥ ـ الشعب و٣/٣١٦ح .

(٣)

(٤) رجعنا للبحث عن هذا الخبر فى تفاسير عدة منها ، معالم التنزيـل ومفاتيح الغيب ، والجامع لأحكام القرآن ، ومدارك التنزيل وحقائـق التأويل ، ولباب التأويل فى معانى التنزيل ، والدر المنثـور ، وفتح القديـر ، وروح المعانـى .

(٥) تفسـير الطبرى ١٩/٦ .

((سـورة الذاريـات))

٥١- قوله تعالى : ((وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم، ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)) [١]

عند هذه الآية المباركة ذكر الحافظ ابن كثير قول قتادة والضحاك في معنى الآيتين السابقتين :" الريح العقيم" أي المفسدة التي لا تنتج شيئا[٢] ولهذا قال تعالى : ((ماتذر من شيء أتت عليه " أي ما تفسده "الريح" (الا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي"[٣]

قلت : أي زاد ابن كثير - رحمه الله - ماتركت شيئا يستفاد به اذا أقبلت على شيء الا جعلته هالكا باليا كله .

نقل بعد هذا البيان من ابن أبي حاتم بسنده من عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - مرفوعا : " الريح مسخرة من الثانية - يعني من الأرض الثانية- فلما أراد الله - تعالى - أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا ، قال : أي رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور ؟ قال : - تبارك وتعالى :" لا اذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم " فهي التي يقول الله :" ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم".[٤]

ينقد الامام أبو الفداء الخبر السابق بقوله :"هذا الحديث رفعه منكر ، والأقرب ،أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما من زاملتيه .... والله أعلم "[٥]

---

(١) الذاريات :"٤١-٤٢".

(٢) الدر المنثور ٦/ ١١٥.

(٣) تفسيره ٧ / ٣٩٩ - ٤٠٠ ، وأنظر الدر المنثور ٦/ ١١٥ ، وذكر السيوطي نحو هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) المصدر السابق الموضع عينه .

(٥) المصدر السابق الموضع عينه .

((سورة النبأ))

٥٢ ـ قوله تعالى : ((يوم يقوم الروح والملائكة صفا)) [١]

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية الكريمة مايلي :
" اختلف المفسرون في المراد بالروح ها هنا ماهو؟ .
ثم ذكر أقوالا كثيرة ، والتي من بينها أن المراد به جبريل ، أو القرآن المجيد ، أو بنو آدم أو أرواح بني آدم أو أنهم خلق من خلق الله على صورة بني آدم [٢] وليسوا بملائكة ولا ببشر . . . الخ

واختار ابن كثير انهم بنو آدم ، وهو قول الحسن وقتادة [٣]

وبعد ذلك ساق اثرا قال ان الطبراني رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا " ان لله ملكا ، لو قيل له : التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت " [٤]

علق ابن كثير على هذا الأثر بقوله : " وهذا غريب جدا ، وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما ، ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات . [٥]

الباحث :

للمفسرين في معنى "الروح" مواقف متباينة ، فمنهم من نقل الأقوال السالفة الذكر وغيرها دون توجيه كالبغوي والخازن وأبو السعود مثلا [٦]

ومنهم من وجه توجيها جيدا ومنهم هؤلاء

---

(١) "النبأ" : "٣٨" .
(٢) أنظر تفسير الطبري ٢٢/ .
(٣) " " " ٢٣/٣٠ .
(٤) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٣٣ الشعب .
(٥) و
(٦) تفسير البغوي على هامش الخازن ٧/ ٦٩ ، ونفس الصفحة للخازن ، وتفسير أبي السعود ٥/ ٤٥٩-٤٦٠ .

شيخ المفسرين والألوسي والقاسمي [1]

وهذه مقتطفات من أقوال المفسرين الذين تكرموا بتعليق لطيف عقب الأقوال في "الروح".

والمراد منه:

أولا: محمد بن جرير الطبري: "والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أخبر ان خلقه لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت والله أعلم أي ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني دون غيره يجب التسليم له ولا حجة تدل عليه وغير ضائر الجهل به". [2]

ثانيا: محمود شكري الآلوسي يقول عند هذه الآية بعد ان ساق قدرا من الأقوال افي بيان معنى "الروح" يقول: "ولم يصح عندي فيه هنا شيء". [3]

والقاسمي في تفسيره يقول بعد أن جزم ان المراد هو جبريل عليه السلام لأنه المعبر عنه بروح القدس في آية أخرى.

يقول: "وفيه أقوال آخر نقلها ابن جرير، وما ذكرناه أصوبها والتنزيل يفسر بعضه بعضا ..." [4]

وعلى ضوء ما تقدم ترجح لي أن المراد به جبريل لقوله تعالى: ((تنزل الملائكة والروح فيها ...)) [5]

وقوله تعالى: ((قل نزله روح القدس من ربك بالحق ...)) [6].

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٢٣، وتفسير الآلوسي ٣٠/٢٠، وتفسير القاسمي ١٧/٦٠٤٠.

(٢) " " ٣٠/٢٣.

(٣) روح المعاني ٣٠/٢٠.

(٤) تفسير القاسمي ١٧/٦٠٤٠.

(٥) القدر: "٤". (٦) النحل ١٠٢

وقوله تعالى : ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)) .[1]

وقوله تعالى : ((فأرسلنا اليها روحنا . . .))[2] على القول المشهور والراجح من أنه جبريل لعيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام والله اعلم . .

وما رجحناه هو ما ارتضاه الرازي في تفسيره ، حيث ذكر اختلافهم في المراد "بالروح" في هذه الآية وبعد أن ساق الأقوال كلها تقريبا اختار ما اختارناه وعلل ذلك : بأنه مروى عن الضحاك والشعبي ، وهذا المختار هو أيضا ما اختاره القاضي حيث قال : لأن القرآن الكريم دل على أن هذا الاسم جبريل عليه السلام ، وثبت أن القيام صحيح من جبريل والكلام صحيح منه ، ويصح أن يوذن له ، فكيف يصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه ؟ . أو الى القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام ."[3]

---

(١) الشعراء : "١٩٣-١٩٤" .

(٢) مريم : "١٧" .

(٣) "التفسير الكبير" ٢١/٢٣-٢٤ . بتصرف يسير .

المبحث الخامس

تردده في الحكم على أن هذه الآثار إسرائيلية أو غير إسرائيلية

المبحث الخامس

تردده في الحكم على أن هذه الآثار الاسرائيلية أو غير اسرائيلية

نلحظ في بعض الآثار الغريبة أن الحافظ عماد الدين يتردد في اتخاذ موقف ما ، فهو يكاد ينطق ويجزم بأن هذا الأثر اسرائيلي ، ولكن ليس هناك ما يدعم قوله فيتوقف ، مع جزمه بعدم رفعها ... ينظر فيما يلي :-

((سورة الفاتحة))

٥٣- قوله تعالى : ((بسم الله الرحمن الرحيم))

ذكر ابن كثير عندها عدة آثار في فضلها ، عقب عليها بقوله : " الله أعلم بصحتها " لكن هناك أثر واحد وقف عنده وقفة متينة ، ونقد ذلك الأثر نقدا يكاد يقرب من الصواب .

ذلكم الأثر هو " أن عيسى بن مريم " أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه ، فقال له المعلم : أكتب . قال : ما أكتب ؟ قال : بسم الله قال له عيسى : وما بسم الله ؟ قال المعلم : ما أدري : قال له عيسى : الباء بهاء الله ، والسين سناؤه[1] والميم مملكته ، والله اله الآلهة .." [2] !

عقب عليه أبو الفداء بقوله : " وهذا غريب جدا " وقد يكون صحيحا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الاسرائيليات لا من المرفوعات والله أعلم " [3]

---

(١) أنظر : " مراح لبيد " ١/٣٠ .

(٢) و (٣) تفسيره ١/١٧ ، حلبي وقارن بالشعب ١/٣٣ .

الباحـــث:

أخـــرج هذا الحديث الطبرى - فى كثير من المواضع - وابن عدى فى الكامل وابن مردويـــة وأبو نعيم فى الحلية بسند ضعيف جدا (١).

قال الامام ابن الجوزى فى موضوعاته بعد أن ساقه: " هـــــذا حديث موضوع محال، وأما اسماعيل بن عياش فقد ضعفه النسائى وغيره، وقال ابن حبان: تغير فى آخر عمره، فكثر الخطأ فى حديثه وهو لا يعلم.

قلـــت: - ابن الجـوزى - وأما اسماعيل بن يحيى - أحد رجال الاسناد - فانـى أرى البلاء منه" (٢)

وينقل ابن الجوزى أقوال أئمة الجرح والتعديل فى اسماعيل بـــن يحيـــى فيقـــول:

" قال ابن عدى: " يحدث عن الثقات لا يحل الرواية عنه بحال".

وقـــال الدارقطـــنى: " كذاب متروك ".

وأخـــيرا يقول ابن الجوزى - رحمه الله - ما يضع مثل هذا الحديث الا ملحد يريد شين الاسلام، أو جاهل فى غاية الجهل، وقلة المبـــــالاة بالديـــن ...." (٣)

وابن عـــراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث الشنيعـــة الموضوعة يقول: " أخرجه الكامل لابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه اسماعيل بن يحيى التميمى، والبلاء منه ولا يضع مثل هذا الا ملحـــد أو جاهـــل" (٤)

---

(١) الدر المنثور ١/ ٨، وفتح القدير ١/ ٨-٩.

(٢) الموضوعات لابن الجوزى ١/ ٢٠٣.

(٣) الموضـــوعات ١/ ٢٠٣-٢٠٥.

(٤) تنزيه الشريعة، كتاب الأنبياء /الفصل الأول ١/ ٢٣١.

وتقدم القول بأن الطبري أخرجه[1] ـ يعلق الشيخ أحمد شاكر عليه بقوله : " هذا حديث موضوع لا أصل له ، . . . رواه بطوله ابن حبان الحافظ في كتاب المجروحين [2] في ترجمة اسماعيل بن يحيى . . . وقال في اسماعيل هذا : " كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات لا تحل ، الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال" ثم ضرب مثلا من أكاذيبه فروى الحديث بطوله" قلت : واسماعيل هو بن يحيى بن عبيد الله التميمي كنيته أبو علي يروي عن مسعر ومالك وقطر ، وروى عنه أهل العراق

ويضيف الشيخ أحمد شاكر فيقول : " ذكره ابن كثير في تفسيره . . ثم قال : " وهذا حديث غريب وقد يكون صحيحا الى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الخ .

يعقب أحمد شاكر على نقد ابن كثير هذا فيقول : وما أدري كيف فات الحافظ ابن كثير أن في اسناده هذا الكذاب ، فتسقط روايته بمرة ولا يحتاج الى هذا التردد " .[3]

ثم تابع الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ نقل أقوال علماء الجرح والتعديل في بيان حال اسماعيل بن يحيى[4] . .

وأما الطبري نفسه فقد قال عقب ايراده الحديث ما نصه : "فأخشى أن يكون غلطا من المحدث ، وأن يكون أراد (ب س م) على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد ، فغلط بذلك فوصله ، فقال:

---

(١) تفسير الطبري : ١/ ١٢١ـ١٢٥ـ١٢٧ . طبعة شاكر.

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للحافظ محمد بن حبان أحمد ابى حاتم ١/ ١٢٦ ، ط : ١ ١٣٩٦هـ ، وانظر الميزان ١/ ٢٥٣ .

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) المصدر السابق نفس الموضع.

"بســـم" لأنـه لا معنى لهذا التأويـل اذا تلى "بسم الله الرحمن الرحيم" على ما يتلـوه القارئ في كتاب الله لاستحالـة معناه عن المفهوم به عنـد جميـع العرب وأهل لسانها ،اذا حمل تأويله على ذلك".

قلـت : وعلى ما تقدم يتبين وجه الحق ،وأن هذا الخبر ـ الحديث بهذا الاسناد لا يصح ،كما قال بذلك أئمة الحديث ورجالـه ، والله ـ تعالـى ـ أعلـم.

المبحث السادس

تصريحه بأن هذا الأثر أو الآثار من غرائب كتب السنة أو من الآثار الموضوعة أو في إسناده نظر أو ضعيف أو فيه نكارة .

وسيجيء بعد ذلك أنها من أخبار أهل الكتاب .

المبحث السادس

تصريحه بأن هذا الأثر أو الآثار من غرائب كتب السنة أو من الآثار الموضوعة أو في اسناده نظر أو ضعيف أو فيه نكاره

ويرجح بعد ذلك أنها من أخبار أهل الكتاب . ينظر في المواضع الآتية:

هنا نجد الأمام يصرح بأن هذه الآثار موضوعة أو من غرائب كتب السنة [1] ..... الخ .

٥٤ ـ قوله تعالى : ((ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد)) [2].

ساق الحافظ ابن كثير عند هذه الآية الشريفة أثرا يشير في النفس الشك والريبة ، ويحمل في طيه غرابة ونكارة .

وذلكم الآثر هو : " عقلان أحد العروسين يبعث الله منها يوم القيامة سبعين الفا لا حساب عليهم ، ويبعث منها خمسين الفا شهداء وفود الى الله ، ومنها صفوف الشهداء ، رؤسهم مقطعة في أيديهم تشخ [3] أوداجهم دما يقولون ربنا وآتنا ما وعدتنا ... فيقول : سبحانه:

((صدق عبيدي أغلولهم بنهر البيضة .....الخ)) [4]

علق الحافظ ابن كثير على هذه الرواية بقوله :" وهذا الحديث من غرائب المسند [5] ومنهم من يجعله موضوعا والله أعلم" [6]

---

(١) في السنة نوعان : ١ ـ بمعنى ضعيف . ٢ ـ بمعنى الفرد مثل "حديث (انما الأعمال بالنيات) وقطعا مراد الشيخ ليس الثاني . والله أعلم.

(٢) آل عمران : " ٢٩٤ ".

(٣)

(٤) تفسيره ٢/١٦٢ الشعب وانظر الحلبي ١/٤٣٩ .

(٥) أي مسند الامام أحمد ، وانظر ٣/٢٢٥ منه .

(٦) تفسيره ٢/١٦٢ الشعب وانظر الحلبي ١/٤٣٩ .

الباحث:

ذكر هذا الأثر السيوطي في درّه.(١)

وذكره الامام ابن الجوزي في كتابه (الموضوعات)، وقال معقبا عليه: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".(٢)

وعلل ابن الجوزي قوله هذا بقوله: "لأن طريقة بشر بن ميمون قال يحيى بن معين: "اجتمع الناس على طرح حديثه".

وقال أحمد: "ليس بشيء".

وأما حديث أنس ((الأثر الذي معنا)) فجميع طرقه تدور على أبي عقال، واسمه هلال بن يزيد بن يسار.

قال ابن حبان: "يروي عن أنس (كل هو الحال الآن) أشياء موضوعة ما حدث بها قط، لا يجوز الاحتجاج به بحال".(٣)

وفي تنزيه الشريعة ٢/٤٩ "ان الحديث روي بطريق أبي عقال، وله طريقان آخران ومداره على أبي عقال. ثم نقل ابن عراق عن ابن حجر في القول المسدد: ان الحديث في فضائل الأعمال والتحريض على الرباط، وليس فيه ما يحيله الشرع ولا العقل...

علق ابن عراق على كلام الحافظ بقوله: وطريقة الامام معروف في التسامح في أحاديث الفضائل دون أحاديث الأحكام. وبالجملة في الحديث له شواهد بعضها ضعيفة...."

أنا: على أية حال نرجح ما ذهب اليه العلامة ابن الجوزي، اذ لست مع المتساهلين في مرويات فضائل الأعمال. مع احترامي البالغ لوجهات نظر الامام الجليل ابن حجر وكذلك للمحدث الناقد ابي الحسن علي بن محمد بن عراق. والعلم عند الله..

---

(١) الدر المنثور ٢/١١٢.

(٢) الموضوعات ٢/٥٢-٥٤.

(٣) "الموضوعات ٢/٥٥.

٥٥ ـ قوله تعالى : ((هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا . . .))[1]!

فسر ابن كثير الآية بقوله :" ان الله ـ سبحانه ـ يتوعد الكافرين والمخالفين لرسل الله يتوعدهم بآياته " هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك" وذلك كائن يوم القيامة (أو يأتي بعض آيات ربك . .) وذلك قبل يوم القيامة كائن من آمارات الساعة وأشراطها . . . . ".[2]

بعد ذلك ساق أحاديث جمة عن البخاري ومسلم وأحمد رحمهم الله ـ في شرح آيات الله الكائنة قبل يوم القيامة والتي هي من أمارات الساعة .

ومن تلك الأحاديث ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل " .[3]

وبعد ذلك أورد عن الطبراني نصه :" اذا طلعت الشمس من مغربها خر ابليس ساجدا ، ينادي ويجهر الهي : مرني أن أسجد لمن شئت ، قال : فتجتمع اليه زبانيته ، فيقولون كلهم : ما هذا التضرع ؟ فيقول : انما سألت ربي أن ينظرني الى الوقت المعلوم ، وهذا الوقت المعلوم . . . .

---

(١) الأنعام :" ١٥٨ ".

(٢) تفسيره ٣/ ٣٧٠ الشعب.

(٣) فتح الباري ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى :" قل هلم شهداءكم ٨/ ٢٩٦ - ٢٩٧ .

قال ابن كثير: وهذا حديث غريب جدا، وسنده ضعيف، ولعله من الزاملتين اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو بن العاص يوم اليرموك، فأما رفعه فمنكر، والله أعلم".[1]

قلت: لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب التفسير من ذكر هذا الأثر اللهم الا صاحب الدر المنثور فقد[2] كما أني بحثت عنه في الطبراني الصغير وبعض الأجزاء من الكبير - وهي المتوفرة - والجزء الأول من الاوسط فلم أجده، وعليه يبقى المتن غريبا، وأما السند فضعيف لضعف بعض رجاله كابن لهيعة. والعلم عند الله.

---

(١) تفسيره ٣/٣٧٠ الشعب وقارن بالحلبي ٢/١٩٥.

(٢) الدر المنثور ٣/٦٢.

((سـورة الأعـراف))

٥٦- قوله تعالى :((ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه . . . . .))[١]

عند هذه الآية الكريمة ذكر أثرا عن ابن جرير من قتادة ، قال فى بدايته :" وروى ابن جرير عن قتادة فى هذا (معنى الألواح) قولا غريبا لا يصح اسناده الى حكاية قتادة ".[٢]

ونص الأثر : قال قتادة فى قوله تعالى : ((أخذ الألواح)) قال : رب أنى أجد فى الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون -أى آخرون فى الخلق- السابقون فى دخول الجنة ، رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤونها ، وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظرا ، حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيئا . . . . .

قال قتادة :" وان الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئا لم يعطه أحدا من الأمم".

قال : رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد . .

قال قتادة :" فذكر لنا أن نبى الله موسى نبذ الألواح ، وقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد ".[٣]

---

(١) "الأعراف" :" ١٥٠".

(٢) "تفسير ابن كثير"٣ / ٤٧٤ ، الشعب وانظر"تفسير الطبرى"١٣/ ١٢٣ - طبعة شاكر.

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٧٦-٤٧٧ الشعب، والآية رقمها"١٥٤".

قال ابن كثير : -رحمه الله- " وقد رده ابن عطيه وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ، ووضاعون وأفاكون وزنادقة . . . "(١)

قلت : وقد سبقهما -ابن كثير وابن عطية- ابن جرير الطبري حيث قال : " والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب القاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله جل - ثناؤه - بذلك أخبر في كتابه فقال : (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه . . ."(٢) وقد رجح هذا الصواب ابن كثير أيضا .(٣)

كما أن القرطبي ساهم في الرد ، فقال : " ولا يصح هذا ، فانه قول ردي لا ينبغي أن يضاف الى موسى صلى الله على محمد وعليه وسلم عليهما تسليما كثيرا " .(٤)

وفي البغوي(٥) والخازن(٦) الخبر عينه ولكن عن كعب الأحبار باسناد الثعلبي .

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣/٤٧٧ الشعب وأنظر رد ابن عطية في /

(٢) " الطبري ١٣/١٢٥ .

(٣) " ابن كثير : ٢/٢٤٨ حلبي .

(٤) الجامع لأحكام القرآن "٧/٢٨٨ .

(٥) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٣/٥٥٢ .

(٦) تفسير الخازن ٢/٢٨٨ .

((سـور مريـم))

٥٧ ـ قوله تعالى : ((فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)) (١)

قال أبو الفداء : رحمه الله ـ قوله : " فتمثل لها بشرا سويا " أى على صورة انسان تام كامل ، وهو جبريل عليه السلام ".

وأفاد أن ذلك هو قول قتادة والضحاك وابن جريج وغيرهم. (٢)

ثم عقب على ذلك بقوله : " وهذا الذى قالوه هو ظاهر القرآن فانه ـ تعالى ـ قد قال فى الآية الأخرى : " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين " (٣)

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس بن أبى العالية عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : " ان روح عيسى عليه السلام من جملة الأرواح التى أخذ عليها العهد فى زمان آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وهو الذى تمثل لها بشرا سويا ـ أى روح عيسى عليه السلام ـ فحملت الذى خاطبها وحل فيها " (٤)

علق الامام عماد الدين على هذه الرواية بقوله : " وهذا فى غاية الغرابة والنكارة ، وكأنه اسرائيلى " (٥)

الباحث :

رجال الاسناد مضوا سابقا (٦) ، وملخص حالهم كالآتى :

أبو جعفر الرازى : صدوق سيء الحفظ . . . (٧)

---

(١) مريم : " ١٧ ".

(٢) تفسيره ٥/٢١٤ الشعب.

(٣) الشعراء : "٣/ ١٩٢-١٩٤".

(٤،٥) تفسيره ٥/٢١٤ الشعب.

(٦) انظر : ص ٢٥٧ من هذا البحث. (٧) التقريب : ٢/٤٠٦

الربيع بن أنس : صدوق له أوهام رمي بالتشيع ...[1]

أبو العالية : ثقة كثير الارسال ..[2]

وعلى ضوء ماتقدم يكون الاسناد حسن ، وأما المتن ، فلمجمل وجهات نظر المفسرين كافية للحكم عليه .

قال البغوي وتبعه الخازن : " يعني جبريل" (هكذا بالجزم) ثم بصيغة التمريض ، وقيل : " المراد بالروح عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام جاء في صورة بشر فحملت به ، والأول أصح ".[3]

وقال الرازي : " واختلف المفسرون في هذا الروح ، فقال الأكثرون : انه جبريل عليه السلام .

وقال أبو مسلم : "انه الروح الذي تصور في بطنها بشرا".

يحتسب الرازي على هذا بقوله : " " والأول أقرب ، لأن جبريل عليه السلام يسمى روحا قال تعالى : ((نزل به الروح الأمين)) .[4]

ونجد القرطبي يصدر القول المرجح " عيسى" ثم يتبعه بالراجح " جبريل عليه السلام" .

ويقول اثره : " والظاهر انه جبريل عليه السلام لقوله تعالى : ((فتمثل لها بشرا سويا)) . أي فتمثل الملك لها "بشرا" تفسير أو حال .. "سويا " أي مستوى الخلقة ، لأنها لم تكن لتطيق أو تنظر جبريل عليه السلام في صورته" .[5]

---

(١) التقريب : ١/٢٤٣ .

(٢) التقريب ١/٢٥٢ ، وتهذيب التهذيب ٣/٢٨٤ .

(٣) تفسير البغوي على هامش ابن كثير ٥/٣٥٣ .

(٤) " الرازي ٢١/١٩٦ .

(٥) " القرطبي ١١/٩٠-٩١ .

وأبو حيان في البحر يصرح بأن الظاهر هو جبريل ، لكن سرعان ما يأتي بالقول المرجوح ويوجهه ، فهو يقول : " والظاهر أن الروح جبريل عليه السلام ....

وقيل عيسى ، كما قال - تعالى - : " روح منه "[1] وعلى هذا يكون قوله (فتمثل) أي المطلك ".[2]

والسيوطي في دره يذكر أنه جبريل ، ولم يذكر القول المرجوح[3] أنا : وعلى هذا فكون المراد جبريل عليه السلام أمر لا مرية فيه وهو الحق الابلج ، والعلم عند الله .

ولأنه سبحانه وتعالى قال تتمة للكلام السابق : " انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ".[4]

---

(١) النساء : " ١٧١ " .

(٢) تفسير " البحر المحيط " : ٦ / ١٨٠ .

(٣) الدر المنثور ٤ / ٢٦٥ .

(٤) مريم : " ١٩ " .

المبحث السابع

ما رجح أنه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

المبحث السابع

مارجح بأنه من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب

يسوق ابن كثير بعض الأخبار، ويعقب عليها بأنها من الاشعار الاسرائيلية التي لا تصدق ولا تكذب . انظر المواضع الآتية :

((سورة البقرة))

٥٨ - قول الحق - تبارك وتعالى : ((. . . وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)) (١).

عند هذه الآية الكريمة تعرض ابن كثير - رحمه الله - الى اختلاف الناس في أول من بنى الكعبة . . .

قلت: وقد سبق في الأثر "٤٩" بيان بعض ذلك .

وهنا نقل ابن كثير أقوال العلماء في ذلك ، فقال :-

" قيل : الملائكة قبل آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام روى هذا عن الباقر أبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وفيه غرابة (٢)

وقيل آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . . . وهذا غريب أيضا (٣)

وقيل شيث،، ،، ،، ،، ".

---

(١) "البقرة" "١٢٥".

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٧٢ حلبي وتفسير الطبري ٣/ ٦٩ -٧١ و ٧/ ١٩ - و المحقق . وأنظر: الجامع لأحكام القرآن " ٢/ ١٢٠-١٢٢ وتفسير

(٣) البيضاوي ١/ ١٧٢ والبحر المحيط ٣/ ٥-٦ ، وفتح البيان ٢/ ٩٧ .

نقد ابن كثير الأقوال السابقة بقوله : وغالب من يذكر هذا انما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها .

وأما اذا صح حديث في ذلك فعلى الرأس والعين" .[1]

أنا :

فعلى هذه الأقاويل يجمع بين ذلك ،بأن أول من بناه الملائكة ثم جدده آدم ،ثم ابراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

والعلم عند الله .

---

(١) تفسيره ١٧٢/١ حلبي .

((سـورة النسـاء))

٥٩ - قوله تعالى : ((واتخذ الله ابراهيـم خليـلا))[1]

عند تفسيره لهذه الآية الكريمة نقل ابن كثير عن الطبري ما نصه " وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم أنه سماه الله خليلا من أجل أنه أصاب أهل ناحيته جدب، فارتحل الى خليل له من أهل الموصل.

وقال بعضهم : من أهل مصر - ليمتار طعاما لأهله من قبله فلم يصب عنده حاجته . فلما قرب من أهله مر بمفازة ذات رمل ، فقال : " لو ملأت غرائري[2] من هذا الرمل ، لعلا أغم أهلي برجوعي اليهم بغيره ميره ، وليظنوا أني أتيتهم بما يحبون ، ففعل ذلك . فتحول ما في الغرائر من الرمل دقيقا .

فلما صار الى منزله نام وقام أهله ففتحوا الغرائر، فوجدوا دقيقا فعجنوا وخبزوا منه ، فاستيقظ ، فسألهم عن الدقيق الذي منه خبزوا ؟ فقالوا : من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك ؟

فقال : نعم، هو من خليلي الله ، فسماه الله بذلك خليلا ".[3]

نقد ابن كثير هذا الخبر وقال : " وفي صحة هذا ووقوعه نظر وغايته أن يكون خبرا سرائيليا لا يصدق ولا يكذب "[4]

ثم بين عماد الدين - ابن كثير - وجه الصواب في تسميته صلى الله عليه وسلم خليلا بقوله :" وانما سماه - ابراهيم - خليل الله لشدة محبة ربه عز وجل له لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها "[5]

---

(١) النساء :"١٢٥".

(٢)

(٣) تفسيره ٢/٣٧٤ الشعب.

(٤)

(٥) المصدر السابق ٢/٣٧٥ الشعب.

ويستشهد الحافظ ابن كثير على صحة كلامه بقوله :" ولهذا لما قاله آنفا - ثبت في الصحيحين من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال : "أما بعد : أيها الناس فلو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا ، لاتخذت أبا بكر بن أبي قحافة خليلا ..."(١)

الباحث:

أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ، ونصه في الطبري :" وقد قيل انما سماه الله خليلا من أجل ... الخ "(٢)

وهذه الرواية ذكرت في معظم التفاسير تقريبا ، بالفاظ مختلفة وكلها تتفق على بعث ابراهيم الى خليل له ليختار بعض الأطعمة ، ولكنها تختلف في من الذي ذهب الى ذلك الخليل ، فبعض المفسرين ذكروا ان ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ذهب بنفسه (٣)

في حين أن البعض الآخر من المفسرين ذهبوا الى أنه بعث غلمان له الى خليل له وأي كان فهو ضعيف على ما مال اليه العلامة ابن عطية - رحمه الله - حيث يقول :" وفي هذا ضعف ، ولا تقتضي هذه القصة أن يسمى بذلك اسما ...."(٤)

---

(١) المصدر السابق الموضع عينه وأنظر: فتح الباري ٧ / ١٢ كتاب الفضائل باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " سدوا الأبواب الا باب أبي بكر" بنحوه .

(٢) تفسيره ٩ / ٢٥١-٢٥٢ المحقق . والبحر المحيط ٣ / ٣٥٦-٣٥٧ .

(٣) أنظر الكشاف ١ / ٥٦٦-٥٦٧ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ٥٨ ، وتفسير البيضاوي ١ / ٢٤٦ .

(٤) المحرر الوجيز ٤ / ٢٦٥-٢٦٦ ، والبغوي على هامش ابن كثير ٢ / ٥٩٠ ، وأبو السعود في تفسيره ١ / ٧٨٨ ، وسراج لبيد ١ / ١٧٦ .

قلـــت: ومن الضعف الذى فيه أن الكلبى رواه عن ابى صالح عن ابـــن عباس رضي الله عنهمـــا .(١)

كمـا أن بعض المفسريـن ذكروا سببا آخر فى سبب تسميته "خليلا" وهوما أخرجه البيهقى فى الشعب من ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا" اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والنـــاس نيـــام".(٢)

وبالجملـــة : هناك عددا من الأسباب ذكرت فى كتب التفســـير الله أعلم بصحتهـــا .

ومنهـا -اضافـة الى مـا تقـدم :-

١ - روى عن شهر بن حوشـب أنه قال :" هبط ملك فى صورة رجل ، وذكـــر اسم الله بصوت رخيم شجى ، فقال ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام :" أذكـره مرة أخرى" ، فقـال : لا أذكره مجانا ، فقال :لك مالى كلـه فذكره الملك بصوت أشجى من الأول ، فقال : اذكره مرة ثالثة ، ولك أولادى فقال الملك : أبشر فانى ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك ، فلما بذل المال والأولاد ، على سماع ذكر الله حقا اتخـــذه الله خليلا ".(٣)

٢ - والخازن ينقل ثلاثة أقوال خلافا لما تقـدم وهى : =

١ - قيل : لما أراه الله ملكوت السماوات والأرض وحاج قومه فى الله ودعاهم الى توحيده ، ومنعهم من عبادة النجوم والشمس . . وبذل نفسه للالقاء فى النيران وبذل ولده للقربان ، وماله للضيفان اتخذه الله خليلا . .

---

(١) البغـوى على هامـش ابن كثـير ٢ / ٥٩٠ .

(٢) تفسير "النسفى" ١ / ٣٦١ ، والدر المنثور ٢ / ٢٣٠-٢٣١ ، وروح المعانى ٥ / ١٤٠ .

(٣) مراجع لبيـــد ١ / ١٧٦ .

٢ - وقيل : ان ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام لما كسر الأصنام وعادى قومه فى الله عز وجل اتخذه الله خليلا .

٣ - وقيل : لما دخل عليه الملائكة فظنهم ضيفا ، فقرب اليهم عجلا مشويا وقال : كلوا على شرط أن تسموا الله وتحمدوه فى آخره ، فقال جبريل : أنت خليل الله ، فمن يومئذ سمى ابراهيم خليل الله" .(١)

والرازى ساق جميع الأقاويل التى مرت معنا فى هذا المعنى .

وزاد آخر وهو : " لما تخللت محبة الله فى جميع قواه استحق حقا وصفا الخلة"(٢)

واستشهد الرازى بقوله عليه الصلاة والسلام : "اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا ..."(٣) .

وبعد هذا التطواف فى دفاتر التفاسير المختلفة ، واستطلاع الأقاويل التى قيلت ترى ما هو الصواب منها ، أو قريب من الصواب ؟ .

أولا : ما قيل : انه - سبحانه - اتخذه خليلا بسبب الخبر - المزعوم - من أنه - عليه الصلاة والسلام - بعث غلمانه أو هو نفسه ، ذهب الى خليل له ليمتار .. الخ

لا اعتقد صحة ذلك ، وكيف وهو أحد أولى العزم من الرسل ، ثم يعمد الى ملى التراب فى كيس ويحمله على ظهره ؟!! ناهيك أن الكلبى قد رواها عن أبى صالح .. وهذا كاف لرد الخبر .

أما بالنسبة الى بقية الأقاويل فهى مجرد اجتهادات ومحاولة لفهم سبب التسمية ، اللهم الا حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى أخرجه البيهقى ، فاذا ما صح فلا كلام عندى .

وأما الراجح لدى الآن هو : انما سمى "خليل الله" كهبة من الله وتشريف له كيف لا ورب العزة والجلال يقول : (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين "(٤) والعلم عند الله ..

---

(١) تفسير الخازن ١/٦٠٣ - ٦٠٤ .

(٢) " الرازى ١١/٥٨ .

(٣) أنظر صحيح مسلم ١/٥٢٩ كتاب صلاة المسافرين

(٤) الآية : "١٢٠" من سورة النحل . وأنظر : المحرر الوجيز ٤/٢٦٦ .

((سـورة يوسـف))

٦٠ـ قول البارى جل جلاله : ((وجاء أخوه يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين)) .(١)

أشار عماد الدين ـ رحمه الله ـ فى هذا السياق أن اخوه يوسف قدموا الى مصر، وكان يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد تولى الوزارة، وان البلاد قد عمها القحط بعد مضى سنى الخصب والجدب حتى وصل الى أرض كنعان مسقط رأس يوسف، وقد احتاط يوسف للناس فى غلاتهم وجمعها أحسن جمع، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم . . يمتارون لأنفسهم وكان رحمة من الله على أهل مصر.

ثم ذكر ابن كثير ـ غفر الله له ـ أن بعض المفسرين ذكروا أن يوسف تصرف فى تلك السنين بغير ما فسره ـ أى ابن كثير ـ حيث ذكروا : أن يوسف باعهم فى السنة الأولى بالأموال والثانية بالمتاع . . . ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله : " الله أعلم بصحة ذلك ، وهو من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب . . . . . "(٢) .

ذكر هذا الأثر عدد من المفسرين ـ كما صرح بذلك عماد الدين ـ وكل ذكره بطريقة ما منهم من ذكره مسند اياه الى كل من وهب والسدى وخلق (٣)

ومنهم من ذكره بصيغة التمريض .(٤)

واخيرا نبقى على ما ذهب اليه العلامة ابن كثير فنقول : الله أعلم بصحة ذلك .

---

(١) "يوسف" : ٥٨-٥٩ .

(٢) تفسيره ٤ / ٣٢٢ الشعب.

(٣) أنظر مثلا تفسير البغوى ٣ / ٢٩٤ على هامش الخازن / ط٢ " الحلبى ولباب التأويل فى معانى التنزيل " ٣ / ٢٩٣ وتفسير القرطبى " ٨/٩ ٢١-٢١٩ .

(٤) "الكشاف" ٢ / ٣٢٩ ، و"التفسير الكبير" ١٨ / ١٦٢-١٦٣ .

١١ـ قوله تعالى : ((وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحـم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)) [١]

قال الحافظ ابن كثير : " وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة ، فان كان أخذ ذلك من سياق الآية ، فقد أبعد النجعة [٢] ، وان كان أخذه من نقل أهل الكتاب . وصح ذلك عنهم ، فهو مما لا يصدق ولا يكذب" [٣]

الباحث :

لم نجد ذكر له في الطبري ولا القرطبي ولا الرازي ، ونفس الحال بالنسبة لكل من البحر المحيط والنسفي ، والحمد لله .

بيد أن البغوي ونقله الخازن فقد ذكراه عن وهب بن منبه . [٤]

---

(١) الأنبيـاء : " ٨٣-٨٤ " .

(٢)

(٣) تفسيره ٥/٣٥٧ الشعب .

(٤) تفسير البغوي على هامش الخازن ٥/٣١٠ ، وتفسير الخازن ٥/٣١١ .

((سورة لقمان))

٦٢- قول الله -عز اسمه- : ((يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يات بها الله إن الله لطيف خبير)) (١).

قال عماد الدين : " وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله -عز وجل- : " فتكن في صخرة" أنها صخرة تحت الأرضين السبع (٢) وذكره السدي باسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صح ذلك.

ويروى هذا عن عطية العوفي (٣) وأبي مالك (٤) والثوري والمنهال ابن عمرو وغيرهم (٥) وهذا والله أعلم -كأنه متلقى من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب " (٦).

ثم يفسر ابن كثير الآية تفسيرا مناسبا بقوله : " والظاهر -والله أعلم- أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه".

ويستشهد بحديث رواه الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان " (٧).

---

(١) لقمان "١٦".

(٢) كما في الكشاف وفيه : "وقيل الصخرة : هي التي تحت الأرض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفرة : ٣/ ٢١٣.

(٣) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، ضعفه أحمد وأبو حاتم.

(٤) غزوان الغفاري ، تابعي كوفي ، ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ٤/ ١/ ١٠٨، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٢/ ٥٥

(٥) كما في زاد المسير ٦/ ٣٣١ . وتفسير البغوي والخازن ٥/ ٢١٦-٢١٧.

(٦،٧) تفسيره ٦/ ٣٤٠-٣٤١ الشعب.

الباحث:

أخرج الطبرى نحو هذا الحديث عن السدى عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن مرة عن عبد الله وعن ناس من الصحابة رضى الله عنهم وحاصله أن هناك صخرة ليست فى السماء والأرض ".(١)

وقد ضعف قصة الصخرة -أيا كان موقعها- عدد من المفسرين خلا الامام ابن كثير ، ولعل من أبرز هؤلاء الآتى :-

١ - ابن جزى فى التسهيل ... يقول :" قوله تعالى :" فى صخرة " قيل المراد " الصخرة التى عليها الأرض " وهذا ضعيف ، وانما معنى الكلام : أن مثقال خردلة من الأعمال أو من الأشياء ، ولو كانت فى أخفى موضع كجوف صخرة ، فان الله يأتى بها يوم القيامة وكذلك لو كانت فى السماوات والأرض ".(٢)

وأبو حيان فى البحر يقول : " قيل : أراد الصخرة التى عليها الأرض والحوت .. وقيل هى صخرة فى الريح ، وهذا كله ضعيف لا يثبت سنده ، وانما معنى الكلام ، المبالغة بالانتهاء فى التفهيم ، أى قدرته تعالى- تنال ما يكون فى تضاعيف صخره ، وما يكون فى السماء والأرض "(٣)

والآلوسى فى روح المعانى نقل نص كلام ابن حبان الآنف الذكر.(٤)

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/٧٢ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل "٣/٢٧٥-٢٧٦ .

(٣) "البحر المحيط" ٧/١٨٨ .

(٤) " روح المعانى" ٢١/٧٩ .

٦٣- قوله تعالى : ((ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم))(١)

قال الحافظ ابن كثير عند الآية الكريمة السابقة : " يخبرنا المولى عن عظمته وكبريائه وجلاله واسمائه وصفاته العلى ، وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد . ولا اطلاع لبشر على كنهها واحصائها لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال تعالى : " ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام . . . " أى ولو أن جميع اشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا ، وأمده بسبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ، ولو جاء أمثالها مدادا "(٢)

ثم يضيف الحافظ قائلا : " وانما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالى فى الآية الأخرى : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا "(٣)

فليس المراد بقوله : بمثلة آخر فقط ، بل بمثله ، ثم بمثله ، ثم بمثله ، ثم هلم جرا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته . . . . "(٤)

قلت : وفى البحر المحيط نقلا عن ابن عطية : "سبعة أبحر" لا يراد به الاقتصار على هذا العدد بل جىء به للكثرة .

ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعا فى الأصل للتكثير ، وان كان مراد به التكثير جاء مميزه بلفظ القلة ، وهو أبحر ، ولم يقل بحور ، وان كان لا يراد به أيضا الا التكثير ليناسب بين اللفظين ، فكما يجوز فى سبعة واستعمل للتكثير ، كذلك يجوز فى أبحر واستعمل للتكثير . . . "(٥)

---

(١) "لقمان" : ١٢٧" . (٢) تفسيره ٦/٢٥١ الشعب .

(٣) المصدر السابق الموضع عينه .

(٥) "البحر المحيط" ٧/١٩١" .

٦٤ ـ قوله عز وجل : ((فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دآبة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)) "(١).

عند الآية الشريفة السابقة أفاد الامام ابن كثير ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يذكر كيفية موت سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة . . . وفي أثناء حديثه ساق أثرا عن السدى وفيه " أن سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين وأقل من ذلك . . . وأكثر . . . فيدخل ومعه طعامه وشرابه . . . . فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له . . . . فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا . . . . فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب يعملون له سنة . . . ثم ان الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت لتأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام . . . ولو كانت تشربين . . ولكن سننقل اليك الماء والطين . . . " .(٢)

يعلق الحافظ على هذا الأثر ، فيقول : " وهذا الأثر ـ والله أعلم ـ انما هو متلقى من علماء أهل الكتاب وهي لا يصدق منه الا ما وافق الحق ، ولا يكذب منها الا ما خالف الحق ، والباقي لا يصدق ولا يكذب " .(٣)

---

(١) سبأ : "١٤" .

(٢) تفسيره ٦ / ٤٨٩ - ٤٩٠ الشعب .

(٣) تفسيره ٦ / ٤٩٠ .

الباحث:

أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره عن عطاء بن السائب وبلفظ آخر في خبر ذكره السدي عن أبي مالك . . .(١)

وقال ابن كثير :" والأقرب أن يكون موقوفا ، وبمثله في الدر المنثور ، حيث قال السيوطي - رحمه الله - وأخرج البزار وصححه الحاكم وابن جرير ، كما أخرجه ابن المنذر والطبراني وابن ابن حاتم وابن مردويه عن ابن عباس موقوفا "(٢)

بيد ان القرطبي جزم بأنه صحيح برواية عطاء بن السائب عن ابراهيم طهمان . .(٣)

وعلى ذلك ،اذا ماصح وقوفه على ابن عباس ورضي قلنا به والا فلا كرامة ولا قبول والعلم عند الله .

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ٧٤ -٧٥ .

(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٣٠ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٢٧٩ .

المبحث الثامن

ذكره للآثار الإسرائيلية التي وردت في شرعنا ما يؤيدها.

المبحث الثامن

ذكره للآثار الاسرائيلية التي وردت في شرعنا ما يؤيدها

ففي هذا المبحث يستعرض الامام الآثار الاسرائيلية التي وردت في شرعنا ما يؤيدها ..

((سورة الأعراف))

٦٥ ـ قوله تعالى : ((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والأنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)) (١).

قال الامام ابن كثير في أثناء شرحه لهذه الآية الكريمة : "وهذه صفة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء ، بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم ، يعرفها علماؤهم وأحبارهم" (٢)

ثم أخذ ابن كثير يستشهد لما ذهب اليه ـ من أن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودة في كتب القوم ـ بأحاديث جمة ، في اسناد بعضها قوة . . . وفي اسناد بعضها الآخر بعض الضعف اذ يعقب في مثل هذا بقوله : " واسناده لا بأس به كحديث هشام بن العاص الأموي وملخصه :

"بعثت أنا ورجل من قريش الى هرقل . . ندعوه الى الاسلام في خبر طويل" (٣).

---

(١) "الأعراف" : "١٥٧".

(٢،٣) تفسيره ٣ / ٤٨١ - ٤٨٤ الشعب وانظر تفسيره الحلبي : ٢ / ٢٥١ - ٢٥٣ .

ومن تلك الأحاديث الصحاح ما نقله عن الطبري[1] عن المثنى عن عطاء بن يسار قال : " لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : " أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة !!

فقال :" أجل والله ،انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ،أنت عبدي ورسولي ،اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ،ويفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعب فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا الا أن كعبا قال قلوبا غلوفيا وآذنا صموميا ، وأعينا عموميا "[2].

علق ابن كثير على هذا الأثر بقوله :" وقد رواه البخاري[3] في صحيحه عن محمد بن سنان ... فذكر باسناده ... ثم قال ابن كثير رحمه الله : وقال البخاري : " ويقع في كلام كثير من السلف اطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب "[4].

---

(١) تفسير الطبري : ١٣/١٦٤ المحقق .

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٨٤ الشعب و٢/٢٥٣ حلبي ، وبالنسبة لكلمات كعب الأحبار، يقول الشيخ أحمد شاكر :" هي فيما يراه - من أثر العربية أو السريانية في لسانه ،أنظر مسند أحمد ١٠/١٤ -١٦- تحقيق أحمد شاكر.

(٣) فتح الباري ٤/٣٤٢-٣٤٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٤٨٥ الشعب وقارن بالحلبي ٢/٢٥٣ .

الباحث :

أثر عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخرجه البخارى ..كما مر معنا - وأخرجه الامام أحمد فى مسنده (١) كما أخرجه عدد من الأئمة الأعلام كالطبرى والدارقطنى . وذكره عدد من المفسرين بهذا الاسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما ، وباسناد آخر عن رأ وآخر.

فمثلا الخازن فى تفسيره يفيد بأن البغوى -" روى بسنده عن كعب الأخبار نحوه ، وفيه : " انى أجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ . . . . ". (٢)

والسيوطى فى درة يقول - بعد أن ذكر حديث الباب : "أخرج ابن سعد والدارمى فى مسنده والبيهقى فى الدلائل ، وابن عساكر عن ابن سلام رضى الله عنه : " قال : صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة: "يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ". (٣)

وابن جزى نقل حديث البخارى السابق ، ثم اتبعه بنصوص من التوراة تفيد بأن بشارة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم موجودة فيها . (٤)

والآلوسى فى تفسيره ذكر رواية البخارى - أيضا - ورواية ابن سلام رضى الله عنه وذكر أن البيهقى أخرج فى الدلائل عن وهب بن منبه : "ان الله تعالى أوحى فى "الزبور" يا داود انه سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد .. صلى الله عليه وسلم" (٥)

ونختم أقوال المفسرين بالقاسمى ، فقد أوعب فى نقله من الكتب المعتمدة ، والتى تفيد بوقوع البشارة من الأنبياء جميعا بنبوته صلى الله عليه وسلم . ثم نقل عن كتب القوم - مع تحريفها .. ما يؤيد ذلك . . " (٦)

---

(١) مسند الامام أحمد ١٠/ ١١٤-١١٦ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر الذى قال : اسناده صحيح ثم ترجم للرواة ، وأنهم ثقات ، وبعدها يبين خرجه من الأئمة ومن ذكره العلماء ثم شرح الفاظه التى تبدو غريبة . .الخ "فارجع اليه ان شئت ".

(٢) "تفسير الخازن" ٢/ ٢٩٧-٢٩٨ والدر المنثور ٣/ ١٣٢ .

(٣) "الدر المنثور" ٣/ ١٣١ . (٤) "التسهيل لعلوم التنزيل" ٢/ ٨٧-٨٩ .

(٥) "روح المعانى" ٩/ ٧٠ ، وبنحوه فى "فتح القدير" ٢/ ٢٥٤ ، ومثله فى "فتح البيان" ٣/ ٤٢٢-٤٣٩ ".

(٦) "تفسير القاسمى" ٧/ ٢٨٧٢-٢٨٨٣ .

((سـورة النمـل))

٦٦ ـ قوله تعالى : ((أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض)) [١]

ذكر الامام ابن كثير عند هذه الآية العظيمة" أن المولى جل جلاله ينبه الى أنه ـ تعالى ـ هو المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل "[٢]

واستشهد على ذلك بآيات وآثار صحيحة من ذلك قوله تعالى : ((واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه . .))[٣]

ومن الآثار ما رواه الامام أحمد" عن أبي تميمة الهجيمي . . . من رجل من بلهجيم قال : قلت : يارسول الله الام تدعو ؟ قال صلى الله عليه وسلم ـ : (أدعو الى الله وحده الذي ان مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي ان أضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك ، والذي ان أصابتك سنة فدعوته أنبت لك "[٤]

بعد ذلك نقل الحافظ عماد الدين قولا من وهب بن منبه ونصه : قال وهب بن منبه : "قرأت في الكتاب الأول ان الله تعالى يقول: " بعزتي انه من اعتصم بي فان كادت السماوات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فاني اجعل له من بين ذلك مخرجا . . ."[٥]

---

(١) "النمل" : "٦٢".

(٢) تفسير ٦/٢١٢ الشعب.

(٣) "الاسراء" "٦٧".

(٤) تفسيره ٦/٢١٣ وأنظر مسند أحمد ٥/٦٤ ـ ط المكتب الاسلامي.

(٥) تفسيره ٦/٢١٣.

٦٧ ـ قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ : ((وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعـوا ...))[1].

قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ : " يعني المدينـة كما جاء في الصحيح " أريت في المنام دار هجرتكم أرض بين حرتين، فذهب وهلـي[2] أنها هجر[3] فاذ هي يثـرب".

وفي لفـظ المدينـة" [4]

ثم ذكر ابن كثير قولا عن السهيلي وفيه : ان لها ـ المدينة ـ في التوراة أحد عشر اسما : المدينة وطابة وطيبة والمسكينة والجابـرة والمحبـة والمحبوبـة ... الخ "[5]

وعن كعب الأحبار قال : " انا نجد في التوراة يقول اللـه ـ تعالى ـ للمدينة : (ياطيبـة وياطابـة وياسكينـة ..." [6]

الباحث :

أخرج أثر الصحيح البخاري في جامعه، حيث قال : " وقال : أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (رأيت في المنام أني أهجر من مكة الى أرض بها نخل، فذهب وهلي الى أنها اليمامة أو هجر، فاذا هـي المدينة يثـرب" [7]

---

(١) "الأحـزاب" : ١٣".

(٢)

(٣) بلد قريب من البحر وهي مساكن عبد القيـس.

(٤) تفسـير ابن كثير ٣ / ٤٧٣ حلبي وانظر الشعب ٦ / ٣٩٠.

(٦،٥) المصدر السابق الموضـع عينه.

(٧) فتح الباري "كتاب المناقب "باب علامات النبوة" ٦ / ٤٢٧" وباب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة لصورة" ٧ / ٢٢٦" وكتاب التعبير باب اذا رأى بقرا تنحـر ١٢ / ٤٢١.

وبالنسبه لأثر السهيلي : هو موجود في كتابه الروض الأنف وفيه :" وفي الخبر من كعب الأحبار ان لها - المدينة في التوراة أحد عشر اسما ....".(١)

٦٨ قوله تعالى : ((يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا))(٢)

قال الحافظ عماد الدين عند هذه الآية الكريمة :" قال الامام أحمد : " حدثنا موسى بن داود ... عن عطاء قال لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة : فقال : " أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : " ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب(٣) في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر - ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ، فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا " .(٤)

علق الحافظ على هذه الرواية بقوله :" وقد رواه البخاري في الصحيح ورواه ابن أبي حاتم أيضا ، ورواه الطبراني بنحو ما تقدم" .(٥)

قلت : سبق هذا الحديث معنا في الأثر رقم "٦٢" .

فقد أخرجه البخاري في أماكن متنوعة في صحيحه .(٦)

كما ذكره صاحب الدر المنثور .(٧)

---

(١) الروض الأنف : ٤ / ٢٩١-٢٩٢ .

(٢) الأحزاب : "٤٥" .

(٣) "سخاب" وفي رواية "صخاب" بفتح السين أو الصاد المهملتين مع فتح الخاء المعجمة ، وهو اضطراب الأصوات .. أنظر معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٣٦ .

(٤) تفسيره ٦ / ٤٢٦-٤٢٩ - الشعب وأنظر مسند أحمد ٢ / ١٧٤ .

(٥) تفسيره ٦ / ٤٣١ .

(٦) فتح الباري كتاب البيوع ، باب كراهية السخب في الأسواق ٤ / ٣٤٢-٣٤٣ وكتاب التفسير باب قوله تعالى: "انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا" ٨/٥٥٦/٦٥٨٠

(٧) الدر المنثور ٦ / ٢٠٦ .

المبحث التاسع

إشارته إلى أن هناك آثارا إسرائيلية ضرب عنها صفحا لغرابتها وكذبها وأن غيره قد ذكرها .

المبحث التاسع

اشارته الى أن هناك اسرائيليات ضرب عنها صفحا لغرابتها وكذبها ، وأن غيره قد ذكرها

موقف آخر رائع وقوي لابن كثير - رحمه الله - اذ يشير في أثناء شرحه للآيات أن هناك آثارا اسرائيليه ، ذكرت، ولكنه أعرض عنها .. وأن غيره قد ذكرها .

((سورة الأعراف))

٦٩ - قوله تعالى : ((قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين)) .(١)

ذكر كثير من المفسرين الآ ماكن التي هبط فيها آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام كقول القرطبي والرازي مثلا : ان آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هبط بسرنديب بالهند بجبل يقال له : " بوذ " وأهبطت حواء بجدة ، وابليس بالأبلة ".(٢)

لكن الحافظ ابن كثير - رحمه الله - لم يذكر أي من هذه الأقاويل أو غيرها ، لأنها من الأخبار التي يرجع حاصلها الى الاسرائيليات والله سبحانه أعلم بصحتها .(٣)

ويضيف الحافظ فيقول : ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى - في كتابه او رسوله صلى الله عليه وسلم .(٤)

هذا وقد نقل جمال الدين القاسمي في تفسيره نص كلام ابن كثير.

---

(١) "الأعراف" "٢٤".

(٢) أنظر "مفاتيح الغيب" ٣/ ٢٧ و"الجامع لأحكام القرآن" ١/ ٢٦٩-٢٧٠ ، و"النسفي" ٢/ ١٠٢، "والأبلة" جبل قرب البصرة وهو بضم الهمزة والموحدة وبتشديد اللام.

(٣) تفسيره ٣/ ٣٩٥ الشعب.

(٤) المصدر السابق الموضع عينه . (٥) "محاسن التأويل" تفسير القاسمي - "٧/ ٣٦ ٤٣ - ٣٦٤٤.

٣٠ـ قوله تعالى : ((. . قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين))[1].

فسرها أبو الفداء ـ رحمه الله ـ بالآتي :ـ

"سبحانك" تنزيها وتعظيما وإجلالا أن يراه أحد في الدنيا الا مات "تبت اليك" . . قال مجاهد : "أن أسألك الرؤية : "وأنا أول المؤمنين" قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ـ رحمه الله ـ "من بني اسرائيل"[2].

قال الحافظ عماد الدين : "واختاره ابن جرير[3] وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ "وأنا أول المؤمنين" ،انه لا يراك أحد، وكذا قال : أبو العالية : "قد كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة".[4]

ثم أردف الامام ابن كثير قائلا : "وقد ذكر ابن جرير في تفسيره ها هنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحق بن يسار[5] وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله اعلم".[6]

الباحث:

تفسير اسماعيل بن كثير هاهنا وفي غيره ملئ بالفوائد وهو كاف، فلا أدري لأي سبب أقحمت تلك الأباطيل بجوار آيات الله .

---

(١) "الأعراف" :"٤٣".

(٢) "تفسيره" ٣/٤٦٩ الشعب.

(٣) "تفسير الطبري" ١٣/١٠٤ المحقق .

(٤) "تفسير ابن كثير" ٣/٤٦٩ " ـ وأنظر "جامع البيان .."١٣/١٠٣ .

(٥) تفسير الطبري ١٣/٩١ -٩٦ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣/٤٦٩ .

وقول الحافظ : " وكأنه تلقاه من الاسرائيليات .." على سبيل الاحتياط هذا التعبير وإلا فهو - القول - عين الحقيقة ، اذ يصرح محمد ابن اسحق بأنه تلقاه من بعض أهل العلم بالكتاب

فيقول : " فهذا أى قوله تعالى : ولكن أنظر الى الجبل . . . " ما وصل الينا فى كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر الى ربه ، وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراه : أن قد كان لذلك تفسير وقصة وامور كثيرة ومراجعة لم تأتنا فى كتاب الله .

والله اعلم .[1]

---

(١) المصدر السابق الموضع عينة .

((سورة الكهف))

٧١ـ قوله تعالى : ((وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق من أمر ربه . . .))[١]

قال الحافظ عماد الدين : " وقوله سبحانه (فسجدوا الا ابليس كان من الجن" أى خانه أصله فانه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :" خلقت الملائكة من نور، وخلق ابليس[٢] من مارج من نار، وخلق آدم ـ عليه السلام ـ مما وصف لكم ".[٣]

فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخان الطبع عند الحاجة . .

ونبه تعالى ـ هنا على أنه من الجن " أى على أنه خلق من نار كما قال : (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ".[٤]

ثم أخذ ابن كثير ـ رحمه الله ـ يستعرض أقوال العلماء فى خلق ابليس وشأنه .

وأختتم حديثه عن هذه الآية بقوله :"وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الاسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بأيدينا ، وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لانها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة . ."[٥]

---

(١) " الكهف". (٥٠)

(٢) لفظ مسلم" وخلق الجان".

(٣) تفسيره، ٥/١٦٣-١٦٤ الشعب ، وأخرجه مسلم فى صحيحه" كتاب الزهد باب فى أحاديث متفرقة ١٨/١٢٣، النووى ومسند أحمد ٦/١٥٣-١٥٦.

(٤،٥) تفسيره ٥/١٦٤-١٦٥.

٧٢ - قول الله : - عز وجل - : ((حتى اذا بلغ مغرب الشمس)) .

فسرها الحافظ ابن كثير بقوله : " أى فسلك طريقا حتى وصل الى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض" .(١)

ثم استبعد ابن كثير - رحمه الله - الوصول الى مغرب الشمس حيث يقول : " وأما الوصول الى مغرب الشمس فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار فى الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشىء لا حقيقة له، وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم ".(٢)

(١) سورة طه (٢)

٧٣ - قوله: - جل ثناؤه - : ((ولى فيها مآرب أخرى)) .(٣)

قال ابن كثير : " أى مصالح ومنافع وحاجات آخر غير ذلك .

ثم نبه الى أن بعض المفسرين ذكروا زيادات متكلفة فقال : " وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى أبهمت، فقيل كانت تضىء له بالليل وتحرس له الغنم اذا نام ويفرسها فتصير شجرة تظله . . وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ".(٤)

ويقول أخيرا : " والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا، فما كان يفر منها هاربا . ولكن كل ذلك من الأخبار الاسرائيلية" .(٥)

وكذا قول بعضهم (٦) انها لآدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

وقول آخر: انها هى الدابة التى تخرج قبل يوم القيامة ".(٧)

---

(١) تفسيره ٥/ ١٨٧ . (٢) المصدر السابق الموضع عينه .

(٣) "طه" : "١٨" .

(٤) تفسيره ٥/ ٢٧٣، الشعب وأنظر تفسير البغوى على هامش الخازن ٤/ ٢٦٦ وتفسير الرازى ٢٢/ ٢٧ وتفسير النسفى ٣/ ١٨٨، والدر المنثور ٤/ ٢٩٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٣ .

(٦) هو قتادة كما فى الدر المنثور ٤/ ٢٩٥ . (٧) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٣ .

((سـورة الأنبيـاء))

٧٤ـ قوله تعالى : ((ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين))[1]

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله : " يخبر تعالى عن خليله ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه آتاه رشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه . . .

ثم أضاف ابن كثير قائلا : وما يذكر من الأخبار عنه في ادخال أبيه له في السرب[2] وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام فنظر الى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها .

وما قصة كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني اسرائيل ثم يبين الحافظ منهجه في هذا التفسير : " والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض عن كثير من الأحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم . . "[3]

الباحث :

منهجه هل التزم به أولا ؟

ونجيب قائلين أنه التزم به الى حد ما ، فمواقفه السابقة وأمثالها ـ ما يكون قد فاتنا باعتبار البشرية ـ تبين بجلاء أنه حافظ على التزام ما رسمه واختطه . ولكن ـ ولعله هفوات أو . . . هناك اسرائيليات صاحبة وساقطة ذكرت في تفسيره ، ومر عليها مرورا ـ مخالف ما ذهب اليه ـ وجلّ من لا يسهو ـ ، وهي على أية حال أشياء تكاد تعد على أصابع اليدين ، وبالتالي

---

(١) "الأنبياء" : "٥١" .

(٢) انظر مثلا " تفسير البغوي والخازن "٤ / ٢٩٧ ، و"مفاتيح الغيب" ٢٢/ ١٨٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥ / ٣٤١ -٣٤٢ ، مع التصرف .

فهي لا تساوي ولا تخض من قدرة لخدمته الجليلة وموقفه الحاسم وانارتـــه الطريـــق للباحثين - وآمل أن أكون منهم - في فهم كتب التراث حتى يساهموا - ولو بجزء يسير - في تنقية كتب التفسير خاصة مما علق بها وأقحم عليهـــا - والله المستعـــان .

قلنا : انـــه التزم بمنهجه القويم التزما يكاد يقرب مما ألزم به نفسه ، وذلك لما وجدنا من مخالفة بعض الشيء لذلك المنهـــج .

ولعل ذلك يظهر جلاء في حينه - ان شاء الله - .

وفـــي هذا الموضع نذكر أن ابن كثير - رحمه الله - قد ذكر جزءا من حكاية الـــحرب في سورة الأنعـــام ، نقلا عن محمد بن اسحاق ، وهي - الحكايـــة - ساقطة - والحمد لله - في كتاب - عمدة التفسير .(١)

وللأســـف أن هذه الحكاية قد راجت على كبار المفسرين، ففضلا عن ذكرها فقد أعجبوا - وللأســـف الشديد - بها . ! ! .

وليس أدل على ذلك من قول القرطبـــي مثلا : بعد أن ســـاق قدرا لا بأس بـــه - : " والقصـــص في هذا تام في قصص الأنبياء للكسائي ، وهو كتاب مما يقتـــدى بـــه " .(٢)

والفخـــر الـــرازي ذكرها وناقشها - مع اعتقاد شبوتها - وكان من ضمن مناقشته لها : بعد خروجه - ابراهيم - وسؤاله لأبويه من ربكمـــا ؟ وهـــل كان ذلك بعد البلوغ أو قبلـــه ؟ .

---

(١) " تفسير ابن كثير " ٢ / ١٥١ حلبي وأنظر" عمدة التفسير" ٥ / ٥٦ .

(٢) "الجامع لأحكام القـــرآن "٧ / ٢٤ .

ثم ذكر من قال بعد البلوغ وأنه قول فاسد ، واحتجوا على ذلك بحجج ذكر منها :-

أن القول بربوبية النجم كفر بالاجماع ، والكفر غير جائز بالاجماع على الأنبياء .

ومنها ان ابراهيم عليه السلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة ، بدليل قوله تعالى : ((وإذ قال ابراهيم لأبيه ءازر أتتخذ أصناما الهة . .(١)) الخ الكلام العلامة الفخر الرازي (٢)

---

(١) "الأنعام :" ٧٤".

(٢) "التفسير الكبير" ١٣/٤٧-٥١ .

((سورة الشعراء))

٧٥ - قوله تعالى : ((فأتبعوهم مشرقين)) .[1]

قال ابن كثير - رحمه الله - ذكر غير واحد من المفسرين، أن فرعون - لعنه الله - خرج في محفل عظيم ، وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه . . . ".[2]

ثم ينقد ما ذكر من مبالغات ومجازفات فيقول : " فأما ما ذكره غير واحد من الاسرائيليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة الف فارس منها ألف على خيل دهم . . . .

وقال كعب الأحبار : " فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم، ففي ذلك نظر ! !

والظاهر أن ذلك من مجازفات بني اسرائيل - والله سبحانه وتعالى أعلم - والذي أخبر به هو النافع، ولم يعين عدتهم، اذ لا فائدة تحته الا أنهم خرجوا بأجمعهم ".[3]

الباحث:

روى في العدد الذي خرج به موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

وفي العدد الذي خرج به عدو الله فرعون ، روايات عدة مبثوثة في كتب التفسير . ولعل نقد ابن كثير متجه .

ونجد القرطبي - بعد ان ساق بعض هذه الروايات - نجده يقول : "وانما اللازم من الآية الذي نقطع به أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام خرج بجمع عظيم من بني اسرائيل ، وأن فرعون تبعه باضعاف ذلك" .[4]

والشوكاني في الفتح يقول : "وهذه الرواية المضطربة قد رويت عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب، والاختلاف، ولا يصح منها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ".[5]

---

(١) "الشعراء" "٦٠" .

((٢) "تفسيره" ٦/١٥٣ الشعب ، وانظر الدر المنثور ٥/٨٤-٨٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/١٥٧ الشعب

(٤) "الجامع لأحكام القرآن" ١٣/١٠٠-١٠١ .

(٥) "فتح القدير" ٤/٩٩-١٠٠ .

((سـورة القصـص))

٢٦ ـ قولة تعالى : ((فخسفنا به وبداره الأرض))[1].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية : " لما ذكر ـ تعالى ـ اختيال قارون في زينته وفخره على قومه ، وبغيه عليهم ، عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض .... ثم أخذ يستدل لصحة ما قال بأدلة ..

ومنها : ما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما أنه قال : " خسف بهم الى الأرض السابعة".

وقال قتادة : " ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة ، فهم يتجلجلون[2] فيها الى يوم القيامة ... الى غير ذلك ثم قال ابن كثير أخيرا" وقد ذكرها هنا اسرائيليات اضربنا عنها صفحا "[3].

---

(١) "القصص" : "٨١".

(٢) أي بخصوصه في الأرض حيث يخسف بهم كما في الشرعية ١/٨٤ ط عام ١٣٨٢هـ

(٣) تفسيره ٦/٢٦٧ الشعب.

((سـورة ص))

٧٧- قوله البارى جل جلا له : ((وهل أتـاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحـــراب)) (١).

قال عماد الدين - رحمه الله - قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها ماخوذ من الاسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم صلى اللـــه عليه وسلم حديث يجب اتباعه " (٢)

ثـم نبه الحافظ ابن كثير الى حديث ورد فى هذا المقام فقال: " ولكن روى ابن ابى حاتـم هنا حديثا لا يصح سنده ، لأنه من رواية يزيـد الرقاشـى عن أنس رضى الله عنه". (٣)

ثم يعلل ضعف الاسناد بقوله :" ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة ". (٤)

الباحث:

هذه الآية الكريمة سبقت معنا فى موقف ابن كثير الخاص النوع الثالث والنموذج السادس. وتقدم عليها الكلام بما يكفى ، ونضيف هنا الآتى:

قال العلامة ابن حـزم : " ما حكاه الله تعالى عن داود على نبينـا وعليه الصلاة والسلام قول صادق صحيح ، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود . . . ومن قال : انهم كانـوا ملائكة معرضين بامر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله ما لم يقـــل .

---

(١) "ص" : "٢١".

(٢) و (٣) تفسيره ٧ / ٥١ الشعب.

(٤) المصدر السابق الموضع عينه.

وزاد في القرآن ما ليس فيه ،لأن الله تعالى يقول : ((وهل أتاك نبؤا الخصم)) فقال هو : لم يكونوا قط خصمين ، ولا يبغي بعضهم على بعض . . . ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى مجردة ، وتا لله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ، ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه .

هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لأفعال أهل البر و التقوى . .

فكيف برسول الله داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام . . . ".[1]

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم على هامش الملل والنحل للشهرستاني ٤/١٨-١٩ ط دار المعرفة بيروت ١٣٩٥ هـ

وبعـــــد :

فهـذه مواقف الامام الحافظ ابن كثير - غفر الله له - مـن خلال قراءتـي لتفسيره - تفسير القرآن العظيم - وظهر لي أنه يستخـدم تعبيرات شتى في كل أثـر من الآثار السابقة ، وقد بلغت تلك الأساليب - التعبيرات - الى أربعة وعشرين أسلوبا ، فحاولت اختصارهـا الـى تسعة أساليب . وذلك بادماج النظير الى النظير والمثيل لمثيلـــه وممكن اختصارهـا الى أقـل من ذلك ، فهي متداخلة الى حـد ما .

هـذا والله وحده العالم بالجهد المبذول في سبيل ايصال ما انتهى اليه الحافظ عماد الدين الى قـارئ كتابه وهو حسبي عليـــه اعتمـادي ضارعا ومتوكـــلا .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيـل ،

الفصل الثالث

تتبع ما فات ابن كثير من الإسرائيليات

الفصل الثالث

تتبع مافات الحافظ ابن كثير من اسرائيليات

توطئة :

ان الاسرائيليات التى كادت أن تشوه آثارنا الاسلامية ،وغزت عقول كثير من الناس . ونالت من عقيد التوحيد ،لاتقل خطرا عن الغزو العسكرى ان لم تتفوق عليه ،فى تشويش الفكر وتثبيط الهمم والعزائم وزلزلة النفوس والعقائد .

فتسربها الى معظم كتب التفسير ،كان له أثر بالغ فى بلاء المسلمين وحجابا من فهم كتاب رب العالمين ومثارا للإرجاف من قبل المارقين والملحدين .

وكان باستطاعة المسلمين استبعاد القصص والخرافات ،والأساطير التى اقتبسها بعض المفسرين عن أهل الكتاب وغيرهم وملؤا بها كتب التفسير ،من غير أن تكون هناك حاجة اليها لفهم النص القرآن الكريم .

وقد قيض الله لأمتنا بعض العلماء المخلصين البررة الذين أدركوا مدى تفشى هذه الترهات واساطير الأولين وبالتالى مدى الخطورة الناتجة عن هذا الغزو الفكرى المبكر ـ الاسرائيليات ـ فهتكوا حجبها الكثيفة التى غشيت العيون ،وبددوا ظلماتها التى رانت أو كادت ـ على القلوب ،وحذروا من مصيرها ،وفندوها تفنيدا ،وبرؤا ساحة علماء أجلاء مما نسب اليهم زورا وبهتانا .

وفيما سبق رأينا موقف الامام ابن كثير ـ غفر الله لى وله ـ منها وتبين لنا وللعيان منهجه القويم والفريد فى دراسة التفسير ،فليس فى التفاسير المأثورة ـ التى اطلعت عليها ـ مافضح الاسرائيليات وأعراها للملأ .... كتفسير الحافظ أبى الفداء اسماعيل بن كثير .

فكما شاهدناه فى البحوث المستوفاة ـ فيما نظن ـ السابقة علما

خبيرا بأسس الجرح والتعديل ،ناقدا فذا ،استطاع وبجدارة متناهية من استخدام الطلكة العلمية المسخرةله في بيان آيات الله البينات البيان الحسن . محققا ومصحصا كثيرا من الروايات الساقطة ـ الاسرائيليات .

ويكفي الحافظ عماد الدين فخارا أنه حذر كثيرا من الاسرائيليات ووقف وقفه مشرفة ـ وودت لو أن كل المفسرين أو معظمهم وقفوها .. ولكن ..

فان فاته ـ بعد ذلك ـ بعض الشيء من الاسرائيليات الدنيئة والمعدودة ،فان ذلك لايضره ـ ان شاء الله بل ولا ينقص من منزلته أن عقدت هذا الفصل .

وقديما قيل : وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه .

وهي ـ الأشياء التي أظن أنها فاتته مجرد محاولة مني ،فاذا كانت ـ المحاولة ـ ناجحة فذلك فضل الله وحده ،وان كانت الأخرى فمني ومن الشيطان ،واستغفر الله منه ، وأسأله ألا يحرمني من احدى المنزلتين منزلة الأجر أو منزلة الأجرين .

المبحث الأول

ما جاء في سورة البقرة

١) قوله تعالى : ((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم))[١]

عند شرح ابن كثير لهذه الآية الكريمة نقل أثرا عن السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وعن ناس من الصحابة رضي الله عنهم " ان الله تعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئا قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق ، أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء ، فسما عليه فسماه سماء . ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين . فخلق الأرض على حوت والحوت هو النون الذي ذكره الله - تعالى - في القرآن العظيم في ن والقلم وما يسطرون " ، والحوت في الماء والماء على صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على الصخرة ، والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ، ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرض . . . . "[٢]

رجال الاسناد :-

السدي : صدوق يهم . . . كما في التقريب .[٣]

أبو مالك : غزوان الغفاري ثقة .[٤]

أبو صالح : ضعيف مدلس كما صرح الحافظ ابن حجر .[٥]

---

(١) "البقرة" : "٢٩" .

(٢) تفسيره ١ / ٩٨ الشعب وقارن بالحلبي ١ / ٦٧-٦٨ وأنظر : الجامع لأحكام القرآن" ١ / ٢٥٦-٢٥٧ .

(٣) التقريب ١ / ٧١-٧٢ .

(٤) "تهذيب التهذيب" ٢ / ١٠٥ . (٥) التقريب ١ / ٩٣ .

ابن عباس رضى الله عنهما : أكبر من أن يعرف.

مرة : هو شراحيل الهمدانى ثقة عابد ... ع.[1]

ابن مسعود رضى الله عنه أكبر من أن يعرف.

ناس من الصحابة : الصحابة كلهم عدول.

ومن خلال هذه الدراسة تبين لى - والله أعلم - ان الاسناد حسن. الا أنه قد سبق - فيما سبق - القول بأن الطبرى - رحمه الله - مرتاب فى هذا الاسناد ....

١ - أما من ناحية المتن :

فالمعروف لدى أن أول ماخلق الله القلم كما أخرجه غير واحد من العلماء.[2]

وهنا أنه لم يخلق شيئا قبل الماء .. !

مع أن الحافظ ابن كثير قد ساق أحاديث عدة تفيد أن أول ماخلق الله القلم، ولكنه ذكر ذلك فى سورة القلم...[3]

٢ - ومن جهة المتن وجدت فيه بعض التضارب - على مايبدو - فضلا عن الغرابة وقربه من الأقصوصات.

من ذلك ماجاء معنا هنا أنه أيبس الماء فجعله - سبحانه - أرضا ثم خلقها على الحوت وهى فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخره على ريح ...

وفى سورة القلم يذكر أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السماوات والأرض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع ومن فيهن ومابينهن !! فالله أعلم ا.هـ.[4]

---

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٣٨.

(٢) وتفسير الطبرى ٢٩ / ١٧.

(٣) تفسيره ٤ / ٤٠٠-٤٠١ حلبى.

(٤) المصدر السابق الموضع عينه. وأنظر: "تفسيره" ٨ / ١١٢ الشعب والبغوى على هامش ابن كثير ٨ / ٤٣٥. و"الدر المنثور" ٢/١ ٤٢-٤٣ وفتح القدير ١/٤٧.

ان ايـراد مثل هذه الأخبار دون التنبيه عليها يخالف ماذهب اليه الحافظ ابن كثير فقد ظهر لنا موقفه التشدد منها وذلك مـن خلال كلماته ـ والتى أشرت الى بعضها ـ ومن خلال موقفه الفعلى من خلال تفسيره ـ ولعلها هفوة !

٣ ـ وقوله فى المتن " أيبس الماء فجعله أرضا . . " هذا الكلام يشبه ماقالته الفلاسفة كما أشار الى ذلك الفخر الرازى عند قوله تعالى: ((وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا . . .)) [١]

قال أبو عمر مانصه :" قالت الفلاسفة : وهذه الجبال انماتولت لأن البحار كانت فى هذا الجانب من العالم ،فكانت تتولد فى البحر طينا لزجا ،ثم يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجرا ،كما يشاهد فى كوب الفقاع ،ثم أن الماء كان يغور ويقل فيتحجر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال ،قالوا : وانما كانت البحار حاصلة فى هذا الجانب من العالم ،لأن أوج الشمس وحضيضها متحركان ،ففى الدهر الأقدم كان حضيض الشمس فى جانب الشمال ،والشمس متى كانت فى حضيضها كانت أقرب الى الأرض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبة ،فحين كان الحضيض فى الشمال كانت البحار فى جانب الشمال . والآن لما انتقل الأوج ـ الى جانب الشمال والحضيض الى جانب الجنوب انتقلت البحار الى جانب الجنوب ،فبقيت هذه الجبال فى جانب الشمال . . . ".[٢]

---

(١) "الرعد" : "٣".

(٢) " مفاتيح الغيب" ١٩ / ٣.

قال الرازى عقبه : " هذا حاصل كلام القوم فى هذا الباب. وهو ضعيف من وجوه :-

الأول : ان حصول الطين فى البحر أمر عام ، ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم حصل هذا الجبل فى بعض الجوانب دون البعض ؟ .

الثانى : أننا نشاهد فى بعض الجبال ، وكأن تلك الجبال حجار موضوعة سافا سافا فكأن البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذى ذكروه .

الثالث: أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان ، فعلى هذا من الوقت الذى انتقل أوج الشمس الى الجانب الشمالى مضى قريب من تسع الآ لف سنة .

وبهذا التقدير أن الجبال فى هذه المدة الطويلة كانت فى التفتت ، فوجب أن لا يبقى من الأحجار شىء ، لكن ليس الأمر كذلك فعلمنا أن السبب الذى ذكروه ضعيف ".(١)

وأخيرا يؤيد ماطنا اليه من أن الخبر الذى ساقه ابن كثير - حسب علمى واطلاعى - أقصوصة يؤيد ذلك ماجاء فى هامش "الجامع لأحكام القرآن" بعد أن ذكر القرطبى الخبر نفسه بطريقته جاء فى الهامش" ويلاحظ أن المؤلف - رحمه الله - خرج عما سنه فى مقدمة الكتاب من اضرابه عن هذا القصص وأمثاله مما ملئت به كتب التفسير الأخرى والذى لا يمشى مع روح الدين الاسلامى ، فجل من له العصمة ".(٢)

---

(١) "مفاتيح الغيب" ١٩ / ٤ .

(٢) " تفسير القرطبى " ١ / ٢٥٦ .

٢) قوله تعالى : ((أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلـون)) .(١)

نقل الحافظ ابن كثير عن الضحاك أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " أتامرون الناس بالدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلـم وغير ذلك مما أمرتم بـه من أقام الصلاة وتنسون أنفسكم" .(٢)

رجال الاسناد :

أبو كريب : هو محمد بن العلاء بن كريب الهمدانى ، ثقة حافظ مـن العاشرة . . ع .(٣)

عثمان بن سعيد أو ابن عمار الكوفى . . . لا بأس به ، من كبار العاشرة /ن (٤)

بشر بن عمارة الخشعمى المكتب الكوفى ضعيف من السابعة /فق .(٥)

وفى الضعفاء للبخارى : روى عنه محمد بن الصلت : قال : وكنا نعرفه وننكره (٦)

وفى المغنى للذهبى : ضعفه النسائى ومشاه غيره .(٧)

أبو روق : عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى . . . صدوق مـن الخامسة / د س ق .(٨)

الضحاك هو ابن مزاحم الهلالى ، صدوق كثيرا الارسال من الخامسة /ع .(٩)

---

(١) "البقـرة" : "٤٤" .

(٢) "تفسيره" ١ / ١٢١ الشعب وأنظر : "جامع البيان عن تأويل آى القرآن" ٢ / ١٧ المحقق .

(٣) تهذيب التهذيب ٩ / ٣٨٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ١ / ١١٩ والتقريب ٢ / ٩ .

(٥) " " " ١ / ٤٥٥ " ١ / ١٠٠ .

(٦) الضعفاء الصغير ص٢٢ .

(٧) "المغنى" للذهبى ١ / ١٠٦ .

(٨) التهذيب ٧ / ٢٢٤ والتقريب ٢ / ٢٤ .

(٩) التهذيب ٤ / ٤٥٣ ، والتقريب ١ / ٣٧٣ .

على الناظران يحكم رأيه في رجال الاسناد بعد أن تقدم حالهم.

ومن ناحية ثانية أن طريق الضحاك من ابن عباس هذه غير مرضيه كما صرح السيوطي وغيره، بل والرواية التي معنا جزم السيوطي بأنها ضعيفة لضعف بشر... (١)

ومن ناحية ثالثة وهي ما جاء في المتن : فلا أدري متى كان اليهود - وهم من علمتم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وهم - أيضا - الذين قالوا : آمنوا وجه النهار واكفروا آخره - يأمرون الناس بالدخول في دين نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .!!

وهناك تفسير نصه كالآتي : "كانت هناك جماعة من اليهود وكانوا قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، يخبرون مشركي العرب أن رسولا سيظهر منكم ويدعون الى الحق، وكانوا يرغبون في اتباعه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به، فبكتهم الله تعالى بذلك فقال سبحانه : ((أفلا تعقلون)) أي التوراة الناطقة بنعوت محمد صلى الله عليه وسلم .." (٢)

فهذا التفسير متجه والعلم عند الله.

٣) قوله تعالى : ((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى .)) (٣)

قال الحافظ ابن كثير عنده هذه الآية الكريمة : "وقال السدي لما دخل بنو اسرائيل التيه، قالوا لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : كيف لنا بماء ههنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل

---

(١) الاتقان ٢/٢٤٢.

(٢) مراح لبيد ١/١٢.

(٣) "البقرة" : "٥٧".

الله عليهم المن ، فكان يسقط على الشجر الزنجبيل ، والسلوى وهو طائر يشبه السمانى أكبر منه ، فكان يأتى أحدهم فينظر الى الطير ، فان كان سمينا ذبحوا لا أرسله ، فاذا سمن أتاه ، فقالوا : هذا الطعام ولا أرسله فأين الشراب ؟ فأمر موسى عليه السلام فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ... فقالوا : هذا الشراب فأين الظل ؟ فظلل عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظل فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما يطول الصبيان ولا يخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى : ((وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى" وقوله عز اسمه : ((واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ... ".[1]

أنا : لم يرد فى الآيات الكريمات ذكر الشباب ، فمن أين أتى؟ وأحسبه من الاسرائيليات . والعلم عند الله .

هذا وقد اخرج الأثر المذكور ابن جرير الطبرى فى تفسيره .[2]

كما ذكر نحوه غير واحد من المفسرين .[3]

وابن حبان فى بحره يقول :" وقد ذكر المفسرون حكايات وذكرها ونبه الى ما دل عليه القرآن الكريم ، وسكت عن الباقى .[4]

وقد رجحت أنه من الاسرائيليات لقول ابن كثير : وروى عن وهب بن منبه - وهو أحد أقطاب الرواية الاسرائيلية - وعبد الرحمن ابن زيد بن اسلم - وهو ضعيف اضافة الى روايته أحاديث موضوعة .

---

(١) تفسير ابن كثير : ١/٩٧ ح والشعب ١/١٣٨ .

(٢) "تفسير الطبرى ٢/٩٧ - ٩٨ المحقق .

(٣) انظر مثلا المحرر الوجيز ١/٢٨٠ ، ط المصرية والجامع لأحكام القرآن ١/٤٠٦ .

(٤) البحر المحيط ١/٢١٤ .

٤) قوله تعالى : ((ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)) [1]

نقل ابن كثير - رحمه الله - عن محمد بن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما أثرا طويلا ، مفاده أن الله - سبحانه - انما افترض على بني اسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم - يوم الجمعة - فخالفوا الى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به ، فلما أبوا الا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه ، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره أي الحيتان . وكانوا اذا كان يوم السبت أقبلت اليهم شرعا الى ساحل بحرهم حتى اذا ذهب السبت ذهبن ، فلم يروا حوتا ، صغيرا ولا كبيرا ، حتى اذا ما اشتهوا الحيتان بشدة عمد رجل منهم الى حيلة ملخصها : أنه حفر حيضا عند البحر وشرع اليه الجداول ، فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد ، فكان يسد مشارعها من البحر فيصطادها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ووجد الناس ريح الحيتان فقالوا - أهل القرية - والله لقد وجدنا ريح الحيتان ، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل - ففعلوا كما فعل وصنعوا سرا زمانا طويلا ، لم يعجل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية ، وباعوها في الأسواق .

فقالت طائفة منهم من أهل البقية : " ويحكم : اتقوا الله ! وانهوهم عما يصنعون .

فقال فريق آخر - لم تأكل الحيتان ، ولم تنه القوم عما يصنعون : - " لم تعظون قوما الله مهلكهم " .[2]

---

(١) "البقرة : " ٦٥" .

(٢) "الأعراف" : "٦٤" وانظر المحرر الوجيز ١ / ٣٠٧-٣٠٨ - ط المصرية .

فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في انديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم.

قال بعضهم لبعض : ان للناس لشأنا ، فانظروا ماهو ؟ فذهبوا ينظرون في دورهم ، فوجدوها مغلقة عليهم ، فدخلوها ليلا .. فأصبحوا فيها قردة وأنهم ليعرفون الرجل بعينه وانه لقرد ، والمرأة بعينها وانها لقرد . والصبي بعينه وانه لقرد ....

قال الراوي : يقول ابن عباس رضي الله عنهما : " فلولا ماذكر الله أنه أنجى الذين ينهون عن السوء . لقلنا أهلك الجميع"[1]

رجال الاسناد :

١ - محمد بن اسحاق صدوق .

٢ - داود بن الحصين : ابو سليمان المدني . صدوق يغرب ، وثقه غير واحد كابن معين .

وقال ابن المديني : ماروى عن عكرمة فمنكر .

وقال ابن عيينة : كنا نتقي حديثه .

وقال أبو زرعة الرازي : ليس بين .

وقال الذهبي : رمي أيضا بالقدر .[2]

وقال الحافظ ابن حجر : ثقة الا في عكرمة ... من السادسة/ع .[3]

---

(١) "تفسيره" ١٠٦/١ حلبي والشعب ١٥٢/١ .

(٢) "المغني" ٢١٧/١ .

(٣) "التقريب" : ٢٣١/١ .

٣ ـ عكرمة : أبو عبد الله البربري ثم المدني ثم الهاشمي مولى ابن عباس .

من بحور العلم ، ثقة ثبت ـ وقد سبقت ترجمته .(١)

الاسناد على ما تقدم حسن .

أما المتن فلابد من اعمال نظر فيه ، اذ كيف يمسخ الصبيان وهم غير مكلفين ، مع نجاة الذين ينهون عن السوء !!

وفي زاد المسير : صار الشبان قردة" .(٢)

فلعل عبارة ابن كثير مصحفة والمراد بها الشباب ، فاذا كان كذلك لا غبار عليه . والعلم عند الله .

كما أن الخبر مذكور في كل من البغوي والخازن وابن جرير الطبري .(٣)

٥) قوله تعالى : ((ان الصفا والمروة من شعائر الله . . . الآية))(٤) .

ذكر الامام ابن كثير ـ غفر الله له ـ عند تفسيره لهذه الآية الكريمة أثرا عن محمد بن اسحق أن" أساف ونائلة" كانا بشر بن فزنما داخل الكعبة فمسخا حجرين ، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس ، فلما طال العهد عبدا ، ثم حولا الى الصفا والمروة ، فنصبا هنالك ، فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ".(٥)

---

(١) التقريب ٢ / ٣٠ والتهذيب ٧ / ٢٦٣ .

(٢) "زاد المسير" ١ / ٩٤ ـ ونحوه في " روح المعاني" ١ / ٢٥٧ ." وتفسير القرطبي "١ / ٢٤٠ .

(٣) "تفسير الطبري" ٢ / ١٦٩ ـ ١٧٠ المحققة ، و"تفسير البغوي على هامش ابن كثير ١ / ١٩٤ و"تفسير الخازن ١ / ٥٨ ، بلفظ " وقيل" .

(٤) " البقرة " : ١٥٨" .

(٥) تفسيره : ١ / ١٩٨ ـ ١٩٩ حلبي .

روايـة كأن روح الخرافة تتلبسها وظاهرها الضلال ، وهـي بلا شك من الاسرائيليات الخسيسة ، ورحم الله الحافظ ابن كثير حين غفل عن نقد هذه الروايـة .

هذا وقد ساعد ما ذهبت اليه ، ما ذكره الواحدى في أسباب النزول حيث يذكر في كتابه النص الآتي : " وقال عمرو بن الحسين سألت ابن عمر رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال : " انطلق الى ابن عباس فسله فانه أعلم من بقى بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فأتيته فسألته ، فقال : كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له اساف ، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة ، فزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين ووضعهما على الصفا والمروة ليعتبر بهما . . . الخ " .(١)

٦) قوله تعالى : ((وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملئكة .))(٢)

ساق الحافظ ابن كثير عند هذه الآية عدة آثار . .

ومنها أثر صاغه بصيغة التمريض حيث قال : " السكينة " طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء ، أعطاها الله - سبحانه - موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فوضع فيه الألواح " .(٣)

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص٢٥ ، وانظر" تفسير القرطبى "٢/ ١٧٩-١٨٠ .

(٢) "البقرة " : ٢٤٨" .

(٣) " تفسيره ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥ الشعب وانظر : " تفسيره الحلبى" ١/ ٣٠ وتفسير البغوى على هامش ابن كثير "١/ ٦٠٠ ، و" تفسير الخازن ١/ ٢٥٦ ، و" فتح القدير" ١/ ٢٣٩ .

واكتفى الحافظ بقولـه : رواه السدى عن أبى مالك عن ابن عبـاس رضى الله عنهما .

وهذا التفسير غير مرضى - فيما أظن - الأمر الذى حدى بمحقق تفسير ابن كثير أن يقولوا : " هذا التفسير الهادى للسكينة غير مقبول وهو من الاسرائيليات "(١)

كما روى الحافظ ابن كثير اثرا اسرائيليا آخر وهو قوله : "قال محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه : السكينة رأس هرة ميتة اذا صرخت فى التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ".(٢)

وهذا الأثر رواه الطبرى عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحاق عن وهب عن بعض اهل العلم من بنى اسرائيل وساق الطبرى الأثر الذى ساق ابن كثير .(٣)

رجال الاسناد :

ابن حميد : هو محمد بن حميد بن حيان الرازى : حافظ ضعيف ، وكان ابن معين حسن الرأى فيه ، من العاشرة / د ت ق ".(٤)

سلمة : هو ابن الفضل الأبرش قاضى الرى ، صدوق كثير الخطأ ، من التاسعة / د ت ق كما فى التهذيب والتقريب .(٥)

وفى الميزان : عنده مناكير ، وفيه نظر .

النسائى : ضعيف .

ابن المدينى : ما خرجنا الرى حتى رمينا بحديث سلمة .

---

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٤٤٥ الشعب بتصرف .

(٢) " " " ١ / ٤٤٤ " "

(٣) " الطبرى ٥ / ٣٢٨ بتحقيق ا. شاكر .

(٤) التهذيب ٩ / ١٢٧-١٣١ والتقريب ٢ / ١٥٦ .

(٥) التقريب ١ / ٣١٨ ، والتهذيب ٤ / ١٥٣-١٥٤ .

النسائي : ضعيف.

ابن المديني : طخرجنا الرى حتى رمينا بحديث سلمة.

ابو حاتم : لا يحتج به [1]

محمد ابن اسحاق : سبق مرار - وهو صدوق يدلس.[2]

وعلى ضوء رجال الاسناد يتبين أن فيه ضعيفا وفيه صدوق كثير الخطأ . ثالثا أنه موقوف على وهب بن منبه اذ أن بعض أهل العلم من بني اسرائيل مجهولون والمتن ظاهر عليه أنه من بني اسرائيل لتصريح رجال الاسناد .

وهناك روايات أخرى الى جانب ذلك [3] فمثل هذه التفسيرات لمعنى السكينة هل لها أساس علمي ، ومدى فائدتها لتفسير النص القرآني الكريم الذي يبقى له جماله واعجازه برغم هذه التفسيرات التي تلصق به ؟.

وسبحان الله فقد ذكر ابن كثير - عفا الله عنه - رواية عن عطاء مفادها "ان السكينة هي ما يعرفون من آيات الله فيسكنون اليه".[4] وهو قول الحسن البصري أيضا فلم لم يكتف بهذا ؟؟

هذا وقد سرد الشوكاني كل تلك المعاني تقريبا ، ثم عقبه بقوله : " وأقول : هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت الى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود لعنهم الله ، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم ، وانظر الى جعلهم لها تارة حيوانا ، وتارة

---

(١) الميزان ٢/١٩٢ والتاريخ الكبير ٤/٨٤.

(٢) التهذيب ٩/٣٨ - ٤٦ - والتقريب ٢/١٤٤.

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ١/٣٠١ حلبي "وتفسير الطبري" ٥/٣٢٨ المحقق .

(٤) " " " " ١/٣٠١ "

جعلا ، وتارة شيئا لا يعقل كقول مجاهد : " كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر"[1] وجنا جان وذنب مثل ذنب الهر .

وهكذا كله منقول عن بني اسرائيل ، يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب .

ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا رأيا رآه . . . "[2].

ويضيف الشوكاني قائلا : "اذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك الى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ، ولا حاجة الى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لوجب علينا المصير اليه والقول به ، ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوة القرآن الكريم ، كما في مسلم عن البراء رضي الله عنه قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط فتغشته سحابة . . . . فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ، فقال : تلك السكينة تزلت للقرآن ".

يعقب الشوكاني على هذا فيقول :" وليس في هذا الا أن هذه التي سطها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ والله أعلم ".[3]

قلت : تعقيب الشوكاني في هذا المكان جيد ولطيف ووجيه الأمر الذي جعل محققي "المحرر الوجيز" وغيرهم أن يقتبسوا منه".[4]

---

(١) انظر: الدر المنثور ١/٣١٧ .

(٢) " : فتح القدير ١/٢٣٩ .

(٣) فتح القدير ١/٢٣٩ ، وانظر صحيح مسلم .

(٤) "تفسير ابن عطية" ٢/٢٥٩ مغربية وزاد المسير ١/٢٩٥ .

وقد جاء في الحديث الصحيح " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده" .(١)

فنزول السكينة عليهم كناية من التباسهم بطمأنينة الايمان واستقرار ذلك في قلوبهم ،لأن من تلى كتاب الله وتدارسه يحصل له بالتدبر في معانيه والتفكر في أساليبه ما يطمئن اليه قلبه وتستقر له نفسه .

((الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)) .(٢)

ورحم الله ابن حيان حين ذكر كل تلك الأقوال تقريبا ثم رجح خلاف ما رجحنا . فهو يقول : وقد كثر القصص في هذا التابوت والاختلاف في أمره ، ولم يأتنا نص يعينه ، ونحن نلم بشئ مما قاله المفسرون والمؤرخون على سبيل الايجاز" .(٣)

ثم ساق معنى التابوت ومعنى السكينة ، وفي الختام قال :

" ويحتمل أن يكون مجموع ما ذكر في التابوت، فأخبر كل قائل عن بعض ما فيه .....".(٤)

وقريب من الأثر الاسرائيلي - حكاية الذهب - ونحوها ما نقله القاسمي عن كتب القوم " الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج وغيره ".(٥)

---

(١) سنن ابن ماجة باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٥ .

(٢) "الرعد" : ٢٨".

(٣) البحر المحيط ٢/٢٦١-٢٦٢ .

(٤) "البحر المحيط" ٢/٢٦٢ .

(٥) تفسير القاسمي ٣/٦٤٦-٦٤٧ .

وفي نهاية الطلف نذكر معنى السكينة لغة كما في المفردات "السكينة : قيل ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ، . . . وقيل السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب، وعلى هذا قوله تعالى : ((أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم)) وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهر فما أراه قولا يصح".(١)

٧) قول الحق - تبارك وتعالى : ((ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك))(٢)!

ذكر ابن كثير أن عبد الرزاق روى عن معمر عن زيد بن أسلم - أثناء شرحه للآية السابقة . - ان النمرود كان عنده طعام وكان الناس يفدون اليه ، فوفد ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام، - في جملة من وفد للمسيره ، فكان بينهما هذه المناظرة . . . ثم بعث الله الى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالايمان فأبى عليه . . . حتى أرسل الله عليهم - هو وجموعه - بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم، فاكلت لحومهم ودماءهم . . . ودخلت واحدة منها في منخرى الملك فمكثت في منخره أربعمائة سنة عذبه الله بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله بها".(٣)

الباحث :

رواية عجيبة وأحسب أنها من الاسرائيليات . . .

---

(١) مفردات الراغب ص٢٣٧ ، وقد نقل كلامه العلامة الآلوسى في تفسيره ٢/١٤٦ .

(٢) البقرة : "٢٥٨" .

(٣) تفسيره ١/٣١٤ح والشعب ١/٤٦٣ -٤٦٤ .

رجال الاسنـــاد :

عبد الـــرزاق : هو بن همام بن نافع الحميرى مولاهم، أبو بكر الصنعانـــى ثقة حافظ، مصنف شهير، عمى فى آخره، فتغير ... من التاسعة ../ع.[1]

معمر : هو ابن راشد الأزدى الحجة أبو عروة، أحد الأعلام وعالم اليمـــن

قال ابن حنبل : ليس تضم معمرا الى أحد الا وجدته فوقـــه.[2]

وقال ابن حجر : ثقة ثبت فاضل الا أن فى روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عـــروة شيئا ... من كبار السابعة، مات سنة أربع وخمسين /ع.[3]

زيـــد بن أسلم : الامام أبو عبد الله العمرنى المدنى الفقيـــه ...

قال البخارى : كان على بن الحسين يجلس الى زيد بن أسلم، فكلم فى ذلك.

- فقـــال : انما يجلس الرجل الى من ينفعه فى دينه، مات رحمه اللـــــه سنه ١٣٠.[4]

وعلى ضـــوء ذلك يتبين أن الاسناد حسن، وذلك لعدم معرفة ما اذا حدث به عبد الرزاق قبل تغيره أم لا ؟.

أما المـــتن :

بعوضـــه - واحـــدة - تدخل منخرى الملك وتمكث أربعمائة سنة !! ويضرب فى رأســـه طوال هذه المـــدة !!.

تـــرى أى عقل يقبل مثل هذا ؟ أكانت منخرا الملك سردابا طويـــلا أو أن رأسه خلقت من صخر لا يؤثر فيه الحديـــد !!

---

(١) "التقريـــب ١/٥٠٥ والتهذيـــب ٦/٣١٠-٣١٥.

(٢) "تذكـــرة الحفـــاظ" ١/١٩٠-١٩١.

(٣) "التقريـــب" ٢/٢٦٦، والتهذيـــب ١٠/٢٤٣.

(٤) "تذكرة الحفاظ" ١/١٣٢-١٣٣.

انـه - حقا - لأمر يحير ، وغفر الله لامامنا الجليـــــل الحافـظ ابن كثير - حين سها عن نقد هذه الروايـة :-

هذا وقد ذكر أبو عبد الله محمد القرطبي ، في تفسـيره كلاما نحوا مـن هذا الا أنـه ذكر أنـه مكث في البلاء أربعين يومـا" ( ) [1]

هـذا والعلم عنـد الله .

---

(١) "الجامـع لأحكـام القـرآن" ٣/٢٨٤ .

المبحث الثاني

ما جاء في سورة النساء

٨) قوله تعالى : ((أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة))[1]

عند هذه الآية الكريمة ذكر ابن كثير أن ابن جرير وابن أبي حاتم ذكرا حكاية مطولة عن مجاهد ، وحاصلها أن امرأة ممن كان قبلنا أخذها الطلق فبعثت أجيرها ليأتي لها بنار . . . فوجد الأجير عند الباب رجلا ، فسأل عن المولود فذكر بأنها بنت، فقال : انها ستزنى بمئة رجل ، ويتزوجها أجيرها ، ثم تموت بالعنكبوت ((فرجع الأجير وبعج بطنها بسكين ثم ولى مدبرا . . . ثم عاد الأجير بعد أن انفتحت له الدنيا على مصراعيها . . . وأراد التزوج من أحسن أمرأة في ذلك الزمان . . . فتزوج تلك الجارية . . . وقد صح ماذكره الرجل للأجير - الزوج الآن . . . الخ تلك القصة[2]

ولم يكتف ابن كثير - رحمه الله - بسرد هذه الحكاية بجانب آيات الله الكريمات والتي لم أعرف الحكمة من سردها ، بل ذكر قصة أخرى لا تقل غرابة واعجابا من سابقتها . وفحواها : أن ابنة أحد الملوك بالقرب من شاطئ الفرات ساهمت في قتل أبيها ، نظير أن تتزوج القاتل . . . ثم ما لبثت أن ندمت أو كادت، فقتلها زوجها - قاتل ابيها - شر قتلة ، اذ ربطت قرون رأسها بذنب فرس فركض الفرس حتى قتلها . . ."[3]

---

(١) "النساء" : "٧٨".

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٦ ح ، وانظر الشعب ٢/ ٣١٦-٣١٧ .
وانظر تفسير الطبري ٨/ ٥٥٢-٥٥٣ والمحقق : والدر المنثور ٢/ ١٨٤-١٨٥ كما ذكره القاسمي في محاسن التأويل . . . ، ٥/ ١٤٠٣ .

(٣) تفسيره ١/ ٥٢٧ ح .

والحق أن القصص الاسرائيلى والاخبار المضحكة تجذب كبار المتقصين فضلا عن العوام، والا كيف تذكر مثل هذه الحكايات فى ثنايا الكتاب العزيز ؟؟ ذلكم الكتاب الذى نزل للتدبر.. وليتذكره أولوا العقول والبصائر .

المبحث الثالث

ما جاء في سورة المائدة

٩) قوله تعالى : ((وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين)) .(١)

في أثناء شرح الحافظ ابن كثير - رحمه الله - للآية الكريمة السابقة، نقل عن محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول " أن آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل فسلم لذلك هابيل ورضي، وأبى ذلك قابيل وكره، تكرط من أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل، وقال : نحن من ولادة الجنة، وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختي ".(٢)

ثم يتابع ابن كثير نقله عن ابن اسحق فيقول : ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس فظن بها على أخيه وأرادها لنفسه - والله أعلم أي ذلك كان - . . . فقال له أبوه : انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك من قول أبيه فقال له أبوه يا بني قرب قربانا، ويقرب أخوك قربانا . . . ".(٣)

---

(١) المائدة : "٢٧".

(٢) تفسير ٢/٧٨، الشعب والحلبي ٢/٤٢-٤٣.

قلـــت:

ابن اسحق صدوق في الحديث وامام في الســـير ة والتاريخ - كما سبق وأن بينا حاله مـرارا -

أمـا من حيث المتن هو يتعارض مع أثر أقوى سندا من هذا وليس مرويا من أهل الكتاب ، بل هو في حكم الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه .

وذلـك الأثر هو ما رواه الطبري - رحمه الله - في تفســيره وفيه أن آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان غائبا بمكة ، وانـــه استخلف قابيل على أهله ، وأن تقديم القرابين كان في غيبة الوالـد - آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام - أ - هـ (١)

فهـذا الأثر يفيد ان تقديم القرابين كان بغيبـــة آدم والأثـر السابـق . يفيد أن آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام شهد تقديم القرابين .

الى غير ذلك من التناقضات الواردة في أثر ابن اسحـــق كقول قابيل : " نحن من ولادة الجنـة ؟ .

فقد ذكر ابن حيان في تفســيره : "أن خلق حواء عليهـا السلام - كان في الجنة وأما التغشي والحمل كان في الأرض " .(٢)

فكيـف يستقيم قوله : " نحن من ولادة الجنة " . ؟

وفي فتح البيان : " وجعل منها زوجها ليسكن اليها " (٣) وكان هذا في الجنة كما وردت بذلك الأخبار ، ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخـــرى كانت بينهما في الدنيا بعد هبوطهما فقال : "فلما تغشاها" (٤)

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٢٠٦ المحقق وانظر ابن كثير ٢/٧٦ الشعب.
(٢) البحـر المحيـط : ٤/٤٣٩ .
(٣) الأعـراف : " ١٨٩ ".
(٤) فتح البيان : ٣/٤٧٤ .

وأخيرا اذا ما صح الحديث الموقوف على ابن مسعود رضى الله عنه ، فكيف ساغ للامام أن يستأنس بأخبار أهل العلم بالكتاب الأول ، أولا يكفى ما ورد عن الصحابة ؟؟

١٠) قوله تعالى : ((قال يا ويلتى أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب .))[1]

عند تفسير الحافظ ابن كثير للآية الكريمة السابقة نقل عن محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول أن قابيل قتل هابيل فسقط فى يده ولم يدر كيف يواريه ، وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل فى بنى آدم وأول ميت . "[2]

وأضاف ابن اسحق قائلا : " وزعم أهل التوراة أن قابيل لما قتل أخاه ، قال له المولى - عز وجل - يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ - قال : ما أدرى ما كنت عليه رقيبا ، فقال الله - تعالى - ان صوت دم أخيك لينادى من الأرض الآن أنت ملعون من الأرض التى فتحت - فاها فتلقت دم أخيك "[3]

الباحث:

هكذا ذكره الامام ابن كثير دون أى تعليق - اللهم الا المحافظة على كلمة ابن اسحاق - الزعم -

ولنا - ابن اسحاق صدوق . . . الخ . . ولكن هناك جهالة فى بعض الرواة - بعض أهل العلم بالكتاب الأول .

---

(١) المائدة : "٣١" .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢/ ٤٥ - ٤٦ ح وانظر : الشعب ٣/ ٨٤ .

(٣) المصدرين السابقين .

أما المتن فهناك أكثر من عبارة لم أفهمها - ويشاركني من يسرا رأيي ..

ولعل من أبرزها :

قولهم : ان الله - تبارك وتعالى - خاطب القاتل قابيل ..!!

ولا أدري متى كان الله سبحانه وتعالى يخاطب غير رسله وأنبيائه وملائكته عليهم الصلاة والسلام ؟؟

وأخيرا فلا أرى من حاجة الى حشو كتب التفسير بمثل هذه الأخبار التي أقل ما فيها الانشغال عما هو أهم، الا وهو التدبر والتعقل لكتاب الله تعالى . والعلم عند الله ..

هذا وقد أخرج الأثر المذكور الطبري في تفسيره وعلق عليه الأستاذ أحمد شاكر على ذلك بقوله :

"ان هذا المروي عن ابن اسحاق موجود في كتب القوم وبالضبط في سفر التكوين في الاصحاح الرابع ..."(١)

---

(١) تفسير الطبري : ١٠/٢٢٨ المحقق .

المبحث الرابع

ما جاء في سورة الأعراف

١١) قول الله - تبارك وتعالى -: ((ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)) .(١)

عند تفسير ابن كثير - غفر الله له - لهذه الآية العظيمة قال ما نصه: " وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه، أن شابا كان يتعبد في المسجد فهويته امرأة: فدعته الى نفسها، فطاوعت به حتى كاد يدخل معها المنزل، فذكر هذه الآية: (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون " فخر مغشيا عليه، ثم أفاق فأعادها فمات فجاء عمر فعزى فيه أباه، وكان قد دفن ليلا، فذهب فصلى على قبره بعد موته، ثم ناداه عمر فقال: يافتى، (ولمن خاف مقام ربه جنتان(٢)

فأجابه الفتى من داخل القبر ياعمر: قد أعطانيهما ربي - عز وجل - في الجنة مرتين ".(٣)

الباحث:

لعل من له أدنى مسكة من عقل يدرك أن رد ذلك الفتى من القبر غير ممكن وأغلب ظني أن ذلك مقحم على الرواية - ان صحت - ولا تنسى أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: " انك لا تسمع الموتى ".(٤)

---

(١) "الاعراف: " ٢٠١".

(٢) "الرحمان": " ٤٦ ".

(٣) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٣٩، الشعب وانظر الحلبي ٢ / ٢٧٩.

(٤) "النمل": "٨٠".

وقـال له أيضا :" وما أنت بمسمع من في القبـور"[1] فكيـف يسمع الفتى التقى النقى نداء عمر، ويجيبه وهو في قبره في عـداد الموتـى !! ؟؟ .

حقـا ان القصص الاسرائيلي وأخبار أهل الكتاب ليصدع العجائب ! ولكن أن يقيس عليها بعض رجال الأمة الاسلاميـة ويحذوا حذوها ، فذلك أمر أشد عجبا ، والعلم عند الله .

---

(١) "فاطـر" : "٢٢".

المبحث الخامس

ما جاء في سورة يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام

١٢) قول الباري جل ذكره : ((ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ...))[١].

عند هذه الآية الشريفة أفاد الحافظ ابن كثير أن ابن أبي حاتم - رحمه الله - ذكر في تفسير الآية رواية قال فيها : " حدثنا اسماعيل بن أبي الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير .. أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز حتى بلغ " وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ..... الى قوله : " ربنا اطمس على أموالهم .. الآية فقال عمر : ياأبا حمزة أي شيء الطمس ؟ قال : طمست أموالهم كلها حجارة ، فقال عمر ابن عبد العزيز لغلام له ائتني بكيس فجاءه بكيس، فاذا فيه حمص وبيض قد حول حجارة" [٢].

ترى هل كان الخليفة العادل العمري يجهل معنى الطمس؟ واذا تنازلنا جدلا بأنه كان جاهلا فلم طمس الحمص والبيض؟

وعمر من هو عمر في عدله وفراسته وحبه للسنة ، وكفاه شرفا أنه يقرن بكلمة العدل - العادل - وهو - بحق أهل لها - .

ونحن ندرك سلفا أن الطمس الذي دعى به نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على فرعون كان لتمرده وعصيانه وطغيانه و.. و.. ولو لم تكن منه الا قوله : " .. أنا ربكم الأعلى " [٣] لكانت كافية في طمس الأموال والطبع على القلوب ... والعلم عند الله .

---

(١) يونس : " ٨٨ " .

(٢) تفسيره ٢ / ٤٢٩ ح وانظر دار الشعب ٤ / ٢٢٦ وبنحوه في تفسير القرطبي ٨ / ٣٧٤ .

(٣) "النازعات" : ٢٤ " .

المبحث السادس

ما جاء في سورة هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام

١٣) قوله تعالى : ((حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين))[١].

عند تفسيره للآية العظيمة السابقة نقلا الحافظ ابن كثير رواية تكاد تكون موغلة بالتخريف والسقط ونصها كالآتي : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن أبيه مرفوعا قال : (لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين ، قال أصحابه : وكيف تطمئن المواشي ومعها الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى ، فكانت أول حمى نزلت في الأرض ، ثم شكوا الفارة ، فقالوا : الفويسقة ، تفسد علينا طعامنا ، ومتاعنا ، فأوحى الله - تعالى - الى الأسد ، فعطس فخرجت الهرة منه ، فتخبأت الفارة منها "[٢].

الباحث:

رجال الاسناد :-

١ - أبو حاتم : هو الحافظ الكبير محمد بن ادريس الرازي ثقة .[٣]

٢ - عبد الله بن صالح : ابن محمد بن مسلم الجهني ، أبو صالح المصري كاتب الليث ، صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه ، وكانت فيه غفلة من العاشرة مات سنة اثنتين وعشرين .. / خت د ت ق /.[٤]

---

(١) "هود" : "٤٠".

(٢) تفسيره : ٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥ الشعب وأنظر الحلبي ٢/٤٤٥، والدر المنثور ٣/٢٢٦.

(٣) تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٦٧ - ٥٦٩.

(٤) التهذيب : ٥ / ٢٥٦، والتقريب : ١ / ٤٢٣.

٣ ـ الليث هو : ابن عبد الرحمن الفهمي مولاهم الأصبهاني الأصل المصري، عالم مصر وفقيهها ، امام حجة كثير التصانيف مات ١٧٥ (١).

٤ ـ هشام بن سعد (٢)

٥ ـ زيد بن اسلم سبق مرارا من كبار التابعين .

ومن خلال تراجم الرجال ظهر لنا ان الاسناد حسن فيما يبدو . والعلم عند الله .

أما المتن وما أدراك ما المتن ؟ فيظهر ان العقل السليم يعجها لأسباب من أبرزها :

عدم اتساقها مع النص القرآني الكريم، ولا أظن ـ بل لا أعتقد ـ أنه من الحكمة الالهية ان يحطس الأسد فتخرج من أنفه هرة !!

فهو سبحانه خلق كل شيء بحكمة وقدر . . . اذا صح ما ذهبت اليه فكيف يتجرأ زيد ـ اذا صح عنه ـ فينسب هذا الافك ـ فيما نظن ـ الى الذي جاء بالصدق صلى الله عليه وسلم، نعم تروج هذه الأساطير اذا جاز لنا تسميتها ـ وأشكالها عند الكهنة واضرابهم .

وغفر الله لما مامنا الحافظ ابن كثير حين سها عن ابداء أي ملاحظة أو نقد أو تعليق على هذه الرواية العجيبة .

وقد يعذر ابن كثير بأنه رواها لقوة اسناد رجالها أو على أنها ـ كما أظن ـ من الاسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب أو للاحتمالين معا . والله أعلم . .

يقول العلامة محمود الآلوسي في تفسيره اثناء شرحه للآية الكريمة السابقة بعد أن ذكر هذا الأثر وغيره يقول : " وفي كتب

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

(٢) التقريب : ٢/ ٣١٨ ، والتهذيب : ١١/ ٤٠ .

الأخبار كثير من هذه الآثار التي يقضي منها العجب وأنا لا أعتقد سوى أن الله عزت قدرته خلق الطاعز والنعجة - من قبل على ما هما عليه اليوم، وأنه سبحانه لم يخلق الهر من الأسد وأن أشبهته صورته ولا الخنزير من الفيل ....".[1]

١٤) قوله تعالى : ((ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ))[2]

نقل الامام ابن كثير - رحمه الله - عن ابن أبي حاتم بسنده " أن ضيوف ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام كانوا أربعة: جبريل، وميكائيل، واسرافيل، ورفائيل، قال نوح بن قيس - أحد رجال الاسناد - : فزعم نوح بن أبي شداد أنهم لما دخلوا على ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقرب اليهم العجل مسحه جبريل بجناحه، فقام يدرج حتى لحق بأمه، وأم العجل في الدار".[3]

ليس في الآية ما يشير الى أن العجل قام بعد أن شواه خليل الله صلى الله عليه وسلم وقدمه الى ضيوفه.

ويبدو - والله أعلم - أن هذا من تراهات أهل العلم بالكتاب الأول أو من نسج خيال أهل الكتاب.

---

(١) روح المعاني : ١٢/٤٨ - ٤٩.

(٢) "هود" : "٦٩".

(٣) تفسيره : ٤/٢٦٤ - ٢٦٥، الشعب وقارن بالحلبي : ٢/٤٥٢.

المبحث الرابع : ماجاء في سورة الرّعـــد :

١٥ـ قوله تعالى : " هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال " [١] ذكر الامام ابن كثير عند معنى البرق أقوال العلماء في ذلك ومن ضمن تلك الأقوال مانقله عن ابن أبي حاتم أنّ أباه حدثه عن هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال : بلغنا أنّ البرق ، ملك له أربعة وجوه : وجه انسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فاذا مصع [٢] بذنبه فذاك البرق . [٣]

لقد فسر ـ رحمه الله ـ معنى " البرق " في أكثر من موضع.

فقد فسره في البقرة بأنّه : مايلمع في قلوب أولئك المنافقين في بعض الأحيان من نور الايمان . [٤]

وفسر البرق هنا بأنّه مايرى من النّور اللامع ساطعا من خلل السحاب [٥] فهلّا اكتفى بهذا وذاك التفسير الذي يكاد يكون رحما جامعا بين أقوال المفسرين ومنهم الآتي :

فقد قال الراغب الأصفهاني : هو لمعان السحاب. [٦]

والنسفي يقول : هو الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع . [٧]

---

(١) الرّعد ، آية : ١٢ .

(٢) لمع ، كما في ترتيب القاموس ٤ / ٢٥٢ .

(٣) تفسيره ٤ / ٣٦٢ الشعب والحلبي ٢ / ٥ـ ٥ .

(٤) تفسيره ١ / ٨٣ الشعب.

(٥) تفسيره ٤ / ٣٦٢ ـ الشعب.

(٦) المفردات ص٤٣ .

(٧) تفسير النسفي ١ / ٢٤ . وانظر الخازن ٤ / ٩ .

وأبو السعود يعرفه بأنّه مايلمع من السحاب من برق الشيء بريقا أى : لمع .[1] الى غير ذلك من المفسرين الذين قالوا هذا القول أو قريب منه .

أمّا أثر ابن أبى حاتم السابق فقد ذكر نحوه السيوطى[2] فى الدر عن شعيب الجبائى . وشعيب الجبائى - بفتح الجيم والباء الموحدة مخففة ، يمانى يروى عن الكتب - أى الكتب المنسوبة لأهل الكتاب - ، وقال عنه صاحب لسان الميزان : أخبارى متروك .[3]

أمّا أثر ابن أبى حاتم الذى ذكره الحافظ ابن كثير فقد رواه عن محمد بن مسلم وهو أبو بكر الفقيه الحافظ المشهور بالزهرى ، وهو متفق على جلالته واتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة . . .[4]

وعلى ضوء ماتقدم ينبغى للناظر أن يحكم عقله ، ويختار مايراه صوابا . والعلم عند الله . .

المبحث الثامن - ماجاء فى سورة النّحل :

١٦- قول الحقّ تبارك وتعالى : " قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السّقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون "[5]

عند شرح ابن كثير للآية الشريفة السابقة كرر الأثر السابق الذى مرّ

---

(١) تفسير ابى السّعود ١ / ٩٢ . (٢) الدر المنثور ٤ / ٤٩ .
(٣) التاريخ الكبير ٤ / ٢١٨ ، والجرح والتعديل ٤ / ٣٥٣ ولسان الميزان ٣/١٥٠ .
(٤) تذكرة الحفاظ ، وتهذيب التّهذيب ٩ / ٤٤٥-٤٥١- والتقريب ٢ / ٢٠٧ .
(٥) النّحل ، آية ٢٦ .

معنـــا فى الأثر(٧) ولا أدرى كم كان الامام معجبا بـــــه .

وعلى كلا أتى هنا بزيادة هى :..وأرحم النّاس به ـ النمروذ ـ مـــــن جمع يديه فضرب بهما رأســـــه . . . (٢) ترى هل الجبار المعـــــذب للنّاس يجد من يرحمـــــــه ؟ . والعلم عند الله .

المبحث التّاســـــع :ـ ماجاء فى سورة طه :

١٧ـ قوله تعالى : قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهـــــم السّـــــامرى "(٣)

ذكر الحافظ ابن كثير عند هذه الآية الكريمة ان اسم السامـــــرى فى الكتب الاسرائيليّة : هـــارون .(٤)

وفى تفسير قوله تعالى : " فما خطبك ياسامرى " ؟(٥)

نقل عن محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبيـــــر عن ابن عباس رضى الله عنهمـــا ان اسم السامرى : موسى بن ظفـــر .(٦)

والعجـــب من الامام ابن كثير: لم لم يكتف بأثر ابن عباس رضـــى الله عنهمـــا ؟ حتّى يذكر الأثر الاسرائيلـــــــى ..

---

(٢) تفسيره ٤/ ٤٨٥ الشعب والحلبى ٢/ ٥٦٦ . وانظر تفسير الطبرى ١٤/ ٩٦ -٩٧ .

(٣) سورة طه ، آية : ٨٥ .

(٤) تفسيره ٥/ ٣٠٢- ٣٠٣ الشعب والحلبى ٣/ ١٦١ .

(٥) سورة طه ،آية : ٩٥ .

(٦) تفسيره ٥/ ٣٠٥ -٣٠٦ الشعب والحلبى ٣/ ١٦٣ .

وهو القائل فى ثنايا سورة الكهف عند شرحه لآيات أصحاب الكهف قال : وفى تسميتهم - أهل الكهف - بهذه الأسماء - مسلمينا . . . الخ نظر فى صحته - والله أعلم - فان غالب ذلك متلقى عن أهل الكتاب. . . (١)

الى أن قال : وقد جاءك الله يارسولنا بالحقّ الذى لا شكّ فيه ولا مرية فيه ، فهو المقدم الحاكم على كلّ ماتقدمه من الكتب والأقوال . (٢)

المبحث العاشر - ماجاء فى سورة الأنبياء :

١٨- قوله تعالى : " وأيوب اذ نادى ربّه أنّى مسنى الضرّ وأنت أرحم الراحمين " . (٣)

عن قصة أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام ذكر فى كتب التفسير وهى دخيلة عليه فهى تشبه الأساطير .

يقول الحافظ ابن كثير: وقد ذكر وهب بن منبه فى خبره قصة طويلة ساقها الطبرى (٤) وابن أبى حاتم. . . وفيها غرابة تركناها لحال الطول . . . (٥)

الباحث: موقف جيد لو استمر ، ولكن . . . . ؟ اذ سرعان ماذكر قول السدى : تساقط لحم أيوب حتّى لم يبق إلّا العصب . . . وذكر انه ابتلى بالجذام - وأنّه . . . الخ . (٦)

---

(١) تفسيره ٥ / ١٤٤ الشعب.
(٢) المصدر السابق الموضع عينه .
(٣) الأنبياء ، آية ٨٣ .
(٤) تفسير الطبرى ٨٧ / ٥٧-٧٢ .
(٥) تفسيره ٥ / ٣٥٤ - الشعب والحلبى ٣ / ١٨٨ .
(٦) المصدرين السابقين الموضعين عينيهما .

لقد وقع - ولو من قريب فيما تورط فيه أصحاب التّفسير - عفا الله عنهم - والقصة بحالها ساقطة - ونحن نيقن يقينا أنّه مسه الضر أمّا التفاصيل فشيء آخر .

لقد أخرج الطبرى عن عبد الصمد بن معقل وهب بن منبه القصة تامة كما أخرج الطبرى عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه وغيره من أهل الكتاب الأوّل . (١)

والرازى بعد أن ساق قدرا من القصة قال : وقال الامام أبو القاسم الأنصارى : وفى جملة هذا الكلام : ليتك لو كرهتنى لم تخلقنى ، ثم قال : ولو كان ذلك صحيحا لاغتنمه ابليس، فان قصده أن يحمله على الشكوى ، وأن يخرجه عن حلية الصابرين والله تعالى لم يخبرنا عنه الاّ قوله : " انّى مسنى الضر ،وأنت أرحم الراحمين " . (٢)

وذكر القرطبى شيئا يسيرا من أقوال المفسرين ، ثم ردها على لسان ابن العربى ، وفى ختام كلامه نقل كلاما نفيسا عن ابن العربى وحاصله : ولم يصح عن أيوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فى أمره الاّ ما أخبرنا الله تعالى عنه فى كتابه فى آيتين :

الأولى : قوله تعالى : " وأيوب اذ نادى ربّه انّى مسنى الضرّ " . (٣)

والثانية - فى ص : " أنّى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . (٤)

---

(١) تفسير الطبرى ١٧ / ٥٨-٧٢ .
(٢) مفاتيح الغيب ٢٢ / ٢٠٣-٢٠٥ .
(٣) سورة الأنبياء ،آية : ٨٣ .
(٤) سورة ص ، آية : ٤١ .

وأمّـــا النّبى صلى الله عليه وسلم فلم يصحّ عنه أن ذكره بحرف واحـد الاّ قولـــــه : بينا أيوب يغتسل اذ خر عليه رجل جراد (١) من ذهـب ... الحديـــث (٢)

واذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة الاّ ماذكرناه : فمن الذى يوصل السامع الى أيوب خبره ، أم على أىّ لسان سمعـــــه ؟

والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتـات ، فاعرض عن سطورها بصرك ،وأصر عن سماعها أذنيك ،فانّها لا تعطى فكرك الاّ خبالا . ولا تزيـد فؤادك الاّ خبـــالا ... (٣)

وأبو حيان فى البحـر يقول : وطول الأخباريون فى قصة أيـــوب... والله أعلم بصحتهـــــــــــا . (٤)

وأخيرا نقتطف هذه الكلمات لأبى شهبة اذ قال - رحمه الله - انّ معظم ماروى فى قصة أيوب ممّا أخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا ، وجـــــاء القصاصون المولعـون بالغرائب فزادوا فى قصة أيوب وأذاعوها ...

---

(١)

(٢) نص الحديث كما فى البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد ... حدثنا عبد الرزاق ،أخبرنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنـــه عن النّبى صلى الله عليه وسلم قال : بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب،فجعل يحثى فى ثوبه فناداه ربّه ،ياأيوب ألـــم أكن أغنيتك عمّا ترى ؟ قال : بلى يارب ولكن لا غنى لى عن بركتك . انظر: فتح البارى - كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى : " وأيوب اذ نادى ربّه أنّى مسّنى الضر وأنت أرحم الراحمين" ٦/ ٤٢٠-٤٢٢ . وانظر : الدر المنثـور ٤/ ٣٣٠-٣٣١ .

(٣) تفسير القرطبى ١٥-٢١٠-٢١١ .

(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٣٤ .

وقد دلّ كتاب الله ـ الصادق على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلـــم على أنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ ابتلى نبيه أيوب عليه السلام فى جسده وأهله وماله وأنّه صبر حتّى صار مضرب الأمثال فى ذلك ، وقد أثنى اللـه عليه هذا الثناء المستطاب . قال عزّ شأنه : " انّا وجدناه صابرا نعـم العبـــد انّه أوّاب ."

والذى نعتقده أنّه ابتلى ولكن بلاءه لم يصل الى حدّ هذه الأكاذيب من أنّه أصيب بالجذام ،وأنّ جسمه أصبح قرحة ، وأنّه ألقى على كناســـة بنى اسرائيـــل يرعى فى جسده الدود ،وتعبث به دواب بنى اسرائيـل . . .

وأيوب ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام أكرم على الله من أن يلقى على مذبلة ،وأن يصاب بمرض ينفر النّاس من دعوته . . .(١)

ونختم كلام أبى شهبة بقوله : (الحقّ أن نسج القصة مهلهـــل لا يثبت أمام النّقد ، ولا يؤيـــده عقل سليم ، ولا نقل صحيح ، وأنّ ماأصاب أيوب من المرض انّما كان من النّوع غير المنفر والمقـــذذ . . . .(٢)

****

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ٣٩٠-٣٩٢.

(٢) المصدر السابق انظر من ص ٣٨٥ الى ص ٣٩٥ .

وبعـــــــــــد :

فانّ ابـــن كثير- رحمه الله - بشر على كلّ حال يخطئ ويصيـــب كغيره من البشـــر ،اذ الكمال المطلق للّه الواحد القهار.

وبعـــد قراءاتي المديدة والمتأنّية لتفسيره وجدته لم يستـــــوف الاسرائيليّات بل هناك بعض الشئ- وقد سبق وأنّ أشار - رحمه اللـــه - الى أنّ بعض المفسرين ذكروا روايات غريبة ولم ينبهوا عليهـا . . .

فبالتّالـــى تنسحب القاعدة عليه بنسبـــة ما ،وأغلب الظّن أنّها من هفواته لكنّا نبادر فنقول : انّ هذا الفصل لا يعني بأى حال من الأحوال التقليل من شأنه- برغم مانقلنا في هذا الفصل من خلال تفسيره- لأنّـــي وجـــدت في تفسيره - تفسير القرآن العظيم - ألوفا من اللفتات القيمـة والتّوجيهات الذكية في بيان معاني الآيـــات. . .

وهذه الاسرائيليات التي وجدتها ،والتي - ولبالغ الأسى - لم ينبـــه عليها لم أذكرها الاّ بعد التثبت من أنّ ابن كثير لم يعلق عليها لا في موضعها ولا في موضع آخر من تفسيره.

اذ يلاحظ القارئ الفطن لتفسيره أنّه أحيانا يترك التعليق على خبر ما في موضعه ،ويعلق عليه في موضع آخـــــر .

واليك مثالا واحد على سبيل الاجمال وليس على سبيل الحصـــر :

فهو عند قوله تعالى : " كلّ نفس ذائقة الموت" [1] يذكر حديثـــا مفاده أن الخضر - عليه السلام - قد حضر عند موت رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم - لتقديم شعائر الاحترام الأخيرة للميت - وأعني بها التعزيـــة

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨٥ .

وهي آخر ما يجب للمسلم على المسلم - الى آل النّبي صلى الله عليه وسلم .
ولم يعلق ابن كثير - رحمه الله على هذا الأثر بشيء .(١)

فيتوهم متوهم أنّه تركه هكـــذا .. بيد أنّ الأمر ليس كذلـــك ، اذ ردّ هذا الخبر ردا قويا عند ذكر الخضر في سورة الكهـف عند الآية الكريمة " وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبـــرا ."(٢)

فقال رحمه الله - بعد أن ذكر قول القائلين بحياته - الخضر - :
وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السّلف وغيرهم ، وجاء ذكره في بعـــض الأحاديث ولا يصحّ شيء من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية ، واسنـــاده ضعيـــــــف .(٣)

وأخيرا لست مع القائلين بأنّه مع عزو تلك الأخبار الى أصحابهـــا قـــد خرج من العهدة ، لأن في تلك الأخبار والتي ساقها بالنّـــصّ تدرك من أوّل وهلة ، وتعلم علما لا تأرجح فيه أنّها - والله أعلـــم - مـــن صنـــع أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا ، وأن القاء العهد على الرواة المذكورين في أسانيد الروايات ألقى عبئا كبيرا على القارئ ، لأنّه يحتـــاج الى بذل جهد ضخم للوصول الى الروايات الصحيحـــة . . . .

ومع هذا وذاك يظل تفسير ابن كثير أوثق وأجمع التفسيرات التي تجمع الروايات بالمأثور - خاصة في عصرنا - وتحقق أسانيدها وتمحص ما نطـــوت

---

(١) تفسيره ٢/ ١٥٤ . الشعـــب .
(٢) سورة الكهف ، آية : ٨٢ .
(٣) تفسيره ٥/ ١٨٤ - الشعب .

عليهـــا نصوصهـــا الى حدّ بعيـــــــد .

فرحـــــم الله الا ما مين الجليليـــــن / محمد بن جرير الطبـــرى واسماعيـــل بن كثير ،وغفر الله لى ولهما ولسائـــر علماء الاسلام ، الذين أعطـــوا الكثير لأ متهم بحملهم على أكتاف علمهم وعقلهم وحكمتهـــــــم هذا النّور المبيـــــــــــــــن ..

****

الخاتمة

الخاتـــــــــمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للمتقدم محمد بن عبدالله ، وعلى اله وأزواجه وصحبه ، ومن والاه واتبع هداه الى يوم الدين .

أمّا بعـــــــد :

فقد وفقنى الله لاتمام هذا البحث " وماكنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله "(١) فالله يرجع الفضل كلّه سبحانه لا أحصى ثناء عليه ، هـــو كما أثنى على نفسه اليه يرجع الفضل فى توجيهى الى اختيار موضـــوع هذه الرسالة ، فماكان لى من علم بابن كثير ولا بموقفه الفذّ من الاسرائيليّات.

وله - سبحانه - يرجع الفضل كلّ الفضل - فى توفيقى واعانتـــى على ارتياد هذا الطريق الشاقّ ، الذى لم أسبق الى ارتياده ، ولم أجـــد فيه أماى أثرا أتبعه ، ولا خطى أحتذيها ، فكانت كلّ خطـــوة على هذا الطريق تضيف الى من الثراء والكسب العلمى على قدر المشقّة ، والمعانـاة ، بل وأعظـــم .

وكانـــت عناية الله تعالى هى التى أنارت لى السبيل ، وذللـت لى الصعاب ، وصححت منّى العزم ، وقادت خطاى على الدرب حتّـى بلغت الغاية ، وعدت من رحلتى الطويلة - بحمد الله - رضيـــــا بما أجتنيته من ناضج الثمار ، وحفيا بما أسفر عنه البحث من نتائـــج طالما ظلت حبيســة فى بطون الأسفار ، كأنّها ضرب من الأسرار حتّـى طلعت عليها شمس النّهـــــار :

ولا فضل لى فى كلّ ذلك وانّما * من الله كلّ الفضل بدءا ومنتهى .

---

(١) الاعراف ٤٣١ .

ومع أنّـي لا أدّعـي الكمال لهذا البحث ـ فالكمال للّه وحـده ـ وأقول مع القائـل :

فان تجد عيبا فسدّ الخلـل * فجلّ من لا عيب له وعـلا

الاّ أنّني أرجو أن يسدّ حيّزا في المكتبة القرآنيّة خاصّة ، وفي المكتبـة الاسلاميّة عامّـة .

كمـا أرجو أن يكون حافزا لي ولباحثين آخرين غيري في مواصلـة البحث في هذا الموضوع وفي غيره من المواضيع القرآنيّة الأخرى ، التي مازالت بحاجة ماسّة الى من يبحثها ويفصل القول فيهـا .

وللقارئ حقّ عليّ في أن ألخّص له أهمّ ماجاء في هذا البحث مـن نتائـج فأقول ـ وبالله التّوفيق ـ :

أوّلا : من خلال دراسة بيئة ابن كثير تراءت لنا الصورة السياسيّة لذلك العصر أمشاجها من النّقائض، تمتزج فيها القوّة والضعف السياسيّة الخارجيّة والدّاخليّة . . ففي الداخل ضعف الحكم الخلافي وفقـدان سيطرته على أجزاء عديدة من رقعة العالم الاسلامي بل الحكـام في الداخل كانوا منشغلين بالكيد لبعضهـم . . .

وفي الخارج كانت البلاد تتعرض لهجمات التّتار المتوحّشة من الشرق وفي الغرب كانت الأطراف متعرضة لقرصنة الفرنجة ومطامعهم الصليبيّـة الحاقـدة . . .

ثانيا ـ كما وقفنا ـ في بيئة ابن كثير ـ على حالة دينيّة حافلـة بالاضطرابات والفتن الدينيّة ، كما لاحظنا ـ من خلال النّظرة الدينيّة ـ

أنّه قد سادت معتقدات فيها كثير من البدع .

وقد بعثت عناية الله بشيخ الاسلام ابن تيمية ليطهّر منطقة دمشق وماحولها من تلك البدع المستطيرة ويعلى رأية المذهب السنى - الذى يعتنقه ابن كثير - ثم تظهر جماعة مناصرة للمحدثين المتمثلة فى النووى ، وابن القيم ، والذهبى وأمثالهم . . . ومن ثمّ تسنّى لابن كثير أن ينعم بحريته المذهبيّة ، وأن ينافح بالكلمة الشريفة وبالمنطق العلمى عن عقيدته ومذهبه .

ثالثا : وبالقاء الضوء على مسار الحركة العلميّة فى عصر ابن كثير : انعكست فى مرآة البحث نهضات علميّة وثقافيّة واسعة النطاق .

وكان من أبرز معالم الازدهار : انتشار دور الاشماع العلمى فى أرجاء دمشق وماحولها والعالم الاسلامى كمصر مثلا .

وشهد العالم الاسلامى ظهور العديد من الأئمّة فى شتّى فروع العلم من محدثين وفقهاء ولغويّين ونحاة . . . ثمّ كانت الحركة العلميّة للتّفسير فى قمّة ازدهارها وارتفاعها ولعلّ وجود نخبة من أمثال ابن حيان ، وابن جزى وصاحبنا وغيرهم خير دليل وشاهد على ذلك .

رابعا : وبالتّعرف على شخصية ابن كثير - فى اطار حياته - وقفنا على شخصية علميّة من الطراز الفريد المتنسك فى محراب العلم والواقف حياته عليه ، والمتأهّل لتبوء عليا درجاته ، فقد درج من مهده الى الكتاب وتتلمذ على الأساطين ، وحظى على مصاحبة أربعة من

جهابذة عصره ـ ابن تيمية ـ المزى ـ ابن البرازلى ـ الذهبى ، ونهل منهم ومن غيرهم ـ من مناهل العلم الدفاقة فى عصره حتّى تخرج على أيدى أولئك الأفذاذ متأهّلا لخوض مجال أشرف العلوم ـ تفسير القرآن الكريم وغيره من المجالات العلميّة كالخطابة والتّدريس والافتاء ...

خامسا : لقد أثبت فى هذه الرسالة مصنفات ابن كثير ـ التى علمتها ـ فبلغت درجة كبيرة ، وتركت انطباعا عامّا عنه وهى أنّه أستاذ فى علوم تلك المصنّفات ، يظهر ذلك جليا فى أقوال من ترجموا له ، وفى المؤلفات اللاحقة ، فقد استقوا من مصنّفاته الشىء الكثير والكثير ...

سادسا : أثبت فى هذه الرسالة ـ من خلال النّظر المنهجيّة ـ أن ابن كثير قد طرق مجال التّفسير بمنهج علمى دقيق ومتكامل ، يقوم على نظريّة علميّة قوامها التفسير بالقرآن نفسه ثمّ بالسّنّة المطهّرة ثمّ بأقوال الصحابة ، فأقوال التابعين . وهى ـ كما سماها ـ أحسن طرق التّفسير ونعمت التّسمية ونعم المنهج ..

وقد خاض الامام ابن كثير محيط التّفسير ، فحقق بمنهجه المتكامل عظيم الفائدة سابحا فى ، بلغت مصادره أكثر من ثلاثين ومائة مصدرا ، فلاحظنا أنّه قد برزت شخصية ابن كثير كمفسر نقاد ـ من خلال مواقفه العلميّة فلم يكن حاطب ليل ، أو متّخذا موقف النّاقل المتفرّج وسط النّقول والآراء المنقولة ، فنراه يرجح بين تفاسير المفسّرين ، ويرد بعض التّفاسير من منطلق علمى قويم ، كما نجده يدلى برأيه الخاصّ فى العديد من المواقف ، ويعنى بالتّحليل والتّعليل والتمحيص ، ويعقد المناسبات بين الآيات .

ثامنا - في القرآن الكريم آيات تتحدث عن الأمم الغابرة، ومن بعث اليها من الرّسل، وتروى قصص هؤلاء النّاس، وكيف كان منهم المكذبون، ، كما أنّ القرآن الكريم تضمن آيات عن خلق الكون وقصة آدم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وكثير من القصص لم تفصل الأحداث، فكان أن سأل المسلمون أهل الكتاب - الذين أسلموا وحسن اسلامهم - عمّا يعرفونه عن هذه القصص، وأمدهم هؤلاء بتفصيلات وقصص كان بعضها مستقى من العهد القديم، أو من التّلمود، أو غيره من كتبهم، وأخذها بعض المفسّرين وجعلوها قسما من تفسيرهم للقرآن الكريم، وقد عرفت هذه المادة المستقاه من أهل الكتاب وغيرهم - بالإسرائيليّات -.

تاسعا : نبت ضار خبيث عرف - بالإسرائيليات - وقد تسرب الى كتب التّفسير وقد عقدت لها مبحثا تحت عنوان (حقيقة الاسرائيليّات) خلصنا منه الى أنّ لفظة (إسرائيليّات) جمع إسرائيليّة وهي القصّة أو الأسطورة، أو الأحدوثة التي تروى عن مصدر إسرائيلي.

وفي اصطلاح علماء التّفسير والحديث. يطلق على كلّ ماتطرق الى التّفسير والحديث من قصص وأساطير قديمة، منسوبة في أصل روايتها الى مصدر يهودي، أو نصراني، أو غيرهما، بل توسع بعضهم فعدّ من الاسرائيليّات كلّ مادسته يد أعداء الاسلام من اليهود وغيرهم على التّفسير، والحديث من أخبار مختلقة لا أصل لها بغية إفساد عقائد المسلمين وتلبيس الحقّ بالباطل.

عاشـــرا : فى مبحث (متى وكيف تسربت الإسرائيليّات إلى كتـــب التّفسيـــر ؟ علمنا أنّ ذلك كان مسبوقا بتسرب الثقافة الإسرائيليّـــة الى الثقافة العربيّة فى الجاهليّة نتيجة احتكاك اليهود بالعرب، لا سيّما بعد هجرتهم .... وبدهى أن تجاورهم مع العرب - فضلا عن رحـــلات العرب التجاريّة إلى كلّ من اليمن والشام أدّى إلى تسرب الكثير من الثقافة اليهوديّة إلى العرب فى الجاهليّة.

ثمّ حين أشرقت شمس الإسلام ونزل كتاب الله الكريم نورا وهدايا وعلمـــا وهيمنة على سائر الكتب السّماويّة قال تعالى : " وأنزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..."(١) يقول الحافظ ابـن كثيـــر - رحمه الله - : قال ابن عباس رضى الله عنهما " ومهيمنا " أى مؤتمنا عليه ، وعنه - أيضا - شهيدا ،وعنه أيضا : حاكما على ماقبله من الكتب.(٢)

يعلّق الحافظ على ماتقدم بقوله : وهذه الأقوال كلّها متقاربة المعنـــى ، فانّ اسم المهيمن يتضمّن هذا كلّه فهو أمين ، وشاهد ،وحاكم على كلّ كتـــاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها ، وأشملها ، وأعظمهـــا ، حيث جمع فيه محاسن ماقبله وزاده من الكمالا تعاليس فى غيـــره ، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلّها ، وتكفل بحفظه بنفسه.(٣)

وبنزوله تحولت الجزيرة العربيّة الى مركز الاشعاع الربانى ، للعالم كلّـــه وأصبـــح القرآن العظيم هو النّور الأبهر ، الذى تلاشت بجانبه أشعـــــة

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٤٨ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٦٥
(٣) المصدر السابق الموضع عينه .

المصابيح الخافتة فهرع المتعطشون للنّور اليه ، وكان ممّن أسلم من اليهود / عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبّه رحمهما الله وآخرون .

ومن النّصارى / تميم الدارى رضى الله عنه ودخلوا فى زمرة المسلمين المخلصين بما معهم من معارف وعلوم ، ملتقين حول كتاب الله الخاتم المهيمن ، بيد أنّ ذلك لم يمنع من تناقل كثير من معارف أهل الكتاب على أيديهم - عن حسن قصد ...

حادى عشر : مضى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على النّهج الأمثل فى الالتزام باشعاع الهدى القرآنى ، والتّحوط الكامل فى صيانته من الدّخيل ، فلم تمس تلك المعارف الإسرائيليّة المقيدة ولا الشرعيّة وانّما كانت تدور حول الأخبار والقصص ، وسبق أن سمعنا قول أمير المؤمنين لأبى بن كعب : لتأتينّى على ماتقول ببينة . . . (١)

بل بقيت ساحة التّفسير نظيفة منزه عن خطر الدّسّ الاسرائيلى وخلافه .

ثانى عشر : جاء بعده عصر التّابعين وتابعه عصر تابع التّابعين ، وفيهما هبت الفتن السياسيّة وتفاقمت أخطار الخلافات المذهبيّة ودوت أعاصير البدع والأهواء الجامحة - فوجد أعداء الاسلام فى هذا الجوّ الحالك فرصة سانحة للدس والوضع فى التّفسير وتلفق خبثاء اليهود الحانقين على الإسلام والإنسانيّة جمعاء تلك الفرصة ، فامتدت أيديهم - شلّها الله - بدسّ الإسرائيليّات . .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٨

لكنّ كان هناك علماء نذروا أنفسهم لخدمة الدين ، اذ قد تنبهوا لهذا الخطر ، وبذلوا جهودا عظيمة فى الذب عن القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فوضعوا أحكم الضوابط وأدق الأنظمة للحفاظ على المأثور من التّفسير والحديث ، وتشددوا غاية التّشدد فى طلب الاسناد يبرز ذلك فى قول شيخ الاسلام محمد بن سيرين : (ولم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سمّوا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم . (١)

فأمكن بهذه اليقظة العلميّة المتينة ضبط الآلاف من الاحاديث الموضوعة بأيدى الزنادقة والمبتدعة ومن شاكلهما .

وأمكن ـ أيضا ـ انقاذ المأثور من الحديث والتّفسير وتخليص الأكبر منهما من الدسّ والوضع . . ومع هذا ـ ولبالغ الأسى والأسف ـ تسرب إلى محيط التّفسير فى هذه العصور وما بعدها قسط غير قليل من الإسرائيليّات التى نسجت بأيدى المارقين الفجرة من أعداء الإسلام والإنسانيّة معا . وساعد على ذلك ـ أيضا ـ التّغافل عن ذكر السّند ، وسلك آخرون طريقا آخر ـ حينما أعيتهم الحيل فى البحث عن السّند ـ بالصاق الكثير من الأباطيل بمن أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله عنه .

ثالث عشر : بعد استقصاء أقوال علماء التّفسير فى أقسام الرواية الإسرائيليّة تبيّن للعيان أنّها تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ ما علمنا صحته بالنّقل الصحيح عن النّبى صلى الله عليه وسلم ، أو

---

(١) سبق تخريجه .

بما تضمنه القرآن الكريم نفسه ـ باعتباره شاهدا ومهيمنا على ماسبقـــه من الكتـب السماويّـــة .

٢ ـ ماعلمنا كذبه بمخالفته للعقيدة الاسلاميّة السمحة وللنّصـــوص القطعيّة من الكتاب العزيز والسّنّة المطهّرة .

٣ ـ مالا يدخل فى القسمين السابقين ممّا هو مسكوت عنه

رابع عشـــر ـ من خلال أضرب الاسرائيليّات ظهر أن لها أحكامـا ثلاثـــة :

١ ـ قسم تجوز روايته على أصل الإباحة الشرعيّة وهو عديل القسم الأوّل .

٢ ـ قسم يحرم روايته الاّ على وجه اثبات كذبه وهو القسم الثانى (أى ماتحقق كذبـــــه) .

٣ ـ مايتوقّف فيـــــه .

الخامس عشـــر ـ تحدثنا عن أشهر من روى الاسرائيليّات ، وبيّنّـا ـ فيما بيّنّا ـ أنّهم ثقات ، فلا يجوز التّشكيك فيهم ـ وأعنى عبد الله بن عمـــرو ابن العاص ، وأبى هريرة ، ومن ذكروا فى المبحث الثانى من الفصل الثانى فى الباب الثانـــى ـ كما ذهب الى ذلك ـ أى التشكيك ـ صغـــار النّاس كأبى ريّـــه ..

سادس عشر : وفيه وصلت عصا التّرحال إلى موقف الامام ابن كثيـــر من الإسرائيليّات وهو بيت القصيـــــد ..

فقد ذكرت تحته ـ الباب ـ مباحث نفيسة ، نطقت بجلاء عن تحديـــد موقف ابن كثير من الإسرائيليّـــات . فموقفه الرافض لها والذى لا تأرجح

فيه ، وكلماته الصادقة في شأنهـا أكبر برهان على مصداقيته في مجـيـئها بل وشدة حملته على المتباطئين في اتخاذ موقف حازم منهـا . . !

وظهرت منهجيته في تلك المباحث التّسع الكاملة ، ورصدت موقفـه الموضوعي . وهكذا وقف ابن كثير في هذه الحلبة فارسها المغوار ، وناضل عما ارتآه من وجهة نظر ، بينما وقف مفسرون آخرون بازائها موقـف الاستشكال ، أو الإعجاب ، أو . . . الخ وهكذا حصن الحق على لسانه وكشف عن بطلان تلك الإسرائيليّات ، والمفتريات التي دسها أعداء الاسلام وخصومه في تفسير كتاب الله المبيـن .

واحقاقا للحقّ عقدت الفصل الثالث من الباب الثالث ، لمحاولة أبعاد ما قد يشوّه جمال تفسير ابن كثيـر . . . ولست أدري كيف فاتتـه تلك الاسرائيليّات ـ كما أحسبها ـ ؟ ولعلّ عذره أن وجود الاسرائيليّات في التّفسير ظاهرة عامّة ومشتركة لدى جمهرة المفسّرين بمختلف طبقاتهم ومناهجهم ، إذ من المتعذر جدّا أن نعثر على تفسير قد برئت ساحته تماما من هذا الوباء المنتشر ، لكن مع تباين وتفاوت فيما بينهم . . . ومع ذلك لا ينبغي أن نغفل مكانته ـ ابن كثير ـ فانّي أراه أوحد المفسريـن في اتخاذ موقف مغوار ومتين ، يسطر له التّاريخ ذلك بمداد من الذهب .

وحق لكتاب الله تعالى علينا أن نطهر تفسيره من تلك الإسرائيليّـات ليبقى نبع التّفسير عذبا صافيا سائغا للشاربين كما أراد خالقنا ـ تبـارك وتعالى . وأن ننقاد لنور القرآن ، وأن نعرض عن شطحات الذيـن يتبعون أهواءهم وأن نطالب الحقّ والميزان من سنة خير الأنام صلوات الله وسلامه عليـه .

هـــــذا وقد تبيّن لى من خلال هذا البحث أمورا أخرى منها :

١ ـ أن الامام ابن كثير مؤرخ محدث مفسّر عرض تفسيره ، ففلبت عليه صنعة الحديث ، وأتى فى تفسيره بنكت الحديث. ومادقّ من الأخبـــار التاريخيّة .

٢ ـ لم يكن ينبغى حشر تلك الأساطير الاسرائيليّة فى تفسير كتـــاب الله تعالى ،ولعلّ المراد من الإباحة الشرعيّة يكون فى العبر التّاريخيّة التى لا تصل النّاس فى تفسير أمرالدين كتفسير القرآن الكريم أو السنـــة المطهّـــــرة .

٣ ـ وجوب دراسة الاسرائيليّات المبثوثة فى كتب التّفسير ، دراســـة نقديّة شاملة كاملة فى الإطار العلمى الذى رسمه واختطه الحافظ ابـــن كثيـــــر . لذا أرجو آملا أن يهيء الله للمسلمين من بيـــن علمائنا و باحثينا ، من ينقد لهم هذه المجموعة المركومة من الأباطيـــل على هدى قواعد القوم ، ووفق أسس ابن كثيـــــر .

وليستريح النّاظرون فى الكتاب الحكيم من الوقوف أمام شيء ينـــزه عنه كتاب البارى جلّت قدرته وتقدست أسماؤه وصفاتـــه .

٤ ـ يتبيّن للقارىء المسلم أن هذه الإسرائيليّات كانت صدا عـــن الحقّ الواضح المشرق ، وصرفا عن الصراط المستقيم إلى متاهات الظـنّ والى أودية من الخيال والوهم . ونشعر ونحن نقدم للمسلمين هـــذا العمـل الذى استفرغنا فيه الجهد والطاقة ، أنّنا بذلك نساهم مساهمة صغيرة ضئيلة فى خدمة القرآن الكريم. نقول ذلك لا من باب التّواضـع فحسب ،ـ ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه . . . ولكن ،لأنّنى أرى أنّ هذا

المملّ الشاقّ المضنى لا بدّ له من جماعة كبيرة عميقة الجذور بالأصليين - الكتاب والسنة - تتفرغ له ، ويتسع أمامها الزّمن ، وتتوفر لديها جميع المصادر والمراجع التى تتملّق بالاسرائيليّات وتتّصل به .

وبعد : فأرجو أن أكون قد أوضحت موقف الامام ابن كثير من الإسرائيليّات ليطلع عليه أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصّته ، وليتمرّف طلاب المعرفة على حقيقة وفحوى الإسرائيليات ، ووقفة علم شامخ من أعلام التّفسير عرفه السابقون عن كثب ، وقدروه حقّ قدره . كما أرجو أن أكون قد أغريت القارى بقراءة هذا البحث والإستفادة منه . وسيجد القارئ نفسه بعد قراءته له ، أنّى لم أستطع أن أوفيه حقّه ، ولكن قديما قيل : مالا يدرك كلّه لا يترك جلّه .

فهذا جهد المقل ، وطاقة باحث مزجى البضاعة ، شغوف بالعلم والتّعلم ، فماكان فيه من صواب فمن الله وحده ، له الفضل أوّلا وآخرا وله الحمد ابتداء واختتاما . .

وماكان فيه من خطأ وتقصير فمنّى ومن الشّيطان - لعنه الله - واستغفر الله ممّا عسى أن يكون قد زلّ فيه القلم أو الفكر أو البصر ، وأسأله ألّا يحرمنى من إحدى المنزلتين منزلة الأجر أو منزلة الأجرين .

وقبل أن أختم أرجو من قرّاء هذه الرّسالة - والمنا: تعون الفضلاء يدخلون فى هذا دخولا أوليا - أن يشيروا - مشكورين - الى نقاط الضعف فيها ، وأن ينبهونى على مايرونه فيها من الأخطاء ، بغية الوصول الى ماتهدف اليه من الكمال النّسبى ، لأنّ المؤمن مرآة أخيه وكما قلنا - سابقا - فالكمال المطلق لله وحده .

وأرجو من الله أن يتقبل هذا العمل وأن يفتح به علينا فتوح العارفين بحكمته وينشر علينا رحمتـــه . " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولـــه والمؤمنـــــــون" (١)

والحمد لله الذى له الخلـق والأمر ، وقوله الفصل وله الدين واصبـا ، والصلاة والسلام على من تمت به النّبوّة ، وختمت به الرسالة ، وقامـــــت بدعوته صروخ الهداية ، وعلى آله الأبرار الطاهرين ،وعلى صحبه الأخيار المكرمين وعلى من اهتدى وأقتفى وأقتدى واتّقـــى . . .

كان الفراغ من تسطير هذه الأسطر فى العاشرة ليلا من مساء الثلاثاء ١٣ / ٨ / ١٤٠٦ هـ . وكتبها أفقر عباد الله وأحوجهم إليه / محمـــد إبراهيـــم تراورى . . غفر الله له ولوالديه ومشايخه ـ آمين .

---

(١) سورة التّوبة ، آية : ١٠٥ .

فهرس المصادر

"فهرست المصادر والمراجع"

١ــ القران الكريم : مطبعة الحلبي بمصر.

٢ــ ابن الاثير :عزالدين أبوالحسين علي بن محمد بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ)
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٧ مجلدات، نشر مكتبة الشعب.
اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ اجزاء، نشرمكتبة القدسي بمصر ١٣٥٦هـ

٤ــ ابن الاثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ)
النهاية في غريب الحديث والاثر، ٥ مجلدات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط١، نشر دار احياء الكتب العربية ١٣٨٣هـ
جامع الاصول في أحاديث الرسول، ١١ مجلد، تحقيق عبد القادر الارناؤوط، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح، ومكتبة دار البيان ١٣٩٣هـ

٦ــ أحمد أمين، فجر الاسلام مجلد واحد، نشر دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٩م.

٧ــ أحمد بن حنبل: المتوفى (٢٤٠هـ) المسند ٦ مجلدات ط٢، نشر المكتب الاسلامي ١٣٩٨هـ، وأحيانا دار المعارف بتخريج أحمد شاكر، وأجزاء لم تتم، والتي وقفت عليها ١٦ طبعة ١٣٩٢هـ

٨ــ أحمد خليل: نهاية التفسير في الكتب المقدسة ط١ نشر الوكالة الشرقية الثقافية بالاسكندرية ١٣٧٣هـ

٩ــ أحمد محمد شاكر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، ٥ أجزاء (لم تتم أحمد) دار المعارف ١٣٧٦هـ.

١٠ــ الأعظمي :محمد مصطفى الأعظمي، دراسات الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، مطابع جامعة الرياض/ نشرجامعة الرياض

١١ــ الألوسي :أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ)
روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ٣٠ جزءا، المطبعة المنيرية بمصر (دون تاريخ) نشر ادارة الطباعة المنيرية.

١٢ــ الأنصاري: عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، دار العلم للملايين.
بيروت ١٣٩٣هـ

١٣ـ الالبانى :محمد ناصر الدين ،سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة واثرها السيء في الامة ٣ جزان (لم تتكامل اجزاءه)ط٤ نشر المكتب الاسلامي ،دمشق.

صحيح الجامع الصغير وزياداته (لم تتكامل أجزاءه بعد) ط١ نشر المكتب الاسلامي دمشق ١٣٨٨هـ

١٤ـ البخارى :محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ) :الجامع الصحيح ٩أجزاء ط المنيرية ونشر ادارتها (واحيانا حاشية السندى طدار احياء الكتب العربية ،وقد ميزتها في الحاشية) الأدب المفرد ط٢ ،نشر قصي محى الدين ١٣٧٩هـ التاريخ الكبير ٤ مجلدات، ط٢ ،مطبعة دار المعارف ، العثمانية حيدرآباد الدكن ١٣٨٢هـ

الضعفاء الصغير ،تحقيق محمود ابراهيم زايد ،ط١ نشر دار الوعى ،حلب ١٣٨٢هـ

١٩ـ البغدادى :اسماعيل باشا ،هدية العارفين في أسماء المؤلفين واثار المصنفين ،ط٣ طبعة بالاوفست ،بمكتبة طهران ١٣٨٧هـ

٢٠ـ البغدادى :عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ) ،الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ،مجلد واحد ط٢ منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٧٧م.

٢١ـ البغوى :أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٦هـ) ،،، معالم التنزيل ، على هامش ابن كثير ٩ مجلدات ط= ١= ١٣٤٧هـ (واحيانا على هامش الخازن ،وقد ميزتها في الحاشية) ٧ مجلدات، الطبعة الثانية ،نشر مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ١٣٧٥هـ

٢٢ البيهقى : ابوبكر احمد بن الحسين بن على (ت٤٥٨هـ) دلائل النبوة تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،ط١ الناشر المكتبة السلفية ،بالمدينة المنورة ، مطبعة دار النصر ، ١٣٨٩هـ السنن الكبرى ،عشر مجلدات ،ط= ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ،حيدرآباد الدكن الهند ١٣٤٦

٢٤ـ الترمذى : الترمذى :محمد بن عيسى بن سورة السلمى (ت٢٧٩هـ)

صحيح الترمذى (سنن الترمذى) ٥ اجزاء ،تحقيق عبد الصمد محمد عثمان ،مطبعة الفجالة الجديدة

صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى ،١٣ مجلدا ط١ ،نشر عبد الواحد التازى ،مطبعة الصاوى بمصر ١٣٧٥

٢٥ـ تسهر : اجنتس جولد ، مذاهب التفسير الاسلامي للعالم جزء واحد ،ترجمة د. عبد الحليم النجار ، نشر مكتبة الخانجى بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ،ومطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٤هـ

٢٦ــ ابن تغرى بردى: جمال الدين ابو المحاسن (ت)
١٦ جزء النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
ط١ ١٦ جزء نشر وطباعة دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ

٢٧ــ ابن تيمية : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨)
تفسير سورة الاخلاص، ط٢ نشر مكتبة المنار الاسلامية بالكويت ١٣٩٥هـ
قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة، الناشر حسن الشربتلى مطبعة دار العربية للطباعة ١٣٩٠هـ.
مقدمة فى اصول التفسير ط٤، نشر قصى محى الدين الخطيب مطبعة السلفية بمصر ١٣٩٩هـ

٣٠ــ الجصاص : ابوبكر أحمد بن على الرازى الحنفى (ت٣٧٠)
أحكام القرآن، ٤ مجلدات، نشر عبد الرحمن محمد، مطبعة البهية بمصر ١٣٤٧هـ.

٣١ــ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، (لم تكمل) أجزاء، مطبعة المجمع العلمى العراقى ط١٣٧٨هـ.

٣٢ ابن الجوزى : جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد القرشى البغدادى (ت٥٩٧)،
زاد المسير فى علم التفسير ٩ اجزاء، ط١، نشر المكتب الاسلامى ١٣٨٤هـ
الموضوعات، ٣ اجزاء، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ط١ نشر محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

٣٤ــ ابن جزى : أبو القاسم محمد بن احمد بن جزى الغرناطى (ت٧٤١)
التسهيل لعلوم التنزيل، ٤ مجلدات، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسى، وابراهيم عطوه عوض، نشر دار الكتب الحديثة بمصر (دون تاريخ)

٣٥ــ ابن الجزرى : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى (ت٨٣٣)
غاية النهاية فى طبقات القراء ط١، دار الكتب العلمية جزآن ١٤٠٢هـ
النشر فى القراءات العشر، مجلدان، تحقيق على محمد الضباع نشر المكتبة التجارية، مطبعة مصطفى محمد.

٣٧ــ حاجى خليفة: مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مجلدان، مطبعة البهية ١٣٦٠هـ

٣٨ــ الحاكم : أبو عبد الله النيسابورى (ت٤٠٥) المستدرك على الصحيحين، اربع مجلدات، نشر دار الكتب العربى بيروت.

٣٩ـ ابن أبي حاتم : أبومحمد عبد الرحمن (ت١٣٢٧هـ) الجرح والتعديل
٩ مجلدات ط١ ،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
حيدر اباد الدكن الهند ١٢٧١هـ

٤٠ـ ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد ابي حاتم التميمي ، (٣٥٤)
المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، ٣ اجزاء
تحقيق محمود ابراهيم زايد .

٤١ـ ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)
أنباء الغمر بأبناء العمر ،٩ اجزاء ، ط١ ،مطبعة الهند
١٣٨٧هـ

الاصابة في تمييز الصحابة ٨ اجزاء ،تحقيق علي محمد
نشر دار نهضة مصر (دون تاريخ)
الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء ،
تحقيق محمد سيد جاد الحق ، نشر الكتب الحديثة،
مطبعة) المدني (دون تاريخ)
تهذيب التهذيب، ١٢ مجلدا ،نشردار صادر ببيروت
طبعة مصولاة عن طبعة الهند ١٣٢٧٠هـ
تقريب التهذيب، مجلدان ،تحقيق عبد اللطيف عبد الوهاب
ط٢ ، نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ،مطبعة دار المعرفة
بيروت ١٣٩٥هـ

تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس،
تحقيق د . عبد الغفار سليمان البندراي ،ط ١، ١٤٠٥هـ
نشر دار الكتب العلمية،
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٣ جزءا ،
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر محب الدين الخطيب
الطبعة السلفية (دون تاريخ)
لسان الميزان ،٧ اجزاء ،ط٢ ،نشر موسسة الأعلمي للمطبوعات
ببيروت ،طبعة مصورة عن طبعة الهند ،١٣٢٩هـ

٤٩ـ ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦)
الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ٥ اجزاء ،ط ٢ ،
مطبعة) دار المعرفة بيروت ١٣٩٥هـ

٥٠ـ ابن حيان : عبد الله بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي (ت٧٥٤)
البحر المحيط ، ٨ اجزاء ،ط ١ ،مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ

٥١ـ الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (٧٢٥)
لباب التاويل في معاني التنزيل ،٧ اجزاء ،ط٢ ، نشر مكتبة
ومطبعة الحلبي ١٣٧٥هـ

٥٢ـ الخزرجي : صفي الدين احمد بن عبد الله الخزرجي (ت٩٢٤)
خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال ،٣ مجلدات ،
تحقيق محمود عبد الوهاب فائد ،نشر مكتبة القاهرة ،مطبعة
الفجالة ١٣٩٢هـ .

٥٣ـ الخطراوى : محمد عيد : المدينة فى العصر الجاهلى ،ط١ ،نشر موسسة القران بدمشق، ١٤٠٣هـ

٥٤ـ الخطيب : أبوبكر أحمد بن على (٤٦٣) تاريخ بغداد ،أومدينة السلام منذ تاسيسها الى ١٤٠٤٦٣ مجلدا ،نشر محمد امين الخانجى مطبعة الخانجى والمكتبة العربية ببغداد ،ومطبعة السعادة ١٣٤٩هـ

٥٥ـ الخطيب : محمد عجاج ،السنة قبل التدوين ،مجلد واحد ط١، نشر مكتبة وهبة ،مطبعة احمد مخيمر ١٣٨٣هـ

٥٦ـ الدرمى :أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت٢٥٥) السنن ،جزان ،مطبعة الاعتدال ،نشر محمد وأحمد دهمان ١٣٤٩هـ.

٥٧ـ الداودى :شمس الدين محمد بن على بن احمد (٩٤٥) ، طبقات المفسرين جزان ، بتحقيق على محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط١، نشر مكتبة وهبة بمصر ١٣٩٢هـ.

٥٨. الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)

التاريخ الكبير ،أوتاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ،طبع منه ١٦ جزءا ،تحقيق د.محمد عبد الهادى شعيره نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مطبعة دار الكتب ١٩٧٣م

تذكرة الحفاظ ٤ لجزاء فى مجلدين ، طبعة مصورة عن طبعة الهند ،نشر دار احياء التراث العربى ببيروت (دون تاريخ)

سير أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الأرنؤوط ،وحسين أسد مطبعة الرسالة بسوريا ،ط١ نشر موسسة الرسالة ايضا ١٤٠١

الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ،٣ اجزاء ، بتحقيق عزت على عيد عطية وموسى محمد على المواشى ،ط١ مطبعة دار النصر بمصر ١٣٩٢هـ

المغنى فى الضعفاء ،جزان ،ط١ ،نشر دار المعارف، مطبعة البلاغة، حلب ١٣٩١هـ

ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، ٤ مجلدات ،تحقيق على محمد البجاوى ،ط١ مطبعة دار احياء الكتب العربية ١٣٨٢هـ

٦٤ـ الذهبى :د.محمد حسين الذهبى ،
الاسرائيليات فى التفسير والحديث،
نشر مجمع البحوث الاسلامية، مطبعة الازهر،
التفسير والمفسرون ، جزان ط٢ ١٣٩٦

٦٦ـ الرازى : :ابوعبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشى الطبرستانى الشلفعى (ت٦٠٦) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٣٢ جزءا المطبعة البهية بمصر ط١ ،نشر عبد الرحمن محمد .

٦٧ الراغب الاصفهانى : أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢) :
المفردات فى غريب القران ،جزء واحد ،بتحقيق محمد سيد كيلانى ،نشر دار المعرفة،

٦٨ـ ابو رية : محمود (هلك فى سنة ١٣٩٠هـ)
أضواء على السنة المحمدية ،أو دفاع عن الحديث
مجلد واحد ،ط٤ ،نشر دار المعارف بمصر (دون تاريخ)

٦٩ـ الزاوى : الطاهر أحمد : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ٤ أجزاء ط٢ (دون تاريخ) نشر عيسى الحلبى

٧٠ـ الزرقانى :محمد : شرح الزرقانى على موطأ الأمام مالك، ٤ أجزاء ،
نشر المكتبة التجارية الكبرى العامة ط الاستقامة ١٣٧٩هـ

٧١ـ الزمخشرى :أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمى (ت٥٣٨)
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل
٤ اجزاء ،نشر شركة مكتبة ومطبعة الحلبى الاخيرة ١٣٨٥هـ

٧٢ـ أبو زهو : محمد محمد ،: الحديث والمحدثون أو عناية الامة الاسلامية بالسنة النبوية ،ط١ مطبعة مصر ١٣٧٨هـ

٧٣ـ الزيلعى : جمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفى (ت٧٦٢) ،
نصب الراية لاحاديث الهداية ط٢ ،مطبوعات المجلس العلمى ١٣٩٣هـ

٧٤ـ السباعى : ٠٥ مصطفى : السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ،جزء واحد
ط١ ،نشر المكتب الاسلامى ٠ ١٣٩٦هـ٠

٧٥ـ السبكى : تاج الدين عبد الوهاب بن على (ت٧٧١) : طبقات الشافعية الكبرى، ١٠ اجزاء تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو ،طبعة عيسى الحلبى ،ط٢ ١٣٨٣٠هـ٠

٧٦ـ السخاوى: : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزا ،مكتبة القدسى بمصر ١٣٥٣هـ٠

٧٧ـ ابن سعد :محمد (ت٢٣٠) ا : الطبقات الكبرى ، ٨ مجلدات،
دار احياء الكتب دار بيروت ١٣٧٦هـ

٧٨ـ أبو السعود : محمد العمادي الحنفي (٩٨٢) : تفسير أبو السعود
ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، ٥ أجزاء
تحقيق عبد القادر احمد عطا ، نشر مكتبة الرياض الحديثة
مطبعة السعادة (دون تاريخ)

٧٩ـ الاسنوي(١) : أبو محمد عبد الرحمن الاسنوي (٧٧٢) : التمهيد في تخريج
الفروع على الاصول ، تحقيق محمد حسن هيو ، جزء واحد
مطبعة موسسة الرسالة ط٢ ١٤٠١هـ .

٨٠ـ السمهودي : نور الدين علي بن أحمد المصري (ت٩١١) : وفاء الوفاء باخبار
دار المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مجلدان ، تحقيق محمد
محي الدين ط٢ ، ١٣٩٣هـ نشر دار احياء التراث .

٨١ـ السهيلي : عبد الرحمن (ت٥٨١) الروض الانف في شرح السيرة النبوية
لابن هشام ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، نشر دار الكتب
الحديثة ط١ ٧ اجزاء ، مطبعة دار النصر بمصر ١٣٨٧هـ

٨٢ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١) ،
الاتقان في علوم القران ، جزان ، مطبعة الحلبي .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جزان ،
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة الحلبي ط١ ، ١٣٨٤هـ
تحذير الخواص ، جزء واحد ، تحقيق محمد الصباغ ، ط١ ،
نشر المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ .
تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، جزان تحقيق عبد الوهاب
عبد اللطيف ط٢ ، نشر دار الكتب الحديثة ١٣٨٥هـ
الدر المنثور في التفسير بالماثور ، ٦ اجزاء ، دار المعرفة للطباعة
طبقات الحفاظ ، جزء واحد تحقيق علي محمد علي ط١
مطبعة الاستقلال الكبرى ، نشر مكتبة وهبة .
ذيل تذكرة الحفاظ ، مجلد واحد ، مطبعة التوفيق بدمشق ،
١٣٤٧هـ

(١) مستدرك (فصفوا)

لباب النقول في اسباب النزول ، جزء واحد ط١ عشر دار
احياء الكتب (العلوم) ١٩٧٨م

٩١ـ أبو شامة : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزان
عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم (ت٦٦٥) : ابراز
المعاني من حرز الاماني ، مجلد واحد ، مطبعة الحلبي ١٣٤٩هـ

٩٢ـ الشنقيطي : محمد الامين بن محمد المختار (ت١٣٩٣هـ) : أضواء البيان
في ايضاح القران بالقران ، ٩ اجزاء ، مطبعة المدني ط١ ، ١٣٨٦هـ

٩٣ـ الشهرزوري : أبو عمرو بن عبد الرحمن (٦٤٣هـ) : علوم الحديث لابن
الصلاح ، جزء واحد ، تحقيق نور الدين عتر ط الاصيل
١٣٨٦هـ

٩٤ـ الشوكاني : محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ) : البدر الطالع بمحاسن
من بعد القرن السابع ، جزان ط١ ، نشر معروف عبد الله
باسندوه ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨هـ .

فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير
٥ اجزاء ، مطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الاولى .

٩٦ـ ابو شهبة : محمد بن محمد : دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين
والكتاب المعاصرين ، جزء واحد ، مطبعة الازهر ١٩٦٧م .

الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، نشر مجمع
البحوث الاسلامية ، مطبعة المنيرية ١٣٩٣هـ .

٩٨ـ الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠) : جامع البيان عن تاويل القران
١٣ جزءاً ، حققه وعلق على حواشيه الشيخ محمود محمد شاكر
وراجعه وخرج احاديثه احمد محمد شاكر ، الناشر دار المعارف
(لم تتكامل اجزاءه) ـ كما استعملت الطبعة الثالثة مطبعة
الحلبي ، ٣٠ جزء ، ١٣٨٨هـ (وقد ميزتهما في الحاشية)

٩٩ـ الطنطاوي : محمد سيد عطية ، بنوا اسرائيل في الكتاب والسنة
مكتبة بنغازي .

١٠٠ـ طائفة من المستشرقين : دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة ابراهيم زكي
واحمد الشنتفاوي وعبد الحميد يونس ط٢ مطبعة الشعب ٦٩

١٠١ــ الطهطاوى :احمد رافع الحسينى : التنبيه والايقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ

١٠٢ــالعا ابن عاشور : محمد الطاهر ، :تفسير التحرير والتنويرط١ مطبعـــــة الحلبى ١٣٨٤هـ

١٠٣ــابن عبلد البر :أبوعمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى (ت٤٦٣) الاستيعاب فى معرفة الاصحاب٤ مجلدات، تحقيق على محمد البجاوى،نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها (دون تاريخ)

١٠٤ــابن العربى : أبوبكر محمد بن عبد الله المالكى : أحكام القران ٤ اجزاء ، تحقيق على محمد البجاوى،نشر عيسى الحلبى ط١ ١٣٧٦هـ.

صحيح الترمذى بشرح الامام ابن العربى (١٣) جزاا، مطبعة الصاوى بمصر ،نشر عبدالواحد التازى، ط١ ١٣٥٣هـ

عارضة الاحوذى بشرح صحيح البترمذى١٣ جزاا ط٢ مطبعة الصاوى١٣٥٣هـ.

١٠٦ــابن العماد : عبد الحى (ت١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى اخبـــار من ذهب،٨ اجزاء ،نشرمكتبة القدسى ١٣٥٠هـ

١٠٧ــالفنيمان : عبد الله بن محمد : دليل القارى الى مواضع الحديث فى صحيح البخارى، دار الاصفهانى ،جدة

١٠٨ــابن قتيلة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦) : تاويل مختلف الحديث جزء واحد ،تحقيق محمد زهرى النجارى،نشردار الجيل ١٣٩٣هـ

المعارف

١١٠ــابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى (ت٧٥١) : زاد المعاد فى هدى خير العباد ،تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط،ط١، نشر موسسة الرسالة ومكتبة المنار الاسلامية،مطبعة الرسالة١٤٠٥هـ.

١١١ــالعربى (١) : عبد المنعم صالح العلى : دفاع عن ابى هريرة رضى الله عنه جزء واحد ،ط١ نشر مكتبة النهضة ببغداد ودارالشروق٣٩٣هـ

---

(١)من ١٠٧ وحتى ١١٠ كان سهوا.

١١٢ـ الاعظمي : محمد مصطفى ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، جزء واحد ، جامعة الرياض ومطابعها . (لم تؤرخ)

١١٣ـ العمري : د. اكرم ضياء : المجتمع المدني في عهد النبوة وخصائصه وتنظيماته ، جزء واحد ، ناشر المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ط١ ١٤٠٣هـ .

١١٤ـ القاضي عياض : ابو الفضل اليحصبي (ت٥٤٤) جزان في مجلدين ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم في مجلدين ، المكتبة التجارية (لم تؤرخ)

١١٥ـ الغرناطي : ابومحمد عبد الحق غالب بن عطية (ت٥٤٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق المجلس العلمي بالمغرب نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية طبع منه عشة اجزاء (لم تتكامل اجزاؤه) (واحيانا بتحقيق احمد صادق الملاح نشر المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية بمصر ١٣٩٤هـ) وقد ميزتها في الحاشية علما بان المصرية ايضا لم يطبع منه الا جزان .

١١٦ الغزالي ، احياء علوم الدين

١١٧ـ الغزالـــي : محمد : علل وادوية ، جزء واحد ، تحقيق ابراهيم الانصاري ط١ نشر ادارة احياء التراث الاسلامي بقطر ، طبعة موسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع بقطر .

١١٨ـ فلن فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية تحقيق وترجمه) د. حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ط٢ نشر مكتبة نهضة مصر (لم تؤرخ)

١١٩ـ ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢) : تقويم البلدان ، جزء واحد ، نشر رينو والبارون مطبعة السلطانية بباريس ١٨٤٠م

١٢٠ـ الفيروز ابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط دار الفكر ط٢ (لم تؤرخ)

١٢١ـ القاسمي : محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ) : محاسن التأويل (تفسير القاسمي) ١٧ جزأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط١ ، نشر عيسى الحلبي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ.

١٢٢ـ القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المالكي (ت٦٧١ الجامع لأحكام القران ، ٢٠ جزا ، دار احياء التراث .

١٢٣ـ سيد قطب : في ظلال القران ، ط٨ ، دار الشروق ١٣٩٩هـ وهو في الجلدات

١٢٤ـ القسطلاني : أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد (ت٩٢٣هـ) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠ أجزاء ، طبعة بالاوفست، دار الفكر .

١٢٥ـ القنوجي : صديق حسن خان : فيتح البيان في مقاصد القران ، ١٠ أجزاء ، نشر عبد المحي على محفوظ ، مطبعة العاصمة ١٩٦٥م.

١٢٦ـ الكتاني : محمد بن جعفر : الرسالة المستطرفة جزء واحد ط٢ دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ

١٢٧ـ ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل نبن كثير (ت٧٧٤هـ)
اختصار علوم الحديث (الباعث الحثيث، جزء واحد طدا ر الفكر
(لم يؤرخ)

البداية، ٨ مجلدات، تحقيق جمع من الاساتذة ط ١، نشر
دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ

تفسير القران العظيم ، ٨ أجزاء ، تحقيق عبد العزيز غنيم
ومحمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البناء ، نشر دار الشعب
(لم يؤرخ)

وتفسيره طبعة دار احياء الكتب العربية، نشر عيسى الحلبى
(لم يؤرخ)
قصص الانبياء، جزان تحقيق مصطفى عبد الواحدى ط١
نشر دار الكتب الحديثة ، مطبعة دار التاليف بمصر ١٣٨٨هـ

١٣١ـ الكلبى : ابو القاسم محمد بن احمد بن جزى الغرناطى .
التسهيل لعلوم التنزيل ، ٤ اجزاء ، تحقيق محمد عبد المنعم
اليونسى ، وابراهيم عطوة، الناشر ، ارالكتب الحديثة
(لم تؤرخ)

١٣٢ـ الكنانى : أبو الحسن على بن محمد بن عراق الشافعى (ت٩٦٣)
(تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاحاديث الشنيعة تالموضوعة
جزان فى مجلد واحد ، بتعليق عبد الله الصديق الغمارى
وعبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة عاطف، نشر مكتبة القاهرة

١٣٣ـ الكيا الهراس : عماد الدين بن محمد الطبرى الشافعى (ت٥٠٤)
أحكام القران ، تحقيق موسى محمد على ود عزت على عيد
مطبعة حسان ، نشر دار الكتب الحديثة (لم تتكامل أجزاؤه
كما تاريخ الطبعة لايوجد)

١٣٤ـ الكيرانوى : رحمة الله بن خليل الرحمن ، : اظهار الحق ، تحقيق
عمر الدسوقى ، نشر عبد الله ابراهيم الانصارى ،
باشراف وزارة الشؤن الدينية بقطر ،

١٣٥ـ لفيف من المستشرقين : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى الشريف
ليدن مكتبة بريل تم طبعه ١٩٦٩م

١٣٦ـ ابن ماجة : أبوعبدالله محمد بن يزيد القزوينى (ت٢٧٥هـ)
السنن ،جزان ،بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ،
نشر دار احياء الكتب العربية (لم تؤرخ)

١٣٧ـ ابن منظور (١) : جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى (ت٧١١)
لسان العرب، ٢٠ جزأ ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ،
مطبعة كوستا توماس وشركاؤه بمصر ، نشر دار التاليف
والرجمة المصرية، (لم تؤرخ)

١٣٨ـ محمد رشيد رضا : تفسير القران الحكيم (تفسير المنار) ١٢ جزأ (لم تتكامل
اجزاؤه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م

١٣٩ـ مسلم : ابن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت٢٦١هـ) : الصحيح
٥ أجزاء ، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط١ ،
دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ.

١٤٠ـ مصطفى زيد : سورة الاحزاب عرض وتفسير ط١ ،نشر دار الكتب الفكر العربى
١٣٨٩.

١٤١ـ المعلمى : عبد الرحمن بن يحى اليمانى : الأنوار الكاشفة لما فى كتاب
أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ،
جزء واحد ،المطبعة السلفية بالقاهرة ،نشر محمد نصيف
وشركاؤه بجدة، ١٣٧٨هـ.

١٤٢ـ الموصلى : أبو عبد الله محمد بن احمد (ت٦٥٦هـ) : كنز المعانى
شرح حرز الامانى (شرح شملة) جزء واحد ط١ (لم تؤرخ)
نشر الاتحاد العام لجماعة القراء القاهرة.

---

(١) تقدم سهوا . فمعذرة.

١٤٣ـ المراغي (١) :أحمد مصطفى : تفسير المراغي ٣٠ جزا ،ط٤ ، نشر مكتبة ومطبعة الحلبي ،١٣٩١هـ)

١٤٤ـ ابن النديم :ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق الفهرست، ١٠ اجزاء في مجلد واحد ، نشر مكتبة خياط (لم تؤرخ)

١٤٥ـ نعناعة (٢) : رمزي :الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ،جزء واحد ط١ نشر دار القلم بدمشق ودار الضياء ببيروت، ١٣٩ هـ

١٤٦ـ النسفي :ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود (٧٠١) تفسير القران الجليل "مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٥ اجزاء ، نشر المكتبة الاموية ومكتبة الغزالي (لم تؤرخ)

١٤٧ـ النعيمي : عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧) :دور القران في دمشق، جزء واحد ،تحقيق ٠٥ صلاح الدين المنجد ،ط٢ نشر دار الكتب الجديد ١٩٧٣م٠

١٤٨ـ أبونعيم :أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت٠٤٣٠) : ١٠ مجلدات ط١، مطبعة السعادة ١٣٥١هـ٠

١٤٩ـ النووي :أبو زكريا يحى بن شرف الدين (ت٦٧٦هـ) : شرح صحيح مسلم ١٨ جزا (لم تورخ) الطبعة المصرية ومكتباتها ٠

(١) ترتيبه بعد ١٣٨ فمعذرة٠
(٢) ======= النسفي ===

١٥٠ـ نووى الجاوى: محمد : مراح لبيد (تفسير النووى) المسمى : التفسير المنير لمعالم لتنزيل المسفر عن وجوه محاسن التأويل جزان ، مطبعة دار احياء الكتب العربية (دون تاريخ ٠)

١٥١ـ الواحدى : أبو الحسن على بن أحمد النيسابورى (ت٤٦٨) أسباب النزول مجزء واحد ط١ ،نشر دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ٠

"الدوريات"

١٥٢ـ مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة العدد "٤٩" السنة "١٣"

١٥٣ مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة العددين "٥٠،٥١" السنة "١٣"

فهرس الموضوعات

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	"أ"
بواعث أسباب اختيار الموضوع	"هـ"
خطر الإسرائيليات	"و"
أسباب الاختيار	"ز"
المنهج الذي اتبعته	"ى"
فكرة عن مصادر ومراجع البحث	"ن"
أبرز معالم البحث	"ف"
الصعاب التي واجهتني	"ض"
الباب الأول (حياة ابن كثير)	(١)
بيئة ابن كثير (رحمه الله)	(٣)
الفصل الأول ـ حياة ابن كثير العامة	(١٠)
اسمه ونسبه	١٢
مولده	١٤
نشأته	١٧
عقيدته	٢١
مذهبه	٢٧
وفاته	٣٢

الموضـــــــــــــــوع الصفحـــــــــــة

الفصل الثانى :ـ حياة ابن كثير العلمية ٣٣

حياته العلمية ٣٤

طلبه للعلم ٣٤

شيوخه وأبرزهم ٣٩

تلاميذه وأنبغهم ٤٨

مكانته العلمية ٥٠

المبحث الخامس ـ آثاره ٥٨

الفصل الثالث تفسير ابن كثير ٧٨

المبحث الأول ـ مصادره ٨١

المبحث الثانى ـ منهج الإمام ابن كثير فى تفسيره ٩٩

تمهيد ٩٩

منهج الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١٠١

الأول ـ تفسير القرآن بالقرآن ١٠٢

الثانى ـ تفسير القرآن بالسنة ١٠٣

الثالث ـ تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة ١٠٤

الرابع ـ تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين ١٠٤

منهجه فى علم القراءات ١٠٥

أهم المميزات فى منهجه فى القراءات ١١٠

أهم المآخذ على ابن كثير عند تعرضه للقراءات القرآنية ١١٣

الموضـــــــــوع الصفحـــــــة

منهجه في علم اللغة ١١٦
منهجه في علم الفقه ١١٧
الباب الثاني ـ الإسرائيليات ورواتها ١٢١
الفصل الأول ـ الإسرائيليات ١٢٢
المبحث الأول ـ حقيقة الإسرائيليات ١٢٣
المبحث الثاني ـ متى وكيف تسربت الإسرائيليات الى كتب التفسير ؟ ١٣٠
" أهم العوامل التي ساعدت على انتشارها ١٤٠
المبحث الثالث ـ كيف تساعد تسرب الإسرائيليات ؟ ١٤٥
المبحث الرابع ـ أقسام الإسرائيليات ١٥٥
المبحث الخامس ـ حكم رواية الإسرائيليات ١٦٢
الفصل الثاني ـ أشهر رواتها ١٧٧
المبحث الاول ـ أشهر رواتها من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ١٧٧
مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير لها .
المطلب الأول ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٧٨
المطلب الثاني ـ أبو هريرة رضي الله عنه ١٨٧
الحديث الأول ....
الحديث الثاني ١٩٩
ادعاء أبي رية والرد عليه ١٩٨
أولى الكلمتين اللتين أعجبت بهما ٢٠١
ثاني الكلمتين ٢٠٢

الموضـــــــــــــــــــــــــوع الصفحـــــــــــــــة

ذكر الرموز التي استعملها الحافظ ابن حجر في تقريبه ٢٠٦

البحث عن رجال الإسناد أو رجال أحمد ٢٠٧

الاول – روح بن عبادة ٢٠٧

الثاني – (الإسناد الثاني) حسن بن موسى ٢٠٨

ثانيا – رجال ابن ماجة ٢٠٨

أزهر بن مروان الرقاشي ٢٠٨

عبد الأعلى بن عبد الأعلى ٢٠٩

ثالثا – إسناد الترمذي ٢٠٩

محمد بن بشار بن عثمان العبدي ٢٠٩

هشام بن عبد الملك ٢٠٩

أبو عوانة ٢٠٩

رابعا – اسناد رجال الحاكم .... (٢١٠

محمد بن صالح بن هانيء .... (٢١٠

يحى بن محمد بن يحى الذهلي .... (٢١٠

خامسا – ترجمة رجال ابن حبان .... (٢١٠)

أحمد بن يحى بن زهير .... (٢١

أحمد بن المقدام أبو الاشعث ٢١١

معتمر بن سليمان التميمي ٢١١

سليمان بن طرخان التميمي ٢١١

الموضـــــــــوع الصفحـــــــة

المطلب الثالث ـ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ٢١٢

نموذج لنقد ابن كثير للإسرائيليات التى نسبت إلى عبد الله ٢١٤

الطعن على عبد الله ، والرد على الطاعنين ٢١٧

المطلب الرابع : عبد الله بن سلام رضي الله عنه ٢٢٠

المطلب الخامس: تميم الدارى رضى الله عنه ٢٢٦

الطعن على تميم ٢٢٨

الرد على الطاعنين ٢٢٩

المبحث الثانى :ـ أشهر رواتها من التبعين وتابعيهم ، ورأى علما التفسير والجرح فيهم ، مع ذكر نموذج لنقد ابن كثير للاسرئيليات التى عزيت اليـــــــــم ٢٣٣

(أ) أشهر رواتها من التابعين ٢٣٣

١ـ كعب الاحبار من هو ؟ ٢٣٣

توثيق كعب الاحبار ٢٣٥

أراء العلماء المعاصرين ـ فى كعب الاحبار ٢٣٦

الأول رشيد رضا ٢٣٧

الرد على صاحب تفسير المنار ٢٣٨

تنبيه ٢٤٢

الثانى ـ محمود رية ٢٤٣

الرد عليه ٢٤٤

نماذج من الإسرائيليات التى تسربت إلى كتب التفسير وعزيت إلى كعب ونقد ابن كثير لها . ٢٤٦

٢ـ وهب بن منبه ٢٤٩

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــوع الصفحـــــــــــــــة

مكانة وهب العلمية ٢٤٩

توثيق العلماء له ٢٥٠

وهب بن منبه فى مظان آخر ٢٥٠

نموذج لنقد ابن كثير للإسرائيليات التى أثرت عن وهب . ٢٥٤

٣ـ ابن جريج ٢٥٥

مكانته العلمية ٢٥٥

توثيقه ٢٥٦

من ضعفه ٢٥٧

المحايدون ٢٥٧

الباب الثالث: ـ موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات

فى ضوء تفسيره ..... (٢٦٠

الفصل الأول ـ رأيي فى موقف ابن كثير من الاسرائيليات ٢٦١

المبحث الأول ـ كلمات ابن كثير فى شأن الإسرائيليات ٢٦٣

المبحث الثانى ـ موقف الامام ابن كثير على سبيل الايجاز ٢٦٧

الفصل الثانى ـ موقف الإمام ابن كثير من الإسرائيليات ٢٨٨

تمهيد ٢٨٩

المبحث الأول ـ تصويحه بأن هذه الآثار منقولة عن الإسرائيليلت ٢٩١

سورة البقرة الأثر رقم (١) عند قوله تعالى : (وإذ قال ربك

للملئكة إنى جاعل فى الأرض خليفة .....) ٢٩٢

رقم (٢) قول البارى سبحانه : (وإذ قال موسى لقومه

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ...) ٢٩٤

الموضـــــــــــــــــــــوع	الصفحـــــــــــة
رقم (٣) قوله تعالى : (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت	٢٩٥
رقم (٤) قول البارى جل ذكره : (٠٠٠ لا تأخذه سنة ولا نوم ٠٠٠)	٢٩٧
سورة المائدة	
رقم (٥) قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا ٠٠	٣٠٣
رقم (٦) قول الحق تعالى ذكره : (فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض)	٣٠٥
الأعراف	
رقم (٧) قول الله تعالى : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ٠٠٠٠)	٣٠٩
سورة الحجر ٠٠٠٠٠٠٠٠	٣٢٤
سورة الكهف ٠٠٠ (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ٠٠٠ اية ٢٢	٣٢٥
قوله تعالى : (أما السفينة ٠٠٠٠) الكهف ٧٩	٣٢٧
قوله تعالى (ويسئلونك عن ذى القرنين الآية) الكهف / ٨٣	٣٣٠
قوله تعالى : (قال فإنا قد فتنا ٠٠ الآية طه / ٨٥	٣٣٦
قول البارى جل ذكره : (فلما جاء سليمان الآية) سورة النمل ٣٦	٣٣٧
قوله تعالى : (قيل لها ادخلى الصرح الآية) النمل ٤٤	٣٣٨
قوله تعالى : (فجاءته إحداهما الآية القصص ٢٥	٣٤١
قوله تعالى : (فلما أتاها نودى الآية القصص / ٣٠	٣٤١
قوله تعالى : (إن الله يمسك السموات والأرض الآية فاطر / ٤١	٣٤٢
قوله تعالى : (ويمسك السماء أن تقع على الأرض الآية الحجر / ٦٥	٣٤٤
قوله تعالى : (وجعلنا من السماء سقفا محفوظا ٠٠) الأنبياء / ٣٢	٣٤٤
قوله تعالى : (إن الله بالناس لرءوف رحيم) الحج / ٦٥	٣٤٤

الموضوع	الصفحة
قول الحق تبارك وتعالى : (ولقد فتنا سليمان الاية)	٣٤٥
قول الحق تبارك وتعالى : (ق والقران المجيد)ق/ ١	٣٤٩
قوله تعالى : (إرم ذات العماد) الفجر/ ٧	٣٥٣
سورة الفاتحة	٣٥٧
قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) الفاتحة	٣٥٧
قوله تعالى : (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك الآية البقرة ٥٥	٣٦٠
قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين الآية) البقرة ١٠٢	٣٦١
قوله تعالى : (قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين) المائدة ٢٢	٣٦٥
قوله تعالى : (يا اخت هارون) مريم ٢٨	٣٦٨
أثر رقم (٣٦) وسورة يوسف	٣٨٣
رقم (٣٧) النحل ـــــ اية ٨	٣٨٥
رقم (٣٨) الكهف ..... اية ٩٠٧٦	٣٨٦
رقم (٣٩) مريم آية ٥٦	٣٩٣
رقم (٤٠) الشعراء ٣٦ ـ ٣٩	٣٩٤
رقم (٤١) النمل آية ٨٢	٣٩٦
رقم (٤٢) السجدة ٤	٣٩٨
رقم (٤٣) الصافات ٩٩ ـ ١٠٢	٤٠٠
اختلاف العلماء في المأمور بذبحه على قولين	٤٠٢
القول الأول ـ إنه إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام	٤٠١
القول الثاني ـ إنه إسحاق على نبينا وعليه الصلاة والسلام	٤٠٢

الموضوع	الصفحة
أدلة القائلين بأنه اسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام	٤٠٢
أدلة القائلين بانه اسحاق على نبينا وعليه الصلاة والسلام	٤٠٤
مختار القول	٤٠٥
أثر رقم (٤٤)	٤٠٧
أثر رقم (٤٥) سورة الحديد اية ١٣	٤٠٨
المبحث الرابع ـ تصريحه بأن رواة هذه الآثار مشهورون بالأخذ عن أهل الكتاب	٤١٢
أثر (٤٦) البقرة اية ٣٤	٤١٣
أثر (٤٧) البقرة ٩٦	٤١٨
أثر (٤٨) الكهف ٨٦	٤٢٢
أثر (٤٩) طه ٤٠	٤٢٤
أثر رقم (٥٠) الفرقان ٢٥	٤٢٦
أثر ٥١ الذاريات ٤١ـ٤٢	٤٢٧
أثر ٥٢ النبأ ٣٨	٤٢٨
الكلام على الروح والمراد منه	٤٢٩
المبحث الخامس: تردده في الحكم على أن هذه الاثار إسرائيلية أو غير إسرائيلية	٤٣١
أثر رقم (٥٣) الفاتحة	٤٣٦
المبحث السادس	٤٣٦
أثر (٥٤) ال عمران ٢٩٤	٤٣٦
أثر ٥٥ الانعام ١٥٨	٤٣٩
أثر ٥٦ الاعراف ١٥٠	٤٤١ =
أثر (٥٧) مريم ١٧	٤٤٣
المبحث السابع	٤٤٦
أثر (٥٨) البقرة ١٢٥	٤٤٧
أثر (٥٩) النساء ١٢٥	٤٤٩

الموضـــــــــــــــــــــــــــوع الصفحة

خبر رقم ٦٠ـ سورة يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ٤٥٣
الايتين ٥٨ـ ٥٩

خبر ٦١ـ الأنبياء عليهم السلام أية ٨٣ ـ ٨٤ ٤٥٤

خبر ٦٢ـ لقمان ١٦ ٤٥٥

خبر ٦٣ـ لقمان ٢٧ ٤٥٧

خبر (٦٤) سبأ ١٤ ٤٥٨

المبحث الثامن ٤٦٠

الأثر ٦٥ـ الأعراف ١٥٧ ٤٦١

الأثر ٦٦ـ النمل ٦٢ ٤٦٤

خبر ٦٧ـ الأحزاب ١٣ ٤٦٥

خبر ٦٨ـ الأحزاب ٤٥ ٤٦٦

المبحث التاسع ٤٦٧

خبر ٦٩ـ الأعراف ٢٤ ٤٦٨

خبر ٧٠ـ الأعراف ٤٣ ٤٦٩

خبر ٧١ـ الكهف ٥٠ ٤٧١

خبر ٧٢ـ الكهف (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) ٤٧٢

خبر ٧٣ طه (١٨) ٤٧٢

= ٧٤ الأنبياء عليهم السلام ٤٧٣

= ٧٥ الشعراء ٦٠ ٤٧٦

≠ ٧٦ القصص ٨١ ٤٧٧

خبر ٧٧ـ ص ٧١ ٤٧٨

الفصل الثالث ـ تتبع ما فات ابن كثير من إسرائيليات ٤٨٢

المبحث الأول ـ ما جاء في سورة البقرة . ٤٨٤

الموضوع	الصفحة
الأية الأولى رقم (٢٩	٤٨٤
الأية الثانية رقمها (٤٤)	٤٨٨
الاية الثالثة رقمها (٥٩	٤٨٩
الأية الرابعة (٦٥)	٤٩١
==الخامسة (١٥٨)	٤٩٣
= السادسة (٢٤٨)	٤٩٤
الأية السابعة (٢٥٨)	٤٩٩
المبحث الثاني (ماجاء في سورة النساء)	٥٠٢
الأية الثامنة (٧٨)	٥٠٢
المبحث الثالث " ما جاء في سورة المائدة	٥٠٤
الأية التاسعة (٣٧)	٥٠٤
الأية العاشرة (٣١)	٥٠٦
المبحث الرابع (ما جاء في سورة الأعراف) (٢٠١	ط٥٠٨
المبحث الخامس (ما جاء في سورة يونس على نبينا وعليه الصلاة والسلام . (١٢/ ٨٨	٥١٠
الأية (١٠٣) ما جاء في سورة هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام (٤٠) . في المبحث السادس	٥١١
المبحث السابع " ماجاء في سورة الرعد (١٢)	٥١٤
= الثامن ماجاء في سورة النحل (٢٦)	٥١٥
= التاسع = = = = طه (٨٥)	٥١٦
= العاشر = = = = = = = = = = الانبياء عليهم السلام	
الخاتمة	٥٢٤
فهرست المصادر والمراجع	٥٣٧
= = = = الموضوعات	٥٥١

والحمد لله رب العالمين .